

فهرس المجلد الاول من شرح الشفاء للشهاب

شرح الشفاء
لشهاب الدين الخفاجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نور الخافقين ببعثة النور المبين * وجعلها شفاء لما فى الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين * فازال ظلمات الضلال المدلهمة * فاذا همت افواه الاباطيل
باطفاء نوره ابى الله الا ان يتمه * حين اشرق به مصباح الهداية * وقد كاد
ان يهم بالانطفا * واتضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا * برسالته
التى شرح الله بها الصدور وشفا * وانهار به ركن الباطل بعد ما صار من الغواية
على شفا * فاكمل الله به المنة على البرية * واحيى به موؤدات المعارف الالهية
فى فترة الجاهلية * فصلى الله عليه وزاده تبجيلا وتكريما * كما امر بذلك فقال
صلوا عليه وسلموا تسليما * وعلى عترته وصحبه الذين باعواله ارواحهم بالجنة
وسلموها تسليما * ماذر مسك المداد على كافور الطروس * فعطر اردان الاذهان
والنفوس (هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى * كتاب قدره جليل *
وهو على جلالة مصنفه ادل دليل * فانه كما فى مطمح الانفس * اجل اعيان الاندلس
جاء بها على قدر * وسبق لنيل المعانى وابتدر * فاستيقظ لها والناس نيام * وورد
ماءها وهم صيام * فتحلت به للعلوم نحور * وتجلت له منها عرايس حور * كانهن
الياقوت والمرجان * لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * والحقته بالاصالة ردائها
وسقته درها وندائها * والقت اليه الرياسة مقاليدها * وملكته طريفها وتليدها *
وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة * واعتنائه باعلاء معالم الشريعة *
يعتنى باقامة اود الادب * وينسل اليه اربابه من كل حدب * مع عفاف وصون
* اعدم الفساد بعد الكون * وقد وفى ببيان بعض ما يجب من آياته * ونشر على

كاهل الدهر الوية الثناء بين يدى صفاته * مما يحق له ان يكتب بالنور فى صحايف
وجنات الحور * وينقش بقلم العقل معانيه * ويخط على الواح الاذهان لاطفال
الارواح مبانيه * صحف اترعت بشهد حلا * فى كل ذوق لذاك كان شفا *
ولعمرى لقد نثر الدر فيه من فيه * وبلغت امانيه ما كانت تنويه من التنويه *
حديث لو ان الميت نودى باسمه * لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر (فلما كنت
قديما وحديثا * يحثنى حادى الشوق نحوه حثيثا * وقضب الصبا غضة
مورقة الافنان * ورياضه الزاهر محفوفة بروح وريحان * لشغفى بصفاته
وموصوفه * وطربى بسماع تليده وطريفه * ثملا بحميا سقت عنها ظروف
حروفه * لا ازال اقف العين بالاثر * منشدا وقد ناب السمع عن البصر * فاتى
ان ارى الديار بطرفى * فلعلى ارى الديار بسمعى * وكان يصدنى عنه ما فى الباع
من القصر * وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر (فلما رأيت له شروحا ربما
تنشرح لها الصدور * وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور * وفى بعضها
اغاليط * وتطويل ممل وتخليط * الا ان تقليد الناس لبى صريح ندائها *
والبحث قدا من على دعائها * فتلألأ ما فيها من تلاعب الظنون * قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * فسودت بعض الامانى رجاء لان
يبيض بها صحف اعمالى * فيسر بها كاتب اليمين * وترفعها ايدى الكرام الكاتبين
(فلما رآه بعض الاصحاب * سألنى ان ابرز مخدراته من خلف الحجاب * والح على
فى ذلك دفعة بعد دفعة * وانا اقول له هذا ياسمين لا يساوى جمعه * وهو يمد يد امله
لاقتطاف وردة له لا تجتنى * ويهم بذوق ثمراته الغضة الجنا * وقضبه بريح القبول
ما ترنحت * ووردته بنسيم السحر ما تفتحت * كعذراء ابصرها مبصر * فغطت
باكمامها رأسها (ثم عرض لى بغتة ما عرض مما اضر بجوهر القوى من العرض *
فقصدت شفاء الروح والبدن * باسناد الجسم الضعيف لحديث الصحيح الحسن *
رجاء للظفر بسعادة الدارين * مما فيه من عين القرة وقرة العين * لنشفى به امراض
القلب اذا آنت الساعة * فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء ساعة * ولما انجلى
على منصة التمام * وفض منه مسك الختام ﴿سميته نسيم الرياض فى شرح شفاء
القاضى عياض﴾ رجاء ان يهب عليه ريح القبول وان كانت نسمات الامال عليله *
* وتشمله نفحة من نفحات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتشفى من الظماء غليله *
(واعلم ان سندى فى هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق
عالية اعلاها روايتى عن خاتمة المحدثين الشيخ ابراهيم العلقمى وهو عن اخيه
الشمس العلقمى شارح الجامع الصغير عن مؤلفه الجلال السيوطى بقراءتى عليه من
اوله الى آخره بالجامع الازهر وسند السيوطى رحمه الله اشهر من الشمس فى رابعة

النهار وعن شيخ الاسلام شافعى زمانه الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملى عن والده الشيخ احمد الرملى عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى وعن والدى قدس الله روحه عن الشيخ الشهاب الدين بن حجر الهيثمى وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى الغرناطى المالكى قاضى سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره كالمشارق اى فى تفسير وله مدة طويلة ثم نقل الى غرناطة فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل امده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة فى شهر شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة فهو سبتى الدار والميلاد اندلسى الاصل فان اصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس وهو بحر فى العلوم النقلية والعقلية واما ادبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش فى جمادى الاخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة وما قيل من انه قتل لا اصل له وفيه يقول على بن هارون

* ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم * والظلم بين العالمين قديم *
* جعلوا مكان الرأى عينا فى اسمه * كى يكتموه وشأنه معلوم *
* لولاه ما فاحت اباطح سبتة * والروض حول فنائها معدوم *

وفى طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تأليفه نحو ثلاثين تأليفا جليلة وانشد له من شعره

* الله يعلم انى منذ لم اركم * كطائر خانه ريش الجناحين *
* ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * وان بكن بعدكم حين جناحين *
(وقال) انظر الى الزرع وخاماته * يحكى وقد ماست امام الرياح *
* كتيبة خضراء مهزومة * شقايق النعمان فيها جراح *

قال واليحصبى بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك ابو قبيلة باليمن والغرناطى نسبة الى غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ونون والف بعدها طاء مهملة وهاء ويقال اغرناطة بالف قبل الغين ايضا انتهى ويأتى لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة (وقرأت فى ديوان ابن المقرى اليمنى الشافعى رحمه الله ان كتاب الشفاء مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرأه مريض اوقرئ عليه شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلى بمرض فقرأه فعافاه الله منه وقال فى ذلك

* ما بالكتاب هواى لكن الهوى * امسى بمن امسى به مكتوبا *
* كالدار يهوى العاشقون بذكرها * شغفا بها لمشمولها المحبوبا *
* ارجو الشفا تفاؤلا باسم الشفا * لحوى الشفا وادرك المطلوبا *

وبقدر

* وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى * لا سيما ظن يصبح مجيبا *

ويأتى لذلك مزيد بيان (وانا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا (واعلم ان فى الشفاء بعض احاديث ضعيفة وقليل ممن قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع فى شفائه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا ولم ينصف الذهبى فى قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده عما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلائل النبوة للبيهقى رحمه الله فانه كله هدى ونور وقال الذهبى ايضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وهو تحامل منه لا ينبغى وسترى ان شاء الله ماذكره فى محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قارئ هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور وهو كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اقطع وفى رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفى اخرى بذكر الله والاشكال فى تعارض هذه الروايات مشهور وكذا التوفيق بينهما بحمل الابتداء على العرفى الممتد او مجرد التقديم على المقصود وهما متقاربان وكذا ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدأ بها فيه واجيب بان المراد فى الروايات كلها الابتداء باحدهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفاء تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع ايضا او بحمل المقيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا اشهر من قفا نبك فلا فائدة فى الاعادة وهنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوى رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رأيناه وهو ان جملة البسملة لا تخلو اما ان تكون خبرية او انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه فى نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك فى نحو قولك اتكلم او اقوم متكلما مخبرا بتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثانى ان من شان الانشاء ان يتحقق مدلوله به واصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس بقول لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة او الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء متعلقها والاصل اى ويكون الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدأ او افتتح اى اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء الجعل وانه بداية كل شئ كما نقل عن الامام لا يلزم ما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشاء على انه لا يجرى حقيقة الا فى نحو التأليف

مما يمكن ان يكون بدائية له حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة فى جعله
بدأ له (اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشاء التبرك الموقوف على التلفظ
بالبسملة وماتوهمه هذا القائل على تقدير الانشاء من الخيالات الواهية والاوهام
الفارغة وقوله انها حينئذ لانشاء المتعلق ومثله فى غاية المندور وعدم صحته فى غاية
الظهور الا ترى ان ادوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها
خارجا فتصير بجملتها انشاء كما يقول من رأى شخصا قائما لم يحط بتشخصه واحواله
خبرا من قام اوعلى اى حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله
الندور ولايقال انه مع تحقق القيام فى الخارج انه لانشاء المتعلق وكذا كم غلط
وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضى واما لكونه لانشاء
الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وانا اعجب من هذا الفاضل
كيف زعم ورود ما قال وممن ارتضاه بعده من فحول الرجال

* وعين الرضا عن كل عيب كليله * كما ان عين السخط تبدى المساويا *

وفى النسخ (قال القاضى الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض)
بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة و بعدها الف وضاد معجمة (اليحصبى رضى الله
عنه) قال فى القاموس يحصب مثلثة الصاد حى والنسبة مثلثة ايضا لا بالفتح فقط
كما زعم الجوهرى و يحصب قلعة بالاندلس انتهى وفى لباب الانساب لابن الاثير
اليحصبى بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل بضمها وكسر الباء
وهذه النسبة الى يحصب وهى قبيلة من حمير سميت باسم ابيه يحصب بن مالك قلت
هكذا ضبطه ابو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فتفتح
فى النسب كنمرى وتغلبى انتهى (قلت) بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس
على الجوهرى مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد فى امثاله وما خالف
شاذ لايعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله تعالى
وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب بابى الفضل كما قيل

* ابى الفضل من اجرى الى الفضل يافعا * فصار به يدعى وصار به يكنى *

(الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة اوحكما
على وجه التعظيم ظاهرا وباطنا بان لايصدر مايخالفه ولايلزم اعتقاد اتصاف
المحمود بالجميل المذكور عند متأخرى المحققين وفى هذا المقام كلام طويل الذيل
ليس هذا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب جميع المحامد وفى علميته وفى اصله
مايغنيك عن ذكر شهرته والمراد ان جنس الحمد اوجميع افراده مختصة به تعالى
فان قلنا الاختصاص الذى يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا او بمعونة المقام
يحمل الاختصاص الذى ذكر على الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا لغيره

منزلة العدم او منزلة حمده تعالى لانه مبداء كل جميل اوعلى الحقيقة لان المحمود
عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا
بناء على حمل الاختيار على الحقيقى الذاتى والاول بناء على حمله على العرفى الظاهرى
ولكل وجهة ولو اريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف
على ما فصله شراح المطول والعضد وفى شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد
لانها من صيغ الحمد شرعا اولدلالتها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق
تعريف الحمد عليها وفيه نظر وههنا بحث ابداه ابن الهمام رحمه الله فى شرح
البديع فقال جملة الحمد صيغة انشاء معنى كصيغ العقود و بالغ بعضهم فى انكار كونها
انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن
معناه لفظه فى الوجود و يبطل من قطعتين احداهما ان الحامد ثابت قطعا
بل الحامدون والاخرى انه لايصاغ لغة للمخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم
قطعا فلا يقال لقائل زيد ثبت له القيام قائم فلو كان الحمد اخبارا محضا
لم يقل الحمد لله حامد ولاينفى الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم
من المقارنة انتفاء وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار
صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يتراءى لزوم كون كل مخبر منشئا حيث
كان واصفا للواقع مظهرا له وهو توهم فان الحامد مأخوذ فيه مع ذكر الواقع
كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان
وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشأ الغلط او بالغفلة
عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولاخارج للانشاء وانت
تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه
ومن كونه على وجه ابتداء التعظيم لاخارج له انتهى (اقول هذا صنو ما مر
فى البسملة وهو تعسف لاوجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من
غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره الانشاء لانه يلزمه الاتصاف بالجميل واه
جدا لانه انما ينفى الوصف لا الاتصاف وشتان ما بينهما وقد كفانا بيان مزيته واما
ابطاله الخبرية بقولهم حامد وحامدون فمغالطة عجيب لانه ليس نظير من قال زيد
قائم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر و يصح ان يوصف بانه متكلم ايضا
لاتصاف المخبر بما اخبر به عن غيره ومشاركته له فى ذلك كما ان المخبر عن الحمد
والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهر معظم فهو حامد
وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله تعالى بصيرته وهو ان الحامد الخ ممنوع فانه انما
يوجد فيه ذلك اذا لم يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازما له لاجزؤه
وقد بسطنا هذا فى العناية فحسبك من القلادة ما احاط بالعنق (المنفرد)

قال الراغب الفرد الذى لايختلط بغيره وهواعم من الوتر واخص من الواحد وجمعه فرادى قال الله تعالى لا تذرنى فردا اى وحيدا ويقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين وقيل معناه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد فى كلام المصنف ضبط بالنون والتاء الفوقية من باب الانفعال والتفعل ومعناه مامر وفسر ايضا بعدم مشاركة غيره له فى ذاته وصفاته وكل مايختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الاتى واطلاقه على الله تعالى اما لثبوته كما يشعر به كلامهم اوللاكتفاء بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه او بناء على جواز اطلاق مالا يوهم نقصا مطلقا اوعلى سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزلى رحمه الله والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع ايضا كتحجر الطين اى صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه فى الاصل للتكلف فاريد به غايته وهى الكمال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيم تكلفه ويتأنق فيه كما قيل فى المتكبر (باسمه الاسمى) الباء صلة المنفرد والاسم اما من السمة بمعنى العلامة اومن السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفى قوله الاسمى ايماء الى الثانى والباء اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به او للملابسة والاول الارجح ويرجح الثانى بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لسائر الذوات فى الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل تفضيل بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تأتى لما يأتى له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم الذات وما سواه اسماء صفات فالمفضل عليه ماسواه من اسمائه الكريمة وفيه اشاره الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه اقوال اخر مشهورة اوللجنس فالمراد به اسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق ومطلق اسمائه لاختصاصها به فى الحقيقة وان اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر فى البدايع لابن القيم اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كحى وسميع هل هى حقيقة فيه تعالى مجاز فى غيره اومجاز فيه حقيقة فى غيره اوحقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير فتدبر وعلى الثانى المراد ان كل اسم من اسمائه اشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه (فان قلت قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى فى الفقه الاكبر اسماء الله تعالى وصفاته مستوية فى العظم والفضل لاتفاوت بينها وهومناف لما ذكرت قلت مراده روح الله روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسماء والموصوف بجميع الصفات واحد وهوالله تعالى وهذا لاينافى التفاوت فى حقايقها

من حيث ان بعضها فى حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالالوهية التى تشمل حيطتها اكثر الصفات والعلم وقد صرحوا ايضا بتفاوت الصفات فى نفس معانيها وحقايقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين الاسماء ليس الا استواءها بحسب الاضافة الى الذات كما فصله الشيخ بهاء الدين فى شرح الفقه الاكبر وفيه ايضا ان آيات القرأن متساوية فى الفضل قال الشارح تساويها من جهة القرأنية واضافتها الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسى وآيات القصص وعليه يترتب ماروى فى فضائل السور (المختص) اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز فى المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفى الصحاح خصه بالشئ خصوصا وخصوصية والفتح افصح وخصيص واختصه بكذا خصه به وفى شرح السيد القياس ان تدخل الباء التى هى صلة الاختصاص على مالايوجد الشئ فى غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ما تدخل على مالايوجد فى الغير كما فعله المصنف وهوفصيح ايضا والمعنى على التقديرين واحد اى هذا الملك لايكون لغيره والثانى اكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز اى تميز عن غيره بالملك وهذا ملخص ماقاله القوم كما فى شروح الكشاف وحواشى المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفى شرح المفتاح السعد ادخال الباء فى المقصور عليه هوالاستعمال العرفى العام وادخالها فى المقصور هو الاستعمال الشايع العربى وقال قدس سره الاصل فى لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال الباء فى المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اى صار مقصورا عليه الا ان الاكثر فى الاستعمال ادخالها على المقصور بناء على تضمن ذلك معنى التميز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة مامخضته الافكار (وانا اقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقى من قام به الفعل لامن اوجده كما حقق فى الاصول فاذا اسند الى احدهما حقيقة تعين دخول الباء على الآخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب الامر والاستحقاق او بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثانى يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لومات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص مال فلان بابنه دون خاله فلوكان له ابنان وحاز احدهما المال كله تغلبا فاللائق ان تقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه وفى الثانى بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة

حقيقة فيهما ولبس المعنى فيهما واحدا كما تقرر وزعمه مع هذا انه مجاز خبط وفى كلام اللغوى بين مايصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالى يختص برحمته من يشاء يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال الباء على الرحمة اشارة الى انه بمحض كرمه ولطفه ولو اسنده لمن او للرحمة اوهم خلافه فتأمله فانه دقيق جدا (بالملك) الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو ابعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف فى الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهى وفسر بالاحتواء على الاشياء قادر على الاستبداد بها وقد يراد به الاشياء المحتوى عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع فى كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثانى ملك الاعيان وقد يجتمعان ويأتى ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاؤه للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوى وقيل اصطلاحى لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد سمعته آنفا (الاعز) افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العز حالة مانعة للانسان عن ان يهان او يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز اى صلبة كانه فى عزاز اى محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا مما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال فى شرحه معنى كونه اعز ان احتواءه عليه اغلب من كل احتواء ولا ينبغى ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لامعنى لوصف الملك بالشدة والصلابة (الاحمى) افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمى وحمى اذ اصنته والمحمى مصون واصله ارض يمنع من قطع نباته ورعيه وكانوا يفعلونه فى الجاهلية كما يريدون فلما جاء الاسلام نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لاحمى الا لله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين اى ذات زقى السمن وهى امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية فاتاها خوات ابن جبير الانصارى قبل اسلامه فساومها فحلت له نحيا مملوا فقال امسكيه حتى انظر الاخر فحل الاخر وقال امسكيه فلما شغلها بشغل يديها غشيها وهى لاتقدر على الدفع عن نفسها فى النحيين وشحها بضياع السمن فلما قام عنها قالت له لاهناك الله فهى فى هذا المثل مفعولة لانها شغلت بالنحيين او على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمى نفسه لعظمته ان يصل اليه احد فحمايته اعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فقير لايسعه ان يدعى انها ملكه لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تمليك مثله لها كما قيل فى مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدى كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقول الاعز فاسناده مجازى والمعنى على الاول ان ملك غيره اذا كان محميا فلكه تعالى محمى بحماية

اقوى من كل حماية لانه ملك لايصير لغيره الا الى الله تصير الامور ولاحاجة لتجريده عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمى كقوله * بينا دعائمه اعز واطول * على رأى وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله

* اكر واحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا *

وماقيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله احتواؤه على العوالم اكثر منعا لغيره من التوصل اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما يضره فهو اشد منعا من سائر املاك المالكين لامحصل له ولا وجه له لانه ان اراد الادعاء فهو بعينه ماقدمناه وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى غير ذلك فلامعنى له (الذى) صفة لله او للملك يعنى مالك ملك لاشئ قبله ولابعده (ليس دونه) دون لها معان قال الصاغانى يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام ووراء فهى من الاضداد ويكون بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله * اذا ما علا المرء رام العلاء * ويقنع بالدون من كان دونا * ولافعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهى هنا بمعنى فوق وامام ولايجوز ان يكون بمعنى وراء او غير (منتهى) اسم مكان او مصدر ميمى من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما فى قوله

* لاتنتهى الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر *

وكونه اسم مفعول مع لزومه ولاصلة معه تكلف بغير داع (ولاوراءه) وراء نقيض قدام ويكون بمعناه ايضا فهو من الاضداد وهو ماوراءك سواء وارى عنك غيرك او واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير (مرمى) بميمين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمى وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه فى حق الله تعالى فى الحديث فروى المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه وابن الاثير فى نهايته ليس وراء الله مرمى وتكلمت به العرب العرباء وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة

* حلفت فلم تترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب *

قال فى النهاية اى ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمة فليس وراء الله ولاوراء معرفته والايمان به غاية تقصد انتهى كما قيل

* على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منه نصيب ولاسهم *

فى المشارق ليس وراء الله مرمى اى مطلب لطالب والمرمى الغرض الذى يرمى اليه واليه ينتهى سهم الرامى وبه يحوز السبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولاغاية يرمى اليها انتهى فالذى ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شئ ينتهى اليه ويتصل آخره باوله وليس بعده شئ تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدائم الواجب الوجود وماعداه

فهو حادث اوجده وابدعه فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده اتصالا
ظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لماقبله لانه لما ذكر اختصاصه بالملك
الاعز قد يتوهم مشاركة غيره او اختصاصه بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شئ
ولابعده شئ فهو مالك كل ملك وخالقه فلايخرج شئ عن حوزة ملكه وعلى كل
حال فالمرمى محل الرمى والهدف اريد به الغرض الاقصى الذى ترمى له الامال وتتوجه
نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامى فى توجهه
لاصابة المرمى بحال العارف الذى معرفة الله اقصى مطالبه ومطمح خواطره كما قيل

* يامطلبا ليس لى فى غيرك ارب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب *

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله فى فاتحة خطابه كقول رب العزة
فى فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله المختص الى آخره اشارة الى المبدأ الفياض وان الكل
منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله وليس دونه منتهى الى آخره
اشارة الى المعاد كقوله مالك يوم الدين ولما كان ذكره بصفاته وانعامه فى الدارين
المقتضى للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذى يوجه اليه
الخطاب كقوله اياك نعبد الى آخره واتى هنا بما هو بمنزلته وهو قوله (الظاهر) هذا
هو المناسب للمقام وبما ذكرناه من انه على سبيل التمثيل لايرد عليه ان وراء ودون
وما معه امور تقتضى التحيز والجهة ومثله لايجوز استعماله فى حقه تعالى لان
الاستعارة التمثيلية لاتجوز فى شئ من مفرداتها واجزائها وماقيل من ان معناه ليس
تحته محل انتهاء ولابعده مرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كمرمى لانه مقصد الرمى
اريد به مطلق القصد صحيح لكن ماذكرنا انسب بالمقام واولى باداء المرام وماقيل
عليه من انه خطأ لانه لابد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لايكون
مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه الله تعالى جعل العلاقة فيه المشابهة كلام لاوجه له
ولاطائل تحته لان الهدف دائما يقصد للرمى والقصد بالفعل ليس بلازم وماقاله
ابن الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولايلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس فى جهة
ولاحيز ففى الشئ بنفى لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو فى الاصل اسم فاعل
من ظهر اذا بدأ ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة
وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه
وقد صح وسمع كما ورد انت الظاهر فليس فوقك شئ وفى شرح المواقف الظاهر
المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر
عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لايدرك اصلا فهو صفة
سلبية وقيل العالم بالخفيات انتهى وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله
ولا يقال الامزدوجا كالاول والآخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية

فان الفطرة تقتضى فى كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكماء طلب المرء
فى الافاق ماهو معه والباطن باعتبار معرفته حقيقته وذاته ولذا قال الصديق غاية
معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر باياته باطن بذاته وقال المرتضى تجلى
لعباده من غير ان يروه فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى (اقول قد عرفت
مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق على الله معان هو باعتبار بعضها مقابل للباطن
ولايستعمل حينئذ الامزدوجا وباعتبار الآخر يطلق عليه مفردا كما قاله الراغب
رحمه الله تعالى ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه فى شرح اسماء الله الحسنى (لاتخيلا
ولاوهما) يعنى ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له
بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته
لا بحسب التخيل والوهم وقيل لابحسب الظن او السهو وقيل لابحسب الطرف
الراجح او المرجوح اولا بحسب ادراك القوة المتخيلة او الواهمة فان من شانهما
ادراك مالاتحقق له فغلبت المتخيل والموهوم على كل ما لاتحقق له فنفى ان يكون
ظهوره كذلك انتهى وهذا الأخير هو الأصوب وذكر السهو لاوجه له وان وقع
ذلك فى كلام اهل اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل
تصوير خيال الشئ فى النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار
تصور خيال الشئ المظنون فى النفس وفى حواشى شرح المطالع الفكر حركة
النفس فى المعقولات والتخيل حركتها فى المحسوسات والوهم خطرات القلب
ومرجوح طرفى التردد والغلط وفى المقتنى الوهم بسكون الهاء وفى الصحاح وهمت
فى الحساب اوهم وهما بسكون الهاء اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت فى الشئ
بالفتح اوهم وهما بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال
ابن القطاع وهمت الى الشئ ووهم واوهم بمعنى ونصبهما على الحال او التمييز او بنزع
الخافض فالمعنى ماص وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لاباد راك القوة المتخيلة
او الواهمة التى تدرك مالاتحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هى القوة المتصرفة
فى الصور والمعانى بالتركيب والتفصيل كتصور شخص براسين واختراع
مالاحقيقة له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات
كادراك الشاة عداوة الذئب ورد بان هذا مبنى على فلسفة لايرتضيها اعلام
اهل السنة الا ان يقال انه ابطال ونفى له ولاضير فى مثله وليس فى وصف الله بانه
ظاهر مايدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف فى وقوع ذلك
وامكانه على مافصل فى الاصول فلا حاجة للتعرض له هنا على ان فى اقترانه بقوله
(الباطن) مايدل على خلافه لانه بمعنى الذى لايدرك بالابصار ادراك احاطة
لقوله لاتدركه الابصار كما حقق فى محله وقد وقع فى اكثر النسخ بدون عاطف

كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عاطف لما بين المنفرد والمختص من كمال الاتصاف ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما لايجتمعان كما فى قوله عز وجل مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه فى حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها وبنعوت ذاته وافعاله التى لاتخفى باطن خفى عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية فى عالم الغيب والشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله اهل المعانى فى مباحث الفصل والوصل بل فى كلام بعضهم مايدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتأخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشرى فى مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد عيسى الصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا باستقلال كل منها وقد يذكر فى موضع ويترك فى بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن اولزيادة مناسبة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب انتهى وهذا بناء على مافى النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولايخفى مافى توجيهه من القصور لاهماله العطف لعدم الاجتماع كما مر فى ثيبات وابكارا وكانه اعتبر بما وقع لهم فى قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول والذى ذكره الزمخشرى فى نزغة اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس هذا محل تفصيله وقد علمت مما قلناه معنى الظاهر والباطن وقال السهيلى معناه العالم بما ظهر وبما بطن (تقدس لاعدما) اعرابه كاعراب ماقبله والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اى ان بطونه وخفاه لتنزهه وعلوه من ان تحيط به البصائر والابصار لالكونه معدوما اوغائبا اولا من جهة عدمه اوعدم كمال منه بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان اريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها والعدم بضم فسكون من عدمه اعدمه كعلمه اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وماقيل من ان معنى العدم هنا الفقد كما فى الصحاح اى ليس خفاؤه لافتقاره كما يخفى بعض الفقراء لفقره فهذيان محموم ولبعض الشراح هنا كلام لامعنى له تركناه لانه غنى عن النقد والتزييف (وسع كل شئ رحمة وعلما) العلم مطلقا معلوم وفى صفات الله تحقيقه فى الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته وهو مما لايوصف الله تعالى به فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام اوارادته وذهب الباقلانى رحمه الله الى انه تجوز به عن معاملته معهم معاملة الراحم بمن يرحمه وذهب

الاشعرى رحمه الله الى انه تجوز به عن ارادته ذلك فعلى رأى القاضى يجوز ان يقال اللهم اجمعنا فى مستقر رحمتك وعلى رأى الشيخ لايجوز وفى القرآن مواضع تناسب كلا من الرأيين فقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذى هو صفة ذاتية وقوله هذا رحمة من ربى اشارة الى ان السد يناسبه الاحسان كذا فى شرح الاربعين الرازية للقرافى ولبسط الكلام فيه مقام آخر يأتى اوائل الباب الاول ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره فى هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدأ بحمد الله تعالى ونعمته بما يدل على عظمته فى ذاته وان الملك له لاتصرف فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه فى ملكه وما يعاملهم به على وجه ينساق الى المراد يقال وسع الى آخره ولو قال الذى وسع كان اولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشئ الموجود مطلقا اواعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ماسوى الله وان صح اطلاقه عليه كما فى قوله تعالى قل اى شئ اكبر شهادة قل الله لان شمول الرحمة للذات لايصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل شئ منعم حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستأنفة وتعلق العلم بكل شئ كليا وجزئيا مبرهن عليه فى الاصول وفى شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لانعلم كنه صفات الله كما لانعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لانعلمها الا بلوازمها وآثارها وذاته لم تكمل بها لان الذات كالمبدأ لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الذات يستلزم الصفات (وفى عوارف المعارف اجمع الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لابمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى نفى الضد وثبوتها قائمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم خلافها وتوضيحها انه لااحتياج له تعالى الى الصفة الموجودة فى تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان الاثر بحاله الا ان وجودها اكمل لاستدعاء كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكمال بالذات اعلا من الكمال بما سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلا عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فائدة وان سلم فليكن سببا عاديا للآثار كسائر الاسباب عند الاشعرى رحمه الله فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى (اقول قوله لاستكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ما قاله فى تعليقه له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لايقال صفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات اى محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبة بالذات بذوتها والالزم تعدد الواجب لذاته وذلك لايجوز والصفات ليس شئ منها مسبوقا بالعدم بل موجودة ازلا وابدا

وانْ جاز ان يقال فى سائرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها واوجدتها ونحوه لكن بمعنى انها محتاجة الى الذات لانها اوجدتها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون الخوض فى مثله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده فى الشرع فلا محذور فى ترك التعرض له الا اذا الجأت له الضرورة ولذا قال فى التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدأ للصفات وقد استشكل ظاهره لانها اذا لم تكن مبدأ لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز (واجيب بان المتبادر من المبدأ انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدأ الامبدأ لما مر انتهى (واعلم ان بعض علماء المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفى الصفات لشبه تقرب مما قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها شرط لبقاء بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتأخر وهو مناف للوجوب واجيب بمنع الملازمة فان الافتقار للغير ان كان فى افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعى هذا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود غنية عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافى الوجوب ولما اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضى التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقص بصفاته تعالى فقال نستخير الله فى القول بامكانها لذاتها ثم جزم به وفاه بكلمة والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هى ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذات الله تعالى والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهى زلة شنيعة (اقول هذا من نفايس الذخاير المستودعة خزائن القلوب وقد تكلم فيها قدماء الحكماء والمتكلمين كما نقله الامام فى المسائل الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافى فى حواشيه على هذه المسائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القدر فمسلم لكن العبارة رديئة ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير فى القيام لا فى الوجود ولا يلزم من الافتقار فى القيام الافتقار فى الوجود فان العرض مفتقر للجوهر فى قيامه ومستغن عنه فى وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها او باعتبار وجوده كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضى للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى (اقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج فى الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا

بالاول والقرافى ومن نحا نحوه كالسنوسى منعوه وقالوا بالثانى وشنعوا على من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة او شرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا لا محذور فيه فى صفات الله القائمة به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من مخدرات الاسرار التى لا تدرج لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التى ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات لاسنادها له وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التى هى كالمبدأ لها لانها قديمة ليست منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا لا ينافى الامكان ولا يقتضى الحدوث الزمانى وبقولنا كالمبدأ ظهر ان قول المعترض انها مبدأ وفاعل تقول عليه وقال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى بعد ما نقل قول الامام فى الاربعين ان صفات الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات لا بالذات اى واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة فى حد انفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ما سواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من ان المصادر عن المختار حادث البتة انتهى (واسبغ) اى اتم واكمل وهو فى الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعيرت من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (على اوليائه) جمع ولى فعيل بمعنى فاعل او مفعول اى موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو * الله ولى الذين آمنوا * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وهو من الموالاة وهى الاتصال والقرب ويكون ذلك فى النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من اسرار ومعارف الهية انار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهى مرتبة جليلة ويأتى لذلك مزيد بيان وكل نبى ولى ولا عكس وقيل ولاية النبى افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولى على النبى كما توهم والمراد هنا الاول او الثانى ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية وتخييلية كما فى قوله

* اذا ما عزا دهرى وخفت خطوبه * على دروع من نداه سوابغ *

(نعما) جمع نعمة وهى ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد على الانعام امكن من الحمد على النعم كما فصل فى محله (عما) هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة مشددة تليها الف اما زائدة كالف زيدا فى قولك رأيت زيدا حالة الوقف فالفه زائدة او بدل من التنوين كما فى سائر المنصوبات المنونة اوهى الف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اى عامة شاملة لكل شئ من الاجزاء والجزئيات قال ابن عصفور فى شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

*طافت به الفرس حتى بذ ناهضها * عم النخل لقاحا غير منتشر*

العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابى حاتم و يعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال اللحيانى نخلة عم ونخيل عم اى طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمى كحبلى وهذا اقيس الوجوه انتهى واقتصر على التسهيل على انه فعل بضم فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفى كتاب النبات للدينورى فى باب النخل العميمة النخلة التى يصعد اليها اذا اجتنبت وهى العميمة ايضا والنخل العم الذى استحكمت وكملت وطالت وكذا فى جميع النبات وفى العم يقول *فعم كعمكم يافع * وطفل كطفلكم يومل * اى كبار بالغ نفعهم ككباركم وصغار تومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى ومما قصصناه عليك علمت ان قول المصنف عما اما منون اوغير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة فى الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام عطف على قوله اسبغ الخ قوله (وبعث فيهم) من عطف الخاص على العام لبراعة الاستهلال وماقبله تمهيد له والبعث فى الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحياء والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفى فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذ تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر وضمير فيهم للاولياء بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لايقتضى تخصيص البعثة بهم فينبغى ان لاتجعل فى بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الآتى عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شئ وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان اوحى اليه بتبليغ الشرايع والبعث وان كان فى الكفار فان كثيرا منهم قد علم منه انه سيصير من اهل ولايته ومنهم

من اشرف عليها وهو المراد بالاولياء اوهذا ليس بيانا لاول البعثة ثم قال البعثة انما هى فى العرب بل فى اهل مكة والمبعوث فيهم جماعة هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاولياء العرب وضمير انفسهم الآتى للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاولياء مرجعا لهما الا بالتكلف بان يقال كان فيهم العجم والاوجه انه استخدام اواريد بالبعثة فيهم وجودهم فى زمنها ويكون مبعوثا فى الكل اوفى بمعنى الى او يراد مطلق الاولياء اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار فرد والانفسية باعتبار الجميع (اقول هذا تعسف نحن فى غنية عنه والحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق المؤمنين وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما فى قوله تعالى * لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم * كما يأتى وهو مبنى على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة مخصوصة بالمؤمنين وليست العامة مخصوصة كما قيل لانعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم مشهور معلوم من غير هذا وقوله (رسولا) مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم والرسول بمعنى المرسل وهو نبى اوحى اليه ما امر بتبليغه والنبى من اوحى اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهى وفيه نظر وسيأتى تفصيله عند كلام المصنف عليه فى الباب الرابع من القسم الاول (من انفسهم) بضم الفاء جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة فى ظاهر عنصره التى اهله الله تعالى بها لان يكون اهلا لامانته ولم نفسره بما فسر به قوله تعالى * لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم * بانه من جنسهم عربى مثلهم لان المخاطب ثمه العرب امتنانا عليهم واقامة الحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل مقام مقال لانه لايناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده و بعثه فى الجنس يجعل ما للبعض للكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافى كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة و بعضهم فتح هذه الفاء قالوا وهو خطأ رواية ودراية (انفسهم) بفتح الهمزة والفاء والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة او بتقدير عامل له و يجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وجره على البدلية من انفسهم قبله ورجح بانه المروى والموافق لقراءة الاية وفيه اشارة الى القراءتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم اى الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها اى افضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله (عربا وعجما) بضم اولهما وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعى واحده عربى وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادى ولذا قيل لا واحد له لان العرب مغاير لهم او اعم فلا يصح ان يكون مفردا له حتى غلط سيبويه رحمه الله تعالى فى القول به وقال الراغب فى توجيهه الاعراب جمعه فى الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار واذا نسب له بلفظ فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم فى بلدة تسمى عربة كما قاله الازهرى وما قيل من ان اولهم اسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم وكلهم من نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحى اليمن وابوهم قحطان وامهم اوفد منهم جرهم والعمالقة واسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتى بيان ذلك والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخالص وعرب عاربة كليل اليل والمستعربة ولد اسمعيل عليه السلام ومن بعده طرأت عليه العربية وعليه حمل اول العرب اى المستعربة وقحطان ابن شالخ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من ولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمى كما فى الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز او بنزع الخافض (وازكاهم) افعل تفضيل من الزكاة وهى الزيادة محسوسة كانت اومعنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم اكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا واطهرهم وانزههم عن القبائح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من دنس البشرية كما سيأتى (محتدا) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التاء الفوقية وآخره دال مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر والضئضئ بمعنى وهو اصل النسب كما فى فقه اللغة وفى الصحاح حتد بالمكان محتدا اقام وثبت والمحتد الاصل وفى القاموس من معانيه الاصل والطبع فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبى ان حقيقة اصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال فما فى شرح المواقف من انه مكان اقام به والعرب تقول لله بلد طلعتك يعنون به شرف النسب كقولهم لله درك لا يخلو ما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرف العرب والعجم واعظمهم نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل ليس بشئ يحتاج للرد (ومنمى) بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان اومكان اومصدر ميمى من نميته اذا نسبته اومن نمى المال اذا زاد اى ان حسبه صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبه الذى انتمى اليه ازكى

من جميع الاحساب واشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه ازكى من جميع المؤمنين الذى بعث فيهم اوان محل نمائه اى مكة اوالمدينة ازكى مما عداه لازدياد الدين وظهوره بها ويجوز ان يراد ان ذاته فى نما العمر والصبا اطهر على انه مجاز عقلى لما عرف منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى عليه الصلوة والسلام كان نبيا فى الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز ايضا (وارجحهم عقلا) رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور فى الكتب القديمة وسيأتى ويقابله الخفة والنقص وهو فى الاصل يستعمل فى الموزون ثم صار حقيقة عرفية فى مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا اومجازا مرسلا اواستعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها فاريد به لازمه والاستعارة فيه احسن كما قال الاخطل

(واذا وزنت حلومهن الى الصبا * رجح الصبا بحلومهن فزالا)

وفيه اشارة لما فى الحديث كما يأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما شق صدره قال احد الملكين للاخر زنه بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع اهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتبارى والرجحان انما هو فى الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وامته فالعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحانى تدرك به النفس ومحله القلب اوالدماغ اوهو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور يقال العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال الشاعر فى التلميح لاصله

(قد عقلنا والعقل اى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق)

(وحلما) هو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو غفور فاين الحلم ومعناه الان يقال انه من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهر ذلك فان اظهره فهو عفو وبهذا يظهر الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل العقوبة مع القدرة عليه ويؤخر لحكمة خفية ويفارقه بان صاحبه لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو فى صفات البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا اوذى اورأى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله اريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام اوتعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة واما الثانى فلا مناسبة بينه وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد يحلم ولا يغفر كما فى حلمه على الكفرة

في الدنيا وقد يقال غفرله ولايقال حلم فتدبر (واوفرهم) اى اكثرهم واتمهم من الوفرة وهى الكثرة والسعة (علما وفهما) العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشئ فى العقل او الصورة الحاصلة فيه اوعنده مفردا كان اومركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل فى الذهن والملكة والتهيؤ واكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها مايحس قال الله تعالى ففهمناها سليمان وقول الجوهرى كغيره الفهم العلم على عادتهم فى التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله * والفى قولها كذبا ومينا * اذ العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية لغيرها فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم الناس واحذقهم وفيه اشارة الى ان علمه صلى الله تعالى عليه وسلم كعلم غيره من البشر ضرورى وكسبى وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينتفى عنه التكليف لان العلوم الضرورية لايكلف بها ولايوجر عليها وان اريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح (واقواهم يقينا) اليقين والايقان اتقان العلم بنفى الشبه عنه فلايوصف به الضرورى ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف رحمه الله اقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لايتفاوت وانما التفاوت فى آثاره ولذا قيل لوكشف الغطا ماازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه اقوى انما هو اجلى عند العقل (وعزما) العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه اولوا العزم من الرسل لقوة بأسهم وامضاء عزمهم فى تنفيذ اوامر الله وتبليغ شرايعه فمن توهم معنى آخر فقد لبس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل ما فى قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفى التهذيب عزمة من عزمات الله اى حق من حقوقه واجب مما اوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقى والعزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولايجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل فى الرأى والتدبير والاثر بما يظهر اولوية غير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله تعالى كما ورد فى مسلم وصحيح شراحه الا ان يريد انه لايطلق بالمعنى المذكور ولايخفى بعده (واشدهم بهم رأفة ورحما) الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال رحمه رحمة ورحما كقفل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب او مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام والرأفة بمعناه فذكره هنا للتأكيد او هو عطف تفسيرى اوالرأفة اخص لانها اشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى فى الاثبات على عكس المعروف فى استعمال البلغاء للفاصلة كما قاله الشراح وتبعا للقاضى فى التفسير وغيره ولاوجه له كما بيناه فى حواشيه لان الرأفة حيث قارنت الرحمة قدمت

عليها ولو فى غير فاصلة كقوله تعالى * رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها * حيث قدمت فى الحشو والذى غرهم كلام الجوهرى وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام اوارادته والرأفة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلابد من تقديمها على الرحمة كما قيل فى المثل الايناس قبل الامساس وكما قال * اضاحك ضيفى قبل انزال رحله * وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة مع البذل * ويوضحه قول قيس الرقيات * ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء * ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه ويأتى لهذا مزيد بيان ايضا فى الباب الاول وقال اشد هنا تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم (زكاه روحا وجسما) التزكية التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اى خلقه زائدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد اوسار فى البدن سريان ماء الورد فى الورد اوهى ما لايدرك كنهه ولاينبغى الخوض فيه مبسوط فى تأليف مستقل به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته صلى الله تعالى عليه وسلم كونه فى اكمل تقويم واحسن صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنس فى نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سيأتى وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالمؤكدة لما قبلها ولتلوين الخطاب (وحاشاه) فعل ماض يقال حاشاه بحاشيه قال * ولا احاش من الاقوام من احد * وليس هذا مأخوذ من حاشى الاستثنائية فانها مشتركة بين معان ثلثة فيكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما فى قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء واحكامها مفصلة فى بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب ما بعده على نزع الخافض اى من عيب او عن عيب او بمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء ورد عن العرب ام لا وهذا تجوز او تضمين فمعناه منزه وعزله عن النوع السابق الانسانى الذى هو عيبة العيوب والضمير راجع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلأ الاناء ماء وفى الحديث اسامة احب الناس الى ما حاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه (عيبا ووصما) اى كل عيب ووصم لان النكرة فى سياق النفى معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم فى الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الاخر اطنابا فى مقام الخطابية تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما فى القاموس فهما متقاربان والتوصم فى الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتوانى وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد فى اموره من غير توان لتوفيقه للجد فى اموره (وآتاه) بالمد بزنة اعطاه ومعناه

فيتعدى لمفعولين (حكمة) فى القاموس انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقرآن والكلام الحق وهى من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن انقابض ومن حكمة الدابة وقال البيضاوى هى فى عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل ولما لم يشمل ماذكره القاضى فى تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشياء كما هى والعمل به كما ينبغى وفيه نظر (وحكما) اى قضاء وفصلا للامور على الحق سواء كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهى مساوية لها للاشتقاق السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف وما فيه من السؤال والجواب بعدم النظر لها امر سهل لاينبغى تكثير السواد بمثله (وفتح به) اى بسببه او الباء للالة (اعينا عميا) جمع عين وفتح العين بمعنى فتح اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك اوهو عبارة عن كونه واسطة فى نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه سبب عادى لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام امارة لخلق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع والرى (الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه اوهو هنا لنكتة كعده قليلة بالنسبة لقدرته تعالى او لكونها كانت قليلة فى الابتداء وسيأتى تحقيقه (وعميا جمع عمياء ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما هو من شانه فان لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لاتمثيل وتشبيه جعلت الحواس التى لاينتفع بها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة مانع من الاستعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبى * انا الذى نظر الاعمى الى ادبى * واسمعت كلماتى من به صمم * لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملاء الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه (وقلوبا غلفا) جمع قلب وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذى غلاف وغطاء فهى مغطاة فى اكنة ومنها غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة تغليبا او بتقدير وازالة غباوة قلوب غلف على نهج قوله * متقلدا سيفا ورمحا * وهذا مبنى على ان القلب محل العلم والقوة المدركة قائمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية مافيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة

عن الهداية فازال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية او تخييلية او مكنية كما حقق فى الكشاف وشروحه وهو لاينافى قوله تعالى * وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم * لانه فيمن طبع على قلبه وهذا فى غيره او المنفى الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى (وآذانا صما) آذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهى الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد جمع صماء كعمى وعميا ويجوز فتح صاده على انه مفرد مؤنث ممدود قصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحها ازالته مجاز مشهور ويقال فى ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشدوا للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه (فامن به) اى بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير فى امان فهو متعد بنفسه ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدى بالباء كآمن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو فى الشرع التصديق بما علم مجئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا والتلفظ القادر به شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل فى حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لايلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله فى كتب الكلام (وعزره ونصره) بعين مهملة وزاى معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقره وعظمه ويكون بمعنى اعانه على عدوه والاول المراد لمافيه من التأسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لمافيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته للقرآن فى قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه مع مافيه من الاعتماد على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولايلتفت لما قيل لولا القرآن لكان الاولى ان يقال عززه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها وسيأتى انه قرئ بهما فى آية الفتح والاعانة النصر والدفع عنه مايضره ويقال نصرت السحابة اذا امطرت ونصره اذا اعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع الاحتمال (تنبيه فى القاموس ان التعزير فى اللغة من اسماء الاضداد لانه يطلق على التفخيم والتعظيم وعلى التأديب وعلى اشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى والظاهر ان هذا الاخير غلط لان هذا وضع شرعى لالغوى لانه لم يعرف الامن جهة الشرع فكيف ينسب الى اهل اللغة الجاهلين بذلك من اصله والذى فى الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه سمى ضرب مادون الحد تعزيرا فاشار الى ان

هذه الحقيقة الشرعية منقولة عن الحقيقة اللغوية بزيادة قيدين كون ذلك الضرب دون الحد الشرعي فهو كلفظ الصلاة والزكاة ونحوهما المنقولة لوجود المعنى اللغوى فيها بزيادة وهذه دقيقة مهمة نظر لها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له نظير ذلك كثيرا وكله غلط يتعين بالتفطن له انتهى وقوله فكيف ينسب الى آخره قال شيخنا ابن قاسم لا يقال هذا لا يأتى على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارف الناس مع قطع النظر عن الشرع وقوله (من) موصول تنازعه الفعلان (جعل الله له) اى قضى وقدر كما علم بالنص كقوله اولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له * واذا يسر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء * وليس فى هذا ايجاب ولا جبر كما توهم (فى مغنم السعادة) مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهى الفوز بما يطلب من الشئ ونحوه ويطلق على ما يغتنم من كل شئ والسعادة ضد الشقاوة ويختص بالفوز بالنعيم الاخروى واضافة المغنم بالمعنى المصدرى لامية وهى بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما اخذ من العدو قهرا فكان المؤمنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفى او اقوى فى المشبه فانه ظاهر لمن له ادنى تأمل (قسما) بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال فى المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم اطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة (وكذب به) يقال كذب بكذا تكذيبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا فى كلامه هذا هو المعروف فى الفرق بين المتعدى بنفسه وبالباء فالمراد انه انكر ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا او انكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقاء الابدى ثابت لمن انكره كان وصفه بغير صفته كاسود او غير قرشى فقد فسره بغير مراده (وصدف) بمهملتين وذا بمعنى اعرض (عن آياته) جمع آية وهى العلامة والامارة وآية القرآن الفاظ منه ذات مقطع ومبدأ وتكون بمعنى المعجزة اى هى علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة ويأتى بيان ذلك مع زيادة اى اعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مكابرة كما قال الله تعالى فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها والايات تضاف الى الله تعالى والى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما هنا لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتب عليه الشقا حتما) كتب بمعنى حكم وقدر فى الازل او اوجب او كتبه فى اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة فى بطن امه على جبينه او بين عينيه او فى رق لا يرى فى عنقه

كما ورد وهو اما تمثيل لسبق شقاوته وسعادته او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقى لا يهتدى لعمى بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القرآن فقال (ومن كان فى هذه) الدار الدنيا (اعمى) عن مشاهدة الايات الظاهرة (فهو فى الاخرة اعمى) واضل سبيلا اتى بالصيغة البديعة من الاكتفاء للسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا اى من كان فى الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان فى الاخرة اعمى على طريق النجاة لا يراها واضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد او لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثانى افعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فالفه فى حكم المتوسطة كاعمالكم بخلاف النعت فان الفه متطرفة لفظا وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية واما الها حمزة والكسائى وورش على اصله بين بين فيهما واورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذى هو ادنى الكافرين الا ترى ان حمزة والكسائى وابا بكر اما لوها فى الموضعين مع قيام هذا الاحتمال فى الثانى ويمكن ان يقال مراده ان الفه فى حكم المتوسطة والموضع اللائق للامالة آخر الكلمة حيث تصير ياء عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثانى او يقال من امال الثانى راعى المشاكلة بينه وبين اصله وهو المعنى الحقيقى وفى بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل امال ابو عمرو الاول دونه لان الفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسى والزمخشرى وفيه انهم اما لوا ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن لا يميلوه اذا قدرت معه اولى واحرى (اقول ذكروا للامالة اسبابا كمجاورة الكسرة او الهاء ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن ياء او تصير ياء فى التثنية ونحوها وهذا يشترط فيه ان يكون الفه متطرفة كما فى التسهيل ثم انهم قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها فى حكم المتوسطة وقارنت ما هى متطرفة حقيقة فترك امالته اذا اميل الثانى للفرق بينهما ارجح من الامالة فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يعنوا ان افعل التفضيل مع من ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها لا سيما مع قصد الفرق بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكر ما يأباه واما الكافرين فلا يحتاج للعذر لما مر فان قلت شرط افعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا صحت عينه اذا كان ثلاثيا كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله تعالى الاقرب ان يقال لما كان بناء الوصف من هذا النوع على افعل كاعور لم يبن منه اسم تفضيل لئلا يلتبس احدهما بالاخر (قلت قد اجيب عنه بانه فى العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول ظاهر وانما

على الثانى فغيرتام الا ان يقال حق وصفه ان لايكون على افعل فعلا و يشهد له قول الجوهرى عمى وماخالفه محمول على غيره شذوذا فاذا اريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان اريد عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه و بين قوله فاذاهم قيام ينظرون ان فى القيامة مواقف مختلفة باختلاف احوالهم والاقتباس هنا مبين لماقبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لماذكر ان من كذبه واعرض عن آياته منحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفى الكشاف ان العمى حقيقة فى البصر والبصيرة والعمه مخصوص بالثانى فحينئذ يجوز بناء اسم التفضيل منه فان كان حقيقة فى البصر فقط لم يتجه بناؤه كما فى درة الحريرى لان ما يمتنع فى الحقيقة فى مجازها لانا اذا قلنا لايجوز بناء التعجب من الموت لايصح ان يقال ماامونه فمن منع بناء التفضيل من الالوان والعيوب لايجوزه بعد التجوز فيه واما القول بانه تمثيل فلايجدى الا الفساد اذلاتجوز فى مفرداته فهوغفلة من قائله وسيأتى الكلام على الاقتباس فى آخر الخطبة ولماذكرانه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل الى اعلى مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه و يدعوله اداء لبعض حقه وتوسلا به الى الله فى قبول حمده واتمام قصده فقال (صلى الله عليه وسلم) والصلوة فى العرف عبادة معروفة وفى اللغة الدعاء وفى اشتقاقها كلام مفصل فى محله كما سيأتى بعض الكلام عليه وما اشتهر من انها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعاء صح عن السلف و به تمسك الشافعى فى الجمع بين معنيى المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور فى كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف عدى بعلى للمنفعة مع تعدى الدعاء بها للمضرة وعقب الحمد بالصلوة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف فسروه بلاذكرالا وتذكر معى كما سيأتى الكلام عليه ولذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلوة عن السلام لفظا وكتابة اوهوخلاف الاولى كما سيأتى بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالصلوة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم كما سيأتى فى محله والاصح انه لايكره الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما لايكره التسليم على الصحابة رضى الله تعالى عنهم وان كان من اداب الشريعة تركه رغما للشيعة فى التسليم على آل البيت وعندى انه يكره الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم من العامة فى مومن لم توقر فيه لاسيما منفردا (صلاة) اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة لافادة تقوية عامله وتقرير معناه (تنمو وتنمى) كذا فى غالب النسخ كما قاله التلمسانى وفى بعضها تنمى بفتح المثناة وكسر الميم وتنمى بضم المثناة الفوقية وفتح الميم وفى المقتفى ان الاول اصح واوضح رواية ودراية وفى المصباح

نمى الشئ ينمى من باب رمى نماء بالفتح والمد اكثر وزاد و فى لغة نما ينمو من باب قعد ونميته الى ابيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثانى على الرواية الاولى بفتح المثناة والميم مضارع نما ينمى كابى يأبى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نما الحديث ينميه اى رفعه و بلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات اوهو دعاء بتكثيرها الى غير النهاية والثانى بمعنى ترفع الى الملاء الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (وقيل ينمى الاول بصيغة الحروف اى تزيد وترفع بنفسها كالشجرة وفى نسخة صحيحة تنمو بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه و يرده حكايته فى القاموس وغيره انتهى والظاهر ان تنمو الاول بمعنى تزيد والثانى بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سيأتى من ان لله ملائكة تبلغه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من ان الثانى بصيغة المجهول اى يزاد عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمى فهى تنمى على انه يحتمل التأكيد انتهى فانه تعسف انت فى غنية عنه بما قدمناه وكذا ماقيل من ان المطلوب صلاة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجملة للانشائية والخبرية تبهناك عليه (وعلى آله) عطف على قوله عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا فسره بهم فيما سيأتى ولم يضف فى الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد قيد الذكور والكل اغلبى لقولهم آل الله وآل البيت قال * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك * فهواخص من الاهل ثم خص فى العرف ببنى هاشم و بنى المطلب وقيل هم عترته واهل بيته وقيل هم جميع امته كما سيأتى فى كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام مالك والنووى والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا اضيف يقال اهله واصله اول من آل يؤل الى كذا اذا رجع اليه بقرابته ونحوها لان الكثير يرجع اليه فى المهمات وقيل اصله اهل فقلبت الهاء همزة والهمزة الفا واستدل بتصغيره على اهيل ولادليل فيه لانه قيل اهل واهيل وآل واويل قيل كان ينبغى ذكر الصحب مع الال لان الصلوة عليهم تستحب عليهم واجيب بان معناه هنا الامة والاتقياء منهم فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف رحمه الله مالكى المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام رحمه الله بانه لايستحب الصلاة الاعلى من ورد ذكره فى الحديث من الآل والازواج والذرية وهو غير مرضى (وسلم تسليما) سلم بصيغة الماضى اوالامر وهذا موجود فى اكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما فى بعض الشروح وهو يحتمل ان يكون تسليما على من ذكر قبله تأكيدا له بحسب المعنى لفعله ومصدره اولقوله وعلى آله بعطفه على صلاة الصلوة السابقة على السلام بعد تشريكه معهم فى اصل الصلوة والتسليم تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب ان لايفرد الآل

بالصلوة عن السلام اردفه به تتميما للمقام كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل
ان يفيد العطف التشريك فى الصلوة والسلام اى على النبى وآله اذ لفظ سلم فى الصلوة
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليست من كلام المصنف وان اقتضى كلام الشارح
انه ثابت فى كلامه ويكون ماذكرناه تأكيدا له وهذا دعاء المقصود به تعظيمه
صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه السلام عليه اوجعله سالما من النقايص والآفات
واما تأكيد السلام بالمصدر دون الصلوة اقتداء بالنظم المجيد فلان الصلوة من الله
ومن الملائكة رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد واما البشر فلما صدر عن بعضهم
كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلوة بالتسليم من النقايص
والانقياد واكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا خفى على بعض الناس وقال
الفاكهانى فى الصلاة لما اكدت بالاعلام بان الله وملائكته يصلون عليه وبتقديمها
اعتناء بشانها ولا كذلك السلام فحسن تأكيده بالمصدر جبرا له وهو لايجرى هنا
كما توهم لانه اخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله صلى الله عليه فيكون قوله بعده
وسلم بصيغة الامر اى سلم اى اوجد السلام عليه فيطابق الآية لفظا ومعنى وهو
تعسف غنى عن الرد (ثم ان المصنف اتى بسجع الخطبة على روى واحد ولم يجعل
كل فاصلتين على حدة وهو اسلوب من اساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع
ومثله كثير فى الخطب فمن توهم انه منه واورد عليه انه يطول بعض فقره وهو
معيب فقد توهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف (اما بعد) اما حرف
شرط لوقوع الفاء بعدها لفظا اوتقديرا وتوكيد لان معناها مهما يكن من شئ فقد
علق مشروطها على وقوع شئ ما فى الكون مما لايخلو عنه ضرورة فكانه قال انه
واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا اودائما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل
بينها وبين الفاء بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعد هنا والعامل اما اوفعل
مقدر اوما فى حيز الجواب وهو مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن
الاضافة واجاز هشام فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى
عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل فى محله واما بعد قيل انها فصل الخطاب
واختلفوا فى اول من تكلم بها على اقوال (اشرق الله قلبى وقلبك) اشرقت الشمس
ونحوها بمعنى اضاءت وهو لازم كما قال الله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وقد
استعمل متعديا فى كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له على اضاء لانه بمعناه والشئ
يحمل على نظيره وضده واضاء جاء متعديا ولازما كما صرحوا به اوهو متضمن معناه
اومعنى التصيير اى صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به فى قوله

* ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابواسحق والقمر *

والخطاب هنا للسائل الاتى وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزاء لانه

بعد ذكر الظرف لايذكر فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح
وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسمانى لايوقف على حقيقتها تبع فيه
بعض الصوفية وكانه اراد الاخير ثم ان المصنف رحمه الله تعالى بدأ بنفسه فى الدعاء
كما ورد فى القرآن رب اغفرلى ولوالدى وفى حديث رواه الترمذى كان صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا ذكر احدا ودعا له بدأ بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال
الزركشى فى حواشى ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا فان تغاير
فهو مخير وقال النخعى رحمه الله تعالى كان يقول اذا دعوت فابدأ بنفسك فانك
لاتدرى فى اى دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وهذا ليس مخصوصا بالحديث
الاخر وهو كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر احدا من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى اخى كذا فانه لم يذكر للتخصيص
وفى شرح العقيدة البرهانية للتفرينى انه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد
فى الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك عبدى وبك ابدأ فاى
فضيلة تلتمس وراء هذه وهى كونه مبدوا به فى الاجابة فمقام الايثار مقام عال
شريف فان شاء بدأ بنفسه وان شاء بدأ بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا
لنفسه وغيره فى الافضل من طرقه اقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل
امرئ ما نوى (بانوار اليقين) الانوار جمع نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا
قال الله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه فى حواشى البيضاوى
وهل هو جرم ام لا فيه كلام فى كتب الحكمة فقيل عرض يحصل فى الاجرام عند
مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهواء والماء والمفيض له المبدأ الفياض للصور
بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت الى واسطة وقد قيل
ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور على ما يقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم
النار المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين
ثم ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل
والعلم والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفى الشك والشبه عنه
بالاستدلال ولذلك لايوصف به علم الله والمعنى الحضورى والضرورى فنور اليقين
امامن قبيل لجين الماء اى اليقين الذى هو كالنور فى قوة الظهور وقيل المراد الادلة
المبينة له استعارة اوالعقل اى رزقنا الله عقلا سليما نهتدى بنوره الى سبيل الرشاد
وشرح مشكاة صدورنا لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما سأله
يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدنى وهو معرفة الذات والصفات
بمشاهدة كشفية لابمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر عليه الصلوة والسلام
وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولايخفى بعده (والطف لى ولك) لطف

كقعد من اللطف وهو الرفق والرأفة وهومن صفات الله تعالى وفيه تفاسير منها
الترفيق والبر والاحسان او معاملة عباده بذلك وايصاله من حيث لايشعرون ولذا
يوصف بالخفاء وجعل تذييلا لقوله تعالى *لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير* ومن ثمه قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم
بالدقايق التى لايهتدى لها والمشهور تعديته بالباء كقوله تعالى الله لطيف بعباده وجاء
تعديه باللام فى قوله ان ربى لطيف لمايشاء لمافيه من معنى الترفيق والتيسير او تضمين
لهذا والمعنى الايصال كماذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل
الى انه حقيقة وفى النهاية يقال لطف به وله اذا ارفق واليه اشار من قال هو اجتماع
الرفق فى الفعل والعلم بدقايق المصالح وايصالها لمن قدرت له وكذا جمع المصنف
رحمه الله تعالى بين حرفى التعدية فقال (بمالطف به لاوليائه المتقين) وهو انمايتعدى
باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا اوتجعل الباء سببية لامعدية وفى نسخة
بمالطف به بعباده بالباء فيهما وهو ايضا ممام فلاغبار على كلامه كما توهم والاولياء
جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله او بمعنى مفعول لانه تعالى تولى امره وله
معنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته
المجتنب للمعاصى المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق فى شهود الذات المتحلى
بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لايشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدوانى وهو
المتقى العارف بالله وصفاته المتوجه بكلية قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة
ماكان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب او ملاحظة ذاته وصفاته فى كل افعاله
وعند الصوفية هو الفانى فى الله الباقى به والفناء الاستغراق فى شهادته القلبية حتى
لايشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انتهاء السير اليه والبقاء به لكونه مظهرا
لافعال الله وارادته من غير اختياره فى غير اختياره والمتقين صفة كاشفة والمراد بها
معنى خاص لان المتقى اسم فاعل من الوقاية وهى الصيانة وفى العرف من اتقى نفسه
عمايضره فى الاخرة وله مراتب اولها التوقى عن العذاب بالتبرى عن الشرك وعليه
قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عمايؤثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم
وعليه قوله ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عمايشغله عن الحق
فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهو دعاء بان يوفقه لتيسير
مايسره (الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه) الشرف فى الاصل المكان العالى
نقل لعلو المرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع
فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وهو ايضا مايهيأ
للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل
والمسكن قال الله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس

بضمتين ويخفف ثانيه مصدر بمعنى الطهر واسم جبل القدس لطهارته بالعبادة فيه
والقدس من اسماء الله تعالى بمعنى المنزه عما لايليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة
قدسه الجنة وهو المراد اى شرفهم باكرامه لهم فى جنته اى باسكانه اياهم فيها
او بكرامة تطهيره اياهم او يجعل الطهارة نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل
انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيره لهم عن النقايص ولتقدم التخلى
على التحلى عقبه بقوله (واوحشهم عن الخليقة بانسه) فى نسخة من بدل عن واوحش
ماض بمعنى صيرهم فى وحشة ونفرة عما لايلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو
التقرب مع الانبساط لمايهوى ولذا قيل الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة
وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاء صفة
منه بمعنى المتوحش وشاع فى العرف بمعنى القبيح ولذا تظرف القائل *ووحشة لم تزل
تحركها* يد النوى فهى دائما وحشة * والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى
الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة يقال طبيعة خليقة بكل مدح خليقة جديرة والباء
بانسه سببية يعنى ان انسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تغرقهم عن من سواه
والانس هنا روحانى كما قيل فالجسم منى للجليس موانس *وحبيب قلبى فى الفؤاد انيس
(ء خصهم من معرفته) من بيانية مبينة لما الاتية ان قلنا بجواز تقديم البيان على المبين
كماذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والاتى تفصيل لماابهم
واجمل فى ذلك المقدر ومعرفة الله معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا
ممالاخلاف فيه انما الخلاف فى معرفة الذات بالكنه هل هى واقعة ام لا ممكنة ام لا
كما فصل فى الكلام ومعنى المعرفة معروف (ومشاهدة عجائب ملكوته) المشاهدة
المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من
الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى
عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا فهو ماغاب عن الحس وقيل بل المراد
هنا الملك المشاهد ومن فى قوله من معرفته ابتدائية لابيانية اى ان الله خص اولياءه
باسرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا فى عجائب مصنوعاته فنشأ لهم مايملأهم
نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع فى الوصول واليأس *حيرة عمت فاى فتى
* رام عرفانا فلم يحر* ومن يحتمل البيانية بناء على جواز تقديمها كمامر ففيه احتمالان
لكل منهما وجهة (وآثار قدرته) آثار بالمد جمع اثر وآثار القدرة المقدورات البارزة
فى الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهد
المحسوس وماقبله على عالم الغيب كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حمله على الثانى
(بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها كما قال
الترنسى ثم راء مهملة تليها هاء تأنيث وملاء مهموز ضد فرغ والحبرة السرور وهو

منصوب على التميز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف كما مر (وولّه عقولهم فى عظمته حيرة) وله مشدد اللام تفعيل من الوله يقال وله يوله ولها من باب تعب وفى لغة قليلة من باب وعد والذكر والانثى واله ويجوز فى الانثى والهة كذا فى المصباح والوله الحزن اوذهاب العقل الناشى منه وفى المصباح وله اذاذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتميزه عما سواه * لولا العقول لكان ادنى ضيغم * ادنى الى شرف من الانسان * والحيرة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والراء المهملة قال فى المصباح حار فى امره يحار حيرا من باب تعب وحيره الامر لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهرى اصله ان ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوءه فيصرف بصره عنه وفى الصحاح الوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو فى العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه الفعل اوالحيرة فلابد فيه من التجريد والافلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله وتميز والمعنى انهم عجزوا عن ادراكها فلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وثبورا فان العظمة جلال الله وكبرياؤه التى تقف العقول دونها وفى التفسير فى حديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو فى ذاته كبير سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرفت هذه الصفة ام لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية اعلى واشرف فلذا جعلها ازارا وتلك رداء وقيل له متكبر دون متعظم فتأمله وفى العبارة تجنيس واف ونشران قلنا الذى ملاء القلوب سرورا معرفته والذى حير العقول عجائب ملكوته وآثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته ورقب فيضه والعبد يزهو على مقدار مولاه واثرت تلك المشاهدة الوله والحيرة لان عيون البصائر لاتطيق النظر لاشعة انوار القدس (فجعلوا همهم به واحدا) الفاء تعقيبية او تفريعية والهم فى الاصل مصدر بمعنى الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعانى غير الاول جائز هنا اى لماشاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم فى كبرياء عظمته علموا ان ماسواه كلاشئ فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة فلامراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه * تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا * وفى التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة فكان العبد يقول همومى فى الدنيا والاخرة غير متناهية فلايقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية فانا لا اقدر على دفع حاجاتى ولا تحصيل مهماتى بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك اجعل همى مشغولا بذكره ولسانى واقفا على ذكره فاذا فعلت ذلك كفانى برحمته

مهمات الدنيا والآخرة قلت انا فى معناه * من صير همه جميعا هما * يكال به السرور كيلا جما * والحرفى بذاك حتما هما * من يسيح لايخاف بحرا طما * وباؤه سببية لاصلة الهم اى جعلوا قصدهم واعتناءهم به تعالى حال كونه واحدا فى القصدية فلامقصد سواه او حال كون قصدهم واحدا والمآل واحد (وقيل المعنى انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الااياه الان فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم طلب وتطلب فقصدوه لا لشئ وهذا معنى قولهم اخر مايخرج من الصديقين حب الجاه فتجلى لهم جمال ذى الجلال حتى نسوا انفسهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لايناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى والجار والمجرور يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لجعل وواحدا حال من الضمير المجرور او من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وهو الاولى (ولم يروا) حقيقة لامجازا وقيل لاحقيقة ولامجازا (فى الدارين) الدنيا والاخرة واصل معنى الدار معروف وقدشاع فى لسان الشرع استعماله فيماذكر حتى صار حقيقة فيهما فكانهما لقلتهما عندالله بمنزلة دار اترل فيها بعض عبيده والغافل يظنه مجانا سكنهما والحال نقد عمره كراءها (غيره مشاهدا) الضمير لله وجملة لم يروا معطوفة على جملة جعلوا لانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل وهذا محتمل لمعنيين الاول ان يريد ان فى الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق فى مشاهدة جماله وجلاله لايراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفناء فى التوحيد والثانى ان يريد انه ليس فى الوجود غيره لان كل شئ هالك الاوجهه وكان الله ولاشئ معه وهو الان كما كان على ماقاله ارباب الشهود فالمراد انه لامشاهد حتى يروه على حد قوله * لاترى الضب بها ينجحر * ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة اوالحضور وفى الشروح هنا كلام طويل ولاحاجة لنا به (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) الجمال الحسن الذاتى لا الصورى والمتبادر من الحسن الثانى ولذا لايوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به فى الحديث فقال ان الله جميل يحب الجمال وليس للمشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعنى انهم يشاهدون جمال ربهم وانوار ذاته بعيون البصائر والبصر فى الآخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره ويومى اليه جعل المشاهد نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلانعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال الله تعالى ورضوان من الله اكبر على مابينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفى نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل انه يقتضى الادب والخوف فلا يناسب

النعيم فيحتاج للتأويل اوالتغليب ولبس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحظائر قدسه اعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر و يفتخر بقربه وفى حكم ابن عطاء الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه (و بين آثار قدرته) اى مقدوراته (وعجائب عظمته يترددون) يعنى انهم قائمون فى مقام جائلة فيه افكارهم لايفترون عن الجرى فى ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدايع المصنوعات المشاهدة فى مرائى آثار باهر قدرته وتارة ترقى لسرادق عظمته فتذل اعناقهم خاضعة وعيون ابصارهم خاشعة والتردد المجيء والذهاب فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال الشاعر

* لاتنكرن عدم الزيارة سيدى * فحبتى طبع بغير ترددى *

والمراد انهم مواظبون على التفكر فى عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية (وبالانقطاع اليه) الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله فانقطع ثم شاع فى التوجه لاخذ من شيء لامر وترك غيره وهو المراد هنا ولذا عداه بالى و يتعدى باللام ايضا يعنى انهم لما توجهوا الى الله ظاهرا و باطنا وقطعوا علائق الخلايق لتوكلهم عليه و رضاهم بما قضاه وقدره و بجعلهم امورهم مفوضة الى الله عزوا وتقووا لان عبد الملك العظيم الملازم لسدته قوى عزيز ولذا ورد فى الحديث من خاف الله خاف منه كل شيء (والتوكل عليه يتعززون) والتعزز تفعل من العز ضد الذل و يكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكل من المعنيين جائز هنا (لهجين) جمع لهج بزنة حذر اى ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وهى فى اللغة اللسان اوطرفه و يطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشيء من باب تعب اولع به ولزمه كما فى المصباح (بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم و باطنهم بمحبته و وردهم دائما ذكر الله والاعراض عما سواه متمثلين بهذه الآية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره فلذا يأمرون انفسهم او يأمر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف ووصفت هذه الجملة الانشائية به نظرا لما تضمنته اولقول مقدر كربنا الله ونحوه اولان الامر للمشاركة مأله نحن لانعبأ بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلى رحمه الله تعالى لمن قال له اوصنى فقال * عليك بالله ودع ماسواه وكن معه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * و بهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشاء بالصدق وان الآية ليست مناسبة هنا فانها هكذا * وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا * الى آخره اى قل الله الذى انزل التورية او انزلها الله فامره الله بجواب منكرى الوحى اما لتعين الجواب اوتنبيها على انه لايمكن غيره اوتنبيها على انهم مبهوتون لايقدرون على الجواب لهم ثم قال ذرهم فى اباطيلهم فما عليك الا البلاغ وجملة يلعبون حالية فتمثل بها المصنف رحمه الله تعالى لترك ماسوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلى رحمه الله تعالى وان كان سياقها فى التلاوة لمعنى آخر اذ يكفى لمثله المناسبة بوجه ما (وقيل وصف هذا القول بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هوالخلوص اوالثبات والكمال الصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولاحاجة اليه لما مر واضافة صادق بجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشى فى الماء للاقتحام فى الباطل كما قدره المفسرون ونحوه استعارة الخياض وفى بعض النسخ بعد قوله تعالى وهى جملة معترضة اوحالية للتعظيم والتمييز وللاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لايذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الآية قل يا محمد جوابا لهم عن قولهم من انزل التورية الله انزلها ثم ذر الكفار فى اباطيلهم وهو لايناسب هذا المقام الا ان يقال مأله الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل (اقول ماذكروه لايتراءى فى بادى النظر وليس بشيء لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتداء بقوله تعالى فى دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التى امرها لهو ولعب باطل الامافيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل ويناسب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لاثواب فيها قال الحطاب فى شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد فيه كله من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقينى رحمه الله فى قوم لايزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون فى آخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك ادب و بدعة لم تنقل ولايثاب عليها وكذا قولهم على محمد وتابعه عليه كثير من العلماء (اقول ماذكره فى اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكررا من كونه بدعة ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد بمثله داخل فيما نهى عنه لقوله * لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا * كما سيأتى بيانه ولم يرد تعظيم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالدعاء له والصلاة والسلام عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مرغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا باسمه زجروه واهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به و وعد ذاكره

بالثواب فى آيات واحاديث لاتحصى كقوله تعالى *الذاكرين الله كثيرا والذاكرات*
وفى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين
الى غير ذلك مما لايحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهو
اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودى واجب الوجود مستحق لجميع المحامد
ولم يزل اهل الله من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكرى رحمه الله
يفعله ويقول استغفر الله مما سوى الله وكل شئ يقول الله وفى مجلسه اجلة العلماء
والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف فى رد مقابلة ابن عبد السلام هذه عدة رسائل
رأيناها وممن صنف فيها القطب القسطلانى والعارف بالله المرصفى والشيخ
عبد الكريم الخلوتى وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا فى جملة الذاكرين
ولاتجعلنا من الغافلين (فانك) جواب اما واكده لان المسؤل عنه يحسن توكيده
والخطاب لسائل معين محقق سأله اولغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف
رحمه الله اعلى من ان يفرض سائلا يخاطبه وان قوله الاتى كررت السؤال وما بعده
يأباه لبس بشئ لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع
فى القرأن والحديث كثير كقوله ولوترى اذ المجرمون وغيره مما لايحصى ويجوز
ان يكون من باب التجريد كقوله *طحا بك قلب فى الحسان طروب* ومابين اما والجواب
معترض (كررت السؤال) التكرار اعادة ذكر الشئ مرة فصاعدا ويطلق على
الذكر الثانى والاول ومجموعهما (على فى مجموع) الجار تعلق بكررت لما فيه من معنى
الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعظام وهما معروفان
والمجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفى العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما فى قوله

* لله مجموع له رونق * كرونق الحبات فى عقدها *
* كانت مجامع الورى عنده * تموت للخجلة فى جلدها *

فى عبارته هضم لنفسه بانه ليس فيه الا الجمع والتقدير فى تأليف مجموع وتقدير
فى شان مجموع ركيك وفى متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لايتعدى بفى بخلاف السؤل
فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفى اذا كان بمعنى الرجاء والشفاعة دون الاستعطاء
فتقول سألت الامير فى كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كدخلت امرأة النار فى هرة
فيصح تعليقه بكررت ايضا (يتضمن) التضمين جعل الشئ فى ضمن الشئ وداخله
فالتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه وهو من ظرفية الكل
للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فصل فى شرح المفتاح
فالمعنى انه يحتوى عليه وتفسيره بيحصل منه وبسببه فيه تسمح (التعريف بقدر
المصطفى) التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف فى الميزان
معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشئ مقداره غلب فى رتبة شرفه

واصله تقدير الشئ بوزن ونحوه والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة
وهو صفة غلبت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تبلغ لحد العلمية كالرحمن
ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام اوالاضافة وليس كذلك وانما ذكر
فى الاسماء لانهم لم يخصوها بالاعلام كما سيأتى فما قيل من انه لقب وضعى او بالغلبة
واللام للمح الاصل ليس بشئ لانه لم يسمع فى عهده واسماؤه صلى الله تعالى عليه
وسلم توقيفية على المشهور كما سيأتى قبل ولو قال بعض قدر المصطفى صلى الله
تعالى عليه وسلم كان احسن ولا يخفى انه لايلزم من سؤاله وقوع مسؤله وكذا
قال فيما يأتى حملتنى امرا امرا على انه اذا اريد الاجمال سقط القيل والقال
(عليه الصلوة والسلام) وفى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يقصد السجع
حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له
بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلوة لله كما سيأتى اكثر تعظيما
(وما يجب له من توقير) تعظيم (واكرام) افعال من كرم بمعنى نفس بالضم وعز
اى عده موقرا معظما بحبه وتعظيم آله واصحابه (وما حكم من لم يوف) اى يتمم
ويكمل من وفاه حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به العلماء فيه او خطاب الله
المتعلق به (واجب عظيم ذلك القدر) اى مقامه الشريف وهو من اضافة
الصفة لموصوفها اى القدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولى يوف
محذوف اى لم يوفه او يوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اولم يوف واجب قدره
حقه فالمحذوف الاول او الثانى اوهو بمعنى يتمم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد
وما يجب فى محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية اى
يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعائد مقدر وعلى الاول المضاف
المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب الصدارة مما اضيف اليه لايصح عمل ما قبله
فيه الا انه قصد به لفظه على طريق الحكاية اى جواب قولك ما حكم الى آخره
فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولاتعليق العامل عن المعطوف دون المعطوف
عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع
الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له
كما فى شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر نحو فلينظر ايها ازكى طعاما
لتعديهما بفى والواجب ما يجب اعتقاده فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (اوقصر
فى حق منصبه الجليل) التقصير والاقصار ترك ما لا بد منه وفى المحكم قيل قصر
عنه اذا تركه وهو لايقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه
مما لابد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة فى كلام العرب بمعنى الحسب
والشرف كما ذكره اهل اللغة واستفاض فى كلام الفصحاء كما قال ابو تمام

* ومنصب عناه * و والد سما به * وفى المصباح يقال له منصب وزان مسجد اى علو و رفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه لغة المرجع و يطلق على المرتبة وقيل القدر فكانه من نصب اذا جد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد فى كلامهم اصلا كقوله

* نصب المنصب اوهى جلدى * وعناى من مداراة السفل *

فكانه لانه نصب فيه للنظر فى الامور اوهو من النصب والحيلة واطلاقه كذلك اطلاقه على مايوضع عليه القدر كقول ابى تمام

* كم قلت لما فار غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب *

* لاتعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوع على المنصب *

وفيه مع استعماله المولد تحريف آخر (قلامة ظفر) اى تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر او غيره كالشجر ولذا سمى القلم به لقطعه وهو قبل القطع يراع ونصبه كما ذكره اهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد وزنة فعالة تكون لما يلقى من الشئ كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع مافيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات افصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على اظفر ويقال ظفر بزنة جمل واظفور كاسبوع وقول الجوهرى انه جمع ظفر سهو ومن طغيان القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال ابونواس

* ايها المدعى سليمى سفاها * لست منها ولاقلامة ظفر *

وقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين ابن عربى حيث قال

* ناديت من اهواه وهو مقلم * اظفاره يانزهة المتأمل *

* ابعدت ظفرك وهو بعضك فالذى * يهواك اجدر بابعاد الاطول *

* فاجابنى اتظننى قلمتها * عن حاجة لكن لمعنى عن لى *

* لاريك يامن بالهلال تقيسنى * ان الهلال قلامة من انملى *

يعنى انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توفية حقه ترك ماحقه ان يذكر كله او بعضه والتقصير ترك ذكره على ماينبغى فهومغاير لماقبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام باو وقد اباه النحاة او يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه (وان اجمع لك ما لاسلافنا) جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من اصولك واقربائك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا فى محل جر معطوف على مجموع (وايمتنا) اى ائمة الدين المقتدى بهم من اصحاب الكتب والمذاهب جمع امام واصله ائمة بهمزتين

فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد ائمة مذهب المالكية (من مقال) بيان لما (وابينه بتنزيل صور وامثال) ابين بالنصب عطف على اجمع اى يوضح ماينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده اوصفاته اوامثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلى لعدم تحققه فى الخارج بعيد عن الافهام كالعالى والجزئى محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهى النوع او الصفة اوالفرد كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا اوالامثال جمع مثال اومثل وفى بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد الآيات من تسمية البعض باسم الكل مجازا اوالتنزيل معروف والفرق بينه و بين الانزال مشهور على مافيه وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه فى الخارج وذكر نظائره (فاعلم) اى اذا لم ترجع عن الحاحك فى الطلب فاعلم امره بالعلم لصعوبة ماطلبه قبل الشروع فيه ليلقى فكره له وسمعه اعتناء به و بجوابه وكثيرا ما يأتى به المصنفون لذلك و يأتى الكلام عليه وانه قد استعملته العرب كما فى قوله

* فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتى كلما قدرا * فلذا خصه بالدعاء له بالاكرام فقال (اكرمك الله) بعد مادعا لنفسه وله سابقا وهى جملة معترضة دعائية اى جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ماسألت عنه وكونك باعثا لى على تدوين مثله ويجوز ان يقال انه اكرمه بسؤاله لاعتقاده انه اهل لما طلبه منه مخصوص به فى عصره فلذا جازاه بهذا الدعاء (انك حملتنى) بالحاء المهملة اى كلفتنى مايشق كحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما فى قوله تعالى * انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها * (من ذلك) الاشارة للمسئول عنه ومن بيانية على احد القولين فى جواز تقدمها على المبين كما مر اوابتدائية لان حمله لذلك ابتداء مما يطلبه منه ثم انتهى الى الزيادة و يحتمل ان تكون تعليلية (امرا امرا) امرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور و يحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول اولى والثانى بكسرها وهو بمعنى عظيم اومنكرا وعجيب والكل محتمل هنا الا الاول اولى اى كلفتنى امرا عظيما لااصفه اومنكرا عندى اوعجيبا طلبه منى لانى لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه (وارهقتنى) بتاء الخطاب والارهاق والرهق تكليف مالايطاق واصل معنى رهق غشيه وقد فسر قوله ولاترهقنى من امرى عسرا بلا تكلفنى امرا صعبا لا اقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما سأله (فيما ندبتنى اليه) اى طلبته منى ومنه المندوب (عسرا) بزنة فعل وهو الامر العسير (وارقيتنى) من الرقى وهو الصعود للمكان العالى اى الجأتنى اليه بتكرير سؤالك والحاحك على فى طلب الاجابة (بما كلفتنى) ما مصدرية اى بتكليفك

ماسألته وهو من الكلفة وهى المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف تغير فى الوجه كالبهق كما قلت فى قصيدة

للبدر قلت وقد حكى وجهاله فصح التكلف شيمة المتكلف*

(مرتقى) مصعدا اوصعودا (صعبا) وعراشاقا (ملاء قلبى رعبا) خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفى جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه (فان الكلام فى ذلك) المسؤل وهو تعليل لما ذكر من الصعوبة والمشقة (يستدعى تقرير اصول) اى يقتضى مالابد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبيت وفى النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة واصل معناه جعل الشئ قارا فى مكانه والمراد قراره فى الذهن اوالخارج والاصول جمع اصل وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح مايبتنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منها هنا وتقديمه على مابعده ظاهر (وتحرير فصول) اى تهذيب امور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل اومفصول وتحرير الشئ تلخيصه واظهار زبدته واصل معناه جعل الشئ حرا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وحر الطين مالم يخالطه غيره والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام واصله الكتابة المخصصة اوكتابة العتاقة والحرية كما فى كشف الكشاف (والكشف) اى الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعى لاعلى الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى وان صح (عن غوامض) جمع غامض اوغامضة وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفائه وجعله غامضة ليناسب الحقايق فى التأنيث امرتانه لايلتفت لمثله لا لان فاعل الصفة لايجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسماء الاجناس وصفات مالا يعقل فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسماء غفلة (ودقايق من علم الحقايق) جمع دقيقة فعيلة من الدقة وهى خلاف الغلاظة اوصغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احواله التى لاتدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هى الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت بامره قبل البعثة فليستا بمعنى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتأتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهى جمع حقيقة وهى الذات والماهية المركبة من الذاتيات اوالعلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه ارباب السلوك وهى غير منافية للمعنى الاول وهى فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها والانفة عن تركها عن الرؤساء وقال الخليل الحقيقة مايصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال

* الم تدرانى قد حميت حقيقتى * وباشرت حد الموت والموت دونها *

قاله المرزوقى (مما يجب للنبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعظمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه (ويضاف اليه) اى ينسب له ويوصف به وعطفه بالواو لانه غير مقابل لما قبله وهو كالقيد له وقيل المراد به خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولايرد عليه ماسيصرح به لما سيأتى (اويمتنع عليه) كالعيوب والنقايص وما لايليق بمقام الرسالة (اويجوز عليه) من امور البشر كالاسقام والامراض التى لاتورث نفرة ويضاف ومابعده معطوف على الصلة لاصلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون فى نحو قوله *امن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء* كما بين فى محله (ومعرفة معنى النبى والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة) روى بالنصب عطفا على مفعول يستدعى وروى بالجر عطفا على مايجب لاعلى دقائق كما فى المقتفى وقيل على المضاف اليه تقرير والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء كثير من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم عليها (وخصايص هذه الدرجة العلية) مجرور معطوف على النبى والدرجة واحدة الدرج وهى المراقى والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصائصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصائص مايختص به ولايتعداه لغيره جمع خاصة او خاصية على كلام فيه فى شرح المفتاح (وههنا مهامه) ههنا اشارة الى المسلك الذى سلكه للوصول لمقصده والمهامه جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لانها لكونها مخوفة يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اصمت (فيح) بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع افيح اوفيحاء وهى الارض الواسعة والمهمه يذكر ويؤنث كما قال* ومهمه مغبرة ارجاؤه * وفى هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ماذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقة فى معرفته مقام النبوة فانه قد يقع فيها مالايليق به صلى الله تعالى عليه وسلم او يصفه بما ليس فيه فيدخل فى زمرة من كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه السائل بطريق آخر حيث جعله اولا جبلا شامخا وعرا صعوده ثم بعد النزول منه بمفازة بعيدة كما قيل * كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف * ومما يقضى منه العجب ماقيل انه جواب سؤال مقدر اى كيف زعمت انك كلفت امرا عظيما صعبا وهذا امر لاصعوبة فيه فاجاب بانه كيف لايصعب وسالكه محتاج لاقتحام مخامه فيح هذا شانها وكيف يصح جعله جوابا لسؤال مقدر مع اقترانه بالواو مع انه لاوجه للسؤال ولا الجواب سوى تسويد وجه الصحف (يحار فيها القطا)

حار بحار كخاف يخاف اذا لم يهتد قصده وضمير فيها للمهامه والقطا طائر معروف
واحدته قطاة وهي توصف بسرعة الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير حتى
يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها فلا تخطئ صادرة ولا واردة
ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل * والناس اهدى في القبيح
من القطا * واضل في الحسنى من الغربان * وهذا اما داخل في التمثيل او ترشيح له
للمبالغة في بعد هذا المقصد والمراد انه مما يضل ارباب الهداية وتحير فيه وقيل انه
استعارة اخرى تصريحية (وتقصر عنها الخطا) وفي نسخة بها بدل عنها وتقصر
بفتح التاء وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا
بضم الخاء جمع خطوة بضم الخاء وفتحها وهي ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامه
مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها وغيره او لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي
فيها من مد الخطا وباء بها بمعنى في او سببية وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها
بمعنى العجز عنها لمامر او لطولها او هو على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر *
فالمراد انها لا تسلك اصلا وهو من جملة الترشيح او التمثيل او هو تمثيلية اخرى
وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان لا افكار فيها بطيئة الحركات او عاجزة
عنها رأسا وما بعده كالتجريد كما ستراه (ومجاهل) مرفوع غير منون جمع مجهل
وهو المفازة التي لا اعلام فيها كما في المقتفي وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة ايضا
وفي القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وجهله تجهيلا نسبه اليه وارض مجهل
كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة في قوله انا لنصفح عن
مجاهل قومنا * مجاهل فيه لبس له واحد يكثر غلبة الا قولهم جهل وفعل لا يجمع على
مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل
اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة
يجمعان اطرادا على مفاعل او يكون ثبت ذلك عنده فان قلت ما معنى قوله في القاموس
ما يحملك على الجهل قلت يريد ما ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل
تكون للزمان وتكون في كلام العرب لا يقتضي وقوع ما اشتق منه ويدعو اليه وان لم
يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة اي يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب
وبخيلا لحرصه على بقائه ليربي ولده وبخيلا ليبقي ماله اولده وهو من نوادر العربية
فاعرفه (تضل فيها الاحلام) تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع
ضل اذا لم يهتد او بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العقل
اي العقول غير مهتدية لمعرفتها على الاستعارة المكنية والتخييلية او هو اسناد مجازي
وهو احسن من تقدير ذي الاحلام لانه يزيل بها رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا
عن اصحابها والمراد الصعوبة بعد (ان لم تهتد بعلم علم) تهتد مبني للفاعل اي

ان لم يحصل لها الهداية لتمسكها بها وسلوكها بدليلها ويجوز بناؤه للمجهول
وعلم بفتحتين العلامة المنصوبة في الطريق لتعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون
بمعنى الجبل ايضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء * وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه
علم في رأسه نار * وفي قولها صخرا وهو اسم اخيها الطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم
ضد جهل لاضافة المشبه به للمشبه كقوله ذهب الاصيل على لجين الماء * وقد يضاف
المشبه للمشبه به كما تقول نهر شربت منه ماء الدر المذاب * ولك ان تقول انه استعار
العلم بفتحتين للكبير من العلماء لاهتداء الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم او لعلو
قدره واشتهاره كما فسر به في البيت وبين بعلم وعلم تجنيس وقيل في عبارة المصنف
رحمه الله تعالى ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور وهو وان
لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى (ونظر سديد) النظر بمعنى الابصار والفكر
وهو ترتيب امور معلومة للتأدي الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول
والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم الحاضر في ذهنه والسديد ما له سداد بفتح
السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر (ومداحض) معطوف
على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد معجمة وهو الزلق وسقوط
الماشي ونحوه مما يزيل الاقدام عن محالها لوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية
بتشبيه الوقوع في الخطاء لغموض المطالب ودقتها بزلة القدم في المزالق المؤدية
للسقوط وقوله (تزل بها الاقدام) بفتح حرف المضارعة وكسر الزاي المعجمة او فتحها
من الزلل وهو الزلق في الطين ونحوه وتجوز به عن الخطاء فهو تأكيد لمداحض
وترشيح او تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة
الخطاء وما قيل من ان المراد بالاقدام المعقول في الاذهان المدركة بجامع الايصال
الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجل للعقل لا تخفى
ركاكتها على من له عقل (ان لم تعتمد على توفيق وتأييد من الله عز وجل)
الاعتماد افتعال من العمدة وهي في الاصل ما يتكأ عليه ويستند اليه ثم شاع
في كل ما يعول عليه وهو بمعناه الاصلي مناسب لمداحض والثاني مناسب للمقصود
ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل
سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان
الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو اوفق باصله من قول المعتزلة انه اظهار
الايات الدالة على وحدانيته وابداع ما يعرف به في الانسان كالعقل والسمع والبصر
لطفا منه تعالى والتأييد التقوية والاعانة من الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله
بتوفيقه وتأييده زل واخطأ وما احسن تذييل الحيرة والضلال بقوله ان لم يهتد الخ
وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر للسائل من صعوبة مطلوبه

وتوقفه على امور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك دفعه بقوله (لكنى لما رجوته) بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز ان تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما المصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدم اومؤخر للحصر اى اجبتك لهذا دون غيره اودون غيرك والرجاء بالمد ترقب ما يرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع ان الراجى مؤمل لعدم الفوت بسبب رجائه له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كقوله تعالى *والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى (لى ولك) قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبداء بنفسه فى الخير وليس الايثار مطلوبا فى كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه فى الدعاء كامر لا لما قيل من ان النفس تراعى حالها اولا الامن شرفت نفسه فانه يؤثر غيره (من نوال وثواب فى هذا السؤال والجواب) فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله لى والسؤال والجواب لقوله لك والنوال العطاء كالنائل والمنال والتناول تفاعل منه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزاء بخير اوشر لكن العرف والشرع خصصه بالخير كما فى النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان المصنف رحمه الله تعالى عطاء من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطاء لوصوله لمسؤله وثواب لتسببه لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كما سيأتى كفاعله ووجه الاول ان النوال عطاء دنيوى عاجل للسائل بسؤاله والثواب اخروى للمصنف رحمه الله تعالى على اجابته لان المتبادر من النوال الدنيوى ومن الثواب الاخروى فلاوجه لما قيل من انه لادليل عليه وفى بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو مؤيد للثانى (بتعريف قدره الجسيم) التعريف التبيين والباء سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل اواستعارة بتشبيه العظيم المعنوى بالحسى والقدر الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر وان اريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح (وخلقه العظيم) الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنايع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بغير تفكر فكله لايسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من اعظم المنن من الله وفى الحديث اكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الاخلاق قال الله تعالى

*وانك لعلى خلق عظيم *وسيأتى الكلام فيه (وبيان خصائصه) جمع خصيصة وهى ما خصه الله تعالى به فانفرد به عن كل ماسواه اوانفرد به عن غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اوعن امته والاولى خصائص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لابمعنى ما تفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر الذى لايظهر سببه كجذب المغنا طيس الحديد فى مصطلح الاطباء وكخواص التراكيب عند اهل المعانى على ما فصل فى شرح المفتاح وماذهب اليه بعض علماء الشافعية من منع الكلام على الخصائص النبوية اوكراهته قيل انه متأول وقيل غير صحيح كما فى الخصائص الكبرى للسيوطى وسيأتى بيانه وقيل محل الخلاف بيان ماحرم عليه كنزع لامته وخائنة الاعين وفيه نظر والحق ان منها مايلزم ذكره لئلا يقتدى به غيره اويدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على اربع وما هو مستحب كغيرها ويدخل فيها ما اختصت به امته عليه الصلاة والسلام واذا عرفت هذا فقوله (التى لم تجمع قبله فى مخلوق) بيان شامل لسائر الاقسام لان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد فرد منها فاعرفه (ومايدان الله تعالى به) اى يعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصائصه وقيل على قدره (من حقه) بيان لما وقد ورد فى الادعية المأثورة اسئلك بحق محمد فقالوا المراد بحقه رتبته ومنزلته او الحق الذى جعله الله له على امته تفضلا به عليه كما فى الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا الثانى وهو مايجب له صلى الله تعالى عليه وسلم على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما يقابل الباطل من اليقين الثابت حقيته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلوكانت بيانية لزم ادعاء بيان جميع حقوقه اوالمراد جنس الحقوق فتأمل (الذى هو ارفع الحقوق) صفة مادحة والمراد انها ارفع من غيرها من حقوق البشر لامما عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهى العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد او الاستغراق العرفى ويجوز ان يكون صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الاستيقان استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن وايقن بمعنى علم علما محققا لاشبهة فيه لاتقانه بالادلة النافية للشبه ولذا قيل انه لايوصف به علم الله ويقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه فى عناية القاضى وقوله ويزداد انفعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام فيه مفصل فى محله لاحاجة لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الآية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصائصه الذى به يتيقن ذلك اولكون النعمة بدت ببيان حقوقه فكانه قال بتعريف

فضائله وخصائصه بتحقق تيقن اهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعمته المذكور في كتبهم ويزداد ايمان المؤمنين من امته بتحقق ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هؤلاء بالذكر ليس للحصر لان المراد تعميمه وشموله لجميع اهل العلم باحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا لمجرد اتباع معنى النظم القرآني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب اهل العلم بالتفسير والحديث ويمن بعدهم ماعداهم من المؤمنين والمعنى ان هذا التعريف المتيقن ماتضمنه العلماء ويزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقته ماعندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الاية دليل على ان الايمان لايقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور فلاحاجة لذكره اذلايخفى ان ايمان الانبياء والملائكة عليهم الصلوة والسلام ليس كايمان غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهوظاهر كما بين في الاصول (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم من ما الموصولة او الموصوفة وتقدير العائد كامر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب (اخذالله على الذين اوتوا الكتاب) المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل العلم مطلقا او اهل الكتب المتقدمة في النزول او اليهود كما هو احد التفاسير في هذه الاية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم والمراد بما العهد والميثاق الذي اخذه الانبياء عليهم الصلوة والسلام على اممهم ان يبلغوا ماسمعوه كما قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الاليبلغ الشاهد منكم الغائب ونحوه وقيل المراد ما اخذ من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر (ليبيننه للناس ولايكتمونه) فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا * ولم يتل الاية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما اراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلماء ويدخل فيه امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخولا اوليا ولم يؤكد يكتمونه كما اكد ليبيننه قبله اما لانه جملة جوابية ولايكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدأ اي وهم لايكتمونه لاجل الواو الحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة اوهو معطوف على الجواب فهو جواب والجواب المنفي لايؤكد قيل وهو اصوب تنبيه قال الزركشي في قواعده تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر اعمارها في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلايحل كتمه فلوترك التصنيف لضيع العلم على الناس

وقد قال الله تعالى واذاخذالله ميثاق الخ وفي التورية علم مجانا كما علمت مجانا انتهى فان قلت قوله ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق اومقدر قلت هذا محتمل الا ان ابن الاثير قال في البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة بمايتلقى به القسم كقوله تعالى * واذاخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس * الاية وتارة لا تتلقاها به كقوله تعالى * واذاخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة * وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله تعالى * واذاخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم * وفي معنى هذه الاية قوله تعالى * ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم صفته صلى الله تعالى عليه وسلم التي في التورية وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ثم ذكر الاية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها ايضا لعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الكتب والوحي والهدى الادلة العقلية والنقلية قال وقوله في الاية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لالانزلنا لفساد المعنى يعني ان البيان متاخر عن الكتم لاعن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز ان يراد بما انزل و بين ما انزل في التورية وبين لاسلاف بني اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا يجوز تعلقه بكل منهما ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا (حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله) هو الامام القرطبي الزاهد المحدث المعروف بابن العواد احد شيوخ المصنف وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ بين من سمع منه وبين من اجازه مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضاء ولم يقبله وتوفي بقرطبة سنة تسع وخمسمائة ومولده سنة اثنين وخمسين واربعمائة وفي نسخة هو ابن هشام بن خالد الاندلسي الوقشي بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكناني الحافظ الفقيه ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وسمع من ابي عمر الطليطلي وابن عمر السفاقسي وابي عمر بن الحداد وروى عنهم ومهر في النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضي عياض كان في غاية الحفظ والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين في بعضها فقال وكان ينظر في الاصول واتهم بالاعتزال وقال الرشادي ولي القضاء ببلاد من بلاد الاندلس وكان من المتفننين في ضروب المعارف وكان يعرف الشروط والهندسة والفرائض وغيرها مات في جمادى الآخرة سنة

تسع وثمانين واربعمائة (بقراءتى عليه) قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا واخبرنا وانبأنا قال العراقى وهو متجه ومن قرأ عليه او سمع بقراءة غيره عليه فالاجود ان يقول قرأت على فلان اوقرأ عليه وانا اسمع وفى العرض يقول حدثنا فلان بقراءتى عليه اوقرئ عليه وانا اسمع كما فصل فى مصطلح الاثر ولذا قال المصنف بقراءتى عليه (قال حدثنا الحسين بن محمد) هو الحافظ ابو على الغسانى المشهور (قال حدثنا ابو عمر) اى قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة بقرطبة وتوفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الاخر سنة ثلاث وستين واربعمائة وعمره خمس وتسعون سنة وقوله النمرى بفتح النون والميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو فى الاصل اسم جدهم نمر ابن قاسط بن هنب وفتحت ميمه فى النسبة تخفيفا لئلا تتوالى كسرتان وياؤه مشددة على القياس المطرد فى كل مكسور العين مضموم الفاء او مكسورها اومفتوحها فان كان مكسورها كابلى جاز فيه الفتح وابقاء كسرها كما ذكره النحاة (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) فى المقتنى هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البر وفى الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقى الكبار واخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله نسبه لجده (حدثنا ابو بكر محمد بن بكر) المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث المشهورين وداسة بدال مهملة تليها الف ثم سين مهملة بعدها هاء تأنيث وهو احد رواة سنن ابى داود (قال حدثنا سليمان بن الاشعث) هو الامام الحافظ ابو داود سليمان ابن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد ابن عمر الازدى السجستانى صاحب السنن ولد سنة اثنين ومائتين وسمع بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة فى التواريخ ومات فى سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (قال حدثنا موسى بن اسمعيل) هو ابو سلمة بن اسمعيل المنقرى التبوذكى نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة مضمومة فذال معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من اهله عند ابى سلمة هذا فقيل له تبوذكى اولانه كان له دار بها واصل معنى التبوذكى من يبيع مافى بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبة ايضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه اصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال حدثنا حماد) اطلقه والمراد به كما قاله البرهان الحلبى حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش اوتيم وهو ثقة لم يتهمه الامن رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا

ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلاة لطى الزمان لهم اولغيره كما ذكره السيوطى فى ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكى تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يروعن حماد ابن زيد كما قاله ابن الجوزى فى كتاب الجمال فى اسماء الرجال فما فى بعض الحواشى من انه حماد بن زيد وهم توفى سنة مائة وسبع وستين وله ترجمة فى الميزان (قال حدثنا على بن الحكم) البنانى البصرى وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين توفى سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل فيه لين (عن عطاء) هو اسم مشترك بين جماعة منهم ابن ابى رباح ابو محمد المكى القرشى مولاهم احد الاعلام روى عن عائشة وجابر وابن عباس وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الاوزاعى وابو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفى سنة خمس اواربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفى المقتنى انما ميزته لاشتراك اسمه بين جماعة رووا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمسانى المراد به عطاء ابن يسار الهلالى مولى ميمونة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ورجح الاول بان الذهبى وابن الجوزى لم يذكرا لعطاء ابن يسار رواية له عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم ذكرهما ان لا يكون له رواية عنه فى الواقع مع ان النووى وغيره قالوا له رواية عنه (اقول هذا كله خبط عشوا فان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن عبد البر وقد ذكره فى كتاب العلم وصرح بانه ابن ابى رباح كما رأيته فيه وعبارته قال قرأت على عبد الوارث بن سفيان ابن قاسم ابن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا الوارث عن على بن الحكم عن رجل عن عطاء بن ابى رباح عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذى يرويه عن عطاء يقولون ان الحجاج ابن ارطاة وليس عندى كذلك والحجاج ابن ارطاة مشهور بالتدليس ورواه حماد بن مسلمة عن على بن الحكم ولم يقل به رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلانى عن على ابن الحكم عن عطاء عن ابى هريرة رضى الله عنه ثم ذكر له طرقا آخر وقال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الاغماء اللهم اليك نشكوا هذا الغثاء الذى كنا نحدث ان اجناهم لم يفقهوا وان مسكنا عنهم وكلناهم الى عى شديد لولا ما اخذ الله على العلماء فى علمهم ما انبأناهم بشئ ابدا وكان ابو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول لولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم شيئا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتى تليها الحديث انتهى فاخذ المصنف رحمه الله ما قاله ابن عبد البر وقدم فيه واخر وغير والمراد انه فى اصله صرح بان عطاء هو عطاء ابن ابى رباح فما فى الحواشى ناش من عدم الوقوف على ما تقول الائمة (عن ابى هريرة) الدوسى وهو من غلبت

كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كناه بها لما رآه يحمل هرة في كمه وقيل المكني له غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وفي اسمه اقوال نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او عبد الرحمن وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه مالم يرو غيره وفي البخاري عنه انه قال لم يحفظ احد اكثر مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس شيئا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفي الشروح الجديدة نقلا عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى على اصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام في مثل شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابي هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتأنيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال في لفظة واحدة فيعرب اعراب المضاف اليه نظرا لاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبي قال هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طائل وانا اقول هذا كلام ناشئ من عدم التأمل وهو مما يقضى منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علماء العربية وهو مصرح به في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما فجزؤه الثاني هو المنظور اليه في احكام العلمية ولزوم ال اذا قارنت الوضع وامتناعها في غيره كابن داية وصرح به سيبويه وابو علي رحمهما الله تعالى وانما غرهم فيه كلام بعض المتأخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي المفصل انه لا مانع من لمح اصله الا انه يأباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه في السوانح فان اردت شفاء الغليل فانظره

(قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة) قال السيوطي رحمه الله في تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابي داود واخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجة بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كامر فما نقل عن الامام من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفي الفاظ طرقه اختلاف ففي بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفي بعضها ثم كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلوة ومستفت في الحلال والحرام ولا حاجة

لتقييده باهلية السائل لحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدر رقاب الخنازير لانه لبس على اطلاقه فان الافتاء فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الفقهاء ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام في كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التي ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكتم الاخفاء واللجام بزنة ركاب ما يوضع في فم الدابة معروف وهو معرب لكام اولغام وقيل انه عربي لتصريفه كالجم وملجم وهو في المعرب نادر والجمه اذا وضعه في فمه والجمه العرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

* مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام * انما السالم من * الجم فاه بلجام *

والالجام في السكوت والغرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه الغرق بمعنى اهلكه ابلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان سبب هلاكه بمعنى النفس والمقصود هنا انه يحرق جلته كما في الجمه الغرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار لفيه او بوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه كالحيوانات العجم فجوزي من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا والباء للآلة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يوضع في فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريد وهو تكلف وهذا لا ينافي قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية لان في القيامة مواقف متعددة لكل منها حال يخصه يوم القيامة سمي به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب من قام بمعنى ظهر ﴿ تتمة وفائدة مهمة ﴾ قال النووي في الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربي المالكي في ذلك فقال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعيف غير شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد

والاول نقل العلائى الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفى رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من رأى الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابى حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الرأى والقياس اذا لم يجد فى الباب غيره فتحصل ان فى العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به فى الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله تعالى جواز رواية الضعيف باحتمال صدقه فى الباطن وهل يشترط فى الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم رحمه الله تعالى انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدوانى فى انموذجه على هذه المسئلة اشكال او رده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشئ وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل به فى فضائل الاعمال كما فى الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافى ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم التفصى عنه بان المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذى يصلح للتعويل عليه ان يقال اذا وجد حديث فى فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهة يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به رجاء للثواب فان دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا ايرجع اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط فى الدين فلم يثبت شئ من الاحكام بالحديث انتهى (اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه فى كلام الحافظ السخاوى عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلا مهم برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التى ابدأها لا تفيد سوى تسويد وجه القرطاس والذى اوقعه فى الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به فى الفضائل والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان من الائمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس واما الثانى فلان ثبوت الفضائل والترغيب لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روى حديث ضعيف فى ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب فيه او فى فضائل بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم

اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضائل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب لان القوس فى غير يد باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال (فبادرت) بادر فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل ما يرغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه ولما كانت الفاء لا تدخل فى خبر كان لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر هو الخبر المتعلق به قوله لما اى لكنى اجبتك لما رجوته فبادرت الى آخره (الى نكت) اى الى جمع نكت وتأليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه اقتصر فى القاموس وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل الفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر فى امر خفى فنقلت لما ذكر اما لتأثيره فى النفس اولانه يحتاج لفكر وتأمل اوهى منقولة من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ماهى فيه اما لدقتها فى النظر بالنسبة لما هى فيه او لمخالفتها لغيرها من الكلام وما قيل من انها تطلق على قليل صداء فى وجه المرآة او السيف كالوسخ كما ورد فى حديث الجمعة لا يناسب المقام مع انه مأخوذ مما مر (مسفرة) وفى نسخة سافرة وفى اخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما وهو الكشف مطلقا وقوله فى القاموس سفرت المرأة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا اسفر وفى المقتنى سفر بمعنى كشف قال * سفرن بدورا وانتقبن اهلة * وملن غصونا والتفتن جاذرا * وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغى ان يتغايرا فمسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض بحيث لا يحتاج لكتاب آخر قيل وفى وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة اى لانها تكشف ما تحت التراب وهو امر سهل (عن وجه الغرض) الوجه بمعنى الجهة المقصودة والوجه الذى به المواجهة ويستعار لخيار الشئ واوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشئ وهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق او الشئ فى لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففى الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة او هو استعارة ايضا (مؤديا من ذلك الحق المعترض) مؤدى اسم فاعل من اداه تأدية اذا اوصله من الاداء وهى حال من فاعل بادرت او من وجه الغرض والاشارة على الاول للغرض الذى هو تعريف حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين او تبعيضية لان حق المصطفى اكثر من ان يحيط به كتاب وهو الحق

وعلى الثانى الاشارة للحق الذى هو نعت اسم الاشارة وهو على الوجهين مفعوله لتعديه لمفعولين والثانى على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثانى هو المفترض ويصح ان يفسرهنا بموصلا الى السائل مراده اوقاضيا لحقه كانه ليقين اجابته عليه دين فى ذمته يلزمه اداؤه والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا بالغة والكلام فى الفرض والواجب مشهور ولافرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعى فرض وغير واجب وما ثبت بدليل ظنى واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر واعتقاد مافى هذا الكتاب واجب جملته لايانه كتابة وتأليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية واعاد المصنف رحمه الله تعالى اللام الجارة فى قوله لما اشارة الى استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولاشك فى كفاية كل واحد منها فان الاجر الجزيل والعطاء الجليل اذا ترتب على فعل يكفى فيه تقريره وان لم يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير فى سلوك ايهما شاء لاسيما وهذه الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعوله اوعلم ينتفع به واما كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلاصحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد امر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وناهيك به الزهرى بتدوين الحديث وكتابته كما فى البخارى وكان مالك اول من صنف فى الحديث لااول ما كتب منه فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه فى العصر الاول لخوف التباسه بالقرآن اذ لم يكن حينئذ يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ماقيل من ان العلتين الاخيرتين لايقتضيان المقصود هنا واقتضاء اعادة العامل الاستقلال فى غاية الظهور فلاحاجة لاثباته كما قيل (اختلستها) الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله (على استعجال) تأكيد او تجريد فان فسر بالاخذ خفية او بالاستلاب كما فى القاموس فهو تأسيس ومنهم من اخذ فيه قيد القهر او المكابرة ففيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل * انتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تنتهزها غصة * وفى المقتنى اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا لتوجيهه بان المراد ان القوم اختلسوها من يد العوائق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهم (لما المرء بصدده) المرء مثلث الميم الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما انا والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة او القرب والثانى اقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال او للاختلاس يعنى انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده (من شغل البدن والبال) الشغل بضم الشين المعجمة ويجوز

فتحها وبالغين المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمزة لغة رديئة وكتبه بعض اعمال الصاحب له فى رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالى لايصلح لاشغالى ولاوجه لترديد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب وهو اقرب هنا ولو فسر بالقلب صح اى الامراض والهموم عايقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم (بما طوقه) ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين اولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثانى ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف وابتلى به او طوق العنق فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض فى عنقها كما قال المتنبى * اقامت فى الرقاب له اياد * هى الاطواق والناس الحمام * وهذا ورد فى كلام العرب لكل امر لازم محمودا كان او مذموما وقوله فى كشف الكشاف انه لم يرد الا فى الذم لاوجه له لانه سأل حاتما ابن اء عن ابل له افناها القرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره فى مرآة الزمان وياتى له فى الفصل الثالث مزيد بيان فى الشرح هنا كلام طويل بغير طائل (من مقاليد المحنة) بيان لما والمقاليد اما جمع لاواحد له من لفظه اوواحدة مقليد اومقلاد او اقليد وهو معرب اكليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الجزء منه والاول انسب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده اى اموره هذا محصل ماقالوه فى معناه وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه مأخوذ من المعنى الاول والثانى لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل المفتول فى عنقه الذى يربطه على ماكلف به ويعوقه عن السعى فيما يريده او هو كناية عن كل محنة لان من اعطى مفتاح شئ فكانه سلم له فالمعنى انه ابتلى بجميع المحن او بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له او جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها فى خناقه بمنزلة العقود والاطواق التى يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله السهيلى فى قوله تعالى * فى جيدها حبل من مسد * كان وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضاء التطويق له كما قيل فاوساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة او البلية اما لان المرء مختبر بها فيعرف صبره وتجلده او لان الله يختبر بها عباده اى يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى او لان المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاءه واخوانه * جزى الله المصائب كل خير * عرفت بها عدوى من صديقى * وفى المقتنى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضاء الذى ابتلى به المصنف رحمه الله تعالى وكانه صح له بنقل عنه فانه ثقة والقضاء اعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم (التى ابتلى بها) صفة كاشفة او مؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء الناس

وان كان فى الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر و بما يكره لينظر هل يصبر ام لا فالبلاء يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة (فكادت تشغل عن كل فرض ونفل) اى عوائق الدهر ومحنه قاربت ان تعوقه عما يهم من امور الدين ولم يقل شغلت لانه غير واقع والادعاء لبس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة ردية وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعانى وقد فرق بينها كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعى وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لاخلاف فيه او ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل فى محله (وترده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل) اى ترد فى تلك الشواغل والعوائق بعد حسن ونضارة روض شبابى واستقامة غصن قوامى لعكس ذلك من تعويج قناتى وتصوب ماء حيانى اوتعدل بى عن الطريق المستقيم المستبين الى اسفل سافلين وسجن سجين لبثقلها عن عبادة رب العالمين او المراد ترد نوع الانسان بعد ما كان فى احسن صورة مستجمعا لخواص الكائنات لانه النسخة الكبرى قائما بوظائف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله السابق لما المرء بصدد ما استعد له كل احد بالطبع فى امور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضى دخول المتكلم فيه بطريق برهانى وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر بقوله بما طوقه ناظر لشغل البال وترده الخ لشغل البدن فانه نهاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل فى المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من اهل الدرك السافل وليس هذا للمصنف ولا لانسان معين بل للجنس كقوله تعالى * ان الانسان لفى خسر * ومع ذلك كاد فى الاثبات نفى فلا يرد عليه شئ كما توهم وهو لم يذكر الاية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة فى الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضاة ربه كاكثر من تولى القضاء وهو المذكور فى قوله تعالى * ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه * فهو الاسفل هنا لا المذكور فى سورة التين لانه غير ملايم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما يتضح به ما فى هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع فى التأسف على ما ابتلى به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه بما ابتلى به هو فى نفسه فقال (ولو اراد الله بالانسان خيرا) اى لو اراد الله تعالى بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى اكون منه رجا فيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال الله تعالى * ولو شاء لهديكم اجمعين * وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير

انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى (لجعل شغله) فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله ما يشغل به نفسه من افعاله واقواله او قوعه فى مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه (وهمه) اى ما يهتم ويعتنى به او ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشئ اهم بالضم من باب قعد يقعد فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثانى من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقد يجيئان بمعنى لكن الاول اقعد لان هذا لا يلايم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا ولذا احتاجوا لتأويل قوله * انى ليحزننى ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف كاعتبار فواته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختيارى والحزن انفعال النفس لخوف ماسيأتى وليس المراد به الارادة كما توهم من وهم بكذا اذا اراده فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا اكبر همه انساه الله صنيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع شمله واتته الدنيا راغبة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان لكلام المصنف رحمه الله معنى آخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم فى الحديث ايضا يجوز ان يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع فى بعض طرق الحديث وكانت الاخرة نيته فتدبره وقوله (كله) تأكيد للشغل والهم معا او تأكيد للثانى وتأكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغنى فى انواع الحذف له فان حذف التأكيد ينافى المقصود منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تأكيدا للثانى كما قيل لان الهم اذا لم يكن فى شئ يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبنى للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل وقوله (فيما) متعلق بجعل او بالشغل والهم على التنازع فيقدر فى احدهما (يحمد غدا او يذم محله) بفتح الحاء لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذى يحل فيه وسيأتى المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذى بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا وفى المثل لكل يوم غدا واما قوله * وسوف ترى يوما وليس له غد * فهو كناية عن يوم الموت واصله غدو وربما جاء على الاصل فى ضرورة الشعر كقول ذى الرمة * وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع * وفى الشروح يجوز فى يحمد ويذم ان يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناؤهما للمجهول والرفع وضميره لله او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة * وليس المحل بمعنى كالمقام فى قول الشماخ *

وماقد وردت بغيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين * وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسماء ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه فى نفسه على ابلغ وجه او يجعل حمد جزاءه وذمه كحمده فيجوز فى نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايماء لما عليه الاشعرى رحمه الله من ان الفاعل الحقيقى هو الله والعبد محل للكسب ومباشرته لما خلقه الله واوجده (فان قلت كيف يكون شغل العبد الذى يريد الله به خيرا مما يذم وهو الحرام وما يقرب منه قلت اجيب بان الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله فيما يحمد بفعله وفيما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لافرق بينه وبين ماقبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن اوالتقدير فى معرفة ما يحمد ويذم كما قيل * عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه * ولك ان تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التى من شانها ذلك يعنى ان اشتغاله وهمته فى معالى الامور دون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف فى القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل

* وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعا *

او يقدر مثله فى الثانى واذا اشتمل لشغل القلبى فاولا تأباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلائق مما يحمد فى القيامة ويذم اليوم لفقر صاحبه فغدا قيد للاول فقط واولتغاير محليهما وفاعليهما وفى بعض النسخ محله مرفوع نائب عن الفاعل وجعل مجهول ومابعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفى بعض النسخ ولايذم بزيادة لافيه على ان ما يحمد الطاعات وما لايذم المباحات اى شغله وهمه المباحات والطاعات فلايلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الا ان همه فى المباحات لايناسب المقام فان نصب روى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان فى كليهما كما قيل فى قوله تعالى * لا املك لكم ضرا ولا رشدا * اذ لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغى والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصائب وجعل شغله مقصورا على كسبه الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلايق ولم تقعده العوائق كما قيل

* اراك تطلب دنيا لست تدركها * فكيف تدرك اخرى لست تطلبها *

(فليس ثم) بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبنى على الفتح وترسم

بهاء السكت لانها ملحقة فى الوقف وقيل انها تاء تأنيث فى لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد اوالقريب وكل منهما صحيح هنا وفى شرح التسهيل كونها للقريب اقرب وهى من قولهم ومن ثمه كان كذا اشارة لمعنى يكون منشأ لغيره وكذا فسروها بمن اجل وهو استعارة بجعل منشأ الشىء كمكانه ويؤخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما افاده شيخنا رحمه الله تعالى فى الآيات البينات والفاء فصيحة اوتعليلية تفريعية والاشارة للدار الاخرة ومكان القيمة كما قيل لانها نصب عين المؤمن وهى تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار بها اليه اى اذا انكشف الغطاء فى ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ماذكر (سوى حضرة النعيم) سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفى النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفناء والكتاب فى الانشاء يستعملونه للتعظيم كالمقام العالى وحضرة الخليفة تأدبا باضافة ماله لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه فى العيشة وفى نسخة نضرة النعيم اى بهجته وحسن منظره (اوعذاب الجحيم) العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتأججة واسم لجهنم والاضافة لامية لابمعنى فى ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء اى ليس فى الآخرة الا احد هذين الامرين وليس فيهما تصرف لاحد فينبغى الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد وانه ينبغى للعاقل ان لايزال مفكرا فى الاخرة ومعرفة مايذم ويؤدى للعذاب الاليم وما يحمد فيؤدى للنعيم المقيم فيدأب فى الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب الجحيم عطف على حضرة او النعيم بحكمايه والاول اولى وهذا اما بناء على عدم الاعراف او بادخالها فى النعيم باعتبار المآل للنعيم او يعد نعيما بالنسبة للجحيم (ولكان عليه بخويصته) وفى نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو واعادة الكلام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس من تتمة ماقبله والضمير المستتر فى كان للانسان وجعله لله بتقدير لكان الله متصرفا فى شانه ليلزم خويصته تعسف من غير داع وعليه متعلق بمقدر وكذا بخويصته اى لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف عزمه وبدنه العايق عنه وعن غيره من العبادة كالقضاء وامور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان مآله لجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوايق من امور غيره وامور نفسه التى لاتهمه فان من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه فعلى

عليه لبس مفعولا للامر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب لانه يقال
عليك وعليه وعلى بمعنى الزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالباء
نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضى الباء زائدة وهى تزاد كثيرا بعد
اسماء الافعال لضعفها فى العمل لانه فسر على بناء ولين وعليه يلزم وقال ابن
عصفور فى حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدأ خبره عليه والباء
زائدة واعترض بانه يقتضى ايجاب الصوم وزيادة الباء فى مبتدأ غير حسب وفيه
كلام طويل فى كتب العربية فعليه متعلق بمقدر او اسم فعل وبخويصة متعلق
بمقدر كما مر او بعليه او هو مبتدأ والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتأكيد الحصر
والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء لان ياء التصغير
لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهى ما يختص وحيث وقع خويصة مع النفس
واريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره والاول
هو الاصل ففيه اشارة الى ان من تقيد بنفسه قلت اموره وخفت احواله فلم يصرف
زمانه الا فى المهمات وفى الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس
واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم كعرق النساء او هو من اضافة العام للخاص كمدينة
بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها وبنفعه دون الناس وما لا يفيد وقيل
هو ذكر الموت وتهيئة اسبابه ولا يخفى بعده (واستنقذ مهجته) المهجة لها معان منها
الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص اى عليه بتخليص روحه من العذاب
باصلاحها وصونها عن القبائح (وعمل صالح يستزيده) الاستزادة طلب الزيادة
وليس الطلب مراد بل المراد المبالغة فى زيادته ويجوز ابقاؤه على اصله ووصفه
بالزيادة اشارة الى انه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه
المقصود او للترقى (وعلم نافع يفيده ويستفيده) من العلوم الشرعية وما لا بد منه
كالعقائد الحقة وقدم الافادة وان كانت مؤخرة عن الاستفادة لانها انسب بالمقام
واشرف (جبر الله صدع قلوبنا) الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع
الشق وهو الكسر الذى لم يبن فى الاجرام الصلبة كالزجاج والعظم وفيه اشارة
الى ان هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة فى الجبر او تجوز بالاطلاق فى المقيد
اى ازال الله ما فى قلوبنا من النقائص واصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال
دعاء بان يزيل الله ما فى قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب
القاسية باناء صلب مكسور لا يقر فيه شئ ففيه استعارة مكنية فى قلوبنا وتخييلية
فى صدع والجبر ترشيح وهذا اولى مما فى الشروح (وغفر عظيم ذنوبنا) من اضافة
الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغائر من الله بغفرتها
بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها اولان من يغفر الذنب العظيم

يغفر غيره بالطريق الاولى اولان كل ذنب عظيم نظرا لعظم من عصى كما قيل
ان الذنوب كلها كبائر فان قلت ما الفرق بين العفو والمغفرة قلت بين مفهوميهما
بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر هو الستر والعفو بمعنى المحو
ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه
او يستره ويجازيه عليه اما بالنظر بكرم الله فهو اذا ستر عفى فبينهما عموم وخصوص
مطلق ولذا يقال فى مقام الملاطفة فى الاكثر عفا الله عنه كما سيأتى فى تفسير قوله تعالى
* عفا الله عنك (وجعل جميع استعدادنا) معنى الاستعداد طلب العدة بالضم
وهى ما لا بد منه لوجود الشئ ثم شاع فى لازمه وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون
بمعنى الاستحقاق كما فى المحاكمات وهما متقاربان (لمعادنا) اى جعل اشتغالنا بما فيه
عوناً لنا على النجاة والفوز بالسعادة فى الاخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود
الارواح لابدانها فيه او تعود للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله تعالى * اليه مرجعكم *
وللمفسرين فى قوله تعالى * ان الذى فرض عليك القرأن لرادك الى معاد * اقوال
منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها فى عالم الذر او لكونها معدة لهم كانهم
كانوا فيها فان العرب تجرى ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنته
يقعد فيها ثلاثة رجال اى واسعة وعليه قول ابن القيم * فحى على جنات
عدن فانها * منازلك الاولى وفيها المخيم * (وتوفر دواعينا) معطوف على
جميع او استعداد والتوفر الكثرة والقوة والدواعى جمع داع او داعية وهى ما يحمل
على فعل الشئ قال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى اذا علم الانسان او ظن
او اعتقد ان له فى الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل فى قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم
ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من دعاه لكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب
منه الفعل وقد يسمى الداعى غرضا وهذا هو المراد لانه المعروف فى كلامهم (وقيل
المراد دعوتنا وطلبنا ودواعى الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعمالنا وما نطلبه
انتهى فالمقصود الدعاء بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه
(فيما ينجينا) هو افعال او تفعيل من النجاة وهى الخلاص مما يخشى كعذاب الله
وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام
لكنه جعل شدة ميله له كانها متمكنة فيه فالظرفية مجازية كقوله تعالى * لاصلبنكم
فى جذوع النخل * وقيل الدواعى تضاف لما يترتب عليه كدواعى الوطئ وليس بلازم
كقولهم دواعى الدهر وكما فى عبارة المصنف (ويقربنا اليه زلفى) زلفى فعلى من ازلف
بمعنى ادنى وقرب قال الله تعالى * وازلفت الجنة للمتقين * فالمراد قربا وتقريبا كاملا
فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا او بمقدر من
لفظه ففيه ايجاز بليغ كما فى تبيان الطيبى لان معنى انبته نباتا انبته فنبت نباتا والمراد

قرب المنزلة والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذى هواقرب من حبل الوريد (ويحظينا) بضم المثناة التحتية من الحظوة بضم الحاء وكسرها وهى القبول وعلو المرتبة عند من تحب وهى قريب معنى مماقبله لان القرب المكانى ينزه عنه البارى وماورد فى حقه فى القرآن والحديث المراد به قرب معنوى باعتبار علمه به اوكرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير الجملتان بحسب الظاهر وان تقاربا معنى وما اورد عليه من انه لايفيد ماذكر هنا لانه انمايفيده اذا تعدى بعلى كما قاله الجوهرى رحمه الله ولاصلة له هنا لاوجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير واسع (بمنه) متعلق بماقبله وهو خبر وقيل تنازع فيه هو ومابعده على القول بتوسط المتنازع فيه ولاحاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لاداعى اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهى تحسن من الله ومن اسمائه المنان ويقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل احد وقيل حرمتها مخصوصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى * ولاتمنن تستكثر * فانكاره من عدم الاطلاع وتكون نفس الانعام (ورحمته) بالجر معطوف على منه وهى فى الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك فى حقه تعالى اريد بها غايتها وهى اللطف والاحسان فهى من صفات الافعال اوارادته فهى صفة ذاتية والباء فى قوله بمنه سببية وقيل انها بالاستشفاع واورد عليه انه معنى غريب لم يقله احد من النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن اريد التشفع بمدخولها كما يقال فى باء البسملة انها للتبرك فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد اعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافى ومآله الاستشفاع وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلاغرابة ولااستغراب الامن عدم التدبر نعم يبقى الكلام فى ان القسم الاستعطافى الواقع فى السؤال هل يختص بالباء والوقوع بعد الامر اولا ظاهر كلامهم انه لم يسمع الاكذلك وفى الكشف فى اول سورة النساء انه غير لازم (وللماويت) لما بالفتح والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفى العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم (تقريبه) اى جعله تقريبا الى الافهام او الى الحصول بالتدريج الآتى ونحوه والتقريب عند اهل المعقول سوق الدليل على وجه يقتضى المطلوب (ودرجت تبويبه) اصل التدريج جعل درجة بعد درجة وفى الصحاح درجه اليه اداناه على التدريج وتبويبه مصدر مبنى للمفعول اى جعله ذا ابواب والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج التأنى والمهل كما قال * درج الايام تندرج * وبيوت الهم لاتلج * يعنى انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا (ومهدت تأصيله) اصل التمهيد بسط المهاد وهو الفراش والتأصيل ذكر القواعد والاصول يعنى انه ذكر فيه قواعد وادلة تبتنى عليها مسائل ابوابه فليست مجرد دعوى خالية

عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله واوضحه كما لايخفى (وخلصت تفصيله) اى ميزت فصوله اوفروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة واصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد بالتأصيل الاجمال وعبر به رعاية للفاصلة واوقيل انه على هذا من الاصول والقواعد كان اظهر (وانتحيت حصره) بالحاء المهملة اى قصدت من نحا نحوه اذا قصده واصله انتحوت وفى نسخة انتخبت بالخاء المعجمة والباء الموحدة والحصر اصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل اوالكلى فى اجزائه اوجزئياته اى قصدت اواختصرت حصر انواعه فى هذه الابواب او الابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل فى اجزائه ظاهر وقوله فى عروس الافراح انه لايمكن لان الحصر جعل الشئ فى محل محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور ومظروف وشان الكل مع اجزائه على العكس لان الكل محيط بالاجزاء والاجزاء منحصرة فى الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها ليس بشئ لانه اصطلاح لامشاحة فيه والمراد ان الاجزاء المفصلة لايخرج عنها الكل كما لايخرج المظروف عن ظرفه وهو امر سهل (وتحصيله) اى جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ماكل من طلب العلم حصله ولاكل من حصله اصله ولاكل من اصله فصله ولاكل من فصله وصله (ترجمته) جواب لما والمراد تسميته واصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لماخفى من الكلام لبعد قائله او الحائل بينه وبين سامعه اولقصور فهمه كما فى شرح البخارى ومنه قوله * ان الثمانين وبلغتها * قداحوجت سمعى الى ترجمان * واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة اخرى وهو مجاز متعارف والقول بان التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لاحاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة (بالشفا) متعلق بترجمته بمعنى سميته (بتعريف حقوق المصطفى) الباء سببية متعلقة بالشفاء او بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب نزهة العيون الشفاء ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة اوجه الفرح كقوله تعالى * ويشف صدور قوم مؤمنين * اى يسرهم والعافية كقوله تعالى * واذا مرضت فهو يشفين * والبيان كقوله * شفاء لما فى الصدور * وهو مع مابعده هنا علم منقول والكلام فى اسماء الكتب هل هى اسماء جنس او اعلام جنسية او شخصية ومسماها المعانى اوالالفاظ او النقوش او مجموعها احتمالات ليس هذا تفصيلها والشفاء ممدود قصر هنا للوقف على فواصل السجع كالقوافى والممدود

يجوزان يقصراذا وقف عليه حقيقة اوتقديرا وهولمشاكلة مصطفى وهومجوزة محسنة
فلاغبار عليه وماقيل من انه قصرلانه قصرعن شان هذه الحقوق لطيفة لاتصلح
للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجرى فى الشعر تجرى فى السجع كما فى شروح
التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويز مد المصطفى وغيره مما لاطائل
تحته واسمه موافق لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب قراءته لشفاء الامراض
وفك عقد الشدائد وفيه امان من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه
وسلم واذاصح الاعتقاد حصل المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل فى ضيق صدر
وحرج وانا الان منتظر لكل خير وفرج كما قلت * يا رب ظهرى مثقل بالعنا *
* وما اقاسى من شديد الجفا * والمتن قد كل وصدرى به * ضيق فوسعه بشرح
الشفا * اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد النبى الامى الطاهر الزكى صلاة تحل
بها العقد وتفرج بها الكرب (وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة) ضمير فيه
للكتاب اولتعريف حقوق المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام اوحال منه والحصر
والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ بحيث لايتجاوزه ووجه
الحصر فى مثله استقرائى و جعله عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما
هو المتبادر فهومن حصر الكل فى اجزائه وتسمية الكل جزأ باعتبار معناه لغة والفرق
بين الجزء والجزئى ان الاول لايطلق المقسم عليه اذ كل واحد منهما لايسمى كتابا حقيقة
وفى الاصطلاح القسم الجزئى لا الجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لشابهته له كما يقال
تقسيم الكل الى اجزائه وادعى بعضهم انه حقيقى ايضا ولامانع منه وان لم يرتضه
بعضهم فان اعاد الضمير للتعريف فهومن تقسيم الكلى لجزئياته والاقسام على
ظاهرها (القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى لهذا النبى) الكريم صلى الله تعالى عليه
وسلم (قولا وفعلا) التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع
قدره او يظهر رفعته والعلى من اسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلى حقيقة
علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى ايضا وان كان لاعلو لغيره بالنسبة
اليه واعلى المقادير بعد قدرالله قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولايخفى موقع
العلى الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو رتبة النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وان ناسبت ان يشار اليها بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله اثر
اشارة القرب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وادنى منزلته وانه ينبغى لمن يحبه
ان يكون نصب عينه كانه حاضرا عنده ولذا قال النبى دون الرسول لان النبوة اتصال
صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت افضل كما فى
قواعد القرافى وسيأتى مفصلا الكلام فيه والاشارة تأتى للتعظيم كما بينه اهل المعانى
(وتوجه الكلام فيه) توجه بصيغة الماضى اى تم وكل من قولهم توجه اذا صار

ذاجاه ولبس المراد كما فى بعض الشروح انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل
والجهة المقصودة بالتوجه لمافيه من التكلف وقوله (فى اربعة ابواب) من حصر
الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته كما توهم ❊ الباب الاول فى ثنائه عليه واظهاره
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول ❊ الباب يطلق على الفرجة التى يدخل منها
للدار وعلى ما يسد به و يغلق من خشب ونحوه و يطلق فى عرف المصنفين على
مسائل من الكتاب متناسبة افردت بترجمة لان مافيها من المسائل والقواعد يتوصل به
لمعرفة جزئياته اولانه يصونها او يحفظها وقيل انه بمعنى البابة وهى النوع وهو سمج
بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره
اوترجمته فاصلة بينه و بينه فهو مصدر بمعنى فاعل اومفعول كما يشتمل الكتاب على
الابواب غالبا والثناء الوصف بالجميل ولايختص باللسان فى المشهور لقوله انت كما اثنيت
على نفسك على مافيه وقدر الشئ مقداره وشرفه رتبته و يكون بمعنى التعظيم كما فى قوله
وماقدروا الله حق قدره * اى ماعظموه حق تعظيمه فى احد الوجوه فيه فيجوز تفسيره
هنا بكل منهما ولديه بمعنى عنده و بينهما فرق مشهور واذا قيل عندالله فله معان
لاستحالة حقيقته عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله اوحكمه كما فى قوله تعالى * فاولئك
عندالله هم الكاذبون * و بينهما فرق دقيق بيناه فى حواشى القاضى فى سورة النور
و يكون بمعنى فضل الله كما فى قوله تعالى قالت هومن عندالله (الباب الثانى فى تكميل
الله له المحاسن خلقا وخلقا) المحاسن جمع حسن على خلاف القياس اوهو جمع
لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد اولاواحد له وهى الامر الحسن مطلقا والحسن الخفى
وخلقا وخلقا بالفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق الايجاد والخلق
السجية والطبيعة وهى ملكة راسخة فى النفس لاتقبل الزوال بسهولة على الاصح
وهى للنفس كالخلق للجسم لان احدهما صورته الباطنة والاخر صورته الظاهرة
و بحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم ومايترتب عليه وحسن الصورة يدل
على حسن السيرة ولذا يمدح به كمل الرجال ولذا خطأ الامدى رحمه الله تعالى من
اعترض على ابى تمام فى وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لماذكرنا (وقرانه له
جميع الفضائل) القران بوزن العيال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله وفضائل جمع
فضيلة وهى الصفة الجيدة مطلقا سواء كان لها اثر متعد ام لا وقد يختص بالثانى
الفضائل و بالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادى رحمه الله تعالى يقول فى مثله اذا
افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا كالفقير والمسكين وهو كلام حسن (الدينية والدنيوية)
الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى
ما هو خير لهم بالذات فى العقبى فيختص بالدين الحق الذى جاءت به الرسل عليهم
الصلوة والسلام و يستعمل فيما يشمل الباطل كما فى قوله تعالى * لكم دينكم ولى دين *

ان لم تقل انه تشاكل او بحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزاء والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهى الارض وما عليهما من المخلوقات واحوالها ويطلق على المال وما يملك وفى النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثانى نحو حسن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصحة بدنه وغير ذلك وهى فعلى مؤنث ادنى من افعل تفضيل لكنها اجرت مجرى الاسماء وجردت من معنى التفضيل ولوازمه واذا ورد تنوينها شذوذا وفى النسبة اليها ثلاث لغات حذف الفه فيقال دنى وقلبها واوا فيقال دنيوى وزيادة الف فيقال دنياوى كما بين فى علم التصريف وداله مضمومة وقد يكسر من الدنو بمعنى القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر * اعاف دنيا نسمى من دناءتها * دنيا والاخرى مكروهها الدانى * ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد فى الحديث وغيره وقد تقابل بالآخرة ايضا وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن ساغ مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة او المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الاخرة ايضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر (فيه نسقا) ضمير فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بقران او بقوله نسقا بناء على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مأول بصفة والا فهو على ظاهره يقال در نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض وفسرها التلمسانى تبعا ولا وجه له (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال السيد ليس فى الكتاب الاستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال فى جميع ما عد من الفصول الا ما فى موضعين يقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسمية المسائل الجمة بالباب ولم يدخل فى باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمسانى وزد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول او الثانى الخ فيعلم منه ان الصدور عنده من جملة الفصول وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد

﴿الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها﴾

الخبر فى العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب فى حد ذاته والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخبارى بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف رحمه الله تعالى هنا لانه اشمل واذا كانا بمعنى فالمراد به ما اضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او نحوه ويدخل فيه ما هم به قبله اذا علم به بوجه من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفى هذا المقام تفصيل مذكور فى مصطلح

الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه وانجبر بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على اعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين المحدثين ام لا وهو الذى عناه المصنف هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر ويدل عليه قول المصنف فى اول هذا الباب (اعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام (بتعظيم قدره) متعلق بورد لانه مصدر بمعنى رفعته او منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا (عند ربه) فتدبر (ومنزلته) اى رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب تقول المنزلة فى المعنوى كالمكان والمكانة فكان انثاه للنقل (وما خصه به فى الدارين) الدنيا والاخرة تسميتهما بهذا شايعة كما مر لانهما مسكن ابن آدم فاما ان تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه او تكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منهما ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلوة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسيأتى (من كرامته) اى مما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله تعالى عليه وسلم فمن بيانية او تعليلية كقوله مما خطيئاتهم غرقوا * وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصائص التى خص بها تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم دون ما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه فى الجملة ولم يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التأليف (وفيه اثنى عشر فصلا) هكذا هو فى النسخ كلها وهو المروى عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح فى الجواب عنه مسالك منها ما قاله التلمسانى ان الثلاثة الزائدة بعد ما اكمل العدد اجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اثنائه كقوله رؤف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وذى قوة عند ذى العرش والله نور السموات الخ الى آخر ما ذكره فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ففهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح فى خاطره امر بعذر تركه اوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثنى عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة مقدمة على التأليف والقول بان قوله السابق

نويت ودرجت بابه غيرمسلم وهكذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه
ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غيرمعتبر وهذا اضعفها لان كلامهم فى الاستدلال به
فى النصوص واما فى المخاطبات فلا فالحاصل انها ذيل للاثنى عشر المقصودة اوامر
زاده على ما كان فى تصوره وذهنه ﴿الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من
الآيات والمعجزات﴾ الآية جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته
صلى الله تعالى عليه وسلم وفى اصلها اربعة اقوال لاهل العربية احدها للخليل
رحمه الله تعالى وهو ان اصلها اية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت الياء الاولى الفا لتحركها
وانفتاح ماقبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضى قلب الثانية اوالادغام لتقدمه
على الاعلال الثانى للكسائى رحمه الله تعالى ان اصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت
عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث للفراء رحمه الله تعالى اصلها اية بسكون
الياء الاولى فقلبت الفاء على خلاف القياس الرابع لبعضهم اصلها ايية بكسر الياء
الاولى فقلبت الفاء لثقل التضعيف والمعجزة امر خارق للعادة معجز للبشر اظهره
الله على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم واسناده الى الله تعالى لانها من افعاله كما قال
ابن الهمام رحمه الله تعالى واما كونها قد تكون من قبيل الترك كان يقول نبى آية
صدقى ان اضع يدى على رأسى ولا يقدر احد على ذلك فلندوره لا يعتد به اولانه
باعتبار انه كف كالفعل الوجودى وكذا اخباره عن الغيب وانما اسند الى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم باعتبار صدوره عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ماعليه اهل
السنة والآية والمعجزة يشتركان فى الدلالة على صدقه لكن الاية اعم لانه لا يشترط
فيها مقارنة النبوة والتحدى فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره صلى الله تعالى
عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة واما قول السهيلى
رحمه الله تعالى فى بعض الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بناء على عدم اقترانها
بالتحدى المشروط عنده فرده ابن الهمام رحمه الله تعالى بان امره مبنى على دعوى
النبوة فى كل زمان وهو غير وارد عليه وسيأتى للمصنف رحمه الله تعالى كلام فى هذا
(وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا) المذكور فى الكتاب
تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر ونبه عليه التلمسانى والخصايص
جمع خصيصة وهى الصفة الخاصة به سواء كانت فى ذاته اوصفاته اوفيما يصدر عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم من معجزاته وكراماته فهى تشتمل على امور كثيرة ذكر منها
فى الباب الثالث تفضيله فى ذاته وسيادته صلى الله تعالى عليه وسلم لبنى آدم فى الدارين
وقربه من ربه بالاسرار والمحبة والخلة وذكرها هنا ما جرى على يديه من المعجزات
وما ضاهاها من الكرامات فمقصد البابين وما ذكرها مختلف معنى وان تشابه
العنوان كما يعرف بالنظر فى الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكرها هو بعينه فى الثالث

من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية مايقال فى توجيهه انه اراد فى كل موضع بيان
سابقه فالمراد بالثالث الكرامات التى لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة
كالاسراء والامور الاخروية وفى الثانى مايقصد به ذلك وفيه مافيه انتهى وقد عرفت
سقوطه وانما اوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما
متغايران معنى كما يعرف بالتأمل الصادق وقيل ان الخصائص والمعجزات آيات كما سيأتى
فى بابه والكرامة لغوية لا اصطلاحية فلا تنافى المعجزة واما الكرامة التى خص بها
صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها لم يقصد به اثبات
النبوة ولا كونها علامة عليها كالاسراء ولا طائل تحته (وقيل ان الكرامات هنا
الخوارق التى قبل دعوى الرسالة وفى شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا
وهو التأسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتأسيس لها (فان قلت اخباره
عن المغيبات كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ماوقع فى حياته صلى الله تعالى عليه
وسلم كعير قريش ونحوه ولا شبهة فى كونه معجزة وماوقع بعده كاخباره صلى الله تعالى
عليه وسلم بالخوارج وذى الثدية وتسميته كرامة اقرب لعدم مقارنته للتحدى والقول
بانه معجزة لعجزهم عنه سواء كان العجز عدميا ام لا لا يجدى (القسم الثانى فيما يجب على
الانام) اى يلزمهم حتى يأثموا بتركه والانام الخلق اوالانس والجن اوكل ماعلى وجه
الارض والمناسب هنا الثانى وقيل انه مايعتريه النوم (من حقوقه) صلى الله عليه
وسلم جمع حق وهو الامر الثابت له وقد مر تفسيره (ويترتب القول فيه فى اربعة ابواب)
يترتب اى يتمكن او يذكر مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شئ فى مرتبته اللائقة به
وكونه من تقسيم الكل او الكلى تقدم مع مافيه ﴿الباب الاول فى فرض الايمان به﴾
اى كون التصديق برسالته صلى الله تعالى عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول اوهى
لامية او بيانية فيجب الايمان به صلى الله عليه وسلم وبشريعته وانها ناسخة لغيرها
ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة (ووجوب طاعته) اى اطاعته صلى الله
عليه وسلم والانقياد له (و) وجوب (اتباع سنته) اى طريقته صلى الله تعالى عليه
وسلم التى امرنا باتباعها امر ايجاب (وفيه خمسة فصول) وقد اجاد فى تفننه فعبر
بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال فى القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفى الثانى
ويترتب القول فيه وفى الثالث وتحرير القول فيه وفى الرابع وينقسم الكلام فيه
﴿الباب الثانى فى لزوم محبته ومناصحته﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه ستة
فصول) النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهى كلمة جامعة
كما سيأتى والمفاعلة على حقيقتها لانها ان يفعل ويقول لصاحبه مايفعله الاخر به
وان لم يتحدا فنصيحة الامة ايمانهم بما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم
لاوامره ونواهيه ونصيحة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بتبليغهم ماامر بتبليغه

وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة فى قوله يخادعون الله وما ذكر فى الكشاف من ثواب محبته ونحوه استطرادى وله تحقيق فى شروح الكشاف

﴿الباب الثالث فى تعظيم امره﴾ اى شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل اللايق هنا تقديم اللزوم الآتى لا توسيطه فيقول لزوم تعظيم امره وتوقيره فكانه اشار الى تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم امره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفى ذكره ايماء الى ان توقيره اشد لزوما من توقير امره مع ما فى تركه اولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتناء بنفس التعظيم ففى كلامه ترق من الادنى الى الاعلى (ولزوم توقيره وبره) توقيره تعظيم ذاته واحواله ومن ينسب اليه وامته ومعاهده وآثاره بحيث لا يدانيه احد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما مر وبره بكسر الباء واصل معنى البر والسعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع فى الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله تعالى عليه وسلم بصلة اتباعه من اهله وغيرهم ممن مر ذكره

﴿الباب الرابع فى حكم الصلوة عليه﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم (والتسليم) من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله (وفرض ذلك) اى فرضيته او المفروض منه من عطف الخاص على العام (وفضيلته) اى فضيلة المذكور من الصلوة والسلام ولتأويله بما ذكر افرد الضمير ويكثر مثله فى اسم الاشارة كقوله تعالى *عوان بين ذلك (وفيه عشرة فصول) مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة وزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿القسم الثالث فيما يستحيل فى حقه﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم اى يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه واصل معنى الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار اعوج وقد ورد فى كلام العرب واستعماله فى كلامهم كثير كما وقع فى عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبى كانك مستقيم فى محال (وما يجوز عليه) اى يصح ان ينسب اليه سواء كان واجبا او جائزا والمراد ما يصح اتصافه به صلى الله تعالى عليه وسلم كاعراض لا تشين رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله (وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه) المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض نوع الانسان فى بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيرى فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللائق ذكره او لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب لان استحالة الشئ تستلزم وجوب نقيضه فلذا اجمل واختصر والمراد باضافته ان يقول انه متصف به

واما انه من ذكر ما يجب وقد تعرض له فيما يأتى فيأباه جعله ثمرة ولبابا لانه من اعظم الثمرات كما لا يخفى (وهذا القسم اكرمك الله) جملة دعائية والمعنى جعلك الله مكرما مبجلا (هو سر الكتاب) اى خلاصته او افضله او الخفى منه والمراد انه المقصود بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا تصح مما تمس الحاجة اليه فى تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التأليف لئلا يقع احد فيما لا يليق بمقامه او يترك ما لا بد منه كان ما ذكرهنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبنى على العصمة من الرذائل ولا تساعده اللغة (ولباب ثمرة هذه الابواب) لباب كل شئ خالصه كما قال الزبيدى ومنه اللب للعقل ولبيك اى اجابة مع اخلاص والثمرة بمعناها الاصلى وتكون بمعنى الفائدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب الكتاب او البعض السابق من الابواب بناء على انه كالقواعد لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد بان القواعد تأباه اذ لا ذكر للكتاب فى هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره او المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالدليل او المراد ان ثمرته اى تعلمه والانتفاع به لباب الثمرات (وما قبله) اى ما ذكر قبل هذا القسم من الابواب والاقسام ما هو (كالقواعد) القواعد فى الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج فيها والعمد وتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضوعها ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية (والتمهيدات) جمع تمهيد اى امر تمهد وهو فى الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطئة له (والدلائل على ما نورده فيه) ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشئ ما والدلائل جمع دليل على خلاف القياس وفى الآيات البينات انه جمع دلالة فان فعالة يجمع على فعائل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز ويأتى ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته (من النكت البينات) قد مر ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة للاذكياء ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقايص لعلو قدره وظهور شرفه

صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستلزما له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال
عليه بعلم من علم الكلام ومافى غيره اقناعى وان كان لاشبهة فيه لمن جلا الايمان
مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا ان تكون بمعنى بينة المدعى اوهوايهام وتورية لقوله
بعده (وهو الحاكم على مابعده) تشبيه بليغ اى كالحاكم على القسم الرابع من جزاء
سابه ومنقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراؤه
وابرازه ايضا ولايخفى موقعه هنا والحاكم فى الحقيقة هو القاضى ونحوه لاهذا القسم
ونحوه فان مسائله ومن يعلمها اذاحقق مايجب له ويجوز تبين له ذلك فجعل تبين ذلك
كالحكم فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وشان منتقصه (والمنجز من غرض هذا
التأليف وعده) الوعد معروف وانجازه ايقاع ماوعد به واعطاؤه واصل معناه
الاتمام اوالاحضار من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشئ ومن ابتدائية
او بيانية والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع
له قوله هو او للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال اوالتفعيل وفاعله مارجع اليه
الضمير ايضا والفاعل الحقيقى هو المصنف رحمه الله فالنسبة مجازية اواستعارة
مكنية تخيلية مرشحة بجعل هذا القسم لتتميمه غرض التأليف كانه كريم وعده
التفضل بمقصوده واجابة السائل لماسأل منه من تأليف جملة الكتاب فكانه بهذا
منجز للوفاء بالكل اوهومن قبيل الحج عرفة والسائل وان لم يسئل مافى هذا القسم
صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف
رحمه الله (وعند التقصى) هو تفعل من الاستقصاء بالقاف والصاد المهملة وهو بلوغ
اقصى الشئ وغايته اوطلبه كما فى قوله * يامطلبا ليس لى فى غيره ارب * اليك
آل التقصى وانتهى الطلب * وفى بعض النسخ التقضى بضاد معجمة من تقضى
الامر اذاتم ومضى او بمعنى التقاضى والالحاح ويحتمل على الوجهين ان يكون اصله
تقضض فابدل احدى المثلين ياء للتخفيف كما قيل فى تظننت تظنيت واللام فى قوله
(لموعده) بمعنى وعده اوموعوده صلة له اوتعليلية وانجاز الموعد مقابل لخلفه قال الله
تعالى * انه لايخلف الميعاد * وتقدر عندهم ان الوعد يكون فى الخير والثواب والوعيد
فى ضده ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا
باعتبارين كقول الله تعالى لاهلكن من عادى رسلى فانه نصرة لهم وههنا اشكال
مشهور وهو ان تخلف الوعيد كذب غير جائز على الله تعالى وعن انس رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له
ومن اوعده على عمل عقابا فهو بالخيار (وسئل ابو عمرو بن العلاء رحمه الله ايجوز ان
يعد الله على عمل ثوابا ثم لاينجزه قال لاقال فاذا اوعد عقابا افلابد ان ينجزه فقال له
من قبل العجمة وانبئت ان العرب كانت شرفها ان تفى بالوعد وان لاتفى بالوعيد قال

* وانى ان اوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى * قالوا ولايلزمه
الكذب لا لان الكذب يكون فى الماضى والخلف فى المستقبل لان فساده ظاهر لانه
عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة
من شئ آخر كعدم الاصرار اوعدم التوبة اوعدم العفو فيكون فى قوة الشرطية
فلا يلزم الكذب اصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشاء لايتصف به كما ذكره علماء
الرسوم فى مثل قولهم الصبى يقاوم الاسد انه لانشاء التعجب وفى قوله تعالى * رب
انى وضعتها انثى * لانشاء التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد
حق الله والكريم قد يترك حقه ولايشاحح فيه وفى قواعد القرافى اختلف فى لزوم
الوعد والوفاء به الفقهاء فقال مالك لايلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز رضى الله
تعالى عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل فى امر كقوله لاخر بع دارك وانا اقرضك
دراهم تشترى بها دارا تسكنها هذا ماقالوه برمتهم فى هذه ولها تتمة لعل الدهر
ينجز ميعادها (والتفصى عن عهدته) هو تفعل بالفاء والصاد المهملة متفوص
بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ماقبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة
وهاء ساكنة يليها دال مهملة ضمان مايتعهده العاقل فى ذمته فيلزمه واصل
معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سائله كامر التزمه فى ذمته يلزمه
اداؤه ففيه استعارة تصريحية وعن متعلق بما بعده من قوله (يشرق به صدر
العدو واللعين) يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف
الشراب ونحوه فى الحلق والغصة مثله لكن استعمالها فى غير المايعات اكثر والمعروف
اسناده للحلق الذى هو مجراه كقوله * لو بغير الماء صدرى شرق * كنت كالغصان
بالماء اعتصارى * ويسند للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما فى عبارة المصنف
رحمه الله فغير معروف فكانه قصد به المبالغة فى كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة
تكون سابغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لايدفع وشرق هنا بمعنى تألم
واغتاظ كما فى قول الاعشى * وتشرق بالقول الذى قد اذعته * كما شرقت صدر
القناة من الدم * وليس فى قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو
جنسى او استغراقى وهم اعداء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه باللعين
للذم لا للتقييد اذ كل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم كافر مستحق اللعنة واصله
المطرود مطلقا كما فى قول الشماخ * ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب
كالرجل اللعين * ثم خص بالمطرود عن رحمة الله اولا والمراد به ابليس بقرينة
اللعين لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق
بريقه عند موته وفى المقتفى يضيق صدره حسدا (ويشرق قلب المؤمن باليقين) مضارع
اشرق اذا اضاء وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما فى قوله * ثلاثة تشرق الدنيا

ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر * والباء آلية اوسببية كما فى قوله تعالى * واشرقت الارض بنور ربها * والقلب مشبه بما يقبل الاضاءة او بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم و يشبه الجهل بالظلمة و يجوز فتح ياء يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت بمعنى والمعروف المزيد وان اثبت اهل اللغة ثلاثية ايضا والاشراق صفة الكواكب ونحوها ومايقع عليه الضوء من الاجرام (وتملاء انواره) الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة له مع انه جعل قبله النور عين اليقين امالانه من قبيل لجين الماء اشارة الى ان الاضافة لاتخص القلب بل تفيض على ماحوله فتملؤه اوالمراد بالانوار انوار اخر حاصلة من ذلك النور ايضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه ونحوه كما ان نور الشمس الذاتى يحصل منه انوار اخر تملؤا الكون والمراد بكونها مالئة له انها عامة شاملة له وهواستعارة مكنية مخيلة حيث شبهت الانوار بالمياه الفائضة من البحار واثبت لها الملئ ويجوز عود الضمير للقلب (جوانح صدره) جمع جانحة وهى الضلوع التى تلى الصدر تحت الترائب كالضلوع ممايلى الظهر ولذا اضيفت للصدر واضافة الصدر بضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلاوجه له كامر (ويقدر العاقل النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (حق قدره) بقدر بزنة ينصر يعرف مقداره و يتصور عظيم مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو وقد فسر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله تعالى * وماقدروا الله حق قدره * بما عرفوه حق معرفته والعاقل بعين مهملة وقاف وفى حواشى التلمسانى انه بغين معجمة وفاء قال والمراد انه يكون سببا لتنبه الغافل وقدرته ولولم يقل انه رواية فنانه تحريف من النسخ ومن له لب اذ تدبر لماقاله المصنف واحاط به خبرا عرف اجمالا جلالة شانه صلى الله تعالى عليه وسلم و لمعت من افق اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لاتسعه العقول ولايحيط به نطاق البيان كما قال * انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء * و يقدر معطوف على يشرق (و يتحرر الكلام فيه) اى يتم و يجئ محررا مهذبا فى هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر اواسم مصدر يعمل عمل فعله اوحال منه وقوله (فى بابين) متعلق بيتحرر ﴿الباب الاول يختص بالامور الدينية﴾ اى الامور المتعلقة بما يجب و يجوز و يمتنع عليه بحسب الشرع والدين (و يتشبث به القول فى العصمة) التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة و باء موحدة مشددة و مثلثة التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش اى النبات وضمير به لمافهم مماقبله اى بما ذكر او بما يختص الى آخره وجعله لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفى التعبير به مع العصمة لطف لانها فى الاصل بمعنى الربط ثم صارت

بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لايرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له او بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لايتوهم انه مبنى على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهوليس بمذهب اهل السنة و يكون ايضا بمعنى صونه عن اذية اعدائه بحيث لايقدرون عليها كما فى قوله تعالى * والله يعصمك من الناس * كما سيأتى واذا وقع لبعض الاولياء تسمى حفظا لاعصمة فلايقال لغير الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف فى الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز ام لا والصحيح كما قاله ابن حجر فى الزواجر انه يجوز لانه ورد فى الادعية المأثورة اللهم اعصمنا فى الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسيأتى تحقيقه وتعلق العصمة بماذكر لانهامبداؤه ومنشاؤه (وفيه) اى فى هذا الباب (ستة عشر فصلا) يأتى بيانها ﴿الباب الثانى فى احواله الدنيوية﴾ اى الطارية عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا من جهة الاشباح لامن جهة الارواح ولذا قال (وما يجوز طروه عليه) اى عروضه وحدوثه يقال طرأ مهموزا بزنة قعد طرؤا كقعودا وتبدل همزته واوا فتدغم فى مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع ذلك كما فى كتب اللغة القاموس وغيره ولافرق بينهما وان كان فى كلام ابن القطاع مايقتضيه وفى المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا اسند الى الناس كان بمعنى القدوم يقال طرأ علينا فلان اى قدم فلذا قال (من الاعراض البشرية) جمع عرض بفتحتين وهومايعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا ام لا والاطباء يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطرد والحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لاداعى له لمامر والبشرية المنسوبة للبشر ففيها اشارة الى انها غير مختصة به ومايجوز احتراز عن الاعراض المنقصة التى لاتجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم (القسم الرابع فى تصرف) هوتفعل من التصريف الذى هو التحويل (وجوه الاحكام) من معنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على اربعة اوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تبدلها وكونه بمعنى تنوعها وذكر الوجوه تجريد عدول عن الجادة بلافائدة والمراد بيان انواع الاحكام المتعلقة بها ومايلزم من قالها (على من تنقصه) متعلق بتصرف اى نسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم المبرأة عن النقائص (اوسبه) السب الشتم اى بيان حكم من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بينه و بين ماقبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص اعم منه فان من قال له يا محمد فقد تنقصه وليس بشتم له و ينبغى ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولابينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لايصح العطف باو هنا او يتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص او يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة

بتصرف او بالحكم وكونها بمعنى الى اى تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تعسف
من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا (وينقسم الكلام فيه فى بابين) ضمن
ينقسم معنى ينحرر ويتم كما عبر به قبله فمن قال معناه الى بابين او حال كونه فيهما الى
امور فقد تكلف ﴿الباب الاول فى بيان ماهو فى حقه سب ونقص﴾ النقص هنا
اعم من السب او بمعناه كما مر فلذا عطفه بالواو وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى
او كما يفهم من كلامه الاتى (من تعريض او نص) المراد بالنص هنا الصريح وله معان
اخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض
ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومى اليه كانه يؤخذ من عرضه اى جانبه يقال نظر
اليه بعرض وجهه وهو قسم من اقسام الكناية واراد به هنا ما يقابل النص
لوقوعه عديلا له وفيه كلام طويل فى كتب المعانى والتفسير بيناه فى حواشى
البيضاوى ﴿الباب الثانى فى حكم شانئه﴾ هو اسم فاعل مهموز الآخر من الشنآن
وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها (ومؤذيه)
هو الاتى بما فيه اذية له قولا او فعلا يقال اذاه يؤذيه ايذاء واذا ولا عبرة بما فى القاموس
من انكاره للايذاء كما بيناه فى كتاب شفاء الغليل (ومتنقصه) بتشديد القاف وفى نسخة
صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية يقال انتقصه ونقصه وتنقصه اذا
اتى بما فيه نقص له بما لا قدره من قول او فعل او ترك يقتضى ذلك (وعقوبته) بالجر
عطف على حكم او على شانئه والضمير عائد على كل واحد لتأويله بالمذكور او على
احدهم لانه عين الاخير والعقوبة ضد العفو ما يقع فى مقابلة ذنب واما قوله تعالى
* وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به * فهو مشاكلة او بمعناه اللغوى (وذكر
استتابته) معطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا
ونفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن اصله الى غيره كقوله
ان البغاث بارضنا يستنسر اى يتحول من البغاثية الى النسرية فاراد به التحول الى
التوبة [illegible] الكفر فتدبر (والصلاة عليه) اى الصلاة على جنازة من ذكر بعد
موته (ووراثته) اى حكم وراثته نفيا واثباتا كما فى ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره
اولا وتأخير الصلاة والوراثة عن الاستتابة فى غاية الاحكام لمصادفته محز
(وفيه عشرة فصول) كذا فى كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب
كما فى بعض النسخ خمسة فصول وهو الذى صححه مغلطاى والشمنى فى حواشيه
وهو الظاهر ولا يأتى فيه ما مر فى الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر ضرر
النقص فكان المصنف بيض له ولم يلحقه بعد اقول هذا ما قالوه برمتهم وسيأتى
قريبا ما يرشدك الى الصواب فيه (وختمناه) اى جعلنا ختام هذا القسم لا الباب
الثانى كما قيل والضمير للكتاب ﴿بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين﴾

اللذين قبله) اى لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به
بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو
اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل فلولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب او قسما خامسا
(فى حكم من سب الله ورسله) عليهم الصلاة والسلام مطلقا او غيرنا صلى الله
عليه وسلم (وملائكته وكتبه وآل النبى) عليه الصلاة والسلام (وصحبه) رضى الله
تعالى عنهم اى فى حكم من صدر منه سب لواحد من هؤلاء او للجميع او لفريقين منهما
مجتمعا او منفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقى حكم من
سب فردا من هؤلاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضى انه فى حكم من سب
هؤلاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى
ان يقال الواو بمعنى او فان العموم يكفى لصحة امكان شموله سواء كان ذلك
فى الواقع اولا مع ان مثله انما يدقق فيه اذا كان فى كلام يستدل بلفظه كالقرآن
والحديث اما فى كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجرى فيه
اقسامها فسقط ما فى بعض الشروح هنا من التعسف (واختصر الكلام فيه) بالماضى
المجهول وفى بعض النسخ نختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى
اى جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر (فى خمسة فصول) قيل الصواب فى عشرة
كما فى بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعده بناء على تقدم
الخطبة على التأليف او العدد لا مفهوم له فلاينافى الزيادة فقد مر ما فيه ولك ان تقول
ان ضمير فيه لبس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه
كان همه ان يجعل الباب الثانى عشرة فصول فاختصره فى خمسة وافرد الخمسة
الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان فى غاية الخفاء احسن من حمله
على الخطاء وهذا ما وعدناك به فان صادف محز القبول والا فاطرحه فى زوايا
الفضول ويكون هذا معنى قوله (وبتمامها) اى بتمام هذه الفصول المكملة لما قبلها
(ينتجز الكتاب) تفعل من نجز بجيم وزاى معجمة اى تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال
ابن القطاع نجزت الحاجة وانجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا نجز بالفتح والكسر
اشهر وفى غيره انه بمعنى يحضر او يتم او ينقطع وفى المقتفى انجزت حاجتك
قضيتها والكتاب حاجة للسائل موعود بها وهو مختلف فى النسخ ففى بعضها من
الافتعال وفى بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه ابلغ وقيل ليفيد انه
بفعله (تنبيه) فى الملائكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده
ملأك كشمأل حذفت همزته بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم زيدت للجمع فوزنه
فعائلة وهمزته زائدة وقيل ملأك على وزن مفعل فميمه زائدة ووزن جمعه مفاعلة
وقيل مفرده مألك فنقلت فوزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه

يلموكه تحذف عينه تخفيفا ووزنه مفل وملائكة وزنه مفاعلة ويقال فيه ملائك ايضا (وتم الاقسام) يعنى الاربعة المذكورة (والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة) يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو ويظهر والغرة فى الاصل بياض فى جبهة الفرس ويطلق على كل شئ واوله واللمعة بضم اللام من لمع الشئ يلمع لمعانا اذا اضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة ايضا البقعة فيها كلاء والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغانى وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما ومتعديا اى ذات نور ويكون بمعنى بين وواضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما فى كتابه وانتقش فى صحائف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله عليهم الصلوة والسلام اذا قرن بتعظيم هذا النبى الكريم ومحبته والعلم بما تؤدى اليه مخالفته من النكال او صل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ما ذكره ولمعة الموصوف تمييزا اوحال وغرة الايمان اشرفه واظهره فاضافته حقيقية اوهو كلجين الماء لانه به يتميز صاحبه وتظهر سعادته فى الدارين او يظهر انه جواد سابق فى حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله * وفى الرحمن للضعفاء كاف * واللمعة هى الغرة او غرة الايمان بمعنى ظاهره واعلاه على انه استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اى نورا لايخفى عليه لانه زيادة فى يمنه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالانارة فان فهمت فهو نور على نور وفى بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس ينجى صاحبه من المهالك والاغر محمود فى جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل اوشبه كتابه هذا بلمعة منيرة فى غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغيره الايمان عن الكتب المؤلفة فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه واسناده من يدنها شانا لجمعه ما تفرق فيها وفاعل تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم والغرة مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها اى فى الدين النقى يلوح لمعة منيرة واللمعة كتابه فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم او التقليل بالنسبة لشرف مقامه والاول اولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون ذما له غايته ان له زيادة عليها واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بجعله اللمعة فى الغرة بانها لا تظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح فى جبهة الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المرام وانه غنى عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا جزء من الغرة لا امر زائد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة

المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون ويعنى ان هذا الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح مما قالوه وقوله (وفى تاج التراجم درة خطيرة) اى عبارته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على رأس عظيم لدلالتها على رفعة قدره ومايدل منها على هذه المعانى كدرر مكللة بها التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة فهو على هذا خبر مبتدأ مقدر عبارته اوهى درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه الفاظ وكونها زينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذى سلطان واثبت له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة فى كلامهم كثير كقوله فى ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى وقد مر انه معرب وفى شرح ادب الكاتب انه عربى وهى تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال الله تعالى * رجما بالغيب * قال * ما كان من غيب ورجم ظنون * فكان الترجمان الذى يصيب بظنه معنى كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وترجمان وفى النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما الف فى معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية اردفه بجعله من بين نظائره كدرة باعها اما على انه شبه التراجم اى الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه اوتشبه كتب السير بتاجها الذى به محزها وكتابه بدرة نفيسة تشبيها بليغا او استعارة تمثيلية او مكنية مخيلة مرشحة وتاج التراجم كلجين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين فى غنى عنه وفى تاج معطوف على قوله فى غرة فهو متعلق بيلوح (تزيح كل لبس) تزيح كتزيل وزنا ومعنى والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة وهو اولى من رجوعه لدرة لازالتها بضيائها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استئنافية واما كونها حالا فبعيد واللبس فى الاصل الخلط والاختلاط قال الله تعالى * ولا تلبسوا الحق بالباطل * فالمراد الاشتباه او الشبه يعنى ان كتابه يزيل الاشتباه فى احواله صلى الله تعالى عليه وسلم اوفى الدين فى الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة (ويوضح كل تخمين وحدس) لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع فى بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفى المقتفى انه سقط من نسخة المصنف فتخمين قافية مع ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند اهل الميزان الحدسيات امور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليه كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه

و بعده منها فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها
انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس ايضا على سرعة الانتقال من المبادى
للمطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة (و يشفى صدور قوم مؤمنين) مناسبة هذا
للكتاب وللمعنى المقصود فى الاية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه
والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الساب الا انه وقع هنا فى نسخة يشف
بدون ياء فى آخره لانه مجزوم فى النظم الكريم وفى نسخة بياء فى آخره لانه مستأنف
مرفوع فى كلام المصنف رحمه الله اذ لم يتقدمه مايقتضى الجزم قالوا وهو مصحح هكذا
فى نسخ المشايخ كمغلطاى والنسخة الاولى لاوجه لها هنا الاقصد حكاية لفظ التلاوة
والاقتباس واورد عليه انه جعله من كلامه ولاموجب للحذف فيه وكيف تقصد
التلاوة والضمير فى الاية لله لاللدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغى ان تكون العبارة
تشفى بالتاء الفوقية لان فاعله ضمير المؤنث و يعتذر عنه بانه عائد عليها باعتبار كونها
كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف انت فى غنى عنه بما سمعته آنفا واول الاية * قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين *
وهو مجزوم فيها فى جواب امر غير مذكور ولا يقدر فى كلام المصنف رحمه الله تعالى
ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكروا المقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما فى قول
ابن الرومى * فقد انزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع * فان المراد به فى القرأن
واد لانبات فيه وفى الشعر رجل لاخير فيه كما ان المراد فى النظم بالقوم بنوا خزاعة
وهنا مطلق المؤمنين والمراد انه يشفى صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله
تعالى عليه وسلم لا لايمانهم حتى يقال ان المؤمنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان
يقبل الزيادة وزيادة الشفاء شفاء فانه كلام ناش من سوء الفهم وقد اختلفوا
فى جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه اخرون مطلقا وفصل بعضهم
فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذ لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف
من هزل ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرأن لايجوز ولذا نقل عن الامام مالك رحمه الله
انه لايجوز التفأول من المصحف وما وقع فى فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه
فعله لا اصل له وفى كتب فقه الشافعية جواز ذلك مع الكراهة (ويصدع بالحق)
اى يجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ابن عرفة رحمه الله تعالى فى قوله فاصدع بما تؤمر اى فرق بين الحق والباطل يقال
تصدع القوم اذا تفرقوا اى يظهر به او يحكم او يفصل و يأتى الكلام على هذه الاية
عند ذكر المصنف لها وما قيل انه يحتمل ينشق بالحق اى يظهره من خلال تراكيبه
تعسف لاداعى له وقيل المراد بالحق هنا القرأن لما فيه فى كثير من آياته و قد جاء الحق
مرادا به القرأن فى الايات وهو تكلف ايضا وهو فى الاصل استعارة من صدع الاناء
اذا شقه وقيل المراد يشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة

(و يعرض) بضم اوله وكسر ثالثه رباعى اى يصد (عن الجاهلين) بحقوق الله ورسوله
والغافلين عن على قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم التفاته لاقوالهم
ذكرا وردا كمنكرى الحشر ونحوه فلا يعبأ بهم فانه انما صنف كتابه للمؤمنين او المراد عدم
انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع للحق اما مؤمن يستشفى به صدره
و يزداد ايقانا او كافر له عقل سليم يرتجى قبوله الحق او ذو غباوة مفرطة او معاند فاشار
الى الاول بقوله يشفى والى الثانى بقوله يصدع والى غيره بقوله يعرض الخ وهذا
لايلاحظه المصنف فى كلامه لان كتابه انما صنفه للمؤمنين كما صرح به وقد يراد فى
بعض الاقسام من يضاهيهم فى بعض الصفات (و بالله سبحانه لا اله سواه استعين)
فى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بدل سبحانه تعالى وفى بعضها اسقاطهما وفى بعضها
لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح التنزيه عما لايليق وسبحان
مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله طلب المعونة من الله على ما قصده من
التأليف و الانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغى ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب
كما وقع فى الفاتحة فنزهه ان يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه اى لامعبود ولامقصود
فى المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة
الحصر لان الاستعانة الحقيقية لاتكون الا من الله وغيره وسائط ولذا استشكل
حصر الاستعانة فى اياك نستعين مع الاستعانة باسمه فى باء بسم الله على احد الوجوه
واجيب بان طلب المعونة لايكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون
من غيره كانبيائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف
عليها الفعل كالالة او مسهلة كالراحلة للقادر على المشى كما فصله القاضى فى تفسير
واياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر
والعطف بلا يفيده ايضا ولذا منع اهل المعانى العطف به بعد الحصر كما فى عبارة
المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم اجاب بان الذى منعوه بعد ما والا فلا يقال
ماقام الا زيد لاعمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق
بينهما مع افادته الحصر وقصده غير متعين الى آخر ما قرره فاطال فيه (اقول
هذا عجيب منه فان هذه المسئلة ذكرها عبد القاهر والسكاكى ووقع فى كلام
الزمخشرى فى مواضع مايخالفه كقوله تعالى فى سورة آل عمران ماهى الاشهوات لاغير
وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما
والا والنفى الصريح لا فى غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه فى السوانح
ثم انه شرع فى المقصود فقال (القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى) اسماء الكتب
والفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة اقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف
انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اى فى بيان تعظيم

الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص فى العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالاخر وعلى المشهور المعنى لما يخيل اولا واتى له بلفظ تقديره كان كالمظروف المقصود الذى يؤتى له بظرف مناسب او هو كاللباس كما فصلوه وقيل فى بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافى ذكر غيره بطريق التبعية والعلى هو العالى شانه فى نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم والثانى بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى فانه لا يشاركه ولا يدانيه شئ ولذا عدى بعن فقال الله تعالى * عما يقول الظالمون * لبعده عن مخلوقاته ولذا قال الله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فان قلت لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى سجودكم ولما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم فما وجهه قلت هو الهام والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد فهمه من الموحى به لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته فى علوه وتعظيمه يكون قولا واعتقادا وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره وضع اشرف اعضائه فى تراب الذل الذى ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فاذا كان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا ولما كثر تعظيم العظماء بالانحناء قائما امر بان يقول سبحان ربى العظيم فى الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفى تعبير المصنف رحمه الله من البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو فى المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفى الرتبة على يعلى كرضى يرضى (لقدر النبى المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم معناه (قولا وفعلا) وفى نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفى تعظيم قدره اى رتبته تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ما ورد فى القرآن والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التأييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثانى بالمعجزات الا ان يكون قد اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو كما قيل (قال القاضى الامام ابو الفضل) هو عياض ابن موسى السبتى بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضى اليحصبى بالحركات الثلاث فى الصاد كما مر وهى قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد افردها بعض اهل العصر بجزء سماه زهر الرياض فى محاسن عياض وما وقع فى النسخ من قوله الامام من تلامذته النساخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم (لا خفاء على من مارس شيئا من العلم) اى ليس شئ من الخفاء والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهى وضع الحبل فى البكرة للسقى ويقال مرس الشئ اذا عركه كما فى افعال ابن القوطية ثم شاع فى كل ملابسة

مع المزاولة والملازمة وشيئا المراد به شئ قليل او شئ يعتد به والاول ابلغ والثانى انسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات او الاصول والقواعد مطلقا او الشرعى منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشئ ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والوجود فى الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان لبس بشئ اى ليس مما يصدق عليه لفظ شئ ولا مانع منه كما قيل (او خص بادنى لمحة من فهم) خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضى بمعناه الاصلى من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل اى صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يأباه لان المراد ان الله تعالى خصه بشئ قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ما ذكر اذا لم يخف على مثله لم يخف على احد غيره واو على اصلها لاحد الشيئين اى لا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ او سرعة الانتقال ويجوز ان يكون او بمعنى بل كما فى قول جرير * كانوا ثمانين او زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت اولادى * فهى للترقى ممن عنده علم الى من له ادنى فهم وادنى يكون بمعنى اصغر مقابل الاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر وبمعنى اخس وارذل مقابل اشرف كما فى قوله تعالى * تستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير * والكل من مادة دنى وقيل الاخيرة مقلوب ادون من الدون وهو الردى اى اردأ ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما فى القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كنى بها عن القلة كقوله تعالى * وما امر الساعة الا كلمح البصر * وقال الثعالبى اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن فى قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر للبصيرة ويؤيده انه وقع فى نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية اى لمحة ناشئة من فهم فهو يجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفى نسخة من الفهم معرفا (بتعظيم الله قدر نبينا) اى مرتبته وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى فى وقيل بمعنى من اى من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر او لغو فى متعلقه احتمالات وجوه اشار اليها الشراح وعلى كل حال لم يأتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله تعالى انه لا خفاء فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من له ادنى بصيرة وحينئذ فخفاء اسم لا وقوله على آخره متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفى عليه كذا فهو وحينئذ منون اشبه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا مانع لما اعطيت بلا تنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله تعالى جمهور النحاة على وجوب التنوين فى مثله بجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لمقدر على

انه خبرلافلايناسب المعنى اذا لمقصود كونه للاسم لاللخبركمالايخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشرى وتبعه القاضى فى قوله لاتثريب عليكم اليوم الا انه منعه فى قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين فى الموضعين انتهى فان قلنا على متعلقة بخفاء على الوجهين فقوله بتعظيم الى آخره خبرلاوالباء بمعنى فى اوللملابسة او بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة بعلم او يفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقد ربالنصب متعلق بتعظيم (وخصوصه اياه) اى تخصيصه نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم من بين سائر الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لابمعنى التفضيل كماتوهم فانه عدول عن الظاهر بغيرداع وهومصدر مضاف للفاعل وهوضميرالله والضمير المنفصل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفعوله (بفضائل ومحاسن ومناقب) كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما اعطاه الله له من الكمال النفسى والبدنى خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التى لايدانيه فيها احد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضائل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن مايتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب مايفتخر به من عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيادته وشفاعته فى المحشركماهومقتضى العطف واصل الفضائل جمع فضيلة وقديخص بما لايتوقف تحققه على تعدى اثره ويقابله الفواضل كمكارم والمحاسن الحسن فى الصورة جمع حسن على خلاف القياس اوجمع محسن وهوالموضع الحسن من البدن كمافى القاموس والمناقب مايفتخر به كمكارم وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة عليه ويأتى فى الحديث انا سيد ولد آدم ولا فخر اى انا لا افتخر به كعادة الناس وان كان لافخر اعظم من فخره وقوله ولافخر احتراس وتكميل وهو يكون فى الاول والاخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين فالاول كقوله * الايا اسلمى يادارمى على البلا * ولازال منهلا بجرعائك القطر * والاخر كالحديث والوسط كقوله * فسقى ديارك غيرمفسدها * صوب الحياء وديمة تهمى * فان الدعاء بالسلامة اولا احتراس ولاينافيه قوله لازال كماصرح به بعض الادباء وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه (لاتنضبط بزمام) فتنضبط بالتاء الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضميرللفضائل ومامعها وللمذكور واصل الضبط الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصاء والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فرق عرفى فلم يرد فى اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلى لجميع افراده حافظ لها وممسك وللتجوز وجه اى ماذكر لايمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روى بالباء واللام كماقاله التلمسانى والاول اظهر والثانى اشهر

فان باء السببية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر الزاى المعجمة مايزم به اى يشد النعل والناقة ولا تختص بالثانى كمافى القاموس وفى كلامه هنا استعارة تصريحية اوتمثيلية فالقول بانه لااستعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لاوجه له وانما هو كماقيل فى المثل كثرة الشد ترخى فافهم واما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضائل بناقة قوية تغلب صاحبها فركيك جدا (وتنويهه من عظيم قدره) يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واشعت تعظيمه قال الله تعالى * ورفعنالك ذكرك * وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انا اول من نوه بالعرب اى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء وهو مجرور بالعطف على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفى نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور بمن المبينة لمقدر يفسره قوله (بما تكل عنه الالسنة والاقلام) اوله بناء على جواز تقديم البيان على المبين كماذهب اليه بعض النحاة فلاوجه لرده بمنع تقديم مافى حيز الصلة عليها لانه على هذا متعلق بمقدر او حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زائدة وبما متعلق بتنويه وما عبارة عن امور او وجوه وتكل بمعنى اعيى وتعجز الالسنة والاقلام عن احصائها او على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس اوهو من كل السكين بمعنى عدم قطعها فهوايضا استعارة مصرحة او مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم احد اللسانين فيشبه احدهما بالاخر وينسب له كماقيل * والسنة الاقلام تشكردائما * صنيع الذى اوليت فى اليد والفم * (فمنها) اى مما عبرعنه بما من الفضائل (ماصرح به فى كتابه) الضمير لله اى نص عليه واظهره وقال المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * فلما صرح الشر فامسى وهو عريان * فقال صرح الشر بالنصب اذا اظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشر وبين هو فيكون لازما متعديا بالباء ومتعديا بنفسه (ونبه به) اى بما ذكر فى كتابه واصله معنى ايقاظ النائم وتذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كماهنا والمصنفون يخصون بذكر ما تبين او سبق ذكره ومنه تنبيه فى التراجم وقال التلمسانى اصل التنبيه ان يكون فى شئ وقعت فيه الغفلة عنه من قول اوفعل فلا اشكال ولا التباس (عن جليل نصابه) فى المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والرفعة وله منصب صدق اى منبت ومحتد وامرأة ذات منصب اى حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى فاصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام اى ان الله جل وعلا يذكره له صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هواصل معناه فى استعمال العرب فاقيل انه لم يظهرله معنى هنا الا ان يكون مأخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذى ساد فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة

اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره ويأتى ايضا الكلام عليه (واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه) بيان لما اى مامدحه الله به مما ذكر والثناء ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقى هو تكرير الحمد ولايكون فى الذم وهو فعال من ثنيت تقول ثنيت واثنيت عليه ثناء حسنا والثناء الاسم وربما استعمل فى الشر قال زهير * سيأتى آل حصن حيث كانوا * من الكلمات مافيه ثناء * ولقائل ان يقول انما سمى الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر فى الخير والشر والفعل منه نثا ينثو ويأتى فى صفة مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لايبنى منه فعل وقال بعض اهل اللغة لثناء يكون فى الخير والشر والثناء لايكون الافى الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح ان الثناء مخصوص بالمدح والثناء عام فيه وفى مقابله وليس مخصوصا باللسان كما مر فثناء الله حقيقى ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مائدة الجود فى ساحة الامكان كشف كمال صفاته واظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التى فطره الله عليها والاداب بالمد جمع ادب والادب فى اللغة كما قاله البطليوسى ادبان ادب نفس وادب درس ويقال ادب خبرة وادب عشرة كما قيل * ياسائلى عن ادب الخبرة * احسن منه ادب العشرة * وقال الجواليقى فى شرح ادب الكاتب الادب الذى كانت العرب تعرفه هو مايحسن من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوى

* لم يمنع الناس منى ما اردت ولا * اعطيهم ما ارادوا حسن ذا ادبا *

كانه ينكر على نفسه ان يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على ان يسموا العالم بالنحو والشعر اديبا ويسموا هذه العلوم ادبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب او من الادب مصدر ادب القوم اذا دعاهم قال طرفة * نحن فى المشتاة ندعو الجفلا * لا ترى الادب منا ينتقر * فكانه تعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضائل وينهاهم عن القبائح والجهل والفعل منه ادبت فانا اديب انتهى فالادب هنا بمعناه اللغوى وهو اجتماع خصال الخير والفقهاء يطلقونه على ما يقرب من السنن فى العبادة وفى بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ (وحض العباد على التزامه) الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة لطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى اللزوم البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم ايضا او كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق والاداب كما قال الله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة * فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فامر الناس باتباعه

فيها وامرهم الله تعالى ايضا بذلك بقوله * وما آتيكم الرسول فخذوه * وفيه اشارة الى انها على قسمين قسم امر باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصائص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان كان كل ماهو عليه حسن قيل والمراد به ماكان فرضا ونفلا فان التزم ذلك فرضا فنحن نلتزم فعله وفرضيته وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذى التزمه اذا لم يختص به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله (وتقليد ايجابه) لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما عنى المصنف ان ما امرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب اشار اليه بقوله حض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابى كما بين فى الاصول وواجب اشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تأكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالاداب والتقليد وضع القلادة فى الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية اصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز فى الثانى ان يكون مضافا للفاعل وماقيل من ان الثانى اخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقى بل هو مبالغة فى الاحتراز عن تركه او مجاز عن الاتيان من اوجب اذا اتى بالوجبة والضميران لما صرح به او للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى ماحض به على التزام امره تعسف لاينبغى ان يصدر عن مثله (فكان جل جلاله) الجلال العظمة وفى جعل الجلال جليلا مبالغة فى تعظيمه كما حققه الامام المرزوقى فى جد جده وقال الاصمعى الجلال لايوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقول الحماسى

* المم على ارض تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جلالها *

ويجوز ان يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس فالاسناد حقيقى فان اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازى كجد جده والتفريع على ماقبله على مااعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه واعلاء مقامه فانه يدل على انه (هو الذى تفضل واولى) اى انعم واعطى افضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا ونسبا وجعله اشرف الرسل واكثرهم امة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره واولى بمعنى اعطى وفى النهاية ان العطاء من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيرى وعلى الثانى من عطف الخاص على العام (ثم طهر وزكى) الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته وهذا ناظر لاخلاقه وادابه صلى الله عليه وسلم والعطف للتراخى الزمانى او الرتبى لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التحلية مؤخرة على ماقررنا (ثم مدح واثنى) على رسوله صلى الله عليه وسلم فى مواضع كثيرة من القرآن

كقوله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم * ونحوه مما يأتى وهذا ناظر لقوله واثنى الخ والمدح
الثناء بكل جميل اختيار يا كان اولا ولذا اختاره واما كونه للاشعار باختصاص الحمد
بالله فبعيد جدا والكلام على الثناء قد مر وقيل المراد بالتفضل هنا التفضل علينا
بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الذى هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك
والاثام والثناء علينا بكنتم خير امة وغيره وهو لايناسب السياق والسباق (ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى) اثاب بمعنى اعطى الثواب وهو الجزاء فاما انه تجريدا واثاب بمعنى
اعطى او الجزاء مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى
و هو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر اى اثابه وعليه ضميره راجع لما تفضل عليه
والوافى بمعنى التام والاوفى افعل تفضيل منه (فله الفضل عودا و بدأ) اى اولا واخرا
والبدء الابتداء والعود الرجوع والابتداء يقابل بالانتهاء ويقابل بالعود ايضا ومنه
المبدئ والمعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا اومن غير مقابل وهما منصوبان
على الظرفية وقيل على نزع الخافض اى انه تعالى ابتدأ بانعامه على نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم بان خلقه على اتم خلقة واكلها ثم زكاه وطهره ظاهرا و باطنا ثم
عاد على احسانه فتممه وزاده الثناء الجميل والثواب الجزيل ولولم يبدله او جده
واقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد و بالعود الجزاء
والمعاد كقوله تعالى * انه هو يبدئ ويعيد * والسباق يأباه لتفرعه على ماقبله بالفاء
الواقعة احسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما اولاه من المحاسن والمناقب ونسب
مافعله تكرما له ثم مدحه به واثابه عليه اتم ثواب فكان بذلك متفضلا فى البدء والعود
(والحمد اولى واخرى) اى هو مستحق للحمد فى اول الامر وآخره اوفى الدنيا والاخرة
لانه المتفضل دائما فى الدارين وقيل تقديره اولى الحمد واخراه لانه صيغة تفضيل وقد
حقق اهل اللغة انه يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجرى عليه احكامه
ووزنه على الاول افعل وعلى الثانى فوعل وهذا ينون فيقال اولا واذا كان اسم تفضيل
تجرى عليه احكامه ومؤنثه اولى ومؤنث الاول اولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره
المرزوقى فى شرح الفصيح ومقابلهما اخرى وآخرة وقد تغلب عليهما الاسمية
للدارين فيصير ان بمنزلة اسمين جامدين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل
يلزم التذكير والافراد ان لم يضف او يقترن بالالف واللام ولذا خطئ ابو نواس فى قوله
* كان صغرى وكبرى من مواقعها * حصباء در على ارض من الذهب * وان اجابوا
عنه كما فصلناه فى شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه
المطابقة وعدمها فرد بانه سماعى كما فى التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد
منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متأخرة فلا يصح ان يقال انهما تجردا
عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع فى القرآن والكلام ومثله كاف فى ثبوته مع انه يرد على

مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية
فهل هذا الا جمع بين الحادى والملاح واعلم ان ماذكره المصنف معنى بليغ فانه ذكر
انه تعالى ينعم بانواع النعم ثم يمدح عبده ويثنى عليه لقبوله لنعمائه ويجزيه على ذلك اتم
جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا ممدوحه * لا تنكرن اهداء نالك منطقا *
منك استفدنا حسنه ونظامه * فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه *
وله نظائر فى معناه فى كتب الادب وفى لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى
من انعم عليه متجملا قد يحسده و يؤذيه وهو احد الوجوه فى قول المتنبى * واظلم
اهل الارض من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب (ومنها ما ابرزه) اى
اظهره ظهورا تاما لان اصله جعله على براز بالفتح اى مكان مرتفع (العيان)
مايشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال
وفى المثل كما سيأتى فى كلام المصنف ليس الخبر كالعيان بل ورد فى الحديث وروى
كثيرون منهم احمد وابن حبان يرحم الله اخى موسى ليس العاين كالمخبر اخبره ربه
تبارك وتعالى ان قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما رآهم وعاينهم القى الالواح فتكسر
منها ما انكسر وروى للعيان ما ابرزه الله للعيان فاللام للتعدية او للتعليل قيل والمراد
به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا او منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير كالمشاهد
لانه عد منها تأييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره
غير مشاهد الا انه بمنزلته لصحته لا لتواتره لان ادعاءه فى جميعها التواتر غير مسلم ولك
ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته (من خلقه) بفتح الخاء وسكون اللام
كما قيده الشمنى وفى المقتفى انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف
هو التخصيص به فلا تكرار فقيل انه غير سديد لانه ما ابرزه للعيان ولانه سيذكره
غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتأييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق
والايجاد وهو تأويل من غير حاجة وضمير خلقه لله اوللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الاتى مجرورا معطوفا
على خلقه اما لو رفع وعطف على ما ابرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض
على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر (على اتم وجوه الكمال والجلال) الجار متعلق
بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه ام لا اوصفة مصدر مقدر اى خلقا كائنا على آخره
اوحال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على اتم الوجوه اوهو
متعلق بمضاف مقدر اى ابراز خلقه اوهو حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه
المتحققة فى زمن ما اوالوجوه الممكنة وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله
تعالى عليه وسلم فضلا عن ان يساويه ولا داعى لهذه التكلفات فانه غنى عن التأويل
والمراد بالجلال مهابته فى عين رائيه (وتخصيصه بالمحاسن الجميلة) مر بيان المحاسن

والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله كما مر
فى حديث ان الله جميل يحب الجمال وفى عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو
بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفى الحواشى التلمسانية الجميلة والحميدة
كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اى لازم والثانى
بمعنى مفعول ولابد من لحوق التاء فى آخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز
ان يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما ان يكون بمعنى
فاعل كعليم او بمعنى مفعول كجريح وفى المحصول للفخر التاء فى فعيلة للنقل من الوصفية
الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة اكيلة ونطيحة يعنى لغلبة الاسمية وتقديره ان هذه
التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا لموصوف لم يلفظ بالتاء وقد ثبتت لخصلة
حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء فتثبت فيه التاء
كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد اقول
فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم ار من ذكره
غيره وبقية كلامه ظاهر (والاخلاق الحميدة) اى المحمودة وهى الصفات المعنوية التى
هى للباطن كالصورة للظاهر وعليهما مدار كمال البشرية والثواب والعقاب قيل وهو
مبالغة او مجازا والتخصيص فى الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر
التلمسانى التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها او مجموعها
(والمذاهب الكريمة) المذاهب جمع مذهب وهو الطريق ويطلق على ما اختير
من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء والمراد مسالكه صلى الله تعالى عليه
وسلم فى احواله مع امته او فى نفسه * وللناس فيما يعشقون مذاهب * وهو مأخوذ من
الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها ام لا ولذا اختلف فقهاؤنا
فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال نصير يشترط لقوله تعالى * اذهبا الى فرعون *
فانه بمعنى ابتداء والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هى
بمعنى العزيزة المنزهة عن النقائص (والفضائل العديدة) اى المعدودة من المفاخر
من قولهم فلان عديد بنى فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به او المراد الكثيرة قال
صاحب المحكم فى قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج مصدرا وقال المعنى تعد عددا
ويجوز ان يكون نعتا للسنين والمعنى ذوات عدد والفائدة فى قوله عددا فى الاشياء
المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشئ لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج الى
ان يعد واذا كثر احتاج الى العد فالعدد فى قولك اقمت اياما عددا تريد به الكثرة
انتهى فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمسانى انه من العد بالكسر للماء الكثير
تكلف نشأ من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكره ابن هشام عن ابن عبد السلام
فى هذه الآية من ان عددا بمعنى معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر فى الغالب

لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة
رؤس الآى انتهى (وتأييده بالمعجزات الباهرة) التأييد النصر والتقوية من الايد
وهى القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة
والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدى وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة
كالجهل لعدم العلم وهما فى الاصل امر وجودى او متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال
عجز الحجر عن الحركة وهو امر خارق للعادة مقرون بالتحدى او بزمانه على وجه
يدل على صدق مدعى النبوة الذى من شانه التحدى ولا يشترط فيه التحدى بالفعل
والباهرة بمعنى العجيبة او الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه قمر باهر اى تام الاضاءة
او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله * ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل
والحصى والتراب (والبراهين الواضحة) جمع برهان وهو الدليل القوى الذى يحصل
به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقى لمباواتها وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة
(والكرامات البينة) جمع كرامة وهى امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين
بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبى والولى واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة
والتحدى بالقوة او بالفعل وبقولنا اكرم الخ خرج السحر وما يصدر من الكهنة
والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك (التى
شاهدها من عاصره) اى كان فى عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين
من الشهود وهو الحضور عنده او المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن
ام مكتوم رضى الله تعالى عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر (ورآها من ادركه)
اصل معنى الادراك اللحوق يقال ادركه زمنه اذا لحقه ومنه ادرك الطعام والثمر
اى لحق حال النضج وادرك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشئ
لحوقه برؤيته ثم شاع فى معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست
حشوا زائدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته له
صلى الله تعالى عليه وسلم وشاهد حاله كله من الاولين والسابقين وبهذه من
بعدهم على ان الاطناب فى مقام الخطابة مستحسن وفى نسخة عاصرها وادركها
والاولى اولى (وعلمها علم يقين من جاء بعده) من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها
واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفى الشبه وعلم اليقين كشجر الاراك فاضافته
لامية او بيانية على رأى ويلحق به ما كان بطريق الكشف (حتى انتهى علم ذلك
الينا) اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما فى قوله وكل شئ بلغ الحد انتهى
والمراد انه بلغنا ووصل الينا لان من انتهى اليه شئ وصله وضمير الينا للمتأخرين
ومن بعدهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بمتأخرى الصحابة
ممن ولد بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع

الامة تفصيلا والافهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده (وفاضت انواره علينا) اصل معنى الفيض فى الماء ونحوه من المايعات يقال فاض السيل اذا كثر وافاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلاء وافاضه صاحبه ملأه وفاض الخبر كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعى واثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سائل متدفق والمراد بانواره ماظهر من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوللعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او اراد بالنور الايمان ومايترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذة من ظلمة الضلال وفى نسخة وفاضت حقيقته وانوارها اى الحقيقة المحمدية ومالها من الكمال فى نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة اوللكرامات (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا) اى دائما عقب ماذكر مما وصل للامة من خيره بالدعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم ولآله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر (حدثنا القاضى الشهيد ابو على الحسين بن محمد الحافظ قراءة منى عليه) قراءة منصوب بنزع الخافض اى بقراءة منى عليه اومفعول مطلق اى وانا اقرأ قراءة وقراءة منى عليه صفتان له وهذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله تعالى من طريق الترمذى وهو حديث حسن اخرجه احمد والبيهقى فى سننه والقاضى المذكور شيخ المصنف قرأ عليه بالاندلس وهو ابن فيرة بن حيون الصدفى السرقسطى الاندلسى المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة فى اسماء الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس فى وقعة تعمتره وقعت فى سادس ربيع الاول سنة اربع عشرة وخمسمائة وله من العمر نحوا من ستين سنة والحافظ وصف لكل من اكثر رواية الحديث واتقنها وقد انقطع هذا فى عصرنا وكان آخر الحفاظ السيوطى والسخاوى وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان اجازه غيره كما فصلوه (حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار) ابن احمد المعروف بالحمامى بفتح الحاء المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من اهل الخير والصلاح (وابو الفضل احمد بن خيرون) فى المقتفى هو الحافظ الناقد ابو الفضل احمد بن الحسن ابن احمد بن خيرون البغدادى الباقلانى سمع من ابى على بن شاذان وابى بكر البرقانى وروى عنه خلق كثير وروى عنه شيخنا الخطيب ابو بكر وابو على بن سكون وابو عامر العبدرى وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفى فى رجب سنة ثمان

وثمانين واربعمائة وله من العمر اربع وثمانون سنة وقد ذكره فى الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخاء المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزى ان الاصل فى خيرون الصرف الا ان المحدثين لايصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعنى ان هذه الصيغة لمالم تعهد فى الاعلام المفردة اشبه من الاسم الاعجمى وهو احد الوجوه فى امثاله من الاعلام التى على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما فى شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرف بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله ويعرب بالحركات مع لزوم الياء كغسلين او الواو كهارون ويمتنع حينئذ من الصرف كما ذكرناه وقال ابو العلاء المقرى فى كتاب عبث الوليد ان بعض العرب يجعل الف نحو الصلاة واوا فهذا منه ولذا منع صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناش من عدم الوقوف على كلام النحاة فى امثاله (قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى) احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا رحمه الله تعالى وقال انه سمع على بن على السنجى جامع الترمذى ببغداد ويعلى بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة (قالا حدثنا ابو على السنجى) بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لسنج مرو وهو كما قال ابن ماكولا ابو على الحسين بن محمد بن احمد بن شعبة المروزى السنجى ورد ببغداد وحدث عن الترمذى بجامعه عن ابى العباس محمد بن احمد بن محبوب عن الترمذى وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره (قال حدثنا محمد بن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى المروزى راوى جامع الترمذى (قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ) سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم راء مهملة وهاء والد ابى عيسى الترمذى الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن قيل انه ولد اكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات بترمذ فى رجب سنة ثمانين وتسعين وسبعين قال الذهبى فى الميزان انه ثقة مجمع عليه ولاعبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمها كما قاله السمعانى ونصبهما كما قاله النووى فى التهذيب (قال حدثنا اسحق بن منصور) الكوسج الحافظ المشهور توفى سنة احدى وخمسين ومأتين وهو ثقة فى الرواية (قال حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع ابو بكر الصنعانى احد الاعلام الثقاة الذين يروى عنهم اصحاب الكتب الستة وهذا حديث حسن مسند فى الترمذى وغيره ولم يرووه الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتفى والسيوطى فى تخريج احاديث هذا الكتاب (اخبرنا معمر) هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد بن عروة البصرى عالم اليمن ثقة له اوهام معروفة احتملت له فى سعة ما اتقن وله ترجمة فى الميزان

توفى فى رمضان سنة ثلاث اواربع وخمسين ومائة باليمن اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى اربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق كثير وعن ايوب وشعبة وخلق توفى سنة سبعة عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وستأتى ترجمته فى الباب الثانى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) بصيغة المجهول اى اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به فى غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث و براق كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمى به لشدة سرعته كما يقال مر كانه برق خاطف او لشدة تلألئه و بريقه او بياضه وقال المصنف رحمه الله تعالى انه سمى به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقاء اذا كان خلال بياض صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به فى بعض طرق هذا الحديث من انه ابيض الا ان يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفى كتاب خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبى جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة وراء مهملتين وفاء كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه كالبقر كانها ياقوتة وظهره كدرة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما ورد فى الصحيح وهو مذكر وسمع تأنيثه باعتبار الدابة وقيل تذكيره كتذكير الملك وتذكير وصفه فان مبنى التذكير على عدم التأنيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس بذكر ولا انثى وقول جبريل فى رواية تأتى يا براق لا تنفرى لا ينافيه لانه نظرا لظاهر حاله واحتمال التأويل او نظرا للحوق تاء الوحدة اذ لم يقم دليل على احد الشقين وقوله تعالى * ومن كل شئ خلقنا زوجين * اغلبى او مخصوص بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بما له مؤنث لانها اصل فلا جمع بين معنيين متنافيين فى قائم وقائمة كما توهمه الكندى وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا مانع منه كذلك العرش وهو دابة مخلوقة فى الجنة وقد قالوا انها يدخلها بعض دواب الارض ايضا و بلغوها نحو عشرة ونظموها فى شعر مشهور (شعر)

* براق شفيع الخلق ناقة صالح * و عجل لابراهيم كبش لنجله *
* وهدهد بلقيس ونملة بعلها * حمار عزير كلب كهف لمثله *
* و حوت ابن متى ثم بافورة لمن * يبر بام فى رخاه و محله *
* فهذه عشر فى الجنان وغيرها * يكون ترابا يوم حشر لكله *

(ليلة اسرى به) بصيغة المجهول والجار والمجرور قائم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية بأتى والاسراء كان ليلا فى سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل لسبعة عشر

خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين من ربيع الاخر وقيل من رجب وقيل انه كان فى شوال وكان ليلا لانه ادل على القرب وسنه صلى الله عليه وسلم خمسون سنة وتسعة اشهر واسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل اسرى لاوله وسرى لاخره واختار السهيلى ان سرى لازم واسرى متعد ترك مفعوله والاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سيأتى لان ماذكر هنا استطرادى (ملجما مسرجا) مخففان بزنة مصحف اى مهيأ للركوب بسرجه ولجامه وهما حالان من البراق وهل هو علم او اسم جنس منحصر فى فرد كالشمس الظاهر الثانى لوروده معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين مما لا ينبغى الاشتغال به لكن الامام السهيلى رحمه الله تعالى افاد انه كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم تركبه الانبياء عليهم الصلوة والسلام ذكره فى شرح السيرة وستسمعه عن قريب (فاستصعب عليه) ضمير استصعب للبراق او للركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اراد ركوبه لم يقر حتى يركبه و يجوز عود ضمير عليه للبراق ايضا اى صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبنى للفاعل و يجوز بناؤه للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت الامر اى وجدته صعبا يعنى انه امتنع وابى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر اى شمس كما ورد فى بعض الروايات و يقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروى ان جبرائيل عليه الصلوة والسلام مسك ركابه وميكائيل عليه الصلوة والسلام زمامه ومن هنا علم ان قول بعض الشعراء فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * جبريل خادمه وميكائيل * ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه احد قبله قال الشمنى رحمه الله تعالى وهو مبنى على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يركبه اوهو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه فى ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه احد منهم وان ركبوا غيره او لما فى جبلة الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأباه ما روى من انها نفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره فى حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انما توقف حتى يأخذ عليه العهد ان يركبه فى الجنة كما فى قصة الجزع وحنينه ومن الغريب ما فى تذكرة القرطبى فى تفسير قوله تعالى * خلق الموت والحيوة * ان الموت خلق فى صورة كبش والحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وقد كانت الانبياء عليهم الصلوة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وطعن الحلبى فى صحته عنه وقال السهيلى فى الروض الانف بعد ما نقل الخلاف فى ان البراق

هل كانت الانبياء عليهم الصلوة والسلام تركبه قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اولا وماورد فيه ان سبب نفاره ماورد فى كتاب البعث ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال له يا محمد هل مسست الصفراء اليوم فقال مامسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد من دون الله وقد اختلفوا فى المراد بالصفراء فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شئ مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم مذهب كسره صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح وسبه له اما اهانة اولارادة كسره اوغير ذلك وقال ابن حجر رحمه الله تعالى هذا واه جدا (اقول فى الخصائص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر اخرجوا عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبرى والبيهقى معنى قوله انما عهده الى آخره انه شهد من استلم الاصنام لانه صلى الله تعالى عليه وسلم استلمها او المشاهد مشاهد الخلف ونحوه لامشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث انكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده الى آخره فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروى ايضا ان بوانة صنم كانت لقريش تشهده يوما فى السنة وابو طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ان يحضره فابى فغضب هو وعماته فقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا اوتكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ماذهالك قال انى اخشى ان يكون بى لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فارأيته قال انى كلما دنوت من الصنم منها تمثل لى رجل ابيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فاعاد صلى الله تعالى عليه وسلم الى عيدلهم حتى تنبأ وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلى تردد فيه فى الروض بقى هنا انه هل اردف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل ام لا فذكر البرهان انه اردفه خلفه وفى رواية انه ركب قدامه والذى ظهر لى انه انما استصعب لما لم يعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظن انه غير نبى فاذا عرق خجلا لما اعلمه جبريل عليهما الصلوة والسلام بانه نبى الله (فقال جبريل) عليه الصلوة والسلام للبراق لما فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت اربعة عشر لغة جبريل وجبرين وغيرهما مما يأتى فى اثناء الباب الثانى وبعضها قرئ وهو عبرانى او سريانى ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله تعالى فى لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لايعرف من اسماء الله تعالى ليس بشئ (امحمد تفعل هذا) فى نسخة زيادة

يابراق وفى رواية ابن حبان ماحملك على هذا ماركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقى يابراق والله ماركبك مثله وروى البزار يابراقة لاتنفرى من محمد فوالله ماركبك ملك مقرب ولانبى مرسل افضل من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى انشاء الله قيل ففى رواية المصنف رحمه الله تعالى اختصار فان قيل بتعدد الاسراء فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكارى وقدم الظرف لتخصيص الانكار او زيادته به لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من علاه فلايليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب اولما فهم منه كما اشار اليه بقوله (فماركبك احدا كرم على الله منه) الفاء للسببية واكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللؤم والكرم فى العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس احد عند الله اكرم منه ولا افضل ولامثله ولايدانيه والعبارة قاصرة قلت قال فى شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ماطلعت شمس ولاغربت بعد النبيين والمرسلين على افضل من ابى بكر رضى الله تعالى عنه ومثله وان كان ظاهره نفى افضلية الغير لكن انما يساق لاثبات افضلية المذكور ولهذا افاد افضلية ابى بكر رضى الله تعالى عنه والسرفيه ان الغالب فى حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوى فاذا نفى افضلية احدهما ثبت افضلية الآخر انتهى وقيل اذا قيل ليس فى البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف فى استعمال البلغاء وروى هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ الافضل لابد له من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد فى بعض آخر فقصد بنفيه نفى لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال النووى انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله * ولاترى الضب بها ينجحر * وقيل الذى رواه النسائى والسهيلى وابن هشام والقرطبى انه ركبه غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحج عليه فى كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووى اشتراك جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه فى الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف اى معراج من نور وقال الشيخ عز الدين بن غانم المقدسى فى كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى بيت المقدس الاول البراق ثم مركبه الثانى الى سماء الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سماء الدنيا الى السماء السابعة

اجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس الرفرف الاخضر من النور مد ما بين الخافقين (قال) هو من كلام الراوى عن انس رضى الله تعالى عنه (فارفض عرقا) ارفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة احمر بمعنى سال و تصبب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله اومهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشرش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف رحمه الله ارفض بمعنى خر على الارض و برك كما روى انقض ايضا والمعروف فى كتب اللغة الاول وفى بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفى السيرة ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت فى معناه بديهة

(شعر) *عرق البراق وقد اراد محمد* يعلو عليه لاجل جل مصالحه*

فكانه لنفاره خجلا غدا لتأسف يبكى بكل جوارحه*

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دأبه فى هذا الكتاب و غير اسلوبه فى غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا اول الاقسام وتاج التراجم والمرام وتقديمه له لاهتمامه به صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ما اراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا مالم يتيسر لغيره من الانبياء عليهم السلام مما يقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لحظائر قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وارسل لدعوته عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوا وارسلوا له بعض المقربين بمركوب كانوا يسمونه فرس النبوة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلوة والسلام انه اكرم خلقه عليه وسيأتى تفصيله فى بابه ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الاول فى ثناء الله تعالى عليه ﴾

الثناء المدح كما تقدم تقريره (واظهاره عظيم قدره لديه) بقول غير ثناء ظاهرا كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذ الاصل فى العطف التغاير او اراد بالفعل القول الصريح فى ثناء وغيره والمراد عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام او مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهى وهو تباين جزئى فالثناء من غير تفضيل ينفرد به الاول و ينفرد الثانى بالاسراء ونحوه ومادة الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فان اريد بالثناء ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح (اعلم ان فى كتاب الله العزيز) بالجر صفة لله اوللكتاب لان العزيز معناه القوى الغالب و يقال عزه اذا غلبه وفى المثل من عز بز وهو من اسمائه تعالى ويوصف القرأن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فاق كل كتاب وغلبه واعلم امر من العلم يصدر به ما يعتنى به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغى ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك

فى القرأن وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتى كل ما قدرا*

(آيات كثيرة) اسم ان كثيرة وصفته جمع آية واصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرأن وجمع من الحروف له مبدأ ومنقطع مندرجة فى سورة فى الاكثر وفى اشتقاقها ونصر يفها ما مر شئ منه (مفصحة بجميل ذكر المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم اى مبينة له والافصاح لغة الكشف و يقال افصح اذا اتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمصنف رحمه الله تعالى عداه بالباء ولم يسمع فهى بمعنى عن فانها تأتى بمعناها ولا يختص هذا بمادة السؤال كما فى قوله عز وجل فاسئل به خبيرا اوهو مضمن معنى ناطقة اى دالة او محمول على ما هو بمعناه كاتى او المراد انها مبينة فى حد ذاتها والباء للملابسة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر بها لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات وخصه بعضهم بالاختيارى ولنا فيه كلام فى حواشى التهذيب (وعد محاسنه) اى تفصيلها لما بينهما من الملازمة فى الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان (وتعظيم امره) اى شانه وماله فى نفسه اوهو مقابل النهى والمراد ايجاب اتباعه فترك النهى اكتفاء لان الامر بالشئ نهى عن ضده اوالمراد مطلق الطلب مجازا (وتنويه قدره) اى رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال الله تعالى* ورفعنا لك ذكرك* قيل هو تصريح باللازم او تعميم بعد التخصيص (اعتمدنا منها) اى من الآيات والمراد باعتماده على بعضها اقتصاره عليه اوجعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكأ عليه رأس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة آيات وجمعنا الآتى بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على رأى من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر (على ما ظهر معناه وبان فحواه) ظهر وبان بمعنى اى اتضح وانكشف والمعنى ما فهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفاء لا ما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال ابو على فى المقصور والممدود مأخوذ من الفحا وهى التوابل والابزار قيل و ينبغى ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا فى ظاهر الرواية وانما الخلاف فى صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل المصنف مالكى المذهب ومالك رضى الله تعالى عنه لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد وقيل انه بمعناه اللغوى فهو من عطف احد المترادفين على الآخر وقد تخص الفحوى بما يفهم

قطعا اومن خلال التراكيب وان لم يكن بالمطابقة (وجمعنا ذلك) المعتمد عليه
﴿ فى عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثناء ﴾ وليس من
قبيل الفصول المذكورة والمدح والثناء متقاربان وليس من عطف الخاص على العام
كما قيل (وتعداد المحاسن) بالجر عطف على المدح وذكر الحلبى انه صحح نصبه
ووجهه بان اصله ومجئ تعداد على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بعد حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوب على الحالية سهو وتعداد بفتح
التاء مصدر بمعنى التعديد (كقوله) تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية)
بالنصب بتقدير اعنى او اذكر او اقرأ اشارة لبقية الآية اختصارا قال بعض المفسرين
هذه الآية آخر آية نزلت وقد قيل يستفتونك فى آخر النساء وآخر سورة براءة وقيل
آية الربوا واراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع فى حديث جمع القرآن
ان هذه الآية لم توجد الامع خزيمة الانصارى رضى الله تعالى عنه ووقع فى البخارى
مثله فى قوله تعالى * رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخره واستشكل ذلك
بانه ينافى اتفاقهم على تواتر القرآن واجيب بان المراد التثبت فى تلقيها ممن تلقاها
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة فى استظهار ما كتب بين
يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انه وجد من شاركه فى حفظها فتواترت وقيل
المنفى وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر (قال ابو الليث السمرقندى) رحمه الله
تعالى نسبة لسمرقند مدينة معروفة بما وراء النهر قال التلمسانى المصحح فى النسخ
بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع فيه صاحب
القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهى معرب شمركند
وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندى هذا هو الامام الجليل المعروف
بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى المشهور صاحب
التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان
توفى ليلة الثلاث لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاث
مائة ومن ائمة الحنفية ايضا آخر يدعى بابى الليث السمرقندى متقدم على هذا كما قاله
السمعانى وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما (وقرأ بعضهم من انفسكم
بفتح الفاء وقرأ الجمهور بالضم) اى بفتح الفاء وضمها والواو فى قوله وقرأ من الحكى
فهو معطوف على مذكور فى اصله وفى عبارة المصنف على مقدر وفى المحتسب لابن جنى
انها قراءة عبد الله بن قسط المكى ومعناها على الفتح من خياركم واشرفكم ومنه
قولهم هو من انفس المتاع اى اجوده وخياره ومنه المنافسة وهى اشتداد الرغبات فى امر
يقتضى التحاسد عليه والغبطة وهى كما فى شرح ادب الكاتب مأخوذة من النفس فكان
المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه عنده وهذه القراءة شاذة كما يعلم من
نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيصن ورووها فاطمة رضى الله عنها

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وانفس على الفتح افعل تفضيل وجوز التلمسانى
فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد
ولدت من نسله صلى الله عليه وسلم كما يأتى الا بنى تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور
بالضم كثير من الخلق جمعه جماهير وحكى التلمسانى فتح جيمه وهو غريب (قال القاضى
الامام ابو الفضل) عياض وهو رواية بالمعنى لانه لا يمدح نفسه وعبارة المصنف
كما فى بعض النسخ قال ابو الفضل وفقه الله تعالى وقد سقط كله من بعض النسخ
المتداولة (اعلم) ماض من الاعلام (الله تعالى المؤمنين) جعل المخاطب هنا المؤمنين
لقوله تعالى فى سورة آل عمران * لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم * والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب هو المسمى فى الاصول
بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم فى زمان النزول او النازلين فى
مهبط الوحى او يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف
فيها بعد الاتفاق على دخولهم فى حكمه وانما الخلاف فى كونه يدل عليهم وضعا
اولا فالدلالة هل هى قياس او اجماع او دليل آخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه
بالخلاف المذكور فى المنطق بين الفارابى وابى على فى عنوان موضوع القضية
وان لم يتنبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون ببعثته صلى الله تعالى
عليه وسلم فى الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان
عليهم او اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا
اكد بالقسم او هو للاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظيم قدره وقيل
انه لتنزيل العالمين منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير
عن شكرها وقيل هو لقصد اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل
ان قوله بالمؤمنين التفات مراعى فيه نكاته او هو من وضع الظاهر موضع المضمر
تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفى الالتفات بعد هنا ورد بان المؤمنين لاسيما
الصحابة رضى الله تعالى عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة
الا ان ينزلوا منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها او اراد
مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل
عن هذه الصفات وفوائدها كما مر (اقول هذا زبدة القيل والقال هنا
وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير يحتاج للتنقيح
والتقفير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال
انه تجريد بناء على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التأكيد لعدم
جهل المؤمنين وترددهم فى مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر (او العرب) على ان المراد
بانفسهم جنسهم وانه صلى الله تعالى عليه وسلم عربى مثلهم وقد رجح هذا اكثر

المفسرين لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله يدل على عموم
اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام * ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم * قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة فى قوله من ذريتنا
اى ابراهيم واسمعيل اذ لا امة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته
صلى الله عليه وسلم بهم مدفوع بالقرائن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم
من ذرية اسمعيل عليه الصلوة والسلام والصحيح عند اهل التاريخ خلافه وقال
ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب اسمعيل ليس اول من نطق بالعربية لان العرب
من ولد قحطان وهو اول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل
باليمن هو واولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل بالحجر فكان منهم
تسعة قبائل قديمة فنطقت السنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب
عليهم الصلوة والسلام ولما بوأ الله اسمعيل الحرم وهو صغير وانبط له زمزم مرت به
رفقة من جرهم فرأوا ما لم يكونوا رأوه فاخبرتهم امه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه
ونزلوا معه فنشأ اسمعيل عليه الصلوة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم
فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعبرية ثم غيروه فقالوا بالعربية لسان العجمي ويقال
لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة فى العرب كتبرز ويعبس
انتهى والذى قاله الازهرى كما مر انهم نزلوا بقعة اوسكنوا بلدة يقال لها عربة
فسموا بها عربا (اواهل مكة) لانهم اقرب نسبا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
اولانهم اول من جاء اليه اولانهم اشرف العرب وهو اشرفهم فهو خيار من خيار
وهذا لا يقتضى تخصيص بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم لان التخصيص المذكور
لا يفيد الحصر وانما يقتضى الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به صلى الله تعالى عليه
وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه الصلوة
والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق على الارض الا من
كان معه فعموم رسالته لهم لعدم وجود غيرهم كآدم صلى الله عليه وسلم واما نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل بعثته على ان دعوة نوح عليه الصلوة
والسلام لم تعم من بعده وكون نوح عليه الصلوة والسلام اول الرسل كما ورد فى الحديث
الصحيح فقد بينه شراح البخارى بما لا مزيد عليه واستدل لعموم رسالة نوح
صلى الله تعالى عليه وسلم بدعائه على جميع اهل الارض حتى هلكوا غير اهل السفينة
واجيب بجواز بعثة غيره فى زمانه وعلمه بانهم لا يؤمنون به فدعا على من لم يؤمن من
قومه وغيرهم الا انه لم ينقل انا وايضا شريعة نوح عليه الصلوة والسلام لم تبق
الى يوم القيمة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا
عليهم لانه عليه الصلوة والسلام لطول مدته اشتهر امره فى جميع الارض وقال

ابن دقيق العيد رحمه الله الدعوة للدعوة يجوز ان تكون عامة فى حق بعض الانبياء
عليهم السلام وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك
وهو كلام حسن (اوجميع الناس) من بنى آدم الموجودين فى عصره ومن بعدهم
الى يوم القيمة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب
عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير
على غيره لما فى الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص وان دفع بان الادلة قد قامت
على خلافه وقد مر ان فى الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة
الى منشئ ما ذكر ولذا رجحه بعضهم وقد مر الكلام فى ترجيح بعض هذه الوجوه
والمنة عليه بكونه من جنسهم لمشاهدتهم معجزته التى تدعوهم للسعادة مع ما فيه من
الرفق بهم لان الجنس لجنسه اميل وانس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئة لا صلية
لم يتيسر لهم التلقى عنه ولا التبس عليهم فان قلت ما وجه قول بعض الشراح
المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح فى القاموس باطلاقه عليهم
قلت قد صرح به جماعة من اهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله
تعالى والعرب تقول ناس من الجن وفى الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل لهم من انتم
فقالوا ناس من الجن ولذا جوز بعضهم فى قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون
بيانا للناس ومن الغريب قول السبكى انه مشترك بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان
واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك وقيل الناس هنا
شامل لمن تقدم عهد الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة انه نزل
الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم فقصد اظهار المنة اوغلب وقيل قصد اعلام
الجاهل واظهار المنة للعالم وفى صحته نظر اقول وجه جعل المجئ شاملا لمن تقدم
انه اخذ عليهم الميثاق على ان يؤمنوا به ويخبروا اممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره
جعل كانه جاءهم حقيقة اولانه سيشفع لهم فى المحشر فكان مجيئه لهم كغيرهم
ولا يخفى بعده وان صح ثم ان اعلام الله بفائدة الخبر اولازمها اذا كان لكثيرين
لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا
للجميع بان يعلمهم بما فيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد فى صحته لا وجه له (على اختلاف
المفسرين) اى اعلامنا مبنيا على اختلافهم فى اختيار بعض بعض هذه الوجوه
وآخر لآخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه (من المواجه بهذا الخطاب)
من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر الميم حرف
جر بيان للمؤمنين اى من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لايق والمواجه بضم
الميم اسم مفعول مرفوع خبرا اومبتدأ على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه
لوجهك اوالخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام

للغير وعلى الكلام الموجه وعلى مايدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منها هنا وعلى مامر متعلق بمقدر صفة او خبر مبتدأ مقدر راى هذا اوماذكر مبنى الى آخره واصله فى جواب القائل من المواجه الى آخره والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف فى كذا والاختلاف مامر من التخصيص والتعميم فالمطلوب تعيين احد الوجوه للسائل وهو كماقيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب امالتضمنه معنى العلم كما قالوه فى قوله تعالى *ليبلوكم ايكم احسن عملا* وعلى قول يونس يجريه فى جميع الافعال او الجملة الاستفهامية مستأنفة كما فى قوله تعالى * ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين *من فرعون* فى قراءة من بفتح الميم فمتعلق الاختلاف متروك اومقدر كانه لماذكر الاية قيل فيما اختلفوا فقيل فى جواب القائل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لايتولد من ذكر الاختلاف وايضا المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده وليس مراد فى هذه الآية الى آخر ماطوله بغير طائل مع ذكره امورا مفصلة من العربية ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الاان علماء الحنفية فرقوا بينهما كماذكره الخصاف فى ادب القضاء فقال الخلاف ماوقع فى محل لايجوز فيه الاجتهاد وهو ماكان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون فى محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لوحكم به قاض ورفع لغيره يجوزله فسخه بخلاف الثانى وهذامعنى قولهم خلاف لااختلاف (انه بعث فيهم رسولا من انفسهم) ان بالفتح وهو مع مابعده ساد مسد مفعولى اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التأويل الا انه لاشتماله على النسبة فى حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كماذكروه وقد افردناه بالتأليف فى الرسائل ولذا قال المحققون انه لايحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهموه وانفسهم هنا بضم الفاء جمع نفس والضمير فى بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من قوله بهذا الخطاب بدل كل اواشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم ونوعهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشأ من تربتهم وبين اظهرهم وان كان للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام (يعرفونه) بيان لفائدة كونه منهم وهى معرفتهم لذاته وصفاته واحواله وذكره فى الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة انواره وهذا جار على الوجوه كلها ايضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل او بالقوة لان عندهم مالايخفى من ذلك وبالفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان

صح بالتأويل السابق (ويتحققون مكانه) اى قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقى خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فائدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولايقدرون على اذيته اوانهم يعلمون انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأخذ ما جاءبه عن احد وفى نسخة مكانته بالتاء وهى اولى لان المكان الحقيقى والمجازى بخلاف المكانة فانها تختص بالثانى كما صرح به اهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة انسب بالمقام وبقوله يتحققون فتدبر (ويعلمون صدقه وامانته) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودايع والامانات وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولماقبلها فلاحاجة الى ان يقال المراد ماعداها ويؤيده حديث هرقل مع ابى سفيان رضى الله تعالى عنه المذكور فى الصحيحين (ولايتهمونه بالكذب) اى لايصفونه به ولوافتراء وتهمة لانه نشأ بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع من احد منهم مايتهمه به ولذا قال هرقل فى حديث البخارى ماكان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وهم يهم بمعنى غلط اوظن واتهمه ادخل التهمة عليه اونسبهاله وفى القاموس تهمه كهمزة مايتهم به وفى معنى التقريب ان هاءه قد تسكن وفى النهاية اتهمته ظننت فيه مانسب اليه وباء بالكذب للسببية اوللملابسة اى لاينسبون ولايظنون ملابسته بالكذب اولايتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية (وترك النصيحة لهم) ترك بالجر معطوف على الكذب اى لم يتهمه احد بترك النصيحة حتى كانوا يرجعون اليه فى مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش وفى معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا اراد له الخير واظهره وغشه فى ضده ومنه التوبة النصوح وهى الخالصة ظاهرا وباطنا الذى لايرجع صاحبها عنها اصلا ورأيت فى فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان فى زمن عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم تاب توبة مشهورة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قائله اذلم يسمع باحد سمى نصوحا فى الاعصر المتقدمة ولم يقل هذا احد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكرت هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه فى مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله (لكونه منهم) متعلق بيعرفون اوبه وبمابعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام اوهو خبر مبتدأ اى وهذا لكونه الى آخره وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب او بلا يتهمون فيكون دليلا له وقد مر ان الكلام يحتمل ان المراد انهم يعلمون نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقوة او بالفعل وقد تقدم مافيه فتذكره (وانه لم يكن فى العرب قبيلة لاولها على رسول الله صلى عليه وسلم ولادة او قرابة) انه بالفتح وهو ومابعده فى

محل جر عطف على كونه وهو عطف مغايرا وتفسيرى تفصيلى وهذا اولى من عطفه
على ان الاول ابعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة
بفتح القاف بنواب واحد وجمعه قبيل وقيل هما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما
فرق فالاول بنواب واحد والثانى من ابا مختلفة اوهو اعم وطبقات انساب العرب ستة
وهو الشعب بالفتح وهو اكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى
العشيرة وقد نظمها الناظم فى قوله (شعر) شعب بفتح الشين والقبيلة *
من بعدها عمارة اصيله * وهى بكسر العين تروى ثم قل * بطن وفخذ بعدها ولاتحل *
وسادس فصيلة توويه * وهى العشيرة التى تليه * والشعوب بضم العين جمع شعب
بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب ولذا قيل لمن يفضل
العجم على العرب شعوبية ونسب له وهو جمع لانه كانصارى وقوله الا ولها الى آخره
يعنى به ان فى كل قبيلة من العرب له صلى الله عليه وسلم اب اوجد اوام ولو جدة بدون
واسطة او بواسطة وفى هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان فذهب الزمخشرى
الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها حالية
والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال النسب
لامتناع الواو والتفريع فى الصفات كما فصل فى محله والمراد بالقرابة القرب من عمود
النسب الفرعى والاصلى مطلقا الا انها فى العرف اذا اطلقت خصت بالفرعى ولذا
لو اوصى او وقف على اقاربه لم تدخل فروعه واصوله والفرق ظاهر بينه وبين اقرب
اقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من قرابته
الا تجوزا وتكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريرى له فى الدرة ينارده فى شرحها
والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى بالقرابة المعنى العرفى لانه لو كان بمعناه الحقيقى
لغة لزم عطف العام على الخاص باو وهو انما يكون بالواو كعكسه وفى شرح السيد
انه يكون باو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم يكن فى
العرب الخ ورد فى الاثر كما اخرجه ابونعيم فى الدلائل من طريق الكلبى عن ابى صالح
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الآية قيل ومثله لا يكون من قبل
الرأى فهو فى حكم الحديث المرفوع وفيه بحث الا انه سيأتى رفعه ايضا واخرج
البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله
تعالى عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه * وسطت نسبتى
الذوائب منهم * كل دار فيها اب لى عظيم * ووقع فى بعض نسخ الشفاء عند
بعض الشراح هنا زيادة وهى قوله (وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى)
* قل لا اسئلكم عليه اجرا (الا المودة فى القربى) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج
احاديث هذا الكتاب ان هذا له طرق كثيرة استوفيناها فى الدر المنثور منها

ما خرجه البخارى من طريق طاوس عند ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم يكن بطن من قريش الا كان لى فيهم قرابة الا تصلوا
ما بينى وبينكم من القرابة واخرج الطبرانى نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه
فالقربى على هذا قرابة اهل مكة خاصة وعلى ما رواه ابونعيم فى الدلائل كما مر قرابة
جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم كما مر فمعنى الاية عند ابن
عباس رضى الله عنهما الا تودونى لاجل القرابة بينى وبينكم والخطاب بقريش
خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت وما روى من انها نزلت
فى آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روى من انها نزلت فى الانصار لانه
لما قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك مالا تستعين به
عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الاية مكية واقوى ما ورد فى سبب
نزولها ما اخرجه قتادة من ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه
فنزلت وهذا محصل ما قالوه فى سبب نزولها وقيل الاية مكية والذى صححه
ابن حجر يخالفه وفى قوله فى القربى تعليلية كما فى ان امرأة دخلت النار فى هرة الحديث
او هى للظرفية المجازية وهو حال او صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان
القربى ظرفا لمودة واعلم انهم اختلفوا فى هذا الاستثناء هل هو متصل او منقطع فقيل
انه متصل والآية منسوخة بقوله تعالى * قل ما سألتكم من اجر فهو لكم * وقيل
هو منقطع لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يبغون على تبليغهم اجرا فالمعنى انى
اذكركم المودة فى القربى وفى زاد المسير انه اختيار المحققين فلا يشوبه نسخ وفى شرح
البخارى ان الاية نزلت لاستكشاف شر الكفار فهى منسوخة باية القتال وهو لا يتم
على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما فى الكشاف من ان المودة ليست اجرا حقيقة
لان قرابتهم قرابته وصلتهم لازمة لهم مودة وهو مقتضى السياق فما فى بعض الشروح
من ان الصحيح الذى يرتبط به كلامه ما اخرجه البخارى من انه لم يكن بطن من قريش
الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم قرابة لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى كما
اخرجه ابونعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشرى نظر اذ لزوم اتصال شئ لاحد
لا ينافى كونه اجرا مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم
بدونه لا يسمى اجرا والثواب لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان
نظر الى الظاهر او ان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شئ او بالمودة لوازمها يكون
متصلا وهو المراد فى هذه الآية وان اريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفى فى الآية
الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن (اقول هذا زبدة ما مخضه التتبع وقد
ظهر لك منه الجواز الوجهين وان المودة اما مودة اقاربه له او مودة بعضهم لبعض وما
طلب اجره بتبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لحرصه على

هدايتهم وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعاله لما فيها من كثرة اتباعه وقوة شوكته والقربى ذوى القرابة القريبة اوالبعيدة كما قيل * اذا كان اصلى من تراب وكلها * بلادى وكل العالمين اقاربى * فكلام المصنف رحمه الله تعالى منزل على الاقوال كلها والضمير فى قوله وهو عندالخ لجميع ماذكرقبله اوللاخير فلاغبار عليه ثم شرع فى توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال (وكونه) ولم يعطفه باو لتحقق المعنيين والقراءتين كما قيل وقد جوزوافيه ان يكون عطفا على مدخول اللام فى قوله لكونه والنصب لعطفه على مفعول اعلم اوتعلمون والرفع على انه مبتدأ خبره قوله نهاية الى آخره واقتصر عليه فى المقتنى واستبعده بعضهم ولاوجه له فان الدراية والرواية تؤيده لانه ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا اخره (من انفسهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح) اى بناء على قراءة الفتح للفاء وهذه المتعاطفات متقاربة ولك ان تفسرها بما يجعلها متقاربة والامرفيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه وفضله لانه اخبار من الله تعالى الذى لايتوهم عاقل خلافه فلايرد عليه ماقيل من ان المبنى على القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا اصله ولاما توهم من ان الامر كذلك قطعا فلاينبغى على القراءة الشاذة نعم يرد على رفع كونه ويدفع بالتأويل وكذا ماقيل من انه مبنى على القراءة المتواترة ايضا فلذا قدمها وهوظاهر السقوط بغيردفع (وهذه) اى المنقبة والصفة الجميلة التى تضمنتها الاية على هذه القراءة وعلى القراءتين اوهذه الآية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتأنيث لرعاية الخبر ارتكاب لمايحتاج للتأويل من غير داع له (نهاية المدح) فى بابه ونهجه المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثانى فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح بعلو الحسب والنسب لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة السنتهم فكان صلى الله عليه وسلم اجل منهم كلهم وهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه فى قولك هو واحد من الناس اومن بنى فلان ونحوه وعلى الثانى هو نهاية النهاية لانهم انفس الناس وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عزوجل * كانت من القانتين * وقوله فلان من العلماء فانه ابلغ من كانت قانتة وفلان عالم ولذا عدل عنه مع انه اوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لادخيل كقوله مثلك لايبخل كما فى شرح المفتاح وهو مأخوذ من كلام ابن جنى فى المحتسب وعبارته العرب تقحم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه اوصافهم تبيينا للامر وتوكيدا له ولوكان فيه وحده لعلق منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله الى ضده ومثله قولهم فى مدح الانسان انت من القوم الكرام اى لك فى الفضل سابقة واول وانت مقيم عليه محفوف به لست

دخيلا فيه من غير اول ولا اصل فيخشى بنوك عنه ولما اريد مثل هذا فى الثناء على الله ولم يجزان يكون تابعا فيه لسلفه ولاموجودا فيه نظير عدلوا به الى وجه ثالث وهوان يجعل قديما وراسخا عليه فكان اثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذاعرفت هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان من كان اشرف وهو رسول الله فهو اشرف من الاشرف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم ليس نهاية المدح انتهى ليس بشئ فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لابعين الرضاء فيما قلناه واعلم ان دخول من على افعل التفضيل كما فى عروس الافراح على وجهين الاول ان تكون جماعة فاضلة مستوية فى الرتبة فى زيادتها على غيرها فتقول فى كل منها هو من الافضل ولايقال ذلك عند تفاوتها الثانى ان يكون نوع افضل الانواع فيقال فى كل فرد منه انه من الافضل كما فى قوله من انفسكم على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى (اقول هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ولايلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لايخفى فالحق ماقدمناه فانه انفس واعجب من هذا ماقيل ان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بحثا ظاهرا لان مافى الاية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو انفس الخلق وافضلهم ابلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبياء عليهم الصلوة والسلام وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية اوتبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح فى القرآن فيه خفأ فالاظهر انه مبالغة اريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المصنف لا محصل له ويقتضى ان الاية فيها عدول عن الابلغ وهذا ممايقتضى منه العجب (تنبيه) قال بعض الفضلاء رحمه الله تعالى عليه هنا فى حديث انا افصح من نطق بالضاد بيدانى من قريش اى من نطق بالضاد العربية وبيد بمعنى من اجل ولايلزم من كونه من قريش الذين هم افصح العرب ان يكون افصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد ترددت فيه زمانا حتى رأيت الفاضل الكورانى فى شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث وان بيد بمعنى من اجل وفيه نظر قوى وهو ان كونه من قريش لايقتضى كونه افصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذى يشبه الذم (اقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك آخر الحديث وهو تربيت فى بنى سعد والذى صححه ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى انا سيد ولد آدم بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد واسترضعت فى بنى زهرة ويروى انا افصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشأ فى بنى زهرة واسترضع فى بنى سعد واما انا افصح من نطق بالضاد فلم يصح يعنى انه اتفق لسانه فى قبيلتين هما افصح العرب واملحهم فحاز

لب اللسانين المليحين وكل احد انما يفوق فى لسانه قومه فقط فلزم منه ان يكون
افصح من جميع العرب ثم ان ما ظنه منجا لامنجا فيه فانه لايفيد اولا كونه افصح من سائر
قريش فقد وقع فيما فرمنه ثم ان شيخنا الشهاب احمد بن قاسم رحمه الله فى الايات البينات
ذكر كلام الكورانى ورده على عادته فى التصعب عليه انتصارا للجلال بما حاصله
ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وانا افصح منهم فزاد فى الطنبور نغمة
لا تطرب ولا تضحك (ثم وصفه بعد) اى بعد الاعلام المذكور (باوصاف حميدة)
اى محمودة اوحامدة على التجوز فى النسبة (واثنى عليه بمحامد كثيرة) قيل ثم هنا
بمعنى الفاء كما فى قوله جرى فى الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام
والوصف فالترتيب فى الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام فى كتاب
المجاز بان فى صحته نظرا لان الترتيب فيه ان ثم لاتفيد التراخى الابتعسف يرجع لغيره
من الوجوه فالاحسن ان يقال انها للتفاوت الرتبى لان بعثة الرسل عليهم الصلاة
والسلام واشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته
دونها بمراتب ولك ان تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب المذكور لما كان على
ماتقتضى من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشرى فى الاشارة اليه بذلك
فى قوله ذلك الكتاب لاريب فيه على ان ما ذكر كل منهما امر ممتد يجوز عطفه
باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه فى قول السكاكى فاوضح ثم ليقل
فهو تأسيس لاتأكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة
بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهى المحمود به ايضا والثناء بالمحامد
لايغاير الوصف بالصفات الحميدة ولايعاب مثله فى مقام الخطابة مع انه لما كانت
الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الاية
والثانى لما تضمنته مما لايحصى (من حرصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم) من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف ومابعده والحرص
فرط الشره وقيل هو الشح على الشئ ان يضيع وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب
لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتداء لعطف
الرشد عليها وقيل المراد ماقاله الاشاعرة من انها خلق الاهتداء الى الايمان لا الدعوة
اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس
على الدعوة التى على عادته ولايخفى مافيه وحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على
الدعوة المراد طلب تأثيرها لامجردها والرشد وان كان ضد الغى فهو الهداية فينبغى
تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا لتغايرها كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو
ان ابن عبد السلام رحمه الله تعالى فى القواعد فى قوله تعالى * فان آنستم منهم رشدا *
ظاهر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه ومايبطله لانه لو شدد بطلت

التجارات والمعاملات وهذا يشكل على اشتراط الشافعية فى الرشد حسن التصرف
فى المال والصلاح فى الدين بحيث لايلم بكبيرة ولايصر على صغيرة فان اجماع المسلمين
على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والاية
لاتدل على ماذكروه والعجب من الامام فانه قال فى النهاية اذا بلغ الصبى ولم يوجد
منه ما يخالف الرشد انفك الحجر عنه (اقول قد رد كلام الفقهاء بوجوه ثلاثة
مخالفة الاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم
فاسد والله يعلم المفسد من المصلح * فان الذى قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو
صلاح الدين والدنيا بلا شبهة والمشروط فى الاية ايناس الرشد وهو كما قاله
المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور اماراته فاله النظر لظاهر الحال وهو
الذى عول عليه الفقهاء واشار اليه فى النهاية فلا مخالفة بين ما قالوه والاسلام
معروف وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المصنف قدم هذه
الصفة مع تأخيرها فى الاية لان المقام مقام مدح وهو فى الحرص اتم واكمل وسياق
الاية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين (فان قيل المنة
فى الحرص اتم قلنا مسلك الاية على الترقى وماهنا بخلافه للتفنن فتدبر تدر مقاصد
المصنف ولطف نظره او يقال لما كانت العزة منشاء لحرصه صلى الله تعالى عليه
وسلم قدمت فى الاية على وفق الواقع لبيان حاله فى ابتداء امره فلما حكاه المصنف
رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذى به الحمد ثم انه جعل متعلق
الحرص فى كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة
السياق عليه ولقوله فى غير هذه الاية ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر
بعضه بعضا والحرص لايتعلق بالذوات (وشدة مايعنتهم) من الاعنات قال الله
تعالى * ولوشاء الله لاعنتكم * او من التعنت وبكل منهما روى كلام المصنف
رحمه الله واثبتهما اهل اللغة فقالوا يقال عنته واعنته والعنت المشقة او الوقوع
فيها ويجئ بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب رحمه الله
تعالى على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على
مجرور على التى تعلقت بالحرص ولايستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف
مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن اى وكراهة شدة الى آخره اقول هو كما قال
معطوف على حرصه ولكن لاحاجة فيه الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب
شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن
كراهته لمايضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن اوقعه التقدير
فيما وقع فيه وعزته عليه الاتية معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه
وما موصولة او مصدرية وفى قول المصنف المذكور اشارة الى جواز الموصولية
فالتقدير ماعنتموه لا ماعنتم به لان حذف العائد المجرور ضعيف فما قيل من ان

ان المصنف اشار الى ان المراد فى الآية ماعنتم به وقد جعلت مامصدرية اى عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لاوجه له قال فى المصباح تعنته ادخل عليه الاذى واعنته اوقعه فى العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى (و يضر بهم فى دنياهم واخراهم) يضر بفتح الياء وضم الضاد المعجمة مضارع ضرورى بضم الياء وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال اضره واضر به فلايلتفت لمن انكره لظنه ان همزته انماتكون للتعدية ومعنى اضره واضر به اوقعه فى الضرر والدنيا تقال فى مقابلة آخرة واخرى كما فى عبارة المصنف (وعزته عليه) عطف على شدة عطف تفسير لقوله تعالى انما اشكوا بثى وحزنى ففيه اشارة الى تفسير عزيز فى الاية وانه من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال * يعز علينا ان نفارق من نهوى * وله معان اخر مفصلة فى كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يؤخر الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لمايعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولاحاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع فى عليه فان التفسير لاينافى التنازع (ورأفته) صلى الله تعالى عليه وسلم (ورحمته بمؤمنيهم) معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق بماقبله على التنازع ولاتنازع فى الاية الاعلى رأى من يجوز التنازع فى المتقدم والرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لاللفاصلة كما قاله القاضى ومن تبعه لوقوعه كذلك فى الحشو كقوله تعالى * رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها * بل لان اصل معنى الرأفة التلطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات * ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت لهم ولا كبرياء * فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما فى المثل الايناس قبل الابساس والذى غرهم قولهم فى كتب اللغة الرأفة اشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره والرحمة فى كلامهم بمعنى رقة القلب فى حق البشر وهى فى حقه تعالى بمعنى الانعام اوارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رأيت الامام القرطبى قال فى شرح الاسماء الحسنى مانصه قال الله تعالى * وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة * الآية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة فى المشاهد انما تحصل بمعنى فى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه ومن يعطفه انتهى فحمدت الله تعالى على موافقة الصواب ثم اضافة مؤمنيهم للضمير ظاهر فى ان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت قوله السابق اعلم الله الى آخره يشعر بان رأفته ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤمنى المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المؤمنين وبينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع

بان الاضافة بيانية اى بالمؤمنين الذينهم المخاطبون واتى بالظاهر ليبين علة الرأفة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا او قصد عود الضمير على ذكر غير المؤمنين فى الوجه الاول ولايخفى بعده وركاكته والاولى ان يقال الضمير عائد على شئ مفهوم من الكلام كالمخاطبين اى من ذكر اوالامة (وقال بعضهم) القائل هو الحسين ابن الفضل (اعطاه) اى اعطى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم (اسمين من اسمائه رؤف رحيم) الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدأ مقدر اى هما رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو اعنى ونحوه اوعلى انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من اسمائه والاسم يكون بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف ومايقابل الصفة المشتقة والمراد هنا مايطلق على ذات ومسمى صفة كان ام لا وفى بدايع ابن القيم الاسماء التى تطلق على الله وعلى غيره كحى عليم هل هى حقيقة فى الله مجاز فى غيره اوعلى العكس اوحقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها الاخير انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى اعطاه الى آخره فيه ميل الى القول الاول فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا و بعض الاسماء مجاز فيهما كالنور وبعضها مجاز فى الله حقيقة فى غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب او بالعكس كالك الملك وقاضى القضاة قلت لم يعن بالحقيقة الوضعية اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية اوالعرفية الشرعية وقيل انهامشتركة اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما فى معنى ونقل عن الغزالى رحمه الله تعالى فان قلت كثير من اسمائه تعالى يطلق على غيره كحى وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت قال الغزالى المراد انه تعالى اعطاهماله بمعنى من المعانى التى اطلق بها على الله فجعله صلى الله تعالى عليه وسلم متجليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللايق بجناب العزة كما قيل كل مايصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لماذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلعتى اكرام دال على تميزه عماعداه وفى تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ماوجه اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بتسميته باسمين من اسمائه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلوة والسلام كريما فقال تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لاتخف انك انت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلوة والسلام حليما واسمعيل عليه الصلوة والسلام عليما حليما فقال فى آية * و بشرناه بغلام عليم * وفى اخرى حليم قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا فى سلك واحد ونسق متصل فى القراءة ولايكاد يوجد هذا الافى وصف الله تعالى لنفسه فهى كرامة اكرمه الله تعالى بها ليدل على مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم وان رتبته فوق سائر الرتب (تتمة) اعلم ان الآيات القرآنية حيث ختمت

باسمائه تعالى وقعت مكررة وما كررا مافى معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة فى تلك
الصفة على وجه يليق بالربوبية اومغايرله كعزيز حكيم لافادة احتراس وتكميل لان
العزيز قد يفعل بعزته مالا تقتضيه الحكمة فلما اجرى ماهومن خصائصه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان من الاختفاء به مالا يخفى فتدبر (ومثله فى الاية الاخرى قوله) سقط
هذا من بعض النسخ ووقع بدون واو (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الاية) بالنصب كما مر اى اقرأ الاية اواذكرها فانها مماثلة لتلك فى الدلالة
على انه مبعوث فى قوم هومن جنسهم سواء ضمت الفاء اوفتحت لانه اذا كان صلى
الله تعالى عليه وسلم من اشرفهم كان منهم ضرورة وفى تفسير ابن المنير من انفسهم
من جنسهم يعرفون حاله وانه ماقرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين
والآخرين على ماهى عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه امر خارق من عند الخالق
كل ذلك ابلاغ فى ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضى مانعا
فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله فى الآية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل
فى الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لاتجئ من المبتدأ على الاصح
لا لان مثله لايكون ذا حال كما توهم لان الاضافة ولو للنكرة مسوغة له بلا خلاف
ويجوز ان يكون مثله مبتدأ خبره فى الآية ومابعده بدل منها والمن الانعام مطلقا
او على من لايطلب ويكون بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله
تعالى لانه يمنه بذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لقوله ولا تمنن تستكثر حتى قيل ان من خصائصه
صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة المن وهو مكروه من غيره ولذا قيل انه حرام ايضا
فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال الله تعالى لاتبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى * وكما قال الشاعر * وان امرءا اهدى الى صنيعة *
وذكر نيها انه لبخيل (وقال آخر) * اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا*
من المكارم حتى يثمر الشجر ولاتشنه بمن منك تتبعه *فشيمة المن ان تؤذى به الثمر*
والمنعم المالك الحقيق وعطاؤه عز وعطاء غيره ذل لا آخذه يجعل يده سفلى (وفى
الآية الاخرى * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية) فى هذه الاية
امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامى هو الذى لايكتب ولايقرأ الخط وان قرأ ما حفظه
بالسماع من غيره وانما سمى امي انسبة الى الام كناية كيوم ولدته امه فانه يكون على
جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها اولامة العرب لانهم كانوا اميين الكتابة
معدومة فيهم الا النادر الا حكم له كما ورد فى الحديث بعثت الى امة امية ثم اطلق الاميون
على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تغليبا وقيل
الامى الذى يقرأ ولايكتب والمراد بكونه منهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى مثلهم

قال الله تعالى * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون *
ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مع ذلك اظهر
علم الاولين والآخرين وقص سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة ما تقدم
من بشارة الانبياء عليهم الصلوة والسلام به ونعته فى كتبهم بانه امى واليه
اشار الابوصيرى رحمه الله تعالى بقوله * كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية
والتأديب فى اليتم * وبالاشارة الى الوجه الاول تظرف القائل * من اعجب الاشياء
انى امرء * عمى - خالى وابى امى - (تنبيه) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى كتاب
تخريج احاديث الرافعى عد فقهاء الشافعية رحمهم الله تعالى ان مما حرم الله عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالآية المذكورة وبحديث انا امة امية لانكتب
ولا نحسب والاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يحسنهما ولكن يميز بين
جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد
ان كان لايعلمها لقوله من قبله فى الآية فان عدم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم
سبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وامن
الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن ابى شيبة وغيره ما مات رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجاهد ذكرت هذا للسدى فقال قد
سمعت اقواما يذكرون ذلك وليس فى الآية ما ينافيه وروى ابن ماجة عن انس
رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى
على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على
قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة واجيب باحتمال اقدار الله تعالى له على ذلك من غير
تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ فى المعجزة اوفيه تقدير اى سألت عن المكتوب فقيل بى
هوكذا وفى حديث سهل بن الحنظلية انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر معاوية
رضى الله تعالى عنه ان يكتب للاقرع ابن حابس وعيينة ابن حصين قال عيينة
اترانى اذهب الى قومى بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك بما امر قال يونس بن ميسرة راويه فنرى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بعد ما انزل عليه ومن الحجة عليه ما اخرجه البخارى
فى صلح الحديبية انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث وقال ابن دحية واليه ذهب ابوذر
وابو الفتح النيسابورى وابو الوليد الباجى وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال
انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية وقال ابو بكر بن عربى لما قال
الباجى هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم متشبثا فعقد مجلسا للمناظرة

فاقام الباجى الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الافاق افريقية
وصقلية وغيرهما فجاءت اجوبتهم بموافقته ومحصل ما تواردوا عليه وان معرفة
الكتابة بعد معرفة امية صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى المعجزة بل هى معجزة اخرى
بعد معرفة امية وتحقق معجزته وعليه تنزل الاية السابقة والحديث فان معرفته
صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تقدم تعليم معجزة وصنف ابو محمد بن معوز كتابا
رد فيه على الباجى وبين خطأه وحكى ان ابا محمد الهورى كان يرى الباجى فرأى
فى النوم ان قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انشق وماج فلم يستقر فاندهش لذلك
وقال لعله لاعتقادى لهذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسى فسكن واستقر ثم قص
الرؤيا على ابن معوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى * تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * الاية ومحصل ما اجاب به ابن معوز عن ظاهر
حديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها على ابن ابى طالب كرم الله وجهه وقد وقع
فى رواية البخارى من حديث البراء ايضا لما صالح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اهل
الحديبية كتب على رضى الله تعالى عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل
الرواية الاولى على ان معنى كتب امر الكاتب ويدل عليه رواية المشهور فى هذه
القصة ايضا والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا
فى الاحاديث كتب بمعنى امر كحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الى قيصر
وكتب الى النجاشى وكتب الى كسرى ونحوه وكلها محمولة على انه امر بالكتابة
ويشهد له قوله فى بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله
قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلى رضى الله تعالى
عنه فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره
يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك
علامتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضى ابو جعفر السمنانى انتهى ولا يخفى
بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا (وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم)
فى هذه الاية غاية المدح كالتى قبلها لما فيهما من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
ولذا صرح بالمنة فيها كما بين فى التفسير فلا حاجة الى اعادته كما فى الشرح الجديد
وفى هذه ايذان بانه تعالى اتم النعمة بارساله صلى الله تعالى عليه وسلم كما اكمل دينه
وفى الكاف وجهان احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من
دعوة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الاية لاتم
نعمتى عليكم بالشريعة الحنيفية واهديكم لدين ابراهيم عليه الصلوة والسلام كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله كما ذهب اليه الفراء وهى متعلقة

بما بعدها وهو فاذكرونى اذكركم والخطاب جار على الوجوه السابقة فبعثه بانه
كما قاله ابراهيم تاليا لكلام ربه مزكيا لامته معلما لحكمته وقدم يزكيهم هنا واخره فى
دعوة ابراهيم عليه الصلوة والسلام نظرا للقصد والفعل فيهما كما قاله القاضى احمد
رحمه الله تعالى يعنى ان التزكية هى المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة
فلذا قدمت فى الاية الاتية لانها اهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا
بين المقامين قيل لو استشهد المصنف رحمه الله تعالى باية دعوة ابراهيم لكان احسن
واوفى بالمقصود لما اشتملت عليه من المدائح مع افادة ذكره على السنة الانبياء السابقين
عليه وعليهم الصلوة والسلام وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما ذكر فيفيد
وقوعه والدعاء لا يفيده والباب معقود لثناء الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لثناء
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وان حكاه الله تعالى فهذا ناش من عدم معرفة
مقاصد الكتاب (وروى عن على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى من انفسكم)
قال الفاضل الحلبى يعنى فى قراءة من فتح الفاء كما قاله ابن رسلان ويعضده ما فى
المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قراء من انفسكم بالفتح
وقال انا انفسكم نسبا الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من الحديث المرفوع
وهذا مما اهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب فلذا (قال نسبا وصهرا وحسبا)
تمييز لاسم التفضيل لابهام المفضل به الذى يفسر بتمييزه وقد فسره النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم كما عرفته والنسب القرابة مطلقا او من جهة الاباء وفى النهاية النسب
الولادة القريبة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام كما ورد فى الحديث لم يبعث نبى الا وهو ذو نسب فى قومه وفى
المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسب اى قرابة سواء
جاز بينهما التناكح اولا وجمعه انساب ومنه استعيرت النسبة فى المقادير والصهر
واحد الاصهار قال الخليل اهل بيت المرأة وقال الازهرى رحمه الله تعالى الصهر
يشتمل على قرابات النساء من ذوى المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة واولادهم
والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء اصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج
من ذوى قرابته فهم اصهار المرأة ايضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج
من ابيه او اخيه او عمه فهم الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع
الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم والحسب بفتحتين ما يعد من
المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكون فى الانسان
وان لم يكن لابائه ورجل حسيب او كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما
الشخص الا اذا كان ذلك فيه وفى آبائه وقال الازهرى رحمه الله تعالى الحسب الشرف
الثابت له ولابائه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها لانه مما يعتبر

في مهر المثل والحسب الفعال الحميدة له ولابائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوها (لبس في آبائي من لدن آدم) عليه الصلوة والسلام (سفاح كلنا نكاح) وفي نسخة كلها نكاح بالهاء بدل النون وكذا وقع في سنن الترمذي مرويا بالوجهين اي لبس في آبائي من حيث ابوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدا ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا في الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا كان حاضرا وجاء من لدنا رسول اي من عندنا وقد يستعمل لدى في الزمان واذا اضيف لمضمر قلبت الفه ياء الا في لغة بني الحارث وما قيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تصح الا في ابتداء الغاية كما في عبارة المصنف رحمه الله تعالى الحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي والسفاح الزنا والفجور من سفحت الماء اذا اصببته فكانه اراق ماءه واضاعه وعلى رواية كلها الضمير المؤنث للوطآت واسناد النكاح لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى الاخرى وهي اصح الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولابائه واسناد النكاح لهم بتأويل ذي نكاح ونحوه او على التجوز في الاسناد كانهم تجسموا من النكاح كقوله فانما هي اقبال وادبار والنكاح يطلق على الوطئ والعقد بلا خلاف انما الخلاف في انه حقيقة فيهما او في احدهما على اقوال مفصلة في الفروع والاصول وقيل ولم يرد في القرآن الا بمعنى العقد لانه في الوطئ صريح في الجماع وفي العقد كناية عنه وهي اوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام اولغيره من الاديان السالفة وحيث اخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بوحي من الله انبأه الله به انه صانه واسلافه عما يشين وطهر ارحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الوفاء ينقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيد ان المورخين اتفقوا على ان هاجرام اسمعيل عليه الصلوة والسلام كانت ملكا لابراهيم عليه الصلوة والسلام فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث النكاح بعموم المجاز عقد صحيح بيح الوطئ اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما حققوه هذا وظاهر الحديث انه لا فجور في الاباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ما سبق وما يأتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم يلتق ابواي على السفاح ان المراد طهارة النسل كما اشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي اقول ويمكن ان معنى لم يلتق نسب ابواي بقرينة الروايات الاخر جمعا بينهما (وقال ابن الكلبي) هو محمد بن السائب الكلبي ابو نصر المفسر النسابة المحدث اخرج له الترمذي وسيأتي ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب

وهي قبيلة معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة اربع وثمانين ومائة قاله الحلبي وصاحب المقتفى هذا والمشهور ان الشافعي توفي شهيدا يوم الجمعة سلخ رجب سنة اربع ومائتين وقال التلمساني وصاحب المواهب انه هشام بن محمد بن السائب فالكاتب هو الوالد فلعله نسب الكتابة الاتية تارة الى نفسه حقيقة اوتجوزا فرواه المصنف كذا قال السيد (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا) اي وطئا بطريق الزنا قيل اراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام العم والعمة وام عم الاب ونحوه فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم عليه السلام سبعة واربعين ابا ويعلم من هذا النقل ان السفاح لم يقع في الاقارب كما في الشرح من ان ذلك النقل احط رتبة لا طائل تحته (اقول هذا اشارة الى السؤال المشهور على ما قاله ابن الكلبي رحمه الله تعالى من ان امهاته صلى الله تعالى عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وانت اذا تأملت قول المصنف السابق لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرابة او ولادة عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب واغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما يدانيه فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبائل العرب فجميعهم لهم به صلى الله تعالى عليه وسلم اتصال نسبي ونساؤهم امهات له واحاطة ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتناء بالانساب يعدونها من اعظم علومهم وتوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آباء له صلى الله تعالى عليه وسلم او اعمام او اخوال وجميع نسائهم جدات او عمات او خالات لعده قرابتهم وولادة له والمراد ان نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحواشيه واطرافه جميل لم يمسسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لاني رأيتهم استشكلوه ولم يأت احد فيه بما يشفي الغليل (ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية) وفي نسخة مما كان وفي نسخة اهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى اهل مقدر او المراد الامة او المراد بالجاهلية اهلها كما يطلق المجلس والمقام على اهله والجاهلية زمان كثرت فيه الجهالة وناس كذلك وهي ما قبل الاسلام او ايام الفترة وقد تطلق على زمان الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد انه لبس في نسبه صلى الله عليه وسلم زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيئا الخ من عطف العام على الخاص لا من عطف الخاص على العام كما قيل فانهم كانت لهم انكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المصافحة وعد منها في بعض الشروح امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير طائل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب واورد عليه الزبير ابن بكار ما ذكره المورخون ان كنانة خلف على برة بنت اد

زوجة ابيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على
زوجته بعده اكبر بنيه من غيرها ورد بما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح كنكاح الاسلام وبما ذكره المصنف
رحمه الله تعالى عن الكلبى وقد اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال
السهيلى رحمه الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى * ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء
الا ماقد سلف * فان الاستثناء يدل على تحليله وانه لبس فى نسب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مايعاب وانه لم يكن فى نكاح اجداده صلى الله تعالى عليه وسلم
سفاح الا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ماقد سلف نحو لا تقربوا
الزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يستثن من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه
وفى الجمع بين الاختين لانه كان مباحا فى شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين
راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا
المعزى ونقل هذه النكتة عن ابن العربى وهذا بناء على ان نكاح زوجة الاب
كان جائزا قبل الاسلام وكانوا اذا مات احدهم ورث اولياؤه نكاح زوجته
ولو كرها فانزل الله تعالى * لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها * وظاهر كلام
بعض المفسرين ان نكاح زوجة الاب كان جائزا فى اول الاسلام ويأباه قوله تعالى
* انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * فان كان هنا بمعنى لم يزل وهو احد معانيها
لا زائدة فانها لا تزداد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى انه لم يكن حلا لا ابدا
وقوله الا ماقد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ودفع مامر بما نقله
الجاحظ من ان كنانة من خزيمة وان خلف على زوجة ابيه بعده وهى برة بنت اد
ابن طابخة وهى ام اسد فهى لم تلد منه ذكرا ولا انثى حتى تكون جدة للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ولكن كانت ابنت اخيها وهى برة بنت مر بن اد بن طابخة اخت
تميم بن مره عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس
لما سمعوا ان كنانة خلف على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذى
عليه اهل العلم بالنسب ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نكاح مقت وقد قال مازلت اخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك
فى هذا الخبر فقد اساء واخطأ وكذا ماقيل من ان هاشما خلف على واقدة زوجة ابيه
فانه رد بانها ليست جدة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان ام عبد المطلب انصارية
ولذا كانت الانصار اخوا له صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصل فى السير واعلم ان
المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر آيات قرآنية فيها الثناء على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم سردها فى ترتيب انيق لم ينبه عليه احد ممن تكلم عليه فانه بدأ بقوله تعالى
* لقد جاءكم رسول من انفسكم * الاية الدالة على ان الرسول الذى جاءهم ازال

عنهم العنت والمشقة وهداهم للنور المبين وهو منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ماذكر
من التخلية بما يدل على التحلية من قوله تعالى لقد من الله الخ فدل على انه منة ونعمة
عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدأ منه احد
من الامم ثم يختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم اميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة
مع ان الكتب السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبى الكريم صلى الله
تعالى عليه وسلم لم ينقذوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه (وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما (فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى
اخرجتك نبيا) وروى اخرجك قال السيوطى هذا الحديث اخرجه ابن سعد
والبزار وابو نعيم فى الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابى المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن
الفائق فى العلم والكرم احد العبادلة توفى سنة ثمان وستين فى ايام ابن الزبير وقد كف
بصره كما سيأتى والتقلب تفعل من القلب وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل
اعلى الشئ اسفله وهو بالمعنى الاول فى الاية وفيها وجهان آخران غير ماذكره ابن
عباس احدهما ان المراد تردده فى تصفح احوال الصحابة فى تهجدهم بعد مانسخ
فرضية قيام الليل وان بيوتهم مملوة بالذكر والصلوة ولهم دوى كدوى النحل
او تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلوة الجماعة
الا فى هذه الاية وعلى هذا اقتصر اكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازى
فى اسرار التنزيل واستدل بها على اسلام آباء النبى صلى الله عليه وسلم واجداده فقال
انه كان ينتقل ذرة من ساجد الى ساجد فتدل على ان آباءه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا
مشركين ويدل عليه ايضا ماورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل
ينقل من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال الله تعالى * انما المشركون نجس وسيأتى
تفصيله فى حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب نبى الى
نبى واوضع الوسائط والمراد بالحديث انه لبس فى اصوله سفاح كما مر وفى الحديث
تصريح بان هذا هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه بعد
مدحه بان الله طهر اصوله كما طهر فروعه وملايمة هذا لما قبله وهو فتوكل على
العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك الخ * ظاهرة لان المعنى فوض امورك
كلها فى جميع احوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة او لصلاة الليل ويراك فى
اخفى من هذا ان كنت ذرة فى اصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه
اعظم واقرب الى الله فان العبد اقرب مايكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك
فى ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفى فى علمه خلافا لمن توهم انه لا ملايمة
بينهما وبهذا ظهر ايضا مناسبة هذه الاية لما قبلها فى كلام المصنف ووجه تأخيرها

والمراد بالرؤية ظاهرها او الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك اى حفظك
فى جميع حالاتك من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من اعدائك و ينصرك
عليهم وسقط ايضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان اريد ان جميع الاصلاب التى
حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه و بين غيره من بنى اسمعيل عليه الصلاة
والسلام وقد روى عن ابن عباس ايضا ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان
عنه (وقال جعفر) هو جعفر الصادق ابو عبدالله (بن محمد) بن على بن الحسين
ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه روى الحديث عن ابيه وعن نافع وعطا والزهرى
وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على
امامته وجلالته وسيادته و ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان واربعين ومائة قيل
مسموما ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وعمه فى قبر واحد ويقال انه ولد فى الصديق
مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق وامها اسما بنت عبد الرحمن
ابن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه فى روايته الشافعى
وابن معين وابو حاتم والذهبى وهو من فضلاء اهل البيت وعلمائهم والاحاديث
المروية عنه مقبولة الا رواية اولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه
مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا تزر وازرة وزر اخرى وكانه
لذلك لقب بالصادق (علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته) فى نسخة
ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم
يخالفه قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد اطاعه اطاعة واذا وافقه فقد طاوعه
والاستطاعة الطاعة والقدرة اى انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن اطاعته
كما ينبغى من غير ان يكون بينهم و بينه واسطة من جنسهم لها تجرد باعتباره وتعلق
بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة بين يدى الله
و بين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة
ولا حاجة لها كما قيل الى تفضيل معنى النبوة والرسالة (فعرفهم ذلك) العجز وانهم
لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينهم و بينه رسولا موصوفا بما سيأتى ولذا اقام الله عذر
من لم يأته رسول فقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (لكى يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته) ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصفو بمعنى الصافى الخالص
بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوتها
خلوصها من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات (فاقام
بينهم وبينه) وفى نسخة بينه و بينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا
ورتبة وفى الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدموا رعاية للمقام واقامته

بينهم جعله قائما موجودا بينهم او اقامه خليفة له (رسولا مخلوقا من جنسهم)
وسقط رسولا من بعض النسخ اى بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوى وهو
اعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من ان المراد من جنس اشرافهم
اذ اصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف او المراد من العناصر ونحوها مما يعم
الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه
خير وفى الاخير يكون الظرف لغوا والقصد بهذا زيادة الالتيام وسهولة الاتباع
وقوله (فى الصورة) اى جنسيته صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو بحسب الصورة
الظاهرة لا المعنى الباطنى لما سيأتى فى القسم الثالث لتكون له المناسبة بين الجانبين
فيتأهل للوساطة بين الله وعباده (والبسه) اى كساه الله حللا (من نعته الرأفة
والرحمة) ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت فى بعض كتب العربية
ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لا يقال الا فى غير الله لقولك نعت الثوب
ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول
وعليه كلام المصنف رحمه الله والضمير المضاف اليه نعته لله والرأفة مفعول البس
الثانى وقد قدمنا لك الفرق بين الرأفة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط
فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح اطال فيه هنا بغير طائل (تنبيه) قال
القرافى فى التنقيد شرح مسائل الاربعين الرحمة اصلها ميل الطبع ورقته وهو
مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه اراد
الاحسان واحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلانى الى ان التجوز عن الفعل
فقال رحمته معاملته معاملة الراحم المرحوم وذهب الاشعرى الى انها ارادته
فعلى رأى القاضى الرحمة محدثة وعلى رأى الشيخ قديمة وعلى رأى القاضى يجوز
ان يقال اللهم اجعلنا فى مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى رأى الشيخ يحرم
ذلك لان مستقرها الذات وفى القرآن مواضع لا تستقيم الا على احد الرأيين فقوله
تعالى * ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما * يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة
ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربى الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان
انتهى وهل هى مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية احتمالات بينها فى حواشى
القاضى واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر فى هذا المحل ايات دالة على نهاية
الثناء على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث فى هذه الامة
الامية رسولا هو اعظم مخلوقاته حسبا ونسبا اودعه الاصلاب الطيبة والارحام
الطاهرة وجعل واسطته انبياء و رسلا واوحى اليه بكتاب هو اعظم الكتب
السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة السمحة واتم به دينه
ونصرهم على اعدائهم وملكهم الدنيا واطف بهم اذ جعله بشرا امثالهم يخاطبهم

بلسانهم وفى ذلك رأفة بهم واتم نعمه عليهم وعلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك اذ رأف بهم وانعم عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بصفتين منجا ورتين فى قوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة تميزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله البسه من نعته الرأفة والرحمة يعنى به المذكور فى الاية السابق ذكرها ولم يجمع له غيرهما (فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا فى قوله تعالى فى آية الاسراء * لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير * بناء على ان الضمير لعبده قلت هذا مما ذهب اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجز لهما ذكرهنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المصنف بالذكر فا قيل معنى الباسه الرأفة والرحمة انه وصفه بهما بما شاركه فى اصل المعنى وان تغايرا فى الحقيقة وان بينهما مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما بالبعثة للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين فى قوله تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه ان يأخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا من سراج او يأخذ علما من عالم فانه لايأخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من اشراق سراجه سراج ومن افاضة علمه علم آخر هو كلام من لم يصل الى العنقود مع انه لا تحصل له وليس تحته كبير فائدة (واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا) المراد انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجى العينى او من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اى رسولا من الله اليهم وهو مأخوذ من سفرت الشئ سفرا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به ويظهر ومنه اسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم او جميعهم لعموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى وصدقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم يؤثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر فى حديث هرقل (وجعل طاعته وموافقته موافقته) طاع واطاع بمعنى اى انقاد واذعن وقيل طاع بمعنى انقاد واطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المآل والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر اى من اتفق معه على ماكان عليه فى دينه وقبول ماجاء به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى لله ويجوز العكس لانه لاطاعة لله الا باطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اطاعة للرسول الا باطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقى لانه لاينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله اولانه لايأمر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فطاعته عبادة وقيل المراد ان

طاعته مثل طاعته فى الوجوب لان الله امرنا باطاعته قيل وهو قصور واخفاء وذكر الموافقة بعد الطاعة وهى بمعنى الاطاعة للتأكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقى ان من اطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لايكون مطاوعها الحق وهذا كما قيل ان وجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الموضوع فليس للسواد وجود لايكون تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم فى الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازانى ورد بانه لايستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقى هو ان يصير شيئا بعينه شيئا آخر من غير ان يزول عنه شئ او ينضم اليه شئ وهنا قد انضم الى اوامره ونواهيه كونها وحيا من الله تعالى ليست كاوامره ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطان لوزيره مر الناس عنى بكذا فانه صادر من الوزير بصورة ويعد امرا للوزير وهو فى الحقيقة امر السلطان فالاتحاد مجازى بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هواء اى زالت عن هيولاه صورة خلفتها اخرى او هو من قبيل صار الابيض اسود او انضم اليه شئ آخر كصار التراب طينا وماقيل فى توضيحه ايضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقى وعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هى حقيقة الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هى طاعة لله واين الوجود من الحقيقة وقد تقرر ان وجود العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت فى الخارج لم يكن فى موضوع على ذات البارى لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده فى موضعه انهما لايتمايزان فى الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد مثلا فى نفسه هو وجوده فى الجسم وليس بشئ اذ يصح ان يقال وجد فى نفسه فقام بالجسم وهذا يقتضى المغايرة (اقول انما نقلت هذا مع طوله لئلا يظن ان فى السويداء رجالا وتحقيقه ان المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا فى الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله تعالى اذا اوجب الصلاة وامر بها فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اقامة الصلاة وهى امر واحد فى الخارج وان تغاير مفهوماهما فانه امر اضافى يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض فى نفسه ووجوده فى موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شئ آخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هواء ليس من هذا القبيل لتغايرهما فى الخارج فهذا القائل خبط خبط عشواء واطال من غير طائل فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل يقال اطاعة امره

اطاعة لله مع احتمال امره بخلافه كما فى قصة الاسراء قلت نعم هو اطاعة لله لقوله واطيعوا الرسول من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله) تقدم ان ضميرى طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة فى طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق الشرع والشرع من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو ابلغ الا ان دلالة هذه الآية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها ليست له صلى الله تعالى عليه وسلم اطاعة الا وهى لله بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما فى قوله تعالى * وما رميت اذ رميت * ويحتمل ان يكون معناها من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام فى تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله فى قوله تعاله * قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول * الا ان هذه الآية هى الدالة على انه جعل طاعته كطاعته فى اصل الوجوب لا فى ذاته ووصفه لا الآية التى تلاها المصنف رحمه الله تعالى فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته طاعته انه جعلها قبلها فى الوجوب لان قوله فقال الخ يأباه لتفسيره او تفريعه عليه ما يخالفه كما سيأتى ورد بانه لا ينبغى قصر الدلالة على وجوب طاعته فى الآية الثانية لان الآية التى تلاها المصنف رحمه الله تعالى دالة على ذلك ايضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم يكن مثلها فى كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق بقوله انه جعل طاعته مثل طاعته فى الوجوب وهو كلام حسن والذى جنح اليه القائل ان القاضى وغيره قال فى تفسير قوله تعالى * من يطع الرسول الاية ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضى انه لا آمر ولا ناهى سواه وانه لا اطاعة لغيره الا بحسب الظاهر (وانا اقول هذا كله من ضيق العطن فان كون الامر كله لله لبس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا بامر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت اطاعته وتصديقه واجبان علينا جعل امرا ونهيا ومثله يعد حقيقة بحسب اللغة كما قال فى البردة * نبينا الامر الناهى فلا احد * ابر فى قول لا منه ولا نعم * وفى هذا التفريع خفأ لبس هذا محل بيانه فاى ماس فى النظر بهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز عكسه وجعل عينه ادعاء فلا ينافى الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظرا لما فى نفس المقام ولكل مقام مقال (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) هذا اما ابتداء كلام فى ذكر ما جاء فى الثناء من الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او من تتمة كلام جعفر رضى الله تعالى عنه وبه جزم فى الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول

كلامه اى لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته اقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعث رحمة للعالمين او بقوله البسه من نعته الرأفة والرحمة وهو اقرب والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للكافرين بتأخير العذاب ومنع الاستيصال فمن خالفه فعذابه من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهى رحمة لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا لبيان نفى الغضب مع وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله تعالى ببعثته ان لا يؤمن به قوم فيعذ بهم وليس الحصر هنا نظرا لعموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * او يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو فى جنب الرحمة كالعدم او المعنى لاجل الرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمرى ان ما ظنه مشكلا فى غاية الظهور فانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد فى نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما سيأتى بيانه ولعمرى ان صاحب الكشاف اجمل واجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به اى ما ارسلناك الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اى الا ذا رحمة او هو عين الرحمة وليس للعالمين متعلق بارسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا لارحم بالبناء للفاعل لا للمفعول كما قيل (قال ابو بكر بن طاهر) قال الشمنى والبرهان الحلبى هو ابو بكر بن طاهر ابن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى وقال التلمسانى هو عبد الله بن طاهر الابهرى وهو من اقران الشبلى ومن مشايخ الجيلى عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة وهناك ابو بكر بن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى القيسى يروى عن ابى على الغسانى وروى عنه السهيلى والاول اقدم من الثانى وهو المراد والله اعلم والذى عند سيدى ابو الحسن ابو بكر بن طاهر بن مفوز بن احمد بن مفوز المغافرى الشاطبى والله اعلم ايهم هو انتهى (زين الله محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (بزينة الرحمة) يعلم من هذه العبارة ان فى قوله السابق البسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية (فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق) الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة اى وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من ربنا فتح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا وغيره

واضافته للرحمة كلجين الماء او بيانية وقيل الزينة هنا اللباس اى البسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله بها عليه غير الجبلة البشرية والشمائل جمع شمال بالكسر مثال شمال خلاف اليمين قال الازهرى الشمال خلقة الرجل اى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل اى فى اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمى كتاب الشمائل وما الطف قول ابن الوردى فيه مضمنا

* ياالطف مرسل كريم * ماالطف هذه الشمائل *
من يسمع لفظها تراه * كالغصن مع النسيم مائل *

فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلا فها وقال الشراح صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم تشمل غضبه وظاهر مراه لانه لايغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته واما مراه الحسن فانه لمحبته والتصديق به الاترى ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه لماراه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به وقال انى لما رأيت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان اريد بالخلق جميعهم كامر فقوله (فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى فى الدارين) اى فى الدنيا والاخرة والناجى بمعنى السالم من اصابة مايكرهه ويضره قيل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به بان يكون مصدقا به او انتفع بشئ معتد به اوان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته هداية فمن اهتدى بشئ منهما نجا وقيل المراد بشئ من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كمان من شرب الماء ولم يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وماقبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم من كل مكروه ونال من كل مرغوب واستقام الدنيا والامها لاتعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل الحسنات (من كل مكروه) يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به فى الدنيا كالقتل والسبى واخذ الجزية وفى الاخرة العذاب المخلد (والواصل فيهما الى كل محبوب) اما فى الدنيا فان كان ذاغنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية فى دنيا سريعة الزوال كأن ما اصابه من المكروه لايصاله للنعم الاخروية محبوبا عنده واما حاله فى الاخرة فغنى عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصى المعذب وبان مصائب المؤمنين فى الدنيا كثيرة الا ان يقال فى الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب او المراد انه سبب فى الجملة او الكل بمعنى الجل لاوجه له فانه من قسم الوسواس (الاترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وفى نسخة الم تر وفى نسخة اسقاط ان اى الم تعلم ان الله لم قصر بعثته على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافى الحصر وهذا رغيب كما فى حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فلا مسامحة فى المدعى حتى

يحتاج للتأويل وهذه العبارة تسميها العلماء تنوير الانهاء تشير الى مابعدها موضح لماقبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر فلاتكرار فيه والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وشهرته تغنى عن ذكره (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم) هذا الحديث رواه ابن مسعود رضى الله عنه بسند صحيح ورواه الحارث ابن اسامة فى مسنده بسند صحيح ايضا والحديث الذى بعده فى صحيح مسلم وفى رواية موته بدل مماته اى كل منهما نافع لامته صلى الله تعالى عليه وسلم فلايتوهم انقطاع نفعه صلى الله عليه وسلم عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثنى والخير النفع الذى يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضيل مخفف من اخير كشر من اشر ولاينطق باصله الا نادرا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال خير الناس وابن الاخير وقرئ فى الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا اى كل من حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب او ان حيوته انفع من موته فى وقتها وموته انفع فى وقته من وجه لنفعه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بنحو شفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشى على الاحتياط وكالاثابة بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشية من اختلاف امته وارتفاع التشديد بتوقيره وفى الحديث زيادة فى بعض التعاليق وهى اما حيوتى فابين لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتى فان اعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت وايضا فان الملائكة عليهم الصلوة والسلام تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه وتبلغها اله فى وقت واحد وان لم يحص عددها كما سيأتى * كالشمس فى كبد السماء وضوئها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا * كما فى بعض الشروح ونقل فى بعضها مالامساس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مت لاازال انادى فى قبرى امتى امتى حتى ينفخ فى الصور فطنين الاذان لماتدركه الروح المتمكنة فى قلبه ورأسه من ذلك النداء فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الاذان اداء لشئ من حقه كما فى العطاس كما قاله الترمذى رحمه الله تعالى ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سادت فاطمة امها خديجة رضى الله تعالى عنهما وجميع اخواتها ممن مات فى حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى صحفها من مصيبتها به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل عليه انه لاشبهة فى ثوابها بهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل امها بذلك بل بكونها بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى سنن ابى داود لا اعدل ببضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم احدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة افضل نساء العالمين الامريم ابنة عمران ونحوه ولوكان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عايشة رضى الله تعالى عنها خديجة رضى الله تعالى عنها والاكثر على خلافه ثم اورد على حد الاجتهاد من الخير الذى حصل بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان فى زمنه ايضا كما بين فى كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع مايتفرع عليه من المذاهب والتأليف قيل وعرض الملائكة عليهم الصلوة والسلام الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم ممن لايحصى فى وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سيأتى مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم فى حيوته لانه هداهم لسبيل الخير ومادام صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تعالى * وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم * ورحمته لهم فى مماته لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فرطا لهم كما سيأتى وبه فسر قوله تعالى * وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم * ثم ان تفضيل فاطمة وعايشة رضى الله تعالى عنهما بما مر لاينافى كون خديجة رضى الله تعالى عنها افضل لانه قد يكون فى المفضول ماليس فى الفاضل كما لايخفى واعلم انه حكى عن الاشعرى والقشيرى واصحابه انهم قالوا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بنبى فى قبره وان رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكى انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف يقال مثله مع ماصح فى الحديث من ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء فى قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره باق على ما كان عليه حتى سئل النووى رحمه الله تعالى عمن رآه صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه يأمره بامر هل يجب عليه ام لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له فى خاصة نفسه ينبغى العمل به وانما لم يجب لان النائم لم يضبط ماقيل له وربما لم يفهمه او يكون اشارة لما يحتاج للتأويل وهو كلام حسن فلا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من رآنى فقد رآنى حقا الحديث (وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) هذا الحديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه فقال اذا اراد الله تعالى رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة احيا نبيها فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وهكذا فى النسخ بتقديم الفرط ووقع فى بعضها مؤخرا وكأنه من الناسخ والذى فى مسلم باضافة رحمة لامة مخالف لما

فى الشفاء فقول المخرجين انه حديث مسلم لايخفى مافيه فلعله رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم وغيرهم امة الدعوة والمراد الاول والقبض فى الاصل اخذ الشئ واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله او الملك زيدا او روحه والمشهور فى الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء فى قبورهم ولاتأكل الارض ابدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن ارسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيئ لهم لوازمهم اولينظروا مابه من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به ام لا اوليزيل مايخاف وينظر هل به عدو ام لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لاجمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره ويطلق على الطفل الذى يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد فى دعاء الجنازة وهو من هذا القبيل لامعنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه اجر كمنافع المنازل اولما ورد من انه يقف على الحوض ليسقى ابويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا لكل احد سائرا اليه ومورداً وكل وارد عليه ولذا يقال حيا من الدنيا وموردها من صيرته الحيوة فى ظهر فالموت ورد لابد ان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم * وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى * ويقال افرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاؤه فى المال كالسلم ورد بمعنى القرض وسلف المرء من مضى من آبائه واقربائه لتقدم موته ولذا يسمى الصدر الاول السلف الصالح فكان ما اصاب الامة بفقد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم جعل سلما وقرضا للاجر الذى يجازوا به على الصبر * والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليه فانه مذموم * ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذى هو مبدء الحيوة ولذا كانت زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين ففى حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم من الرحمة مالايخفى كما مر فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبول مابلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لهم مع اصابتهم من الاجر بمصيبة وجده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه اعمالهم قريبا فجزاه الله حيا وميتا خير الجزاء (قال السمرقندى) الامام الحنفى وقد تقدمت قريبا ترجمته (رحمة للعالمين يعنى الجن والانس) هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو

كل مايعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله
صفة او ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلاء
او جعل اسما لذوى العلم من الثقلين او الثقلين والملك او الانس قال الشريف
الجرجانى يطلق على كل جنس لافرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح
اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا المجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل
كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن
فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه اوخصه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم
مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر اراد انه يشملهما لاان معناه ذلك وهذا
يقتضى ان هذا غير مخالف لقوله (وقيل لجميع الخلق) وسياقه مع تمريضه يأباه
فالحق كما فى بعض الشروح انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيرا لم يرضه
ثم احد فى بيان مابه تكون الرحمة على ما اختاره فقال (للمؤمنين رحمة بالهداية)
اى ارسله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان او لمن
قدر ايمانه قبل وهو على الثانى عام شامل للملائكة والجماد ان قلنا انه صلى الله تعالى
عليه وسلم مرسل اليهم على احد القولين فيه وسيأتى تحقيقه وان عمته رحمته
ايضا وقوله للمؤمن الى آخره بدل من قوله للعالمين اومتعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان
لمختاره وهو الظاهر وعلى الثانى يصلح لهما (ورحمة للمنافق بالامان من القتل)
مطلقا بخلاف الكافر فانه لايأمن الابالامان اواداء الجزية والنفاق اسم اسلامى معناه
اخفاء الكفر واظهار الاسلام مأخوذ من نافقا اليربوع اومن النفق بمعنى السرب
(ورحمة للكافر بتأخير العذاب) وفى نسخة المؤمنين والمنافقين والكافرين بالجمع
والمراد تأخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلايختص بطائفة
وقيل المراد نفى الاستئصال والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان الزنديق سواء
ادخل فيه اوفى الكافر عذابه مؤخر ايضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق
باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال انه اراد فى كل قسم ذكر رحمة مخصوصة
من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكران من رحمة الكافر ايضا
الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم لسائر المخلوقات فائضة
اذ لولاه ما خلقت فتأمله (وقال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه
الاية وبيان من شمله العالمين (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا) اى عافاهم
الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا (مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة) اى المكذبة
للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستئصال والخسف والمسخ ومانزل
عليهم من السماء فلايرد من قتل فى غزوات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واما النفاق
فلم يشتهر فى الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

هذا مسند اليه فى الطبرانى ودلائل البيهقى وفى تفسير ابن جرير وابن ابى حاتم
(وحكى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل) عليه الصلوة والسلام حكى بالبناء
للمجهول كما صححه البرهان فى المقتفى فهو مقطوع عن كلام بن عباس وما قيل من
ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد فى شئ
من كتب الحديث نقله كما فى تخريج السيوطى وغيره (هل اصابك من هذه الرحمة شئ)
فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة زائدة نالته من رحمة النبى صلى
الله عليه وسلم وهذا ان كان من كلام ابن عباس رضى الله عنهما ناظر لما فى الاية على
مختاره الاول فكانه قال له هل دخلت فى العالمين فناسب السؤال لارادة الثقلين وان كان
على الثانى فكانه قيل هل دخل فى الخلق فاصابه شئ من هذه الرحمة وقيل لاشبهة
فى انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة وخير وان رحمته اصابت جبريل وسؤاله
اما ليعترف ويتحدث بالنعمة اوللتلذذ اومن باب طرح المسئلة والاختبار وهذه كلها
امور واهية وجبريل عليه السلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه
وسلم تغنى عن التلذذ وطرح المسئلة ليس بشئ (قال) جبريل عليه الصلوة والسلام
(كنت اخشى العاقبة) بتقدير مضاف اى سوء العاقبة او المراد بالعاقبة السيئة
بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون فى المكروه
والعاقبة مايعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان اوشرا (فامنت) بفتح الهمزة
المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبنى للفاعل من الامن ضد الخوف وسيأتى فيه ضبط
غير مقبول (لثناء الله على بقوله) انه لقول رسول كريم (ذى قوة عند ذى العرش
مكين مطاع ثم امين) عند الله فى علمه او فى حكمه وقضائه اذ ثناء العظيم يقتضى
رضاه وقبوله وهو لايرضى ويقبل الامن كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن
الذى هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اطمأن خاطره وامن سوء الخاتمة
واما ماورد من انه قال ماجفت لى عين منذ خلقت النار مخافة ان اعصى فيقذفنى
فيها وان الله تعالى قال له لم تبكى وقدامنتك فقال من يأمن مكرك كما فى الاحياء فهو
لاينافى ماذكر لان المقرب لايزال خائفا ممن يهابه فانه لايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اولانه من عظمة الله هل يذهل عن الامان وقد مدح فى الاية باموره منها القوة وهى
معلومة من الاحاديث الواردة فى اقتلاع المداين والجبال واهلاك صيحة كل من
سمعها وهبوطه الارض وصعوده فى طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله
جلت عظمته وشانه ولذا قال عند ذى العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من
سرادقات عن الى مالم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع فى السماء والارض
امين على سر الغيب والوحى وموازين القيامة لكن سيأتى انهم اختلفوا فى رسول
كريم وان الاصح انه جبريل عليه الصلوة والسلام لقوله ولقد رآه بالافق المبين

فان الرائى هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئى جبريل فى صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقد مر ان امنت بزنة علمت مبنى للفاعل وقال التلمسانى انه مبنى للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لا لان امن لازم فانه متعد الا ترى قوله لايأمن مكر الله بل لان مفعوله الثانى يكون من المعانى دون الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله امن سوء عاقبتى ومثله لاداعى له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به فى القى الى كتاب كريم وان جاز وفسره المصنف رحمه الله تعالى فيما سيأتى فى الكلام على هذه الاية فى الفصل الخامس من هذا الباب بقوله اى كريم عند مرسله (وروى عن جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته قريبا (فى قوله تعالى) فى سورة الواقعة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) فى هذه الاية وجوه ذكر منها هنا ماروى عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله عليه وهو قوله (فسلام) اى سلامة (لك) يا محمد (من اصحاب اليمين اى بك) فسره به بناء على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما اى لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه (انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قد جعل الله فى هذه الاية من حضره الموت ثلاثة اقسام مقربين واصحاب اليمين ومكذبين ضالين والمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم فى قوله تعالى * اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثانى من لاحساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق ايضا فى قوله تعالى * ومنهم سابق بالخيرات او اصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته او عفى عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل فى التفسير لاينبغى تكثير السواد به هنا وفسر مكى قوله فسلام لك من اصحاب اليمين بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر المذكور اولا واصله فسلم ايها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية اى من اجل انك من اصحاب اليمين وقيل المخاطب بقوله لك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسلام مبتدأ ولك خبره ومن اصحاب اليمين حال من الضمير المستكن فى الخبر اى فلك يا محمد سلامة من جهة اصحاب اليمين او من

اصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية اى سلامة وامن من عذاب الله من جهة اصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذى هو حال على عامله وهو متعلق من اصحاب اليمين لافادة الحصر اى انما سلم اصحاب اليمين لاجلك ومن للابتداء اى سلامة ظهرت منهم انما هى لاجلك فلبست انما لمجرد المبالغة لان اصحاب اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم مما يقتضى عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله تعالى ولاقلب فى الاية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة او المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك فى الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلى الله ويسلم عليك اوهو تحية اصحاب اليمين فى السلامة هنا اقوال هذا محصل مافى بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما فى شرح ابن الحنبلى من انه على قول جعفر الصادق فى الاية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله بك لانه واقع موقع منك اى من اجلك وفى القلب تنبيه على شرف اصحاب اليمين كما فى عكس التشبيه فى نحو قوله * وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح * فان افادة الاية ان ابتداء سلامتهم الامن اجل كرامتك بمعونة المقام فانما للمبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما فى الجنى الدانى عن ابن عطية ان انما لاتفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الاصح صح والابقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك فى الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من اصحاب اليمين مبشرين له ببشارتين سلام لك انك من اصحاب اليمين انتهى (اقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله انما الى آخره بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين يتبرك بها كما يتشاءم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كائن ومن متعلقة بمعدود اى سلامة المعدود من اصحاب اليمين لاجلك اولك متعلق به مقدم من تأخير لافادة الحصر اى لم يجعلهم الله تعالى من اصحاب اليمين الابسببك اى لاتباعهم اولشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام الضمير وتوضيحه ان فى الاية معان كما مر اختار منها المصنف رحمه الله تعالى ما ذكر لافادته ما ذكر من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان اما يفصل بينها وبين جوابها بشئ من اجزاء الجواب مفردا وفى حكمه كجملة الشرط فما بعد الفاء جملة هى جواب الشرط وسلام مبتدأ لان اصله سلامتهم ولك خبره ومن اصحاب الخ حال من المضاف المقدر اومن الضمير المستتر فى الخبر والمعنى ان كان من اصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من اصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم اومن التعليل ولاقلب كما توهم فتدبر (وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية) اى اقرأ الاية اواذكرها وهى الله نور السموات والارض

مثل نوره كمشكوة فيها مصباح * الى آخره وفى هذه الاية اسرار ولطائف افرد ها بالتأليف الامام الغزالى فى كتاب سماه مشكاة الانوار وفيه فوائد جمة وكذا الامام السهيلى (قال كعب) هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معز بن جسم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف ابن زهير بن ايمن بن حمير بن سبا الحميرى الشافعى ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر وقيل فى خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفى فى خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها لكثرة علمه ويأتى فيه كلام متعلق به واخرج له اصحاب السنن وغيرهم (وابن جبير) هو سعيد بن جبير الوالهى مولاهم ابو عبد الله او ابو محمد التابعى العابد الزاهد الثقة احد اعلام رواة الحديث وروى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصر وخرج له اصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما فى سنة خمس وتسعين ولم يسلط على احد بعده بدعوته رضى الله تعالى عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة (المراد بالنور الثانى هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع له لانتشاره اولازالته الظلام فكانه ينفر منه ثم اطلق على الله وعلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى القرأن كما فى هذه الآية وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته فى عناية القاضى عند الحكماء كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كما يفيض من النيرات على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضى وتتصل بالمستضى كما فصلوه فى كتبهم ويقرب منه الضوء الا ان الزمخشرى قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى * جعل الشمس ضياء والقمر نورا * وانكره فى الفلك الدائر وقال ليس له فى اللغة شاهد ولا فى الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل فى الآية واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس والتحقيق ما فى الكشف من ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار تمد حلبة الضوء كان فيه مبالغة من جهة اخرى وتنويره ما حققه فى الروض الانف فى قول ورقة * ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية ان تموجا * بان فى البيت ما يوضح الفرق بينهما فان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور اصله ومبدؤه كما قال تعالى * فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم * وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لاسيما فى طرفى

الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان فى كل منهما ابلغية من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغى ان يكون النور على الاطلاق اقوى لقوله تعالى * الله نور السموات * لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجاز اما بمعنى المنور او استعارة الا ان الغزالى رحمه الله تعالى قال فى المشكاة انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وهو ميل لما قاله الاشراقيون قال العلامة فى شرح حكمة الاشراق * الله نور السموات والارض * لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان سائر الانوار شرر من نوره انتهى وقد عرفت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمى نورا ايضا فتفسير النور الثانى به كما قالوه ظاهر الا ان قوله يأتى ما فيه (وقوله تعالى مثل نوره اى مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والمثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالى كلام لطيف فى النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور يشير الى الظهور وهو امر اضافى فقد يظهر الشئ لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس الدراكة اقوى واجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها ثلاثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا اطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا انه موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا ما هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا يتناهى ويغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ثم ان قلنا ان فى قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهو اولى باسم النور لسلامتها من تلك النقايص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق انوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله تعالى فمنزلة آيات القرأن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ يتم به الابصار فلذا سمى القرأن نورا فقال والنور الذى انزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هى من عالم الشهادة وعين باطنة هى من عالم الغيب دقيقة اذا كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملة ما يبصر به غيره ايضا مع انه

يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور من الذى لا يؤثر فى غيره اصلا بل بالحرى وان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسى النبوى اذ تفيض بواسطته انوار المعارف على الخلايق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا وكذا الانبياء والعلماء وان تفاوتوا والذى يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهى التى تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من انوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور الظلمة ولا ظلمة اشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المصنف رحمه الله تعالى بانها غير محررة وآخرها مناف لاولها لان اولها يقتضى ان النور اطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور فى قوله مثل نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاللائق التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله اى محمد واجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير بل كلامان اولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك مغن عما قيل من ان اضافة النور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيانية فالنور منحصر فى ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم بانه ليس فى كلام قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول فى تفسير القرطبى والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المصنف رحمه الله تعالى المراد بالنور الثانى محمد يعنى به ان المقصود من النور الثانى ما شان محمد فليس محمولا عليه حمله هو هو غايته انه تجوز فى العبارة وهذا اقرب واسلم من التكلف الا انه لا ينبغى منع كون الاضافة بيانية ايضا اقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت اذا تأملته رأيته متعسفا ومثله لا يخفى على هؤلاء والذى ظهر لى ان النور الثانى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثانى مضاف لله للتشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الماء اتى به بيانا للتشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باوفر اسم منه فسماه باسمه والبسه حلته كما البسه الرأفة والرحمة ثم فسره بنور محمد اى هو محمد النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها ويأخذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال كما ينشط الفحل من العقال وفى نسخة اى محمد باسقاط مثل ولا غبار عليها (وقال سهل بن عبد الله) بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التسترى كما سيأتى الصالح المشهور الذى لم يسمع الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب

ذاالنون المصرى بمكة وتوفى سنة ثلاث وثمانين فى المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهى بلدة من كور الاهواز ويقال ششتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن عازب وقال النووى رحمه الله تعالى هى بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة بخورستان (المعنى ان الله هادى اهل السموات والارض) هذا التفسير هو المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال الامام الرازى فى شرح الاسماء الحسنى هذا حسن الان تفسيره بما ذكر فى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادى اعم كما قالوه فى الرؤف الرحيم او يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم وقوله لا يجوز لا وجه له فان له نظائر فى هذه الاسماء وفى شروح الكشاف معنى نور السموات والارض هادى العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل والتأويل الذى عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله تعالى * سورة انزلناها * الى هنا اشارة الى ضمن ما بين من الاحكام الى نزاهة المؤمنين وطهارة ساحة افضل المرسلين هدانا بها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادى ثم قال يهدى الله لنوره من يشاء فاخذ الكلام بعضهم بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور فى الهداية وبناء كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عليه مستبشع عندى كلام لا وجه له فاى استبشاع فى مثله وفى ذكر اهل اشارة الى ان الاضافة فى الآية للسموات والارض مجازية تجوز فى نسبتها الاضافية كما فى قوله تعالى * مالك يوم الدين * او هو بتقدير مضاف والاول اولى وفى بعض الشروح الراوية عن المصنف رحمه الله تعالى قراءة غلبه نصب اهل والمعروف الكسر ثم (قال) اى سهل رضى الله تعالى عنه (مثل نور محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كان مستودعا فى الاصلاب) وفى نسخة فى اصلاب آبائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور وقيل انه على تفسير اخر منقول عن سهل ايضا كما نقله عنه البغوى فى تفسيره والظاهر الاول لان قوله ثم الى آخره نص فيه والضمير المستتر فى كان راجع لنور محمد او لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى صلب آبائه لا نوره وفيه نظر اى مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته العجيبة وقت كونه فى الى آخره والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت واصل معناه الشديد فسمى به الظهر وعظم فيه ممتد ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهى فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى جبهة آبائه من آدم الى ابيه عبد الله وهو نور حسى كالقمر فى الليلة الظلماء والمستودع فى الاصلاب مادة جسمه اللطيف والنور

تابع لتلك المادة وكان يظهر فى امهاته ايضا كما ورد فى صحيح الاخبار واستيداعه فى الاصلاب و جوده فيها كما قيل * انواره كانت بجبهة آدم * لا تختفى عمن له عينان * و بصلب آدم كان وقت هبوطه * و بصلب نوح وهو فى الطوفان * (قلت) انكرا ولاان يكون النور فى الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا والمستودع بالفتح سيأتى بيانه (كمشكاة صفتها كذا) فى نسخة وصفها كذا وكذا كناية عن قوله فيها مصباح الى آخره فانها استعملت كذلك اى صفتة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لاينفذ ولايخرج وقيل انها معربة من الحبشة وقيل هى القنديل وقيل هى موضع الفتيلة وقيل معلاقه والمصباح القنديل وقيل الفتيلة مأخوذ من المصباح او المصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس يطلقه على محلها وهو مجاز مشهور هذا معناه لغة واما المراد هنا فاشار اليه المص بقوله (واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) الزجاجة بالضم وهى مثلثة لكن هذا اعرفها وافصحها وعلى ما ذكره المص تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب فى الصدر اى فى جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها ان المشكاة ابدان آبائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سيأتى فى شعر العباس رضى الله تعالى عنه وانما جعل المصباح فى المشكاة لانه يكون فيها اقوى ضوأ وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فالزجاجة اسمعيل عليه الصلوة والسلام والمصباح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (اى كانه) اى صدره الشريف (كوكب درى) فى الزاهر لابن الانبارى الدرى الكوكب المضئ وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونها مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه فوزنه فعلى وهو بالضم والهمز فعيل من ورأ الكوكب جرى اودفع اوطلع بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفر اعجمى وعده سيبويه رحمه الله تعالى من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله دروء كسبوح فجعلت الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا فى عتو عتى ومن قال درى بكسر الدال كسره من اجل الياء التى بعد الراء مجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كشريب وسكيت صفة مشبهة وهو افصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده فى القرآن واما درئ بفتح الدال والهمز فشاذ لانظير له الاسكينة بفتح السين فى لغة حكاها ابو زيد فدرى بمعنى متلألئ مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبهه بالشمس او القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قارب له فى كل اوقاته فالصواب

ان يقال ان هذا اوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لايحو بهما مكان ضيق منيران فيه وايضا اشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولوتركوا هذا كله لكان احسن وقوله (لما فيه من الايمان والحكمة) ضمير فيه للصدر و جعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولاوجه لتخصيصها بعلوم القرأن وقيل المراد بها هنا النبوة كما فى قوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (يوقد من شجرة مباركة) فى توقد قرآات بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولاتعين لشئ منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر وايثاره على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة اوللزجاجة والضمير فى الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذى فيه الزجاجة ونسبته التوقد اليه اولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل اوقد المسجد مع ما فى التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء اى ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر فى كتاب الفلاحة ان الحكماء يصفون شيئا من اغصانها فى بيوتهم فى كل رأس كل سنة تبركا بها (اى من نور ابراهيم) المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من ابيه ابراهيم اليه عليهما الصلوة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء وجد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته (وضرب المثل بالشجرة المباركة) المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية فى الاكثر والمراد هنا الثانى لانه شبه ظهور نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلوة والسلام وتشبيه المتصل به بمصباح اضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما فى الكشاف ابراز المعقول فى هيئة المحسوس لتتضح وترسخ فى الاذهان ولذا اكثر فى الاحاديث والكتب الالهية وفى بعض الشروح كما ضرب صدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذى تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية اشارة الى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لان النصارى تصلى للمشرق واليهود للمغرب وعلى ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى بعد قول سهل لابد من اعتبار ان التقدير فى الاية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح فى مشكاة

اى كمثل ضوء فى مشكاة بنـاء على ان فى جانب المشبه قلبـا كـقوله

* وكان النجوم بين دهاجا * سنن لاح بينهن ابتداع *

وفى شرح البخارى ان هذا الذى حكاه المصنف من ان المصباح كناية عن قلب
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلوة
والسلام تأويل بعيد عن ظاهر القرأن والصحيح ماعليه جمهور المفسرين من انه
تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ماعرف الله قال
وما اشبه هذا التأويل بتأويل المفضل قول الفرزدق * اخذنا باطراف السماء
عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع * لما سأله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم
ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع انت واباؤك فقال له احسنت
انتهى وفيه نظر (وقوله تعالى يكاد زيتها يضئ اى يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه) اى تكلمه ودعواه النبوة وتحديه (كهذا الزيت)
تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكليم كقوله * فان
كلاميها شفاء لمابيا * او المراد به مايتكلم به فيقدر مضاف اى قبل ايراد كلامه
الذى يتكلم به وقبل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدى المأخوذ من النور الخليلى سبب
لاضاءة سراج قلبه الذى اضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين
واورد عليه ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى الاصلاب قبل خلق جسمه
الشريف وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا
ان يقال اصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول موجودة فى الاصلاب
كما سيأتى من تعلق الروح به فيتم التشبيه والاوجه ماروى عن كعب من انه مثل
ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه
والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا
فسر النور بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذى مشكاة
اوان التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل ان تمسه النار
اشارة الى ان نبوة ابراهيم التى هى بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين
للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمثابة المصباح الذى
يوقد مافيه من زيت تلك الشجرة التى تكاد تضئ ولولم تمسسه نار وكان مافيه من
نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فاشار
الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما احالة للاخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت
والاشارة للذى فى الاية الموصوف بالاضاءة قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة
كما ان الخلفاء كالاظلام والتكلم كامساس النار فى ترتب ظهور شئ ما عليه (وقد قيل

فى الاية غيرهذا) من الوجوه المنقولة فى التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله على
ماذكر لمافيه من الثناء على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد سماه الله نورا
وسراجا منيرا) لماذكر ان بعضهم فسر النور فى مثل نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم
وهو مما استبعده كثير من العلماء اردفه بما يغنى عنه او يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله
اطلق عليه النور فى غيرهذه الاية حيث سماه نورا على ما تقدم فى كلام الغزالى
وغيره من انه المرشد الهادى للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزائد
النور او المظهر لغيره ماخفى عليه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الخطاب
لاهل مكة فى قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب
شامل للتورية والانجيل وكانوا يخفون مافيهما من صفات النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وغيره فلذا فسر النوربه وبالقرأن فسماه نورا لكشفه ظلمات الجهل والضلال
ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق فى هدايتهما فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم
القرأن كما سيجئ (وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه) الاذن على ظاهره لان امره اذن له اوالمراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به
عنها وعن الامر كما فى مجاز القرأن لابن عبد السلام رحمه الله تعالى وفسر بتوفيقه
ايضا وتيسيره (وسراجا منيرا) واطلاق النور مر بيانه واطلاقه على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم والاسلام والقرأن فان بكل منها تقوى البصيرة على ادراك المعقولات
كما تقوى النور على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم
يشهد على امته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى اممهم وهو المبشر لهم
بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن كفر وهو الداعى الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه
صلى الله تعالى عليه وسلم بالسراج فى غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضئ من الوحى
ويضئ للناس بما اتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس فى قوله شمسا وقمرا ووصف
السراج بانه منير للتوكيد وقيل لان من السراج مالايضئ اذا رق فتيله وقل زيته
وقد قيـل ثلاثة تضئ رسول بطئ وسراج لايضئ ومائدة ينتظر اليها من يجئ
(ومن هذا) القبيل الذى عقد هذا الفصل لذكره من ثناء الله على نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم (قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) الهمزة لانكار
النفى ونفى النفى اثبات فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى آخر السورة يقتضى انها
كلها ثناء من الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان الكلام فيه والثناء بحسب
الظاهر انما هو فى اوائلها الى قوله تعالى * ورفعنا لك ذكرك * قلت هذا بحسب
بادى النظر كما قيل وعند التحقيق هى كذلك باسرها فانها تدل على نعم انعم الله بها
على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى متضمنة للثناء عليه بما اعطاه الله تعالى من
الكمال الذى لم ينله سواه ولايدانيه فيه احد وهو من ابلغ الثناء فى قوله تعالى *

ان مع العسر يسرا* اشارة الى انه ثبت جاشه لما اقتحمه من الشدائد كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر فى مكابدة قومه وايذانهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده على عسره فانه لايغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة وفى قوله تعالى* فاذا فرغت فانصب* اى اذا فرغت من التبليغ فاتعب فى العبادة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ادى الامانة ونصح الامة وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مدحه والثناء عليه وامر بالشكر على ما اولاه والابتهال اليه لاالى غيره فى كل ماينوبه و بهذا تبين ان السورة كلها من هذا القبيل (شرح اى وسع) الشرح قال الراغب اصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهى وقال غيره التوسعة مطلقا فلا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها الامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور فاذا قيل شرح به اوله فهو متصف به واذا اطلق كما فى الآية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال و يراد به الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر ماهنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه فى صباه كما ذكره القاضى ومما يدل على ان اصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا * وتفسير المصنف له بالماضى المثبت لان الاستفهام الانكارى نفى معنى ونفى النفى اثبات كما مر ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره فى النظم على شرح وهو اوضح واوجز لانه ابلغ لانه ذكر الشئ بلازمه وهو اثبات بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له اى ان الله وسع قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمناجاة الحق ودعوة الخلق او بما اودع فيه من العلم والحكمة او بما يسره من تلقى الوحى بعد ماشق عليه كما ذكره المفسرون (والمراد بالصدر هنا القلب) فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم المظروف والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عمن عداه ليس بشئ كما مر (وقال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (شرحه بالاسلام) وروى بالايمان اى التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله اى بحلوله فيه وقبوله واذعان حقيقته واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ابن مردويه وابن المنذر من طريق عطاء وابن ابى حاتم عن عكرمة (وقال سهل) قد تقدمت ترجمته وقوله (بنور الرسالة) رواه الطيبى والرسالة هى ارسال الله اياه لتبليغ وحيه والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها الشريعة وسائر العلوم فهو كلجين الماء او المراد آثارها المضاهية له لجعله معدنا للحقايق والباء

للتعدية اوللسببية (وقال الحسن) هو الحسن بن ابى الحسن البصرى التابعى واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من اجل التابعين وهو فى الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل الطاعة ولقى كثيرا من الصحابة وروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون الحسن فهو المراد وجلالته لم يختلف فيها ولم يخرج وانما اختلفوا فى كونه لقى عليا رضى الله تعالى عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى انه لم يثبت رؤيته له ولانه البسه خرقة المشايخ الصوفية قدس الله ارواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين الى انها بدعة لم تصح ولكن الجلال السيوطى رحمه الله تعالى صنف فيها جزأ لطيفا وقال انها ثابتة واثبت ايضا ان الحسن رحمه الله تعالى اجتمع بعلى كرم الله تعالى وجهه وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن الحسن محتمل له والمثبت مقدم على النافى فانه مولى للانصار وولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة ستة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و رضى عنها فكان اذا بكى عندها فى صغره وضعت ثديها فى فمه فاصابه بركتها حتى صار يضرب به الامثال فى العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة (ملأه حكمة وعلما) و روى كما فى بعض النسخ حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهى العلم بالحقايق النافعة والشرعية والحكم بالضم ايضا يكون بمعناها كما ورد فى الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل انه يريد رواية الحكمة هنا ما فى حديث الشق لصدره من انه حشى ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه او القضاء بالعدل او التصديق او الكمال والعطف للتأكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شئ غيره اوعن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم ثم ملئ به فهو حقيقة و بعض اهل البصيرة يرى الايمان والعلم مجسما شمعا ومصباحا ومشعلا وانا ارى ذلك من ثمرتهما كما سيجئ انتهى (وقيل معناه الم يطهر قلبك) اى تنظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو اشارة الى ما ورد فى شق صدره الشريف واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسيأتى مفصلا مشروحا وفى بعض النسخ لك قلبك كما فى الآية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل للاشارة الى ان الله غنى عن العالمين فاللام للتعليل اى فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشئ من المخلوقات وفى تفسير القاضى انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية فى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك يعنى انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قيل لك اشتد ابهامه وتوهم انه اعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار اوقع

فى النفس واكد لانه فى قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعنى شبمالك ثم قال صدرك عينه قبل والفصل للتقدم (حتى لايؤذيك الوسواس) قال ابن مالك فعللة ضربا صحيح كدحرج وثناى مكرر نحو كبكب ولهما مصدران مطرد ان فعلال وفعلال بالكسر كزلزال وهواقيس فيه وانما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير فى المكرر كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال فى الثلاثى والحق انه صفة وجعله مصدرا اريد به الفاعل او بتقدير ذو مما لاداعى له كما جنح اليه الزمخشرى ومن تبعه انتهى فعلى ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقية من غير تأويل فهى بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشرى يفسر بالوسوسة لانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر اوهو اشارة الى ماورد فى الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما اراد الله تقديسه وتنويره بنور منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحى ومشاهدة الملكوت ونحوه مما لاتطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولايحتاج لتأويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ماذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير منجه وبهذا يندفع الاشكال فى هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فاوجه الجمع بين المنقول والافاوجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة وحديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت الحلى وسواس وقد اشتهر ذلك فى كلام العرب وما احسن قول على الباخرزى فى المعنى

* وخريدة تكسو الجمال لباسا * قاسى الفؤاد لحبها ماقاسى * جنت خلاخلها بنغمة ساقها * ولذا سمى جرسها وسواسا * وما احسن قول ابى الفتح الطبى * يقل شعرك وسواس هذيت به * وقد يقال لصوت الحلى وسواس *

وفى الحديث ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به صدورها مالم يعمل به اوتتكلم والكلام فى ان جميعه معفو عنه وفيه تفصيل كما بين فى محله لاحاجة للتطويل به هنا كما فى بعض الشروح واما شق الصدر ومافيه فسيأتى فلا حاجة لتلقى الركبان به (ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك) الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال ابن عبد السلام فى مجاز القرأن شبه اسقاط مؤاخذته بماسبق النبوة باسقاط مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت

فقرات الظهر وقيل صوت الجمل اوالرجل اوالمركوب اذا ثقل ماعليه ولايدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض الثقيل فى الحمل حتى يسمع له نقيض اى صوت كما قاله الازهرى وقال ابن عرفة هواثقال يجعل ماحمل عليه نقضا اى مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذاثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى المجازى على ظاهره اوعلى ارادة القرب اى يكاد ينقض اوعلى التشبيه البليغ اوعلى تقدير لوكان وفيه بعد ولايخفى مافيه من التكلف فاختر لنفسك مايحلو وسيأتى للمصنف كلام فى هذه الاية (قيل ماسلف من ذنبك يعنى قبل النبوة) مرضه لماسيأتى من عصمته صلى الله عليه وسلم من الصغائر والكبائر قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا او بشرع سابق انه خلاف الاليق اومن امور حرمت عليه فى دينه فعدها اوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ماقيل من غير مناسب لكلامه الاتى فتدبر (وقيل اراد ثقل) هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا وللاثقال معان آخر مذكورة فى كتب اللغة اى اراد بالوزر (ايام الجاهلية) هى زمن الفترة بعد عيسى عليه الصلوة والسلام الى بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وثقلها عدم رضاه بماهم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه صلى الله تعالى عليه وسلم لسلامة فطرته (وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى) اى الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة فى ابتداء تلقيه الوحى من هيبة الملك وحفظ مايلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل وشدة اذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه رضى الله تعالى عنهم ووضع ذلك عنه بمافيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعد ما كان يخاف ان لايبلغ الامانة ولايقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان هذه السورة مكية ووضع الوزن فى القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب اوخلق القدرة عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين فى عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب امة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردى هو على ابن حبيب القاضى ابو الحسن الماوردى نسب ابوه لعمله اوبيعه والقياس الوردى وهو صاحب التصانيف الجليلة فى التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوى والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف فى بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال فى تصنيفه المسمى بالغياثى انه قال فى الاحكام يجوز ان يكون الذمى وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن فى طبقاته والذى جوزه اى الماوردى انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له قال

قد تنبهنا لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابى حامد ودرس بالبصرة و بغداد
واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم فى بعض اقوالهم مات رحمه الله تعالى سنة خمسين
واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة (والسلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام
منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمى صاحب الحقايق واسمه محمد بن
الحسين ابن موسى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم
ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة ونقل الذهبى
عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب
وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكى فى طبقاته واطال فى ترجمته بما لايناسب
الكتاب (وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى)
قيل انه يعنى ان الوضع مجاز عن ان لايحليه بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل
بان العصمة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاسد اذا لمقصود اذكار النعمة والثناء
عليه وسيأتى الكلام على هذا فى القسم الثالث اقول لابعد فيه فانه تقدم ان وضعه
بمعنى رفعه وازالته فاذا اريد منعناك منها لعدم خلق الذنب ودواعيه فيك وامدم
اقدارك عليه لم يبعد لما فى كل منهما من عدم تلبسه بالوزر واى بعد فى هذا وقد ورد
مثله كثيرا لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل الا ترى الى قوله فى الحديث رفع القلم عن
ثلاث ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر وضع
بمعنى عصم عجيب من قائله ومثله غنى عن الرد وقد نقل هذا القرطبى فى تفسيره
والسمرقندى تقدم الكلام عليه (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة)
يحيى بن آدم بن سليمان الاموى مولاهم الكوفى ابو زكريا احد الاعلام الذين اخرج
لهم اصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفى سنة ثلاث بعد المائتين
وروى عنه احمد بن حنبل وغيره ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده
اما مفسر بالرسالة او المراد قبولها او يفسره بغير ذلك ولنا فيه كلام سنبينه
ولايلزم من رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام اذ يكفى رفعه على من فى عصره وقيل المراد بالنبوة ما سبق
بها سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فى الازل وآدم عليه الصلوة والسلام بين الماء
والطين حيث اخذ الميثاق على ان من ادركه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم اتبعه
ولا دليل عليه فى كلام المصنف (اقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج
اليه اذا قيل المراد سواء تعلقت الباء برفع او بذكر انه شرف ذكره صلى الله تعالى
عليه وسلم حيث خاطبه يا ايها النبى ويا ايها الرسول فعظمه وقال الله تعالى * لاتجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا * وهو المذكور فى شروح الكشاف اما
اذا قلنا بذلك فلا يحتاج اليه ولكن هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له

(وقيل اذا ذكرت) بضم التاء والضمير لله (ذكرت معى) بفتحها والخطاب للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم والفعل مجهول فيهما (قول لا اله الا الله محمد رسول الله)
قول بالرفع بدل من الجملة قبله او خبر مبتدأ مقدر بهو ويجوز نصبه بتقدير اعنى
ومايضاهيه اى اعنى بذكرك معى ذكر لا اله الى آخره وفى بعض النسخ روى
قول الى آخره قيل وهذا بناء على العادة الغالبة او على الافضل المأمور به وهذا
جواب عن سؤال انه قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا
مايذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد فى كثير من مواطن
العبادة واجيب بان اذا الشرطية لاعموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها
جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا الى آخره بقوله اذا
ذكرت ذكرت معى لما سيذكره المصنف عن الخدرى وكذا هو فى زاد المسير وفيه
عقبة قال قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله الاتى فى كلام المصنف رحمه الله وهذا تفسير
مأثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تعالى على
افضل الذكر وهو لا اله الا الله الى آخره حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل
الصيد فى جوف الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه
مذكورا منه اذا ذكر افضل الذكر اليق بمقامهما وتوسط المصنف هنا قيل وهى
صيغة تمريض والقول للجمهور لايخفى ما فيه انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد
فقال المراد ذكر المؤمن وهو لايذكر الله الا ويذكر معه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فالمصلى اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفى ذهنه النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لانه الذى امره بها فليس المراد بالذكر الذكر القولى فقط بل
الاذكار الفعلية والتركية والقلبية والقبائل فهم ان المراد بالذكر اللفظى وهذا فهم
من لم يتبع مقاصد الشريعة ثم اطال فى هذا بما محصله ما ذكر ولم يأت بشئ غير
ان زاد فى الشطرنج بغلة وفى الطنبور نغمة (اقول هذا جملة ما قالوه فى هذا التفسير
المأثور ولم يأتوا بما تقرر به عين التقرير فان قوله اذا ذكرت ذكرت معى ان اخذ
كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم وحده وان عين موضعا فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة
فلا يخفى ما فى الاهمال من الركاكة وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج الصدر وترديد
السائل غير صغر حتى لاح لى ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر
فى مجامع العبادة ومشاهدها فان ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم مقرون
بذكره فيها فى الواقع فى الصلوات والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام
الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكره تعالى فى يوم

من الايام ولا ليلة من الليالى بل ولا فى وقت من الاوقات المعتد بها فتجه الكلية فان قلت من اين لك هذا التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح قلت المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعة على قدره الدال على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه كقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره فى المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد واى اشاعة اقوى من الاذان لا فى الاسواق والطرق التى يطرح فيها كل ذكر ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله تعالى باتيانه بقيل فى تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب وهذا ايضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله (وقيل فى الاذان) دال عليه فسقط ماقيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد فى البيان وفى الاذان ظرف لذكرت او رفعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله فى المعالم عن مجاهد وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الاذان والاقامة والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص او لتخصيصه برفع الصوت على المبالغة وقيل فى الآخرة وقيل باخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالمتابعة قيل وهذا مبنى على الغالب ايضا والا فقد يقتصر فى الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند ابى حنيفة ومثله نادر فى حكم العدم وفى بعض النسخ فى الاذان والاقامة والنسخة الاولى اشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة ايضا والشىء بالشىء يذكر (واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الامام الشافعى فى اول رسالته الجديدة وبينه السبكى فى تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله تعالى قال الامام رضى الله تعالى عنه عن مجاهد فى تفسير الآية لا اذكر الا ذكرت معى اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال الشافعى يعنى ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكى هذا الاحتمال من الشافعى جيد جدا وهو مبنى على ان المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح فعلى هذا يعم لان الفاعل للطاعة او الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى به ذاكرا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا اعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة ونحوها قال الشافعى فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا فى دين او دنيا او رفع عنا بها مكروه فيهما او فى واحد منهما الا ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم سببها انتهى (اقول علم من هذا انه ان ابقى العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبى فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل فانت باب الله

اى امرء اتاه من غيرك لا يدخل ومن كلام النبوة الاولى من اراد الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى عنه ولك ان تقول المراد برفع ذكر تشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمقارنته لذكره فى شعائر الدين الظاهرة واولها كلمتا الشهادة وهما اساس الدين ثم الاذان والصلاة والخطب فالحصر اضافى (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف وقدمر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو يقول يقول الفقير ونحوه (هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم الاشارة لما وقع فى سورة الم نشرح وهو بيان لحاصلها قال فى المغنى التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها اى الهمزة الشىء الذى يقرره به وحمل الزمخشرى قوله الم تعلم ان الله على كل شىء قدير على التقرير مراده به التقرير بما بعد النفى لا بالنفى وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للنفى والمصنف رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشرى ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار وقد يكون من قرقرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفى حمل ما هنا عليه تكلف لانه لا بد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو ازيدا ضربت فى تقرر المفعول وهنا وليها النفى ولم يقصد تقريره فينبغى ان يحمل على الاول ويؤيده ماورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى عز وجل فقلت يارب انه قد كان انبيا قبلى منهم من سخرت له الريح الى آخره فقال يا محمد الم نشرح لك صدرك الحديث (اقول يجوز ان يراد بتثبيت ما بعد النفى كما اريد فى الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تأويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعاء الظهور فى احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التلمسانى التقرير هنا بالتمهيد (على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه) على متعلقة بالتقرير سواء كان من الاقرار او بمعنى التثبيت اما الاول فلتأويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فلما كان مأولا به عدى تعديته واما على الثانى فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله تعالى * حقيق على ان لا اقول * وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المصنف رحمه الله تعالى تقرير من الله تعالى جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اى تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم علمها وخشى لعدم شكره ان لا يكون منعما فثبت فؤاده على مشهود انها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقى بان شرح الآتى للسببية او هى متعلقة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر اى منبها على عظيم الى آخره فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها الرتبة العالية علوا معنويا وكرامته عليه يعنى كونه مكرما معززا عنده موقرا (بان شرح قلبه للايمان والهداية) تقدم معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخل من ايمانه وتصديقه بالله فى اول امره

وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء والمراد قبول الهداية او هدايته الناس كما قال الله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام (ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة) معطوف على شرح عطف تفسير والوعى الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه فى الدين وفهم القرأن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الاية لسابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمة فتذكره (ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه) اى ازالها وثقل بزنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرايع وارتكاب امور رفعها الله لما جاء الحق وزهق الباطل كما مر (وبغضه لسيرها ولما كانت عليه) السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار واسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهى الهيئة والحالة وشاعت فى الطريقة يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال * واول راض سيرة من يسيرها * وغلبت السير والسيرة فى السنة اهل الشرع على المغازى كما فى المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمسانى سيرها عوائدها وبغضه فى النسخ فعل ماض مشدد مبنى للفاعل وفى الطرة بغضه مصدر اى بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب ان يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد فى نسختى سوى ما ذكرته اولا انتهى وفى بعض الشروح الذى فى النسخ المقروءة على ابى ذر المحدث او البرهان الحلبى بغضه بصيغة الفعل المشدد المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه واما عطفه على وعى ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع من اثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح فى معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا ان ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الآية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حبه (اقول ما فى الحواشى التلمسانية من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعى بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله اى وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه حتى كان لا يخالطهم فى اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى * ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان * وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير فى تفسير كما توهموه وعلى قراءة بالفعل يكون فى كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها (بظهور دينه على الدين كله) متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه حيث

قهر اهله وابطل حكمه ولذا تعدى بعلى واصله ضد الخفاء والدين للجنس الشامل للاديان ولذا اكده بكل (وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة) معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله * ووضعنا عنك وزرك * والرسالة والنبوة غير محتاجة للبيان لاسيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه واصلحته وحفظته وتسمى وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدة هذا عليك اى تبعته وما تلزم منه فالمعنى هنا ان الله حمله احمال الرسالة والذمة باجراء احكامها وتبليغها فكان فى اول الامر فى حرج ومشقة من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره واستراح من ثقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الامة وادى الرسالة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه اقدره على التحمل والصبر ولذا قيل ان حط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللائق وهو كلام حسن (لتبليغه للناس ما نزل اليهم) وروى بتبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان اى حط عنه تلك الاحمال واراحه من الاثقال لاجل انه بلغ ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل التبليغ فالسببية غايته او اراد بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكلام ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة ايضا كما سيأتى بيانه لان حط الاعباء انما هو بتبليغ الناس وتسخيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه وكذبوه واما الجن فبمجرد سماع القرأن اطاعوه ولم يقع منهم ما يتعبه وان كان منهم من لم يؤمن ولبس الكلام فى بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انه اكتفاء كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفى الحديث ناس من الجن وبه فسر قوله تعالى * قل اعوذ برب الناس * وجعل قوله من الجنة والناس بيان له وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكى انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بنى آدم اصله اناس ومادته ان الناس من الانس ضد الوحشة وبالمعنى العام للثقلين اصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود بالذات وانت فى غنى عنه كله بما مر (وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقران اسمه اسمه) قد مر انه يقال ناه بالشئ نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر فى حديث عمر انا اول من نوه بالعرب اى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما فى المصباح وهذا اشارة بمعنى قوله تعالى * ورفعنا لك ذكرك * وتنويهه

بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه و يسره
لانه يدل على قبول رب العزة لما فعله من ادائه ما فى عهدته و بذل جسمه وروحه
فى تتميم خدمته وهذا فى غاية الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقريره
فهو مرفوع والداعى لارتكابه مع بعده انه كان الظاهر ان يقول نوه تفسيرا
لرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح
على المأول لئلا يتوهم انه كلام مستأنف والباء فى قوله بعظيم متعلقة بنوه وليست
زائدة فانه قيل نوهه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالباء كما مر فى كلام
سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه وقوله رفعة ذكره بكسر الراء وآخره تاء تأنيث
مضاف لذكره وروى بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروى رفع عطف
على جليل ورفعة ذكره اما بهذا الرفع او برفع زائد عليه واسمه الثانى منصوب
مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر واقران
غلط فيه وقيل رواية وفى نسخة وقرانه اسمه مع اسمه (قال قتادة رفع الله ذكره فى
الدنيا و الآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله) قد مرت ترجمة قتادة رحمه الله تعالى وتأتى ايضا ومر
ايضا تحقيق هذا الكلام الا انه بقيت امور ينبغى التنبه لها وهى ان بعضهم
قال هنا ان ما ذكر هنا هو الاكمل الجارى فى العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة
ليست شرطا فى اصل الخطبة وهذا فى الدنيا ويعلم امر الاخرة بالمقايسة عليها
وفى الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهى كاليد الجذماء والمراد بالصلاة الفرد
الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواء كان بهذا
اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله المروى عن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه وعليه ابو حنيفة فلا يرد انه قد يقتصر فى خطبة الجمعة والعيدين
وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح ونحوه قيل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله
تعالى قائلا به فى عصره وهذا ليس بشئ يتصدى بجوابه وقيل ان مراد قتادة
بيان رفعة ذكره فى الدنيا التى هى عنوان رفعة الآخرة و قوله فليس خطيب
الى آخره يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون مآثرهم ومفاخر قومهم فلما جاء الاسلام
صارت الخطبة اسما للمشروعة باى مذهب كان واى خطبة كانت كما فى الكسوف
والخسوف والعيد والجمعة وغيرها و فاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله تعالى
شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلى لا يعتد بصلاته حتى
يعتقد ذلك وانت ترى ما فى هذا الكلام الذى لا محصل له ولا يجدى شيئا فالقول
ما قالت حذام والثمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من اعم الاحوال اى
ليس يوجد فى حال من الاحوال الا قائلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقى وابن ابى حاتم

فان قلت ما وجه التفريع فى قوله فليس الى آخره وامر الآخرة لا يعلم بالمقايسة
والمتشهد اعم من الخطيب والمصلى فكان ينبغى تقديمه او تأخيره قلت اخذه من
اطلاق الآية والحديث والتفريع وجهه ان من رفع الله ذكره فى الدارين حقيق
بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الآتى بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة
لان غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر (روى ابو سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه
وهو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة المنسوب
اليه على الاصح وسيأتى الصحابى الانصارى ونسبته بخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون
الدال المهملة يليها راء مهملة وهاء وهو حى من الانصار سمى باسم جدهم ثم نسب
اليه لتيم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة امه وهذا الحديث كما قاله السيوطى والشيخ
قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب اخرجه ابو يعلى فى مسنده وابن حبان فى
صحيحه والطبرى فى تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من ان فى زاد المسير
ما يخالفه فان ذاك من واد وهذا من واد ولا لما قيل ان فى المعالم انه صلى الله تعالى عليه
وسلم سأل جبريل عن هذه الآية فقال قال الله تعالى الى آخره فلعله بعد السؤال
جاء وقال ان ربى الى آخره وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة ما فى كلام
المصنف رحمه الله و قوله (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى جبريل
فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك) تقديره اتدرى فحذف منه حرف
الاستفهام وهو جائز مع القرينة فى النظم والنثر كما فى المغنى وغيره وقول التجانى انه
قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث ايضا اتدرى
بثبوت الهمزة على اصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا وان سرق
او غير حقيقى كقوله تعالى* سواء عليهم ءانذرتهم *على قراءة والاستشهاد بهذه
الآية للحقيقى سهو والاستفهام هنا غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب
والسرائر بل هو تقريرى ليقر بعد علمه فيعلمه من لدنه والمشهور فى مثله ان معناه
اتدرى جواب هذا السؤال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان
المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه فى بيان حاصل المعنى فما قيل من انه مخرج
عن معنى الاستفهام اى تدرى كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة
التوجه والانتظار لكنه اعجمية مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة
وتدرى متعلق عن الجملة التى بعده كما فى قول زهير* وما ادرى وسوف اخال ادرى* اقوم
الحصن ام نساء *وكيف فى محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة
فى اعرابها من انها ان وقعت قبل كلام تام فهى حال والا فهى خبر الا ان هذه القاعدة
غير مسلمة كما فى المغنى وشروح الكشاف وهى سؤال عن الحال والصفة اى على اى حال
ومعنى رفعت لك ذكرك وليست منصوبة بتدرى لان لها الصدر ووقع فى بعض

النسخ فقلت (الله ورسوله) المراد به هنا جبريل عليه السلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحى لانبيائه ورسله عليهم الصلوة والسلام (اعلم) كذا عندى فى نسخة مصححة مقروءة على المشايخ وفى نسخة شرح عليها الشارح الجديد اسقاطها وقال لم اجدها فى نسخة من الشفاء واللايق عدم ذكرها ولبس كما قال والتفضيل اما فى الزيادة فى مطلق العلم فلايلزم ثبوت اصل العلم له فى هذه المسئلة او المراد اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح فى الكيفية والمطلوب حصول اليقين او وجه آخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والآخرين كما ثبت فى الصحيح او بالنظر الى علم الله فعلمهما اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احدهما او بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له صلى الله تعالى عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق (اقول الظاهر انه اراد تفضيلهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خصوص هذا العلم او على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض الامور التى لم يعلمها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاعلام الله له بها او لكونها فى الملأ الاعلى ولايلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه واما ما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد امره الله بان يقول لا اعلم الغيب * ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير * وقال لا ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهذا مما لايشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والآخرين متعلق بمعرفة الله واحوال الامم السالفة والآتية اجمالا من خير وشر واوحى اليه ببعض المغيبات ايضا واخبر بها بعض اصحابه كما فى حديث حذيفة فمتعلق افعل منى او من كل احد غيرهما ولا متعلق له كما فى قوله الله اكبر فى احد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله اكبر او اعلم منى بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لاريب فيه او فهم من جبريل عليه الصلاة والسلام انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استأثر الله به قال لجبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل كما فى حديث آخر او المراد انهما سيان فى عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم من عمرو المراد به نفى المساواة كما مر وهو احد احتمالات فى مثله واما ما ورد من علم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم الاولين والآخرين فلعله كان آخر احواله بعد انقطاع ايحاء جبريل له وقيل المراد ان الله اعلم من كل عالم ومنه يستمد العلم اى لا اعلم الا ما علمنى ربى واما كونه علم علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوايده كما انعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقى واحتياجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الوحى مقتضى مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذه آخر

احواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسراء وهى من اول احواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا ومع هذا ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسويد ارجالا تركته رأسا

(قال اذا ذكرت ذكرت معى) قد مر شرحه (قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى معك) لم يسم المصنف رحمه الله تعالى ابن عطاء فلم يدر ما مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمسانى هو ابو عبد الله محمد بن عطاء شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيرى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقال الشمنى انه ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الزاهد البغدادى الآدمى وجزم بان المراد هذا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا فى فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضى الله تعالى عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين انه تواجد فقال اما الصحابة فكوشفوا بالشريعة فى سرهم فكانوا لايغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكرى معك روى بذكرك معى وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد يجئ لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد فى مواطن واقوال مخصوصة كقول المتشهد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى تكرارا وانتشارا واللايق بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الآيات وفى بعض العبارة قلب ايماء الى شرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل (وانا اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو بصدده عقبها بذكر اقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم ختمه بكلام ارباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقلهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معى وذكرى معك وذكرت عين ذكرى وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله او معه او بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة فى نفس الامر واما الثانى فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وقد تقدم * فانت باب الله اى امرء * اتاه من غيرك لا يدخل * واما الثالث فلانه من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآنى فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن ليس له قلب ينظر بعينه الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة واما من

يقول بانه مجرد التصديق لجعله تمامه باعتبار انه لايعتدبه بدونه ولايترتب عليه الاحكام
مالم يأت به لسانا الان الامر مبنى على الظاهر والله اعلم بالسرائر قيل وهذا قول غير قتادة
لانه لم يعتبر كونه من تمة الايمان فتوهم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر (وقال ايضا)
اى وقال ابن عطاء المعرى قولا كالذى قبله ايضا مفعول مطلق لفعل مقدر
من آض اذا عاد ورجع قيل و استعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه
الحقيق لانه عاد لكلام ابن عطاء رحمه الله تعالى (جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك
ذكرنى) ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفة او تمييز محول عن المفعول
والجار والمجرور هو الثانى والمعنى واحد اى كان ذكرك عين ذكرى لعدم انفكاكه
عنه غالبا اوهو مثله فى التقرب به والاجراء وهو معدود من افراده لماورد ان كل مطيع
لله ذاكره والاسناد مجازى والفاء تفسيرية اوتفريعية (وقال جعفر بن محمد الصادق)
تقدم بيانه قريبا (لايذكرك احد بالرسالة الاذكرنى بالربوبية) الاستثناء من اعم
الاحوال والجملة التى بعد الاحالية ولاحاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية
صفة مصدر من الرب وهذه الياء تسمى الياء المصدرية ولابد معها من تاء التأنيث
وفى هذه الياء بحث ذكرناه فى رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضى الله
تعالى عنه انه لايعترف احد برسالتك الابعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته
لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية اوسمعا
كما ذهب اليه غيره تقررهم كما فى الاصول وقيل المراد الاوقد اراد ذلك اوعبر بالماضى
عن المضارع مبالغة فى تحقق وقوعه وفى الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل
وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والعادة ان يقال
رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه اولان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله
لتبليغ احكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة
لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد ان من امن بك امن بى وفيه تكلف ظاهر
ثم ان ماقاله الصادق وغيره يشترك فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر
فالانسب حمله على مايظهر فيه الاختصاص والتمييز انتهى وقد عرفت معناه وانه
محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضى لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد
باظهاره والنداء به على رؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذى بينه وبين
الوضع صنعة الطباق واما عدم مقارنة الحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله
اوارادته على الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما التلفظ بما يدل على
ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفى عند النحاة فلاحاجة
الى جعل الحال مقدرة واما ماادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة فى نداء الاذان والاقامة والخطب والصلوة

والايمان بكلمة الشهادة المعتبر فى الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه الامة
فيختص القرآن الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه افضل الصلوة
والسلام اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا فى غاية
الظهور (وأثار بعضهم فى ذلك الى الشفاعة) المراد بالبعض من فسر قوله عز
وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله فى ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا فى الدنيا
والآخرة فانه فى الآخرة بالشفاعة وهو احد اقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردى
وقال البرهان لااعرفه (تتمة لطيفة) لماذكر الله عز وجل فى آخر السورة التى قبل
هذه قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
ثم اتى بعدها بقوله الم نشرح قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر النعمة والاعتراف
والرضاء بها مما ينشأ منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم وسط بينهما اعباء
الرسالة التى تنقض الظهور فذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر يسرا
الى آخره ثم اشار الى ان مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة الامانة وانه لاراحة للمؤمن
دون لقاء ربه الذى هو مطلبه لاماسواه فلذا قال تعالى فاذا فرغت فانصب ولم يقل له
استرح بل اجتهد فيما يقربك والى الله تعالى فارغب كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتح الى آخرها فتنبه لاسرار التنزيل (ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال اطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله) لماتقرر الثناء من الله
برفعة قدره وذكره فانه اذاذكر ذكر معه كما مر وذكر القران فى كلام الناس ومايحكى
عنهم تبعه بماهو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا
عليه من غير فاصل كالآيتين المذكورتين وفيهما زيادة على ماذكر لابن عطاء قران
طاعته لطاعته لان احدهما لاينفك عن الآخر كما قال الله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال عن المرء لاتسئل وسل عن قرينه * فكل
قرين بالمقارن يهتدى * ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكر واما مصاحبة الطاعة
للطاعة فهى معنوية لا لفظية هنا بمعنى انها لاتنفك عنها بل هى عينها كما مر
وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره امر حقيق لامن قبيل عموم المجاز
ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فان فى الآيتين كذلك لاقتران الطاعة
لله بطاعته فى قوله تعالى اطيعوا الله والرسول لانه بمعنى واطيعوا الرسول واما قوله
* آمنوا بالله ورسوله * فمثال لمقارنة الاسم الاسم على اللف والنشر المرتب و بعضهم
جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى الطاعة الانقياد وقد يكون
بحسب الظاهر كالاسلام الذى هو الانقياد والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر
والباطن كما قدمنا فى الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له
كمطيع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه

باسمه ذاكر الله عز وجل ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازى فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثانى حقيقة وان الاية من باب عموم المجاز اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعها فى الآية والحديث فالامر فى الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شئ مما قالوه وان اراد بيان كل منهما على اللف والنشر لان فى كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد اقتران الطاعتين والاسمين فى كل منهما فهو الذى يحتاج للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدأ مؤخر واما كون من مبتدأ لانهما بمعنى بعض كما قيل فى قوله تعالى * ومن الناس من يقول آمنا * فى البقرة فلا وجه له (فجمع بينهما بواو العطف المشترك) بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلهما مشتركة لافادتها لمشاركة المتعاطفين فى الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفاء والواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتأخر والمعية على الصحيح (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام) قيل اى جوازا من غير نهى فلا يباح واعلم ان الجواز يطلق فى لسان حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون واجبا اومندوبا اومكروها وعلى مستوى طرفى الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقهاء فى العقود وهذا كله ظاهر والغريب ما فى قواعد الزركشى ان جاز كذا استعملوه فى الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اى تشريك الله تعالى وغيره بالعطف بالواو فى حكم من الاحكام لا يجوز الا فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه امر شرف به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر فى تفسير ورفعنا لك ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على هذا وقال ان القاضى وهم فيه فان الذى لا يجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع اسم الله واسمه مع اسم غير النبى فى ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا ان يرد على الله كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما اظن ان احدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله من قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وقوله * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله * وفى الحديث القدسى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وقيل ايضا ان اراد ان مثله لم يرد فى القرآن وغيره فليس كذلك وان اراد انه لا يجوز لنا فاى مانع من ان يقال اطع الله واطع القاضى والامير لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واجاب بعضهم

بان مراده انه منهى عنه تنزيها وادبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق واطلق نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى وغيره ولا دليل فى الآية لما سيجئ ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملائكته وان اشكر لى ولوالديك ومثله فى الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل اولى واقوى وان يختص النهى بالامة والله يفعل ما يريد كما ذكره القرطبى فى معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع الواردة مختصة اوالممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاولان فتأمل وقال تلميذه ابن الحنبلى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو فى حق على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام فى حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فى العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالى فى الاحياء يدل على انه حرام كما ذكره فى باب آفات اللسان الا ان الله تعالى يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه واطال بما هذا محصله وسيأتى تحقيق هذا المقام فى شرح الحديث الآتى بما يثلج به الصدر ان شاء الله تعالى (حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما اجازنيه وقراءته على الثقة عنه) الشيخ من طعن فى السن ثم شاع فى كل من تصدر لافادة العلوم وابو على الحسين بن محمد بن احمد الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد الياء التحتية والف ونون تليها ياء النسبة الى جيان وهى بلدة بالاندلس ولد فى المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق وتوفى فى ليلة الجمعة لاثنى عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة ولم يخرج من الاندلس وقوله وقراءته على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق احكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله تعالى من اراد قال البرهان لا اعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازنيه يعنى انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله تعالى وتوثيق مثل المصنف رحمه الله تعالى لشخص يخرجه عن حكم المجهول وابهام التعديل وفيه خلاف فى كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك اخبرنى الثقة وكذا يقول الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل يقبل ممن عرف انه اذا اطلق يعنى به معينا وقال ابو حاتم الرازى اذا قال الشافعى حدثنى الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجى واذا قال اخبرنى الثقة عن ابن ابى ذئب فهو

ابن ابى فديك واذاقال اخبرنى الثقة عن الليث بن سعد فهى يحيى بن حسان واذا قال اخبرنى الثقة عن الوليد كثير فهو عمرو بن ابى سلمة واذا قال اخبرنى الثقة عن صالح مولى التوئمة فهو ابراهيم ابن ابى يحيى والاجازة يأتى الكلام عليها وهى ان يقول له اجزتك ان تروى عنى كذا اوجميع مرويا تى وفى تصحيح لفظهما كلام فى ابن الصلاح فيه كلام كتبناه فى حاشية ليس هذا محله وهى مقبولة ولاعبرة بقول ابى طاهر الدباس انها لاتقبل نعم هى انزل من غيرها وانما قدمها المصنف رحمه الله تعالى لعلو سنده فيها على السماع الذى بعدها وان كان بينهما فرق (حدثنا ابو عمرو النمرى) هو العلامة الحافظ بن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره ايضا وكذا ابو بكر بن داسة الذى ذكره بقوله (قال حدثنا ابو بكر بن داسة (قال حدثنا ابوداود السجزى) وهو سليمان بن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزى بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاى معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجزستان او بلدة منها قال فى جامع الاصول وهو الاشبه وهو اقليم بقرب خراسان قال (حدثنا ابوداود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور بن عبد الله ابن يسار عن حذيفة) رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الطيالسى هو هشام بن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن ظرف اخباره انه روى عن سبعين امرأة وهذا فى غاية الغرابة وروى عنه احمد وابوداود وقال احمد انه كان فى عصره شيخ الاسلام واخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر اربعة وتسعون كما فى الميزان واما عبد الله بن يسار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهنى الكوفى اخرج له ابوداود والنسائى توفى عام احدى وثلاثين ومائة ولهم عبد الله بن يسار كنية ابوهما لكن قال الحافظ البرهان انه لم ير لواحد منهما رواية عن حذيفة فى الكتب الستة واما خارجها فلا ادرى وليس فى الكتب الستة احد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روى من طرق كثيرة واما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ امير المؤمنين فى الحديث كما قاله ابن الجوزى وممن يقال له هذا اللقب ايضا سفيان الثورى (قال لايقولن احدكم ماشاء الله وماشاء فلان ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان) قال التلمسانى وقع فى نسخة باثبات مابعد ثم اى ثم ماشاؤا عليه صحح العزفى وفى الطرة ثم شاء بدون ماهو كذا بخط القاضى وهذا هو الاشهر وهو المروى فى شرح مسلم للنووى وهذا النهى تنزيهى لرعاية الادب بترك العطف بالواو والموهمة للتساوى كما سيأتى بخلاف ثم الدالة على العبد رتبة وزمانا

وفى شرح التجانى انما جاء النهى عن التشريك فى المشية بين الله وغيره لايهامه ان مشية الله تعالى موقوفة على مشية غيره تعالى عن ذلك فاذا لو خلصت المشية لله جاز ان يعلق الفعل على مشية غيره مجازا ثم التى للتراخى وعطف مشية العبد على مشى الله على ان تكون ما موصولة او على ان تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف اى كائن او كائنة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شاء الله الى آخره فى قوله ماشاء الله وفلان هو شامل لماشاء الله ومحمد ويعضده ماورد فى الحديث عن الطفيل انه رأى ناسا من اليهود والنصارى فقال واله نعم القوم انتم لولا قولكم ماشاء الله وشاء محمد وفى رواية انهم قالوا انكم تشركون ولا تدرون فاخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ماشاء الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله السابق لايجوز هذا الجمع فى غير حقه لايوجب جوازه فى حقه فى الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين وقد صرح بعضهم بكراهة اعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان انتهى ثم ان هذا الحديث روى بلفظ آخر وهو لاتقولوا ماشاء الله وماشاء محمد بل قولوا ما شاء الله ثم شئت قال العلامة الطوفى فى كتاب اللالى هذا تنبيه على تراخى رتبة المخلوق عن الخالق والواو تفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب فان قيل قد اقرهم صلى الله تعالى عليه وسلم على قولهم الله ورسوله اعلم ولم يأمرهم ان يقولوا ثم رسوله اجيب بان فى ماشاء الله وشئت تسوية بينهما فى اصل المشية وقوتها لفظا ولا كذلك الله ورسوله اعلم فان اعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك فى اصل الاعلمية لان الله اعلم من الرسول وكل احد والرسول اعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له فى المشية لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وفيه نظر لان علم الخالق متأخر عن علمه تعالى ايضا وبقى فى هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الآتى (قال الخطابى) بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو ابو سليمان حمد بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وقيل اسمه احمد بن محمد بن ابراهيم البستى المعروف بالخطابى وجاء عنه انه قال ان اسمى الذى سميت به حمد لكن الناس كتبوا احمد فتركته قيل انه نسبة الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى اخى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقال الذهبى لم يثبت هذا وكان رأسا فى سائر العلوم لاسيما الحديث والفقه والادب شافعى المذهب اخذ العلوم عن كثيرين فالفقه عن القفال واللغة عن ابى عمر والزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح اسماء الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفى ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله (ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم

مشيئة الله على مشيئة من سواه) ارشده دله وهداه لما فيه الرشاد والصلاح
وفى المصباح عن ابى زيد يقال ارشده اليه وله وعليه والادب رياضة النفس
ومحاسن الاخلاق وفعله ادبته وادبته ومنه ادبه تأديبا اذا عاقبه على اساءته لانه
يدعوه الى حقيقة الادب اى دلهم على رعاية الادب فى كلامهم هذا واما الادب
المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد فى كلام العرب العرباء
والمشيئة الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه فى الاصل والفرع لكنهما متقاربان
معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات
(واختارها بثم التى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك) ضمير اختارها
لمطلق المشيئة او لمشيئة الله او لمشيئة من سواه اى اختار المشيئة ملتبسة بثم على المشيئة بالواو
وليس هذا من باب الحذف والايصال واصله اختار لها كقوله تعالى عز وجل واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا* فانه لا داعى له هنا اى ارشدهم الى ان يراعوا الادب
فى هذا بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة غيره معطوفة بثم والنسق العطف باحد
الحروف المشهورة من نسقه اذا ضمه والتراخى تفاعل من الرخاء واصل معناه الاتساع
ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفى الامر تراخ اى فسحة كما فى المصباح والواو
لمطلق الجمع والاشتراك فى الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا تنافيه فى الواقع
ايضا فليس فى ذكرها رعاية لادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه
لاسيما اذا لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة
الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو الصحيح عند النحاة وقد
انكر الفراء دلالة ثم على التراخى وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون
حقيقيا او رتبيا او ذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه فى كتاب المجاز كفانا ترك المصنف له
مؤنة ذكره وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى وغيرهما وهو حديث صحيح ثم انه
قيل هنا ان المنع فى الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره فى حكم الاتيان بالواو
فالاستشهاد به ظاهر وان كان الامر فى المشيئتين فهو يدل على النهى عما يوهم
خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المصنف استنباطا فلا يرد عليه ان المنع
فى الحديث انما هو لاجل ان مشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله تعالى لا للعطف والجمع
وايضا فى الكلام ايهام توقف مشيئة الله على مشيئة العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين
يفيد مدعاه ايضا كما مر ثم ان ظاهر كلام المصنف يقتضى انه لا يمنع الجمع بين مشيئة الله
ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقى رحمه الله تعالى فى حديث طويل لا تقولوا ما شاء
الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المصنف من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد
فيه نهى (فائدة) فى بعض الشروح ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن اذا ضم لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله انتج ان ما تشاؤن كائن

لا محالة وهو خلف لتخلف كثير من مشيئتهم واجيب بان المعنى ما تشاؤن شيئا كائنا
الا ما شاء الله كينونته (ومثله الحديث الآخر) اى هو مثله فى التنزيه عما يوهم من
العبارة وهو حديث صحيح فى صحيح مسلم وفى سنن ابى داود مسندا (ان خطيبا
خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم كما
قاله الطوفى وقال البرهان الحلبى لا اعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن
قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابى الانصارى الذى شهد له رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وان فى عبارة المصنف مفتوحة ويجوز كسرها على
الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهى معروفة وهذا
الخطيب كان قد خطب قومه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما علمت على عادة
العرب فى الخطب للامور المهمة وللنكاح قاعدا او قائما وكذا كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة (فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد) قال فى المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغى والضلال ورشد رشدا
من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة
انتهى وقد قال مثله غيره من اهل اللغة فشين رشد فى الحديث مفتوحة وهو المشهور
رواية ويجوز كسرها وروى من باب علم ايضا ومن الغريب ما حكاه السبكى
فى طبقاته ان شهاب الدين بن المرحل قرأ على الحافظ المزى رشد بكسر الشين
فرد عليه وقال رشد بالفتح وقال له قال الله تعالى لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل
وكذلك قال فاولئك تحروا رشدا فسكت يعنى الحافظ ان يفعل المضموم مضارع
فعل مفتوحا او مضموما والثانى غير محتمل فتعين الاول فاجابه بان مصدره ورد على
فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذى فى كتاب
سيبويه رشد كسخط فجاء السماع على وفق سماع ابن المرحل فلله دره قال السبكى
رحمه الله ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروى فى الحديث هو المشهور فى اللغة
انتهى وكذا نقله السيوطى فى شرح سنن ابى داود واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
(ومن يعصهما) قيل ان المصنف رحمه الله تعالى رواية لوقف على يعصهما
ليظهر منشاء القول بان المنع للوقوف ولم يرض به كما ستراه وقد خفى هذا على المعلقين
انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكره الدلجى فلا ينبغى مثله من مثله (فقد غوى)
فى النهاية غوى يغوى من باب ضرب والغى والغواية الضلال والانهماك فى الباطل
وفى شرح سنن ابى داود غوى روى بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح
انتهى (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت او قم قال اذهب)
وفى سنن ابى داود قم او اذهب بئس خطيب القوم انت فان لم تتعدد القصة فبعضها
رواية بالمعنى الا ان قوله او قال يقتضى شك الراوى ويحتمل انه اختلاف فى الرواية
ان قال القائل غير الراوى الاول وهو معطوف على مقدر مثله او هو معطوف

على الاول فتدبر ولم يكتف بقوله بئس الى آخره حتى زاد طرده للزجر تنبيها
على ان من لا ادب له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب
من مجلسي كما قاله * كأس اذا ابصرت فى القوم محتسما * فى الحال
قالت له قم غير مطرود * واما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له
او باسقاط العاطف اى قم فاذهب وبئس مسوق لجميع الذم كاستيفاء نعم لجميع
المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه الخطبة
يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها
لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة
نصيحة اومفاخرة على عادتهم فقد اخطأ فى فهم المراد وكيف يتوهم ان يخطب
للجمعة غيره بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال ابو سليمان) هو الخطابى (كره)
اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) اى كره ان يعبر
عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر اى بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهى
ضمير التثنية فى قوله يعصهما والحرف لها معان منها الوجه والكلمة المخصوصة
عند النحاة ويطلق الكلمة والطريقة قال الازهرى فى التهذيب كل كلمة تقرأ على
وجوه من القرأن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اى
الكلمة التى قرأها اوقرأته ومنه الحديث انزل القرأن على سبعة احرف فى احد
الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتأليف واما مجيء الكناية بمعنى الضمير
فاصطلاح كما فى الكشاف فى اول سورة البقرة وقال الرضى الكناية فى اللغة
والاصطلاح ان يعبر ان معنى لفظا كان اومعنى بلفظ غير صريح فى الدلالة عليه
اما للابهام على السامع كجاءنى فلان اوللاختصار كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى
فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية اوطريقة الكناية اوكلمتها وهى الضمير وهذا
مما لا شبهة فيه وان نوقش فى الاختصار بان بعض الضمائر اطول من بعض الظاهر
كزيد واياه فقيل بانه اغلبى وعدل عنه الشريف فى شرح الكشاف وعلل
بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية انه وهى ضمير الغائب باب
اراد معناهما من ضمير واحد والحرف لغوى افرد لارادة الجنس ولشدة الاتصال
اولانه الاصل لها وقال الرضى الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة
المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمسانى الضمير مطلقا يسمى
كناية من الكن وهى الستر انتهى فقد نفخ فى غير ضرم فانه كيف يعد صريحا وهو
صادق على كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه والعجب ممن نقل
اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشى الشمسية للعماد وممن تبعه وقال انه اصطلاح
منطقى وفى الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحياء يقتضى انها

تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان حسان
رضى الله تعالى عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام
خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت رضى الله تعالى عنه فخطب بكلام جزل وهو
من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد فبشره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة
كما ورد فى الحديث فكيف يقال له بئس خطيب القوم انت واجاب عنه بانه لا ينافى ذلك
زجره لخطائه بمخالفة الادب لا سيما وقد ورد فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال شارطت ربى فقلت اللهم انما انا بشر فاى المسلمين لعنته اوسببته اواذيته
وشتمته فاجعله له زكاة واجرا ورحمة وفى رواية اجعله كفارة له يوم القيامة وفى رواية
ابى داود فى السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه (لما فيه) اى الجمع
(من التسوية) اللاتى بيان المراد بها (وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما) وقال النووى الصواب ان سبب النهى ان الخطبة
شانها الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم
بكلمة اعادها ثلاثا لتفهم لا لكراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع
منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال
العلائى فى كتاب الفصول المفيدة قيل فى الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان
هذا خاص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يعطى مقام الربوبية حقه ولا يتوهم
فيه تسوية له بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق
والجمع فى الضمائر بين الله وغيره فلذا جاز الجمع بينهما فى كلام النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى قوله من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وغير ذلك وامر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد
الذى قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى آخره ويعلم
منه ما فى كلام الله بالطريق الاولى ويرد عليه حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه
الذى علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم
الخصوصية الان يقال يؤخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون فى خطبة الحاجة
ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع فيها وفيه نظر ومنها ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم حين انكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين
عند الجمع فى الضمير ولعل هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم
بل على وجه الندب والارشاد الى الاول لما فى افراد اسم الله عز وجل من التعظيم له
بدليل انه ورد خلافه فى الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد
الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم منه التسوية

فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث ابى داود الذى علم فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امته كيفية خطبة الحاجة قوى الاحتمال ومثله قيل فى حديث لا تفضلونى على موسى عليه الصلوة والسلام انتهى (اقول فى هذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المصنف رحمه الله تعالى ذكر ثناء الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وادرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو المشركة عقبه بحديث النهى عن قوله ماشاء الله وشاء فلان مؤيدا به انه لا يجوز العطف بالواو فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على هذه الرواية والنهى عن عطف مشيته بالواو دون ثم ترقى الى النهى عن جمع اسم الله وغيره فى كلام واحد وهو كلام متجاذب الاطراف بحسب الظاهر سواء قلنا النهى تنزيهى على الصحيح او تحريمى لكن اذا تأملت كلامه وجدته مخالفا لما فى نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لوروده فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فى القرأن والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث الاول قيد برواية اخرى صحيحة كما مر ماشاء الله وماشاء محمد فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد فى القرأن والاحاديث كقوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولما رأى الناس هذا مخالفا للمأثور ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم الى التلفيق فقال بعضهم انه كان فى ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل الخطبة شانها الافصاح وان كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل لغة بخلاف كلام الخطيب وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو افرد كان معظما وهو اعظم الناس تواضعا وقيل انه ادب شرعى مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد ما فى القرأن والحديث وقيل فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبيان الجواز واما الحديث الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص بالمشية لقوله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله فانه ندب لتعليق الامور بمشية الله وحده فلا يجوز تشريك مشية غير الله بمشيته سواء فى ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره الا بثم الدالة على التراخى فان نفس مشية العبد بمشية الله ايضا لانه الذى خلق فيه الدواعى وغاية ما يوجه به كلام المصنف انه مكروه عنده فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان فى كلام غير الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الابهام وانه لما ذكره فى العطف اتى بالمشية وما بعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية اى فى تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لاسيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال لبقل

من بعض الله ورسوله ولبس فى الواو وتسوية عند المصنف رحمه الله تعالى كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضى التغاير والاستقلال لقيامها مقام تكرار العامل او تقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب غيره اى غير الخطابى الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعمى او سعال او نحوه فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصى راشدا وهو فاسد قيل المراد بالوقوف سكتة خفيفة تقطع النفس لا قطع الكلام مرة وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود وتنبيها على جواز الحذف اوذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلف وصرفه عن ظاهره وقوله وقول ابى سليمان اصح اى من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع فى الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه واما القول بان الجمع وارد ايضا الى آخره فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به واما قوله اصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا بعينه لاسيما مع احتمال تعدد القضية (وقد اختلف المفسرون واصحاب المعانى) قال بعض الشراح لم يرد بعلم المعانى هنا علم البلاغة المشهور بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث من معانى الكتاب والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجوز ان يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذى هو من مباحاته كما سيأتى (فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى هل) واو (يصلون راجعة) وعائدة (على الله تعالى والملائكة ام لا) وفى نسخة وعلى ملائكته ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غنى عن الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها ام كما ورد فى الحديث هل تزوجت بكرا ام ثيبا والكلام عليه مبسوط فى محله وقوله فى قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور فى امثاله اختلفوا فى جواب هل الى آخره اذ لا اختلاف فى الاستفهام وانما الخلاف فى الرجوع وعدمه فهل الضمير عائد على الله تعالى والملائكة ام على الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف اى ان الله يصلى وملائكته يصلون (واجازه) اى الرجوع اليهما (بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك) اى للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما فى عبارة واحدة وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة فى حقهما واحدا كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التفريق او بالتفريق بنفسه على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهب البعض من منع فلا كلام فيه والمصنف رحمه الله تعالى ثقة واجل من ان يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما فى بعض الشروح من انه لم يقله احد سواه والمنع له علة اخرى مذكورة فى كتب اصول الفقه وهى لزوم استعمال اللفظ المشترك فى معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله تعالى رحمة ومن

الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء فان كانت هذه معان حقيقية لزم الاول والا بان يكون في واحد منهما حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني واجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على لاحتمالين او من عموم المشترك فلا يلزم ما دعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الاية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى انما هو في غير الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام يوهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه مايشاء ويخلقه على من يشاء وهو لايسأل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى الدعاء وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري وفي دقايق المنهاج للنووي ان التفسير المذكور للصلاة شرعي وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضي انه لغوي واعلم ان في تفسير الصلاة السابق كلام لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محلها فحسبك من القلادة ما احاط بالجيد (وخصوص الضمير بالملائكة وقدروا لاية ان الله يصلي وملائكته يصلون) اي من ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلي وملائكته يصلون فحذف من الاول مادل على الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله جائز ان نصب ملائكته عطفا على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المصنف رحمه الله تعالى الهروب من التشريك وعند غيره مامر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه ايضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ (وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به وان جعل مبتدأ مؤخر والعكس يجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدأ خرق للسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم في قوله تعالى * ومن الناس من يقول آمنا * كما مر وهذا الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه في شيء من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع امري فقد اطاعني ومن عصى امري فقد عصاني (وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين) هذا يحتمل ان يكون استئنافا من المصنف رحمه الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضي الله تعالى

عنه ايضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل اول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ماقيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه غير الاطالة وقيل انه لاتكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه اولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلى قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تأدبه معه بجعل طاعته نفس طاعته ولايخفى انه لا محصل له نعم لك ان تقول ان ما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون ترقيا في مدحه لان اقتران شيء بشيء دون كونه عينه بحيث لايمكن انفكاك احدهما عن الآخر وان من عصى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عصى الله فان كان هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس في ذكر هذا مع ما مر كبير فائدة فلو اقتصر على احدهما حصل المراد وقال القاضي في تفسيره المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادراك فيه بحيث يحملها على مايقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان ما يراه العبد كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغي المحبة الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة في الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من انواع الارادة وان الارادة لاتعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه واما محبة الله له فهي عبارة عن ارادة الخير له في الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشيء آخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف لانه لايمكن ان يقال ان كل شيء انما كان محبوبا لمعنى آخر اذ لابد من الانتهاء الى شيء يكون محبوبا لذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع اخبار رستم في شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم في دعوى المحبة فاتبعوني فان اتباعي علامة ذلك فان اتبعتموني يزيدكم الله فضلا فيحببكم فتعم الملازمة اوهو امر اعتباري اي انما تعتبر محبتكم باتباعي اوهي قضية اتفاقية او بواسطة قضية ضرورية عرفية (اقول هذا محصل ماقالوه وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته قريني ذكره وطاعته ان يبين ان طاعته تقتضي محبة الله تعالى ورضوانه الذي هو اكبر من جميع مامر لان محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لايؤمن احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه وحبه لايكون الا بطاعته * ان المحب لمن يحب مطيع * وطاعته انما تكون بطاعة رسوله صلى الله

تعالى عليه وسلم لانها اعظم مأمور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومتابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه فى اوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن احبه الله احبه (كما قيل لا وحق الخضوع عند التلاقى ما جزاء من يحب الا ان يحب و بهذا علمت ان ذكر آية الطاعة امر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم احب الخلق الى الله تعالى لانه يحب من اتبعه فادعاء التكرار من قصور الانظار وما بعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش و بهذا علمت معنى محبة الله لعبده ومحبة عبده له (وروى كما رواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الاية قالوا) اى الكفار او المنافقون والقائل منهم عبد الله بن ابى بن سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى) صلى الله تعالى عليهما وسلم (فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم) الحنان بفتح الحاء المهملة بعدها نون مخففة يليها الف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله وحنانا من لدنا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما ادرى ما الحنان وفى النهاية ان ورقة من بلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب فى الله فقال والله لا يهى قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والعطف والرزق والبركة اى لاجعلن قبره موضع حنان اى مظنة رحمة و بركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور انصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يجعلنا ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يؤدى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضى الله تعالى عنه انما عذب بعد ما اسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تأمل فانه قيل ان القائل ذلك زيد بن عمرو بن نفيل واما قول المعترض ان ورقة اسلم قبل البعثة فليس بصحيح لما فى البخارى مما يخالفه صريحا وانما الذى لم يدرك البعثة زيد المذكور والنصارى مفردة عند سيبويه نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسبة وقال الخليل واحدة نصرى كمهرى ومهارى وقيل هو منسوب الى نصرة وهى قرية نزلها عيسى عليه الصلوة والسلام وقال قتادة هى ناصرة ولكنه غير فى النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى عليه الصلوة والسلام وقد افترقوا فرقا بسبب قصة يونس المفصلة فى التواريخ وذكرها هنا التلمسانى ايضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان قال التلمسانى لم يذكر الله امرأة فى القرآن باسمها الا مريم ذكرها فى نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائر زوجاتهم باسمائهن بل يكنون

عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم يحتشموا على التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى انها امة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على اليهود الذين قالوا فى عيسى عليه الصلوة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اسم اعجمى معرب والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه الحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلوة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اوار بع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر فى الاصابة واختلف ايضا فى مكثه فى الدنيا بعد نزوله من السماء فقيل سبع سنين وقيل اربعين وقيل غير ذلك ونزول الاية ردا لما قالوه لامره باطاعته وتوقيره بما يليق به ففيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الراء بمعنى التذليل وقهر واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب فى الارض على التراب ثم عم فقيل ارغم الله انفه ورغما عليه اى قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له اى ارادة ذلك بهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتذليل اعدائه اتم مناسبة بغرض المصنف (وقد اختلف المفسرون بمعنى قوله تعالى) فى سورة (ام الكتاب) وهى سورة الفاتحة ولها اسماء كثيرة مذكورة مبينة فى محلها لا حاجة لذكرها هنا ووجه هذه التسمية فيه وجوه كثيرة اشهرها انها سميت به لانها مبتدأه ومفتتحه فكانها امه او لاشتمالها على مقاصده اجمالا ووجه التسمية لا يلزم اطراده مع ما فيهما من المرجحات وفيه تحقيقات تكلفت بها شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصرى) تقدمت ترجمته واما ابو العالية فهو اسم مشترك والذى رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعى الذى اسلم فى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات فى سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد ابن فيروز البراء بتشديد الراء المهملة لانه كان يبرى النبل وهو ايضا ممن خرج له الشيخان ومات فى سنة تسعين ايضا وتردد بعضهم فى المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووى فى تهذيبه الرياحى نسبة لامرأة من بنى رياح اعتقته سائبة فهو مولاها اسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه اصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق و يترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما كان فى الجاهلية ونهى عنه فى الاسلام وهذا التفسير مما اخرجه ابن جرير وابى حاتم عن ابى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححوه ورواه الحسن البصرى كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وتسميتها ام الكتاب وام القرآن على طريق الاستعارة مأثور مشهور

وان اطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت
اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما صرح المصنف باسم السورة مع
ظهوره وكونه على خلاف عادته فيما يذكره من الآيات لما فيه من تعظيم الله له واعتناء به
بشانه حيث ذكره فى اول كتابه ومبدأ خطابه (الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه) جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة
المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة فى حواشينا على
تفسير البيضاوى والصراط جادة الطريق من السرط وهو الابتلاع لانه يلتقمه
ومثله تسمية لقما وقرئ بالضاد والسين وباشمامها زايا او بها خالصة فى رواية ضعيفة وهو
يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام او القرآن او الايمان وتوابعه
او الاسلام وشرائعه او السبيل المعتدل او طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما او النبيين عليهم الصلوة والسلام او طريق
الجنة او طريق السنة والجماعة او طريق الخوف والرجاء او جسر جهنم وهذا ما عليه
اكثر المفسرين قال الامام السهيلى ويرد على بعضها ان المراد بهذا ما بعده من
قوله صراط الذين الى آخر (قلت) ليس هذا متفق عليه نعم يرد على ما ذكره
المصنف انه اذا فسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه يصير المعنى اهدنا
النبى وصحبه ولا معنى له الا بتقدير طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وفيه
ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق الحق فى ايصاله
للمطلوب اى اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمى المرشد للطريق طريقا
تسمية للدال باسم المدلول اى المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفى المعالم
حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو اما رواية
او اشارة الى حذف مضاف فيه كما ذكر والمستقيم المستوى من غير اعوجاج
والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله واصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله
او خيار ورجح هذا لما سيأتى والجر عطفا على اهل بيته وبه جزم فى المقتفى فالمعنى
خيار اصحابه والاضافة بيانية هنا وهناك اذ جميع اهل بيته واصحابه خيار عدول حتى
من لابس الفتن منهم لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام فى تحريره وجزم به
العراقى وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكى اجماع اهل السنة والجماعة عليه ويجوز
ان تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة التام لا لتفاوت مراتبهم فيها
والنعمة لين العيش وخصبه واصلها من النعومة وهمزة نعم للتصغير وهو احد معانى
صيغة افعل وهى نحو اربعة وعشرين معنى (حكاه عنهما ابو الحسن الماوردى)
وقد تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما وصححه (وحكى مكى نحوه عنهما) هو ابو محمد بن ابى طالب شيخ

الصوفية واهل السنة المتبحر فى التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت
كتاب جليل توفى بقرطبة سنة سبع وثلاثين واربعمائة واصله من القيروان ولد بها
ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفى ودفن (وقال) مكى (هو) اى
الصراط المستقيم فى الفاتحة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه)
العطف اما تفسيرى فالجملة مبينة للمحكى او هو قول آخر للمكى فيه قولان وليست
الجملة مستأنفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستأنفة وقوله (ابو بكر وعمر
رضى الله عنهما) بدل من صاحبيه او عطف بيان وابو بكر رضى الله تعالى عنه
افضل الصحابة واسبقهم فى الصحبة وهو افضل من طلعت عليه الشمس بعد النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق اهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم هو
وابواه وابنه وحفدته وهو الصاحب فى الغار وفى العسر والجهاد ولم يزل ملحوظا
بعين الرضى موحدا لم يسجد لصنم فظاهر وقال ابو الحسن الاشعرى لم يزل بعين
الرضاء منه وقد اختلف فى مراده فقيل لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل
بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيؤمن ويصير من خلص الابرار وقال
السبكى لو كان كذلك ساواه كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ذلك وهذه
العبارة لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله قلت هذا هو المعنى
الاول بعينه والذى اراه ان ضمير منه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انه
لم يفارقه طرفة عين ولم يخالفه بيث شفة وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفى
سنة اربع عشر وله اربع وستون سنة وعمر ابن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن
رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لوى بن غالب القرشى العدوى
ابو حفص امير المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احاديث كثيرة
وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا فى ترجمته وسيرته
وما روى عنه مات رضى الله تعالى عنه سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على
المشهور وفضائله غنية عن البيان (وحكى ابو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته (مثله
عن ابى العالية) السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته فى تفسير الصراط بالنبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وان اختلفا فى تخصيص الاصحاب وعدمه (فى قوله
صراط الذين انعمت عليهم) هو بدل مما قبله او عطف بيان فهو عين الاول وقال
السبكى رحمه الله تعالى من الغريب ما قيل انه غير الاول فكانه على رأى من يجوز حذف
حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم وتاء
انعمت للفاعل استعطاف لقبول الدعاء بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل
من الذين عند ابى على ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جعلوا بين النعمة
المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله تعالى انتهى فالمراد عند هذا القائل

بالذين انعمت عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل اوهذا
التفسير مع ماسبق علـى الاحتمال والبدل فلاحاجة الى القول بان اباالعالية هذا غير
القائل بان الصراط النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما سبق لتنا فيهما ولا يخفى ان قوله
مثله يأباه (قال) اى ابو الليث (فبلغ ذلك) اى سمع هذا التفسير (الحسن) السابق
ذكره (فقال صدق والله ونصح) اى صدق ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للآية
والقسم لتأكد صدقه وجزمه بما قاله اوغلبة ظنه وقال بعض الشراح اكثر المفسرين
على ان المنعم عليهم فى هذه الآية هم المذكورون فى قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن اولئك رفيقا وجمعت بينه و بين قوله صراط
الذين انعمت عليهم تجده صريحا له لان الصراط الطريق وهو محتاج للرفيق
وفى الحديث خير الرفقاء اربعة يعنى قوله من النبين والصديقين الى آخره فانهم
اربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلى اقول ونحوه من اللطائف ماقاله الخوى
تلميذ الفخر رازى فى كتاب له سماه اقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى
حقيقته الكاملة التى لا يحيط بها ادراك مدرك وهو فى الازل خلق الخلق برحمته
ولهذا الابقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم
اى له رحمة بها يرزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجرى الرزق على يد غيره فهو اذا
رحمن رحيم خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين
ثم انه تعالى فى مرة اخرى بعـد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا و يرزقهم
فى الدار الآخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم باعتبار
المعـاد الذى هو مالكه فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق
اولا وآخرا فلا عبـادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت النعمة لا تفى ولا يفى بها
الشكر من عباده الضعفاء قال اياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق
بجلاله فاذا عبدناه واعاننا ينبغى الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمثول
بين يديه وذلك بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن
اراد سلوك طريق بعيد لابدله من رفيق فقال صراط الذين الى آخره اى النبين
والصديقين فهم احسن الرفقاء ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال
غير الى آخره واذا امن منهم خيف الضـلال فى الطريق لاشتبـاه معالمه فقال
ولا الضالين انتهى (وحكى الماوردى) السابق ذكره (ذلك فى تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) بن اسلم المدنى وهو يروى عن ابيه
وابن المنكدر وروى عنه اصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة فى الميزان
واخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفى تفسير الصراط
بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه من الثناء والتعظيم ما لا يخفى لاسيما ذكره

فى ام الكتاب ومبدئه الواجب قراءته فى كل صلاة وهو ذكراسم السورة على خلاف
عادته كما مر (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى) من ذكره وترجمته (عن بعضهم
فى تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)
اول الآية فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد الى آخره والطاغوت ما يعبد
من دون الله وقيل الشيطان وفى وزنه واشتقاقه كلام فى التفسير واستمسك مبالغة فى
التمسك يقال مسك وامسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة فى الاصل النبات الثابت
فى الارض ويقال لما تعقد فى الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص
والكوز ثم استعيرت لكل ما يستعصم به ويلتجأ اليه ووثقى فعلى من الوثاقة وهى
الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذى لا انفصام له اى لاانقطاع ولا انفصال
فاذا اريد بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة
الاول والسخافة بالحقيقة والمراد ان من صدق وامن به لسلم من كل سوء فى الدنيـا
والآخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح اواستعارة تبعية فان فسرت
بالتوحيد والاسلام كما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحيح البخارى
فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة متصلة فى الدارين وصاحبه امن من
السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح لم يسم ولم اره ولا وجه
لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه (وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيـد) اى قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهـادة
التوحيد قول اشهد ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهى كلمة
التوحيد اى الايمان بوحدانية الله تعالى عز وجل قيل واول هذين القولين الصق
بقوله تعالى * فمن يكفر بالطاغوت الى آخره * وعليهما ففيه ثناء على ماجاء به
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند التجانى غيره
وان الآية استعارة لعقده لنفسه عقدا وثيقا لا تزل معه قدمه ومن شان العرب
تشبيه المعانى بالذوات المرئية فشبه فى الآية التمسك فى الدين بالتمسك بعروة وثيقة
لا تنقطع ونحوه قول السعد فى شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق
والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى فى الحبل المحكم المأمون من انقطاعه
فذكر المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعـارة للعهد او الكتاب
كما فى قوله تعالى * واعتصموا بحبل الله * انتهى وعد هذا اقرب من استعارته لذات
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد عليه شئ مما مر (قال سهل) هو سهل بن عبد الله
التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله
ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضى الكثرة ولذا قال الحساب

الواحد لبس بعد د الا انه قد يعم و يستغرق نوعية اوجنسية فلك ان تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الوحدة حقيقية تشتمل على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهى تشتمل على صحة كل جزء فى كل حين ظاهرا وباطنا فلو اراد احد تفصيلها عجز وفى حواشى المطول للسيرا فى المعنى ان تشرعوا فى عد افراد نعمة من نعم الله لا تطيقون عدها وانما اتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق انتهى واصل معنى الاحصاء العد بالحصاء وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى * ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر * ثم صار حقيقة فى العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصاء لان ماليس كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها او المراد ان تريدوا عدها وقوله قال اعاده تأكيدا للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان اريد الاول فالباء للتعدية تقول انعم عليه بكذا ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو المنعم به لان النعمة العظمى لكونه رحمة لسائر الخلق كما وقع فى نسخة مروية عن المصنف نعمته محمد من غير باء وان اريد الثانى فالباء سببية فالمعنى نعمته كائنة بسببه او نعامه ففيه فوائد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصاء وكون المنعم به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما قيل من انه من اعظم النعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها بقوله لا تحصوها والا فالنعمة به من اعرف المعارف المعلومة والاحصاء انما يكون فى المعدود لقوله تعالى واحصى كل شئ عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد والاستغراق لان الاضافة تأتى له اللام كما تقرر فى الاصول فعدم الاحصاء لها او لما يترتب عليها (وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى المراد بالذى هنا تفاسير منها انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه اكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبرائيل عليه الصلوة والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق او الجنس الذى بعضه جاء بالصدق وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المؤمنون وقيل معنى جاء بالصدق من بالصدق الذى هو لا اله الا الله او القرآن فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه كما فى قوله تعالى * ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون * او تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والامة فاولئك على ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذى صدق به كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقال بعضهم

وهو) اى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الذى صدق به) المراد بالبعض ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا انهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به امن به كما فى الكشاف وفى المعالم معناه صدق الرسول به اى بلغه الى الخلق وقال البيضاوى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل فى هذا خفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتأمل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول والمؤمنين والذى مبتدأ خبره اولئك وهذه الآيات قد دلت على انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبرائيل عليه الصلاة والسلام فيما آتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذى قد يأتى بمعنى الذين ويغنى فى غير تخصيص كثيرا اذا اريد به الجنس لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما فى شرح التسهيل التقدير فى هذه الآية الجمع او الفريق الذى جاء الى آخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعى اللفظ فوصف بالمفرد وروعى المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله تعالى * كمثل الذى استوقد نارا * وليس الذى اصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عائده فان اريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا كقوله * وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا ام خالد * قال ابن مالك فى شرح التسهيل (وقرئ) فى الشواذ والقارئ هو عكرمة وابو صالح (وصدق على التخفيف) قال فى المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون فى الافعال ايضا فيقال حمل حملة صادقة كما قاله الراغب اى اخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما فى الواقع وهو ايضا معتقد ومصدق به كانه قد يقول انسان امرا واقعا لا يعتقده كقول الدهرى العالم حادث اوحده الله او المراد انه صدق فى تبليغه الوحى كما انزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه مكرر مع قوله الذى جاء بالصدق والتأسيس اولى من التأكيد مع ما فيه من الخطأ وترك الادب لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة (وقال غيرهم) وفى نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقائل قتادة ومقاتل (الذى صدق به المؤمنون) يعنى على القراءتين وتفسير الذى جاء بالصدق بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاخبار باولئك الى آخره على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فى تقدير موصول

اى والذين صدقوا به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه آخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومن قوله تعالى * وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم * اى وما انزل اليكم وقول حسان رضى الله تعالى عنه * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء * وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الآية عليه ويقولون هى حالية بتقدير قد او يقولون الذى بمعنى الجنس الذى الخ من غير حاجة الى التقدير (وقيل ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقيل على كرم الله تعالى وجهه وقيل غير هذا من الاقوال) كتفسيره بجبريل او بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق وصدق به المؤمنون الذين يجيئون فى القيمة بالقرآن ويقولون هذا هو الذى جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيص ابى بكر رضى الله تعالى عنه فلانه الصديق الاكبر الذى سبق الناس كلهم لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصدر منه غيره قط وكذا على كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق الاصغر الذى لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون ابيه على غير الملة ولذا خص بقول على كرم الله تعالى وجهه وقيل تخصيصهما للاولية فى التصديق او للتصديق فى اول اللقاء وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة او ان يراد بموصول مع صلة شئ ومنه مع صلة اخرى آخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة له على التوزيع اى جمع بعضه جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور فيه كما ذكره الطيبى وهذا جار فى الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول القاضى ومن تبعه انه اذا كان الجائى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمصدق ابو بكر ونحوه يلزم اضمار الذى وهو غير جائز مع انه ذكر هذا فى الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما فردان متشخصان هنا لا يجرى نفعا لما مر ولا حاجة الى ان الذى اصله الذين خفف بحذف النون لطوله بالصلة (اقول الذى غر هؤلاء ان الذى لا يراد به متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعنى قال فى التسهيل يغنى عن الذين الذى فى غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى (وعن مجاهد) قال السيوطى رواه عنه ابن جرير وابن ابى حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقرئ المفسر الزاهد العابد روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه المحدثون كما ذكره الذهبى فى ترجمته ومولده فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه سنة احدى وعشرين وتوفى بمكة سنة اثنين او ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته ابو الحجاج وان اسم ابيه جبير بالتصغير وقيل انه رأى هاروت وماروت فكاد يتلف (فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضى الله

تعالى عنهم) قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر امرا به جعل غير الذكر ذكرا كرجل عدل او على تقدير مضاف اى ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى ذكر رحمت ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده على المعنى الاول نظرا لاصله فانه يستوى فيه الواحد المذكر وغيره واطمئنان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا اقام به واتخذه وطنا وموضع مطمئن منخفض واختلف اهل اللغة فيه فقيل ان اطمان كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمئنان القلب به لاستيناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددى لدوام ذكره وروى عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القرآن وفى الحديث القدسى اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بذكرى جعلت همه ولذته فى ذكرى اللهم اجعلنا ممن تطمئن قلبه بذكرك ويكون همته مصروفة بحمدك وشكرك

﴿الفصل الثانى فى وصفه تعالى له بالشهادة﴾

اى بانه صلى الله تعالى عليه وسلم شاهد على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبيائهم لهم وفى بعض النسخ الصحيحة فى وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه والمستتر فى قوله تعالى لله وضمير له للرسول وتوهم خلافه بعيد كما فى قوله تعالى * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا * فانه يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على ان المعنى يسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهى المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر (وما يتعلق بها من الثناء والكرامة) اى الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعنى ان المقصود فى الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه انفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة فى حياته ومماته وكونه نورا محضا منورا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسمه به وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على امته وسائر الامم وانبيائهم وما ذكر فيه من الثناء والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبة له وبهذا تبين مغايرة ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا (قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية) اى وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف رحمه الله ان يذكر الآية فى محل لغرض ثم يسوقها فى محل آخر لغيره فذكر هذه الآية اولا لتأييد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونها شاهدا على التبليغ فذلك قال (جمع الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم

(فى هذه الآية ضروبا) اى انواعا جمع ضرب اى صنف اوهو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير اى امورا متناسبة متماثلة (من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة) رتب بضم ففتح جمع رتبة وهى كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوى والاثرة كما فى المقتفى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة يليها تاء تأنيث كذا ضبط هنا والاثرة بالفتح فى الهمزة والثاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء الاستبداد بالشئ والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثناء والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح كما ذكره النووى الانفراد بالشئ ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرروه ومقتضاه ان فى الآية امورا مخصوصة انفرد بها صلى الله تعالى عليه وسلم وليس كذلك فالوجه انها بالضم المكرمة كما فى القاموس او المراد الانفراد بالذكر اوفى الجملة اوتحمل الاوصاف على معنى يختص به يعنى انها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وان فسرت بالانفراد ليقتضى ان ما ذكرها من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتأويل بما قاله وقد تبعوا به بعض الشراح فى اعتراضه بقوله تعالى * فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا لان قوله هؤلاء للمبعوث اليهم الا ان تحمل الاشارة الى جميع اهل المحشر ولادليل فيه انتهى ولايخفى ان ما ذكر من الجواب والسؤال لاوجه له اما الاول فلان قوله الآتى وهى من خصائصه يأباه واما الثانى فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما ارسله الله تعالى به والبشارة لمن اطاعه فى ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له فى ذلك وهذا مما يقتضى منه العجب عندى وهذا حديث اجمالى فلذلك فصله وقال (فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم) مصدر مضاف الى مفعوله الاول اى بسبب ابلاغه اياهم (الرسالة) مفعوله الثانى والعجب منه انه فسره بقوله اى مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشرى فالشهادة مجاز انتهى (وهى) اى شهادته عليهم لنفسه (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلى انما كانت الشهادة المذكورة من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لان غيره من الانبياء عليهم الصلاة السلام وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الا انه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وامته له بالتبليغ لقوته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرنا بالتبليغ لامهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى هذا بقوله تعالى * لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا اولى مكانا

وان كنا آخر زمانا فلله الحمد على ذلك وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدعى بنوح عليه الصلوة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وامته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة فى هذه الآية شهادة للانبياء عليهم الصلوة والسلام بتبليغهم وهى من خصائصه ايضا بالنسبة لبقية الانبياء عليهم الصلوة والسلام لشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وقدم فى الفصل الاول عن اللباب مافيه تعميمها الشهادات متعددة وهو الوجه حيث لاتخصص انتهى وفى شرحه هنا خبط وخلط لاحاجة لنا به (ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته) فيه كلام سيأتى فى الفصل التاسع والانذار التخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال شخص لعبده ايكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سروره فلو قال اخبرنى عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من استعمال اللفظ فى ضد معناه كذا فى الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تبع فيه غيره فان اردت تحقيقه فانظره اى فى حواشينا على البيضاوى فانك لاتجده فى غيرها (وداعيا الى) الله باذنه اى الى (توحيده وعبادته) داعى اسم فاعل من الدعوة وهى طلب الاقبال اى انه صلى الله عليه وسلم دعاء الناس الى اعتقاد وحدانية الله تعالى ونفى الشريك والايمان به تعالى وعبادته قال فى المصباح دعوة الله ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فمن قال ان اصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولايتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المص اشار الى ان الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته ومايجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه اى بتيسيره اشارة الى انه امر صعب لايتأتى الا بمعونته ويجئ بمعنى العلم كقوله تعالى * وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اى بعلمه وتوفيقه انتهى (اقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام فى كتاب مجاز القرآن ان اذن الله مشيته وارادته لان الغالب فى الاذن ان لايقع الا بمشيئة واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز او بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء بقدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير

والتسهيل كما فى قوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه * اى بتيسيره وتسهيله
اذلا يحسن ان يقال دعوته باذنى ولاقت وقعدت باذنى ولذا قال الزمخشرى يجوزان يراد
بالاذن هنا الامر اى يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة
انتهى (وسراجا منيرا يهدى به الى الحق) وروى يهدى به وهو اشارة الى وجه التشبيه
وتنويره وكلاهما بمجهول مضموم الياء مروى عن المصنف رحمه الله تعالى وقد مر
تفسيره وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يهتدى به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من انواره
وقد وصفه الله فى هذه الآية بخمس صفات قابل كلا منهما بما يناسبها غير صفة
الشهادة اذلم يقل له راقبنى لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له
فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهى عن متابعة
الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء بربه لان من اتاه الله برهانا حقيق بان يكتفى به عمن سواه وقال ابن عطية
رحمه الله تعالى هذه الاية ارجى آية فى القرأن لانه امره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير
وقد فسر هذا الفضل بقوله فى آية اخرى * والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى
روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (حدثنا الشيخ
ابو محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة علم
منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو فى العرف اسم لكل
من تصدى لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف رحمه الله تعالى
سمع منه فى رحلته للاندلس وهو من علماء الحديث توفى فى جمادى الاولى سنة عشرين
وخمسمائة وله سبع وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) وهو ابو القاسم
حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الاطرابلسى تلميذ ابو على
الغسانى قرأ عليه البخارى مرات وروى عنه وعن القابسى وغيره (قال حدثنا
ابو الحسن القابسى) وهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن على بن محمد بن خلف
المغافرى اخذ بافريقة عن ابن مسرور بن الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة
ابن محمد الحافظ ولد سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثلاث
واربعمائة بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه فى نهاية الصحة ضبطها له ثقات
اصحابه والقابسى بقاف والف وباء موحدة وسين مهملة وياء نسبة نسب لقابس
وهى بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بعمة وعمه كان
يشد عمامته شد اهل القابس (قال حدثنا ابو زيد المروزى) وهو محمد بن احمد بن
عبد الله بن محمد الامام النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته جاور بمكة
وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهى اجل الرواية عنه لجلالة
ابى زيد وتوفى بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلاثمائة

وترجمته مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاى
على خلاف القياس وفى الثياب وغيرها يقال مروى فرقا بينهما ومن اللطائف قولى
فى هذا فى اجوزة * ومروزى جاء فى الاسامى * والثوب مروى على القياس * قال
(حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربرى المشهور سمع البخارى من مصنفه
مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ورواه وفربر بكسر الفاء وفتحها وفتح الراء المهملة
وسكون الباء الموحدة يليها راء مهملة قرية من قرى بخارى وهو ثقة ورع زاهد
حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وتوفى سنة عشرين
وثلاثمائة لعشر بقين من شوال ويوسف اسم اعجمى مثلث السين وليس مشتقا من
الاسف وان وافق ذلك لفظه فى قول الله يا اسفا على يوسف قال (حدثنا البخارى)
وهو الامام الحافظ محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى الامام الورع الزاهد
المتفق على جلالته وتأليفه اصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة
اربع وتسعين ومائة وتوفى بقرية خرتنك من اعمال بخارى سنة ست وخمسين
ومائتين قال (حدثنا محمد بن سنان) هو محمد بن سنان العوفى الامام ابو بكر يروى عن
همام وجرير ابن صارم وفليح وروى عنه اصحاب السنن قال (حدثنا فليح) بفاء ولام
وحاء مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل ان يكون تصغير
مفلح او افلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن ابى المغيرة ابن حنين واسمه عبد الملك
توفى سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوى مدنى روى عن سعيد ابن الحارث وضمرة بن
سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه واصحاب الكتب الستة وقال ابن معين وابو حاتم
والنسائى انه ليس بالقوى وقال الحافظ بن حجر صدوق لكنه كثير الخطأ ولكن
الشيخان اعتمداه قال (حدثنا هلال) هو هلال بن على وهو هلال بن ابى ميمون
يروى عن انس وعطاء بن يسار وابى سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما واخرج له
اصحاب الكتب الستة وقال النسائى ليس به بأس قال الواقدى مات فى آخر خلافة هشام
ابن عبد الملك (عن عطاء بن يسار) بفتح الياء التحتية والسين المخففة المهملة ابو محمد
المدنى من كبار التابعين توفى سنة اربع وتسعين او ثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به
البخارى واخرجه فى التفسير بغير هذا السند ايضا (قال لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص) واو عمرو مشهورة قال ابن التلمسانى جوز بعضهم تركها وعبد الله هذا هو
ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القرشى السهمى الزاهد العابد الصحابى كان بينه وبين
ابيه فى السن اثنى عشر سنة وامه ريطة بنت منبه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول نعم اهل البيت عبد الله وابو عبد الله وام عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه وكان
كثير العبادة والرواية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قيل انه اكثر رواية من
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب وابو هريرة لا يكتب كما مر وانما لم تشتهر

روايته كابى هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وابو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفى بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمر وابوه اشهر من ان يذكر والعاصى يرسم بالباء وبدونها واثباتها اولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير فى حالة الوصل بالياء وفى حالة الوقف بحذفها ولاوجه لمن انكره فانه لغة لبعض العرب شبهوا مافيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبهما قرئ فى السبعة الكبير المتعال ونحوه والذى غر المنكران النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه فى باب الرسم (فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى صفة المذكورة فى التورية بدليل قوله فى الجواب انه لموصوف فى التورية فان السؤال يعاد فى الجواب صراحة اوضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا فى رواية الصحيح واخبر يتعدى للامر المسؤل عنه وللمنقول عنه الخبر ايضا كالخبر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان المشهور فى الاول تعديته بالباء وهذا مما لاشبهة فيه عندى فلاحاجة لما قيل من انه انما يتعدى بها هنا وهو مخبر به لاعنه لتضمنه معنى الكشف اى اخبرنى كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر فى التورية وانه لايصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ماقيل انه نظر للفظ فتدبر (قال اجل والله انه لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القرأن) اى قال عبد الله رضى الله تعالى عنه لمن قال له اخبرنى عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التورية اجل اى نعم هى مذكورة فيها لان كلامه يقتضى ان صفته صلى الله تعالى عليه وسلم مذكورة فيها واجل كما فى المغنى لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح فى القاموس بانها تجئ بعد الاستفهام وغيره فقال اجل كنعم الا انه احسن منه فى التصديق ونعم احسن منه فى الاستفهام وقال الرضى هى لتصديق المخبر ولاتجئ بعد ما فيه معنى الطلب وهو منقول عن الزمخشرى وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمنى وهو انه موصوف فى التورية واما تقدير الاستفهام او جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشئ انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال اجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مأول عند من شرط فيه تصديق المخبر اوهو تصديق لخبر نفسه ولذا اردفه بقوله والله وللتأكيد لا القسم للاعتناء به لان السائل غير منكر اولتنزيله منزلته لغفلته عنه اولما شاع من انكار اليهود وتحريفهم وفى شرح التسهيل اجل لتصديق الخبر ماضيا اوغيره مثبتا ومنفيا ولاتجئ بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجئ بعده الا انه فى الخبر احسن من نعم ونعم فى الاستفهام احسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما فى هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح

الحديث بنحوك وهذا بناء على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل فى شرح المغنى وفى قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا فى الاحاديث والتوراة اسم لكتاب الله المنزل على موسى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى كلمة غير عربية بل معربة وفى وزنها واصل معناها كلام طويل ليس هذا محله فان قلت عبد الله رضى الله تعالى عنه قريشى عربى فلايناسب سؤاله عما فى التورية والتورية وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لايجوز قراءته فاوجه هذا قلت ان عبد الله كان يقرأ ويكتب كما مر وقال البرهان الحلبى فى المقتفى انه رضى الله تعالى عنه كان يحفظ التورية وقد روى البزار من حديث بن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما رأى فى المنام فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التورية والقرأن فكان يقرأ وهما ذكر هذا الحديث بعض شيوخى انتهى واما النهى عن قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته فى الاشتغال بها واما غيره فلايمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما فى قصة الرجم ويأتى لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته فى القرأن فى بعض النسخ ببعض مافى القرأن وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرأن اكثر مما فى التورية لتفصيله وان تفرق فى آيات وسور متعددة وهذا مما لاشبهة فيه فما قيل من ان فيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما على الآخر لاوجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله فى التورية كما سيأتى اهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشتمل من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم والصفات اعم منه فلاحاجة الى تكلف الجواب بانه وعد يحتمل عدم التنجيز او التعليق والتخصيص وقد وقع فى الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله تعالى (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبى صادف محزه مع قوله ارسلناك وخطاب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى التورية خطاب للحاضر فى العلم بما جعل كالماضى لتحققه او حكاية لما يقال فى المستقبل او جعله على نهج استحضار الصورة الآتية والتعبير بما يعبر به فى ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضى اونادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا قبل كونه بتقدير سيقول له فى المستقبل كما قيل فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس ان تقديره يقال لهم فى القيمة كنتم فى الدنيا اياه ان ما سيقال فى المستقبل ليس فيه حرزا للاميين والذى فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من

الالتفات انما يمشى على رأى السكاكى كذا قيل وفى الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن ابى الاصبع وسماه الالتفات فى الضمائر كان يذكر ضميرين لمخاطبين احدهما الواحد والآخر لغيره اوضميرين لغائبين كذلك وهنا ضمير فى اصل النداء اى ادعوك ايها النبى وهو للكليم والآخر فى قوله ارسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لاماذهب اليه الجمهور ولا السكاكى انتهى (اقول الغرابة منه فان ماظنه غريبا وكره جميع اهل المعانى وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والادباء سموه التفاتا والاعتراض انما يأتى اذا وقف على اول عبارة التوراة فان كان قبله خطاب لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتراضه وارد والافلا (وحرزا للاميين) الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاى معجمة هو فى الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة فى المكان الذى يحفظ فيه فيقال حرز حريز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا اى تحفظ منه واحرز قصب السبق اى حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه اموالهم وانفسهم فى الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لاكتاب لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لشرفهم اولارساله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم اولان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظه لهم من آفات النفوس وغوائل الدهر او من آفات العجم وتغلبهم اومن مطلق العذاب مادام صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم او من عذاب الاستئصال لحديث سألت ربى عز وجل ثلاث خصال فاعطانى اثنين ومنعنى الثالثة والاثنتان هلاك السنة والفرق والثالثة كون بأسهم بينهم (انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل) قدم العبودية لشرفها كما قال * لاتدعنى الايا عبدها * * فانه اشرف اسمائى * ولذا خص وصفها بالذكر فى الاسرار وليست بالمعنى العام الذى يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذى رضيه الله لعبده حتى اطلعه على خطاير قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤنانه فقال اليس الله بكاف عبده فان الملك لايرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة احد له فانه هو الذى يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل دون جعلتك اووصفتك وقدم العبودية هنا شرفا وتعظيما اذ المراد الكامل فى العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك اووصفتك المنادى بشدة توكله الذى صيره علماله ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فى امته (ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الاسواق) فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن هذا كلام آخر من التوراة ضمه عبدالله رضى الله تعالى عنه الى الاول وفى الالتفات هنا بعد النظرية هنا حسن الاقتباس اذلم يوجهه بمثله وان كان منفيا والفظ كما فى

المصباح الرجل الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب فى غير موضعه وغلظ خلاف رق غلظة بالكسر وحكى فى البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل اشتد واغلظ له فى القول عنفه وغلظ بالتخفيف اكدها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولاتشديد على الناس لان ملته سمحاء وليس بغليظ اما تأكيد له او بمعنى انه لايعنف الناس والمراد انه ليس بسيء الخلق قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيء الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولاينافيه وقوع الغلظة والشدة اللايقة اوالواجبة احيانا لانها لاينافى حسن الخلق والمراد نفيهما بحسن الطبيعة والخلقة اوفى غير محلهما واما ماوقع فى الصحيح فى حق عمر رضى الله تعالى عنه انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لم يقصد قائله التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل ولفظ من يأباه وقيل انه من قبيل الخل احلى من العسل واختاره الدمامينى فى حواشى البخارى اى غلظتك ياعمر اشد من رفقه صلى الله تعالى عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفظاظة اللائقة فى محلها فماوقع من امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه ازيد مماوقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسن فيما هو محله والفاروق رضى الله تعالى عنه اختار الفظاظة اللايقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك فى بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامحذور فى مثله والسخاب والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته وهما لغتان فى كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع امر مذموم جدا والصاد افصح والسين لغة ربيعة وقد روى بالوجهين هنا وقوله فى الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشراء ونحوه وهو يذكر ويؤنث والسوق خلاف الملك ولما كان فى الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لاسيما من الدلالين قيده به والمراد نفيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا لانه اذا انتفى فى المحل المعتاد فيه انتفى فى غيره بالطريق الاولى وهو ابلغ من الاطلاق وافصح لانه نفى بدليل على حد قوله * ولاترى الضب بها ينجحر * وللعرب فى مثله ثلاث مقاصد نفيهما ونفى القيد ونفى المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك وردا لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لانهم قالوا لما اظهر صلى الله تعالى عليه وسلم الدعوة انه ينبغى ان لايأكل ولايشرب ويكون ملكا ولايدخل السوق ليكون ملكا وفى الشرح الجديد المراد انه ليس بسخاب فى موضع من المواضع فالنفى للمقيد لانتفاء

المطلق وانما نفى المقيد ابتداء للتصريح بنفى ماهم عليه من التقبيح او للمبالغة فى نفى
المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبى المراد نفى الصخابية وكونه
فى الاسواق وهو عجيب لان نفى الصخابية فيها لاينافى كونه فيها بلاصخابية ولا الصخابية
من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفى المقيد لبشاعته
مع انه مظنة وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لايفعله فى غيره بالاولى ولا يرد ان صخابا
صيغة مبالغة فبتقدير توجه النفى الى قيده وهو فى الاسواق تثبت له الصخابة لانا
نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام فى احد الوجوه ولاضير
اذا كان المراد نفى الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفى مطلقها لاينافى ثبوت
اصل الصخب له وهو قد ثبت فى محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى (اقول
فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبى وتعجبه لبس فى محله لما عرفت من
انه احد الاحتمالات فى امثاله وما ذكره امدح لانه نفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
اعتياد صخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثانى انه ادعى ان المبالغة
لاتناسب هنا والتجاء الى جعل الصيغة للنسب ولبس بلازم لجواز كون المبالغة
فى النفى لافى المنفى كما ذهب اليه خاتمة المفسرين فى الاية الاان فيه نظرا لان صرف
المبالغة للقيد الذى فى الصيغة لبس بالسهل مع امكان التفصى عنه بوجه وفى هذا
المقام مباحث آخر مذكورة فى هذا المحل وقد افردناها فى رسالة مستقلة (ولايدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يغفر) لان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن
وقد قال الله تعالى *وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله*
فلذا قال ولكن يعفو و يغفر فلايسئ لمن اساء اليه و يدفع بالتى هى احسن
وفى الآية مشاكلة وكذا فى كلام المصنف وان كان نفيا فتدبر وفى ذكر المغفرة
بعد العفو تأكيد ان كانا بمعنى او يعفو تارة و يستر اخرى فلايفضح فيقول فى خطبه
مابال اقوام يفعلون كذا كذا قيل وفى كلام التفتازانى ميل للاول وقيل بين العفو
والمغفرة فى حق غيرالله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره
وخاطره والمغفرة مشتقة من المغفر وهو الستر ولايلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن
الى آخره استدراك بانه لايلزم من عدم جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى الله
تعالى و يؤخره للآخرة انتهى (اقول قد ورد العفو الغفور فى اسماء الله عز
وجل وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما
متساويان وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام الفاضل
القرطبى رحمه الله تعالى فى شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر
لايقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب اوعتاب فان استعمل فى غيره
فهو بطريق المجاز ومر فى الخطبة الكلام فيه ايضا فتذكره (ولن يقبضه الله
حتى يقيم به الملة العوجاء) الملة الدين و بينهما فرق والعوجاء مؤنث اعوج وهو

ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هذا به وقال الشارح
المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما فى النهاية بفتح العين فى المرئى وبالكسر
فى غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة
هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التى عوجتها العرب بتغييرها كما قال الله تعالى
ان اتبع ملة ابراهيم لاملة الكفر كما توهم فانه ازالها انتهى فى النهاية الملة
العوجاء ملة ابراهيم عليهما الصلاة والسلام التى غيرتها العرب عن استقامتها لانهم
ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية
والحنيف من يوحد الله و يعبده لان الحنيف فى اللغة الاستقامة وانما قيل للمائل
الرجل احنف تمليحا اوتفاؤلا وكان ابراهيم عليه الصلوة والسلام حنيفا اى مستقيما
و بهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله اى توفاه وقبض روحه واصل القبض اخذ
المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا بتشبيه الحيوة والروح بالمال كما قال عمارة *اذا كان
رأس المال عمرك فاحترس* عليه من الانفاق فى غير واجب اوهو من باب استعمال
المقيد فى المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه (بان يقولوا لا اله الا الله) اقتصر على
هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان المعوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام
و بهذا يستقيم وقيل المعنى انهم يأتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمائهم
واموالهم غيران المنجى هو التصديق بها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله
وهى قرينة كلمة التوحيد التى لاتكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر
والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا فيه انه يجب على امة
الخليل قبل وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله
كما صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع الى التوحيد ولاينافيه زيادة الايمان
بشئ آخر وفيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما فى الشرح
وفيه بحث لانا لانسلم انه بعينه داخل فى الايمان التفصيلى للامم السابقة ومثله لايقال
بالرأى وما ذكر لايناسب مانحن فيه (و يفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا)
قد مر هذا فى الخطبة وهذا الحديث مروى فى البخارى بتأنيث ضميرها على انه
راجع لكلمة التوحيد والمصنف رحمه الله ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ
اوللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقى عن كعب ليبصر الله به اعينا عوراء
ويقيم به السنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بنصب اعينا وما عطف عليه
ويفتح بالتحتية وعلى رواية البخارى بالفوقية المضمومة ورفع الاعين ومابعده ووقع
فى رواية اعين عمى بالاضافة وكذا الكلام فى الاذان والقلوب وعلى هذا فالعمى
جمع اعمى وكذا الصم جمع اصم وعلى الاول جمع عميا وصما قيل والظاهر ثبوتها
فى التورية فلااشكال (اقول لايخفى ان التورية عبرانية وهذه ترجمة وان اختلف

لفظهـا معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم تغايرها الا فى العمى والعور والذى فى القرأن صم بكم عمى وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفى ماسواه فهم لما اثبتوا الله والشريك كانوا كما قد احدى عينه او العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمى يوصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثانى تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار اما لما فيه من فتح الاجفان او لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين الاعمى كما قيل * قد اغلقت ابوابه دائما * كانها اجفان عميان (وقال واقسم لوجاد الخيال بزورة * لصادق باب الجفن بفتح مقفلا * وفيه معنى دقيق لبس هذا محله وازالة الاحساس فى الحواس المذكورة بآفات نصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح اذنه وقلبه فهو على حد قولهم متقلدا سيفا ورمحا والغلف جمع اغلف وهو الذى عليه غلاف اى غشاء وغطاء كقوله تعالى وقالوا قلوبنا فى اكنة وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمراى هى اوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لاغير اذ المعنى لا ينظر ولا يسمع ولا يغنى ما جئت به (وذكر مثله) ذكر بصيغة المجهول والذى فى البخارى ذكره فى صحيحه تعليقا عن (عبد الله بن سلام وكعب الاحبار) عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لاغير ونقل التلمسانى انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخارى وسلام بن مشكام وماعدا ذلك بالتشديد وقال العراقى فى الفيته نحو سلام كله نثقل لا ابن سلام الحبر والمعتزلى وابن سلام هذا اسلم فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتورية والقرأن وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وتوفى سنة ثلاث واربعين وهو اسرائيلى من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلوة والسلام وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله ونزل فى فضله قوله تعالى * وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وقوله تعالى * قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده ام الكتاب * وحضر مع عمر رضى الله تعالى عنه فتح القدس والجابية وهو انصارى خزرجى بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له اصحاب الكتب الستة وغيرهم وقد مر ان كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هينوع يكنى بابى اسحق الحميرى التابعى المشهود ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضى الله عنه وروى كثيرا وعن غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه وتوفى فى خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين متوجها

الى العراق وقيل توفى بحمص كما مر وكان يقال له كعب الاحبار ويقال كعب الحبر بكسر الحاء وفتحها كما مر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه او لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذى يكتب به والحبر ايضا بمعنى العالم كذا فى المصباح وتهذيب الاسماء للنووى وفى مثلثات ابن السيد فقوله فى القاموس كعب الحبر وبكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث اخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ودلائل النبوة وذكره ابن ظفر فى كتابه خير البشر الذى افرده كما فى الكتب السالفة من التبشير بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كتاب بديع فى معناه رأيناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخارى مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته فى تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه كما بينه شرحه وفيما ذكروه مخالفة لما فى فتوح الشام للواقدى (وفى بعض طرقه عن ابن اسحق) الطرق جمع طريق وهى معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث وتلمح القائل له حديث فى الجود مشتهر * نرويه عنه الركبان من طرق * وفى المقتفى للبرهان كان هذا فى الاصل عن ابى اسحق فضرب عليه وكتب فى الهامش ابن اسحق وهو الامام محمد بن اسحق ابن ابى بكر ويقال له ابو عبد الله المطلبى مولاهم المدنى صاحب المغازى رأى انسا رضى الله تعالى عنه وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعنه شعبة والحمادان وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب ربما تستنكر لسعة حفظه وكذا اختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وخمسين ومائة وقيل اثنين وقيل سنة خمسين وجده من سبى العراق وهو اول سبى دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشئ لجواز ان يسمع منها وهى خلف الحجاب كما روى الناس عن عائشة رضى الله تعالى عنها وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روى عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان اعلم الناس بالانساب وانما انكر عليه ما كان يأخذه عن اولاد اليهود الذين اسلموا بعض ما ذكر فى الغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجاء فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول فى المغازى وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان هو امير المؤمنين فى الحديث قال السيوطى هذه الطريق اخرجها ابن ابى حاتم عن وهب بن منبه فى تفسير سورة الفتح ووقع فى حواشى التلمسانى هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال هو عمرو بن عبد الله بن على السبيعى رأى عليا واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهم ولم ار هذه فى النسخ (ولا صخب فى الاسواق) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقدم بيانه

(ولا متزين بالفحش) فحش كقبح وزنا ومعنى فكل شئ جاوز الحد فهو حد فاحش والفحش القول السئ ويطلق على الزنا وقيل فى تفسير قوله ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بفاحشة والحاصل انه كل قبيح قولا كان اوفعلا ومتزين روى بزاء معجمة ومثناة تحتية ونون وروى بدال مهملة من الدين وروى منقوصا متزين بياء بدل النون من الزى وهو اللباس والهيئة اى لا تلبس بامر قبيح او يتحمل به ويباهى به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتى به غير متجاوزا وغير متزين به لانه لا فهوم له لجريه على عادة ارباب الفحش فى المباهات بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد اوالمراد انه لا يرى الفحش زينة فهى مكنية وهذا علامة من علاماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم (ولا قوال للخنا) قوال فعال صيغة مبالغة اى كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا ماقبله يفيد انه لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ منه قليلا اوكثيرا لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة اى ليس بذى قول للخنا كتمار ونبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفى المبالغة ولم ينف اصل قوله للصيانة عن توهم الكذب فى كلامه لو صدر عنه مايوهم فحشا ما وعن الهلاك الذى يثمره ذلك التوهم فوق الهلاك الذى يثمره توهم انه ربما يقول الخنا ذكر ولما ذكر صفات التخلية بقوله لس بفظ الى آخره اخذ فى صفات التحلية بطريق الوعد ممن لا يخلف وعده فقال (اسدده بكل جميل) مستأنفا لمقصد اعلى مما قبله ولذا لم يعطف وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقايص فقال اسدده الى آخره والجميل الحسن صورة كان اومعنى ومر فى الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتيسيره يشمل تيسير جميعه وبعضه فقوله بكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة اوهو كاستغراق جميع الامر الصاغة اى بكل جميل يليق به (واهب له كل خلق كريم) اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى والخلق بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة اى فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم كرما اذ نفس وعز ويكون بمعنى العطاء الكثير وليس بمراد هنا وان اوهمه قوله اهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على اخلاق فلا حاجة لى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسيأتى نبذ منه (واجعل السكينة لباسه والبر شعاره) اى اجعل مضارع لمتكلم وهو الله والسكينة

بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه وبها قرئ فى الشواذ وهى فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة ووردت فى القرآن فى قوله عز وجل هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ووردت فى الاحاديث الصحيحة بمعان آخر قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فعن على رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله رأسان وعيون ذات اشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل انها شئ كان يلقى فيه موسى عليه الصلوة والسلام الالواح والعصى وقيل هى رحمة وقال السيوطى رحمه الله تعالى انها اسم ملك مخصوص وفى حديث الوحى غشيه صلى الله تعالى عليه وسلم السكينة وهى ماكان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هومع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم وفى حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهى ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول واما هذه المعانى فيحمل عليها ماورد فى الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبدؤه مايلوح لقلبه فى مراقبته جعله فى الآية فى القلب ويلزمه مايظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباساله من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما فى الآية بمعنى ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه اوالعقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان اوزيادته والخير والرحمة والشعار بمعنى اللباس الذى يلى الجسد سمى به لانه يلبس شعره وبه ويكون بمعنى العلامة ايضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو مايتغطى به الانسان وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار اى هم خاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم والناس عامة اوهم اقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله عليه وسلم فى سائر احواله ويراها كل احد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة والازمة ايضا وعم احواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ماقبله ومابعده ايضا وهو قوله (فالتقوى ضميره) لان الضمير مايضمر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لا ينساه والاسم الضمير والمضمر الموضع والمفعول قال * ستقراها فى مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر * ويسمى القلب ضميرا لخفائه اولانه محله فانظره كيف تنقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع مافيه من شبه اللف والنشر مع لا ورالسلبية والتقوى عبارة عن التوقى من العذاب فى الآخرة ولها مراتب اولها التبرى عن الشرك والثانى التنزه عن كل مايؤثم والثالث ان يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت التيامها مع الضمير (والحكمة معقوله) الحكمة

كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها وتطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضاء بالعدل وبه فسر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرأن وتفسيرها ههنا بالعلم باحوال الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاعة اوتطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها بعقله وادراكه اومايعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لاينطق عن الهوى (و) اجعل (الصدق والوفاء طبيعته) اى لاينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد احدا او وعد وعدا لايخلفه وهذا امر طبيعى له جعله الله فيه (والمعروف خلقه) المعروف والعرف قال فى المصباح هو الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان امرا بالمعروف فليأمر بالمعروف اى من امر بخير فليأمر برفق انتهى ويقابله المنكر والمعروف ماتعرفه وتألفه العقلاء ولذا قيل المعروف كاسمه معروف (والعدل سيرته) العدل القصد فى الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهى فى الاصل الهيئة فى السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة اى طريقة وحاله العدل وعدم الخروج عن الحق قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل فى تفسيره العدل الفرائض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف والاحسان التفضيل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقايد والعبادة واداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوى العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والصبر بينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على اذاهم قيل جعل العدل سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافى ان يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا ان يكون العفو طبيعة له صلى الله تعالى عليه وسلم لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان اخص من العدل فان تمثيل المشركين بحمزة رضى الله تعالى عنه فى احد وعدم تمثيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا ان الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذى اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن مثله (اقول) هذا القائل فسر العدل بالمساواة فى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير بمثله وزيادة والشر باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لابد من مقابلته وترك العفو عنه فلو اذن له فى العفو او التقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ماليس ا

بعدل جور او ليس كذلك (والحق شريعته) الذى رأيناه فى النسخ المقروة بنصبهما عطف على مفعول اجعل وحينئذ لايرد عليه شئ كما اورد على الرفع فان تعريف طرفى المسند والمسند اليه يقتضى الحصر فيقتضى بمفهومه ان ماعداه من الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد الحق الكامل الذى لاينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولايحتاج فى تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف اوجعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته فى زمن موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام لم يكن فى الشرايع حق غيرها وما سواها باطل كذا فى النسخة التى عندى ولامحصل لها ولايندفع السؤال بما قاله ولك ان تقول ان شريعته فى زمانه هى الحق لاغيرها لانساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق الثابت وخلاف الباطل ومايستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى شرعه الله لامته وهى قانون الهى وضعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام يسوقهم الى خير الدارين والشريعة قيل انها فى الاصل الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال الله تعالى * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * ويكون بمعنى المشرعة والموردة اى المحل الذى يشرب منه من حافة نهر ونحوه ثم نقلت الدين اما لانه طريق الخير والسعادة اولتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة لسبب الحياة الفانية ورد بان معناها انما هو الطريق والموردة انما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لايخفى (والهدى امامه) والهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التى لايمكن بها من الاهتداء لمصالحه والثانى نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع ان يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشياء فان قلت كيف تشمل هذه الانواع والاول لم يدلهم الله عليه قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله امامه بكسر الهمزة يضبط البرهان الحلبى وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام احدى الجهات الست ومعناه على الاول مقتداء ومتبعه وبه سمى به الامام للاقتداء به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام انى جاعلك للناس اماما اى انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل ان تعريفه للعهد اى هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * والمراد بهداهم مااتفقوا عليه من التوحيد والاصول لاالفروع ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله تعالى * وانهما لبامام مبين * وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية اى انه ملاحظ له كما يقال فى ضده انه ظهرى وخلف ظهرى (والاسلام ملته) بنصبهما ورفعهما كامر والاول هو الصحيح فى النسخ التى عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام

اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم اوهو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية فى التوراة صريحا وضمنا لقوله هو سماكم المسلمين من قبل اى من قبل نزول القرأن سماهم بهذا فى الكتب الآلهية والظاهران هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت فى التوراة والانجيل تعريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى حملها على الكامل منها ليكون من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم التى تميز بها عن غيره والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهى متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاسلام اصل معناه اللغوى الاستسلام والانقياد ثم خص فى لسان الشرع بالانقياد لماجاءت به الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام بلاخلاف انما الخلاف فى اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمشهور انه لايختص بهم فيقال لكل ملة اسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبى انه مسلم لقوله تعالى فى حق لوط عليه الصلاة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة و يوصف به غيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون اممهم وارتضى هذا السيوطى وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعى المتضمن للشهادتين وسائر الاحكام المفروضة على هذه الامة تختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو اسم منقول كالصلاة واما بالمعنى اللغوى وهو لانقياد فهو عام لكل منقاد لشريعة من الشرايع و يؤيده قوله تعالى * هو سميكم المسلمين من قبل (اقول فيماقاله السيوطى نظر لايخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه و بين الايمان مفصل فى كتب الاصول فلاحاجة لذكره هنا (واحمداسمه) اى جعل اسمه احمد وسماه به فى الكتب القديمة قبل وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل اى هو اكثر حمدا لله من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيمة كما سيأتى وقال السخاوى فى سفر السعادة انه صفة كاحمر وابيض نقلت لهذه وسيأتى الكلام عليه فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ذكر صفاته الموصوف بها فى نفسه شرع فى صفاته التى لوحظ فيها غيره وهو جواب لسؤال مقدر تقديره هل ينفع بهذا الظاهر المظهر الكامل فى نفسه غيره فقال (هدى به بعد الضلالة) كما قيل وقيل انما فصله لعلو مرتبة الهداية سواء كانت الايصال اوالدلالة الموصلة واهدى بفتح الهمزة مضارع هدى وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى مابه النجاة والى مابه تكميل الناجى فلذا قال (واعلم به بعد الجهالة) والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال اضل الشئ اذا ضيعه وهى تكون عن قصد وعمد و بغير قصد لقوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى المخطئين و بين الهداية والضلالة صنعة

الطباق البديعية والباء للسببية او للتعدية واعلم مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما فى المقتنى والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذى لايطابق الواقع وفى المصباح جهلت الشئ جهلا وجهالة خلاف علمته وفى المثل كفى بالشك جهلا انتهى (وارفع به بعد الخمالة) ضبطه ابن رسلان بفتح الخاء المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لايقال خمالة وانما هو خمولة وفى الصحاح الخامل الساقط الذى لانباهة له وقد خمل يخمل خمولا واخملته انا وفى الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه (اقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفى دليلا لصحتها اوهو لمشاكلة الضلالة وللازدواج معها ولو قلنا انه غير قياس والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ماترك فى الفترة لغلبة الجهل مشهورا شايعا فهو مجاز كقوله تعالى عز وجل ورفعنالك ذكرك وبين الجهالة والخمالة طباق او شبهه (واسمى به بعد النكرة) يقال اسميته كاكرمته وسميته بالتشديد ويتعدى بنفسه وبالباء كسميته زيدا وبزيد اذاجعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان فى المقتنى وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقوله الشاعر فى مجهول النسب وامه معرفة لكن ابوه نكرة والباء للسببية اى اعرف الناس بسببه او بما اوحيه اليه الناس المجهولين اواعرفهم ما جهلوه من التوحيد او اعرف الناس مالم يعرفوه من الانبياء وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد اعرف به من هو فى حكم النكرة غير معروف ولابشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وماقبله انى ارسله فى زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به اول مساكين الناس وضعفاؤهم على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كان بدويا واعرابيا بعد اشراق نور النبوة عليه صار صدرا تقبل الجبابرة يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلوة والسلام نكرة لكن لا تقبل التعريف فافاض الله منه على امته مالم تسمع به الامم حتى ابدعوا علوما وتواليف تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (واكثر به بعد القلة) اكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها او بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال الله تعالى * قد جادلتنا فاكثرت جدالنا * وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول اى اكثر الفعل من الاكل كما فى المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا او على من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها فى ابتداء

امره او بعد عدمها لان القلة ترد فى كلام العرب بمعنى العدم ايضا وهو بعيد
وقيل المراد اكثر به قواعد الملة بعد القلة لانهم كانوا بملة عوجاء فاقامها واعاد
منها مانقص بكلمة التوحيد وهو تكلف (فاغنى به بعد العيلة) اغنى مضارع من الاغناء
وهو اعطاء الغنى والعيلة بفتح المهملة وسكون التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك
عائلا فاغنى من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة بمعنى عيال جمع عيل
كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيلة بمعنى عيال
كما فصله البيهقى فى كتاب الانتصار للشافعى والمراد ما كان هو وامته عليه فى ابتداء
امر ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما احل لهم من الغنائم وفتح من الممالك
ماهو غنى عن الشرح والبيان (واجمع به بعد الفرقة) اى اجمع به بين الناس بعد
افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان
بين العرب والعجم و بين قبائل العرب و بين القبيلة الواحدة الاترى ما كان بين
المسلمين والمشركين مما ادى الى الهجرة وترك الاوطان و بين الاوس والخزرج
من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ واخيه كما قال ابو فراس

* وقبلى كان الغدر فى الناس شيمة * وذم زمان واستلام خليل *
* وفارق عمرو بن الزبير شقيقة * وعلى امير المؤمنين عقيل *

فلما جاء الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم وضغاينهم حتى صار الواحد
منهم ينزل عن احدى زوجتيه للآخر ويقطع برده نصفين او المراد انه جمع
العقايد والملل على التوحيد وملة الدين او المراد الاعم منهما فقوله (والف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتة وامم متفرقة) عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال التلمسانى
بتقديم التاء على الفاء من التفرق و بتقديم الفاء على التاء من الافتراق فى نسخة العرفى
والتأليف جعل الاشياء مؤتلفة مجتمعة اى اجمع بينهم على مودة وائتلاف بعد الافتراق
والعداوة كما قال الله تعالى * واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا * واسناد التأليف الى الله فى الآية لاينافى كون التأليف له
بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه السبب الظاهرى والفاعل الحقيقى هو
تعالى الله عزوجل والتأليف بين القلوب يستلزم التأليف بين الذوات فلا منافاة
بينهما كما توهم. المراد التأليف بين عقايدهم بحيث تكون عقيدتهم
واحدة متفقة على الحق والتوحيد والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه
وتحبه والمتشتة المتفرقة اى اجعل مهويهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب
اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى * ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم *
والامم جمع امة وهى الفرقة من الناس وغيرهم يعنى ان كل امة كانت على دين واعتقاد
وعلى طريقة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على

دين موسى عليه الصلوة والسلام ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلوة والسلام
فنسخ الله بشريعته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الشرايع وجعل الدين دينا
واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقى فى الدارين واجعل امته خير امة اخرجت
للناس كما قال الله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * اى انه تعالى قضى بذلك
وقدره فى الازل وعالم الذر واخرجت بمعنى اوجدت وخلقت واخرجت من العدم
والمراد امة الاجابة وهم من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم و يطلق على امة الدعوة
وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد كنتم
مذكورين فى الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم او بما بينهم
من قوله بعده تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وفى هذه الاية
دليل على ان اجماعهم حجة (وفى حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن صفته فى التورية) رواه الطبرانى وابو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه والدارمى عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف (عبدى
احمد المختار) اضافه اليه تشريفا له واحمد عطف بيان او بدل والمختار الذى
اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم (مولده بمكة)
اى موضع ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه البقعة الشريفة (ومهاجرته)
اى محل هجرته الذى هاجر اليها صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمدينة او قال طيبة)
والمدينة المصر الجامع وزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان
غلبت على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع مداين بالهمزة على القول
باصالة الميم ووزنها فعايل و بغير همزة على القول بزيادتها ووزنها مفاعل لان للياء
اصلا فى الحركة فترد اليه كما قيل فى معايش والهجرة فى اللغة الترك ثم خصت بترك
مكان لآخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة
يثرب فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها
اسما منها ماذكر وهو طيبة بفتح الطاء وتخفيف الياء الساكنة مؤنث طيب بالفتح
لغة فى الطيب بمعنى الرايحة الطيبة اوهى مخففة من طيبة بالتشديد ويقال طابة
ايضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخباثة وقوله او قال شك من الراوى فيما قاله
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره او قال
بطيبة لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة
لمهاجرة بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلى للجزئى كما يقال الانسان فى زيد وكذا
مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمى لم يبعد فتدبر (امته الحماد دون لله على كل حال)
الحماد دون الكثيرون الحمد والتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة
بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر فى السراء

والضراء لان الله مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع او الغالب او المنعمين منهم اوهذا من شانهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد لا يلزم ان يكون فى مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد فى الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه فى كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن الاصر ولك ان تقول كثرة الحمد فى هذه الامة لما فى اوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيها على ابلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم واعلم ان فى بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره ممن اكثر النقل من التورية وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغى التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان او بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينا فى الغرض من نسخها فلا يجوز وذهب بعضهم الى ان التحريف فى التأويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ولالزامهم بما انكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى * قل فأتوا بالتورية فاتلوها * ووقع فى الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم التى الزمهم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفى شرح التجانى اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وافاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن (وقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيتين) اى اقرا واذكر هاتين الآيتين بتمامهما اعنى * الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون * وانما اقتصر المصنف على بعضهما للاختصار ونحن ذكرناهما ايضا حال لمن لم يحفظ وادخار الثواب التلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الآيتين لان الفصل معقود للشهادة اى لكونه عليه الصلاة والسلام شاهدا على امته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر اولا ما يدل على مقصوده من القرآن العظيم ثم ثنى بانه موصوف بذلك فى الكتب الالهية كالتورية والانجيل ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التورية فى ذكره منها وقد قال فى الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها

وقد قيل انه ذكر استطراد الماء فى الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور فى التورية كما نقله وفى الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا اميا كما فى التورية وقيل ذكرت لما فرض من الثناء والمدح له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزل قوله وسعت رحمتى كل شئ قال ابليس لعنه الله تعالى انا شئ فطمع فى الرحمة فلما سمع قوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ايس ان تنالة الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون فى هذه الرحمة فلما سمعوا قوله تعالى * الذين يتبعون الرسول الى آخره خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبنى على ان الذين يتبعون خبر مبتدأ تقديره هم الذين الخ او بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدأ وقوله يأمرهم الى آخره خبره فلا تخصيص الا انه يخالف التفسير المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره وانكره الهندى لان المبدل منه فى نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعى رحمه الله تعالى انه كان يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر تقريره والقول بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك تقدم ومافيه وانه تشبه لام القرى اولامه التى ولدته وفى شرح التجانى انه قرئ فى الشواذ الامى بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود كل احد باتباعه واتباع شريعته وفى تقديم الرسول على النبى مع انه اخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه ارسل فانباء عن الله يعنى انه بمعناه اللغوى وهو المبنى لا بمعنى من اوحى اليه بشرع سواء امر بتبليغه ام لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على البراء ابن عازب رضى الله تعالى عنه لما قال آمنت بكتابك الذى انزلت وبرسولك الذى ارسلت وقال له قل ونبيك الذى ارسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما اخر النبى لدفع احتمال ان يراد بالرسول معناه اللغوى واحتمال ان يراد بالنبى معناه وحقيقته اللغوية ايضا اجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى لبس فى الانفراد وقيل لبس الصفة مجرد النبى بل النبى الامى لاشتهاره بذلك فى الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو اخص من الرسول او ذكر النبى للتعميم فذكر اولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقى ومعنى وجدانه فى التورية والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف انه طاعة لله من ترك الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم

والطيبات كل حسن حلال والخبائث ماكان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التى تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل والعهد لان بنى اسرائيل اخذ عليهم العهد بالتزام امور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة بعد التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع اعدائه عنه والمراد بالنور الذى انزل معه القرأن اى اتبعوا القرأن مع اتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية) ذكر هذه الاية لتعلقها بما تقدم فى التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ اى فبرحمة من الله وما مزيدة لتأكيد الكلام وتزينه وزعم ابن كيسان انما نكرة تامة فى محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه اى برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك الينا مهذب الاخلاق حمولا صبورا لايؤاخذ الناس بما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولولم يكن كذلك كنت فظا اى شديدا غليظ القلب متجاوزا للحد لا يألفونك فيتفرقون عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو فاء بشرطيه ينتج فيها استثناء نقيض التالى لزوم نقيض مقدمه اى لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفاء كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود بابطال نقيضه وقيل الاولى ان يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذى هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل المس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما فى قوله لوكان فيهما آلهة الا الله الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة لان التحقيق ان لولا تفيد امتناع الشرط وامتناع الجزاء وانما يقتضى انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرره على انه صلى الله عليه وسلم عالم بحاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة انه ذو لين وانما هو لافادة ان لينه ليس الا برحمة منه تعالى وماذكر انما يكون استدلالا لولم يكن عالما بحاله الا ان يقال المقصود بالاستدلال غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن تعريضا اصلا فتدبر وقال فى الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ماكان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازانى فى شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تأكيد ذلك فلذا قيل ان فى كلامه حذفا اى ما مزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة الى آخره انتهى فهو من باب اللف التقديرى وتبعهم بعض الشراح هنا (اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب الزمخشرى فى هذه المسئلة فانه ذهب

الى ان زيادة حرف فى التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضى الحكم ان لايشاركه غيره فيه قال ابن هشام فى رسالته المشهورة فى اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشرى الى ان الله مبتدأ واله خبره وقال فى اثناء تقريره ان نحو ما جاءنى رجل يفيد نفى واحد غير معين فيجوز للسامع مجئ اثنين فاذا قيل ما جاءنى من رجل علم انه لم يجئه احد من جنس الرجال ومن ثمه صح ان يقال ما جاءنى رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءنى من رجل بل رجلان وكذا فبرحمة من الله لنت لهم وفبما نقضهم ميثاقهم لعناهم لولم يؤت بما جوزنا ان اللين واللعن كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن لم يكن الا للنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لايعتبر الا فى مقابلة السبب الظاهر كما اذا رأينا قتيلا فى محلة اعدائه لايقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما فى شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم فى حقك واستغفر الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على امر اعزم وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة (قال السمرقندى) رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته (ذكرهم) اى ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وفى نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل انه مخفف (منه) اى انعامه اوامتنانه عليهم (انه جعله رسولا رحيما رؤفا لين الجانب) بفتح الهمزة بدلا من منه او بتقدير بانه والضمير لله او للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية فى حقهم والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرأفة والرحمة فى موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسير الرؤف والجانب اى الذى يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين بتشديد الياء وروى بتخفيفها من اللين بكسر اللام ضد الخشونة (ولوكان فظا خشنا فى القول لانفضوا من حولك) المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهرى جعلها ضد اللين وهو الواقع فى كلام العرب (كقوله الحماسى) اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا * لان اللين فى الغالب من الرقة والملاسة فهى عبارة عن الشدة فى القول والفعل وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما فى البيت وقوله تعالى * اشداء على الكفار رحماء بينهم * وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المصنف رحمه الله تعالى ان خشونة القول صفة مبنية للفظاظة فيكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد وهو فى الاية مرتب على امرين الفظاظة وغلظة القلب فما فسر به الاية غير موافق لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه اشار الى ان التفرق مرتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه

على خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا فى كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشأ الخشونة هذه الغلاظة قدمها فى الآية واقتصر عليهما المصنف رحمه الله تعالى فان الامر القلبى انما يثمر بعد قول اوفعل فتأمل (اقول لك ان تقول ترتب التفرق فى الاية على امرين الذى سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهرى قال الفظ الغليظ وقال فى المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب يقال منه فظ يفظ القلب من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب فى غير موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية فى الاية مبنية للاولى كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ففظا فى التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا فى القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففى الاية صفة واحدة وفى التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دأبه ان يستسمن الورم على ان مابنى عليه كلامه من كون خشنا صفة اساس فى الهوى ومابناه عليه كبنيان القصور على الثلوج (لكن جعله الله سمحاء سهلا طلقا برا لطيفا) سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث آتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم وسهل بزنة وكذا كل مابعده الذى لاصعوبة فيه اولافظاظة ولاغلاظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو فى الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه اى غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به صاحبه ايضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى فى قوله * من دابه الافصاح حتى ينطق * طلق طليق طلق وطلق * والبار من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشفق الناس على امته وهو من اسمائه تعالى قال الله تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفى غلاظة القلب فان البخل فى محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها تلازمه غالبا والباقى ظاهر (هكذا قاله الضحاك) قال البرهان الحلبى هو ابن مزاحم الهلالى الخراسانى التابعى روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه وروى عنه اصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة فى الميزان وتوفى سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن اجلة التابعين ايضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز احد من ارباب الحواشى ان يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوى للمروى وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم بآخر وان اتحد نوعهما او حرف التشبيه مقحم غير مقصود اى هذا وسيرى تحقيقه قريبا

(وقال الله تعالى عز وجل * وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سيأتى تفسير هذه الاية وفسر بعض الشراح رحمه الله تعالى قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التى للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الاية قبلها اى وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم اوجعلنا قبلتكم اصل القبل (اقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفى امثاله قال العلامة التفتازانى رحمه الله تعالى فى قول الكشاف اى ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا واذا تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لايكادون يتركونه فى لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغى ان يفهم هذا المقام انتهى (اقول هكذا قاله الطيبى وغيره ولم ازل ابحث عن هذا كل من ثافنته من الفضلاء فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت الضمائر فرأيت فى شرح القصائد الطوال فى شرح قول زهير * كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم * نقلا عن الجرجانى انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا لخبر متقدم اومتأخر فهى تقبض كلا لانها تنفى ذلك فمعنى البيت ان هرما واباه نبت لهم حسن فى دفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدائد وحلول العظائم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل المعانى من ان كذلك يكون فى كلام العرب لتثبيت مابعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه المشبه يكون كثيرا فى النوعية والجنسية كقولك كهذا الثوب فى كونه خزاء او بزاء وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته فى ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجردا لثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجودا بدونها وهى مؤكدة له فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة وامادلالتها على كون مابعدها عجيبا غريبا فلان ماليس كذلك لايحتاج لبيان فلما اهتم باثباته فى الكلام البليغ علم انه امر غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب فان قلت ما مناسبة كونهم امة وسطا شهداء على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة قلت وجهه ان اهل الكتاب لما انكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم احق باتباعهم والاقتداء باهل قبلتهم ولاوجه لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا تحقيق لم اسبق اليه فعليك بادخار جواهره فى حقاق الاذهان فانك لاتراه فى غير هذا المكان (قال ابو الحسن القابسى)

تقدم الكلام فى ترجمه ونسبته (ابان الله تعالى) اى بين واظهر (فضل نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفضل امته بهذه الآية) الباء للتعدية او السببية واختار بعضهم كونها ظرفية بمعنى فى لقوله (وفى قوله فى الآية الاخرى) وهى قوله هو سماكم المسلمين من قبل (وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ضمير هو لله اى الله عز وجل سماكم المسلمين فيما اوحاه لرسله عليهم الصلوة والسلام فى الكتب القديمة ثم سماكم به فى هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت فى قوله تعالى * واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك * او ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماكم مسلمين كما نقل عنه فى هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين وتصديقها على ان على الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبياء عليهم الصلوة والسلام على اممهم وعلى الثانية على اصلها ان كان المراد بالناس اممهم او بمعنى اللام ان كان المراد اياهم فيتطابق هذه الآية وماقبلها كما سيأتى فى كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة فى الاولى والمزكى مؤخر رتبة فى الثانية وترقى فى مدح المخاطبين فى الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره فى الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الاتيان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت فى احديهما واخرت فى اخرى لان السباق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغ لعدم الجرى على موجبها فهى كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا اريد شهادة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل عليهم الصلوة والسلام من يشهد على اممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة (وكذلك) اى كما ابانت الاولى فضلهم اباه (قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية) المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يشهد على ما عملوه اى كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم او بالاخير فقط او على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول لانه انسب بالتوبيخ ولآية بالنصب اى اذكرها او بقيتها وهو قوله تعالى * وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * اى جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم او على الامم او على التبليغ او على امتك بالتزكية

ولا منافاة بين كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدا للانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلى الامم وبين ما سيأتى من ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد معهم ثم يزكيهم او انه جعل التزكية شهادة لانها فى حكمها (وقوله تعالى وسطا اى عدلا خيارا) الوسط بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكتنف من جوانبه ولو من غير تساو كما فى المصباح وبسكونها بمعنى بين وفى الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه فى شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشئ وخياره ولذا قيل خير الامور اوسطها وقال الشاعر * حب التناهى غلط * خير الامور الوسط ورد هذا الامام السهيلى فى الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم اثقل من مغن وسط وقالوا الوسط اخو الدون وانما يمدح به فى مقامين احدهما الشهادة لتوسط الشاهد فى الحق وعدم ميله الى احد الجانبين والثانى النسب كما قيل فى وصف ام المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها انها كانت وسيطة فى قومها لان وسط القبيلة اعرقها وصميمها لاحاطة الاباء والامهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية عنه والى هذا المعنى اشار الطائى بقوله فى وصف قلعة * كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى اصبحت طرفا * واورد عليه التجانى فى شرحه انه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على ان الوسط صفة مدح ومنه الصلوة الوسطى ولبس واردا عنه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجازا فلا يلزم اطراده والسهيلى رحمه الله تعالى لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون جمعا لخير كسهم وسهام كما صرح به فى المصباح والعدل فى الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا افرده المصنف هنا وجمعه فيما سيأتى فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبى عليه السلام فسر الوسط فى هذه الآية بالعدل فى حديث رواه الترمذى وصححه وثبت تفسيره به فى صحيح البخارى والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثانى للجماد ولذا اخره وعطفه الزمخشرى باو فجمع المصنف بينهما ان اراد انهما مرادان معا فى الآية فالاكثر على منع مثله وان اراد احدهما فلا ينبغى العدول عما صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ الظاهر انه يبين مراد الله حتما لا احتمالا والمصنف اعلى شانا من ان لا يعرف مثله الا ان يقال انه ذكر الثانى بالتبعية للاول للزومه له انتهى (اقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل

دون عطفه بالواو واوجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لابد ان يكون خيرا فلا منافاة بين ماذكره وبين الحديث وليس مثله مما يستشكل و يستعصب وفيه اشارة الى ان التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشرى له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلاينافى التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلاوجه لماقيل هنا من ان كلام المصنف رحمه الله تعالى محل تأمل حيث افرد عدلا هنا ووصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه بعده فى قوله عدولا اخيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما فى الصحاح يقال قوم عدل وعدول فماذكره كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفى تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير اى قوله وسطا اى عدلا خيارا فيه تفضيل لهم ومدح وقوله (معنى هذه الآية وكما هدينا كم فكذلك خصصنا كم وفضلنا كم بان جعلنا كم امة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء) عليهم الصلوة والسلام (على اممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (بالصدق) اشارة الى ان المشبه به فى هذه الآية وهى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الى آخره الهداية المذكورة قبله فى قوله تعالى * يهدى من يشاء الى صراط مستقيم * وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلوة والسلام اوكما فضلنا كم بهذه القبلة وقد بينا لك ان المحققين من شراح الكشاف على ان المشار اليه مابعده ولم يقصد التشبيه بماقبله وقد مر تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور فى محل نصب اى جعلنا كم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا فى محل رفع على الابتداء على ان جعلنا كم بتأويل جعلنا اياكم فيكون الضمير كالذى يفسره خبره نحو ان هى الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف لامعنى له وقوله بان الى آخره تنازعه الفعلان و يشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول شاهد لهم لم يبق احد من بنى آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فانحصرت اونقول المصنف رحمه الله تعالى مالكى المذهب ومذهب مالك رحمه الله تعالى افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابى فى شرح الآثار عنه فى استدلاله بقوله والحمير لتركبوها على حرمة اكلها فان اردت تفصيله فانظره فقيل من ان التخصيص من السياق اونظرا للواقع الى آخر ماذكره واطال فيه من غير طائل بعد ما استشكله غير ظاهر وفى قوله ليشهدوا الخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقه وعليه فالناس فى الآية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بأس به (وقيل

ان الله جل جلاله) هذا ابلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جد جده (اذا سئل الانبياء عليهم الصلوة والسلام (هل بلغتم) ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر واخفى (فيقولون نعم فتقول اممهم ماجاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد) عليهم الصلوة والسلام (للانبياء) عليهم الصلوة والسلام (ويزكيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى فى تخريجه هذا حديث مرفوع اخرجه البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقيل عليه ان البغوى روى ان الله يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول للكفار الم يأتكم نذير فينكرون ويسئل الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسئلهم البينة واقامة الحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فيقول الامم من اين علموا هذا وهم اتوا بعدنا فيقولون يا ربنا ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم و يشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه نظر واضح انما اخرجه البخارى انما هو فى نوح عليه الصلوة والسلام وامته لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال قيل والحكمة فى هذا اظهار فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفضل امته على سائر الامم بقبول شهادتهم وتزكية افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غنى عن السؤل وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم (وقيل معنى الآية انكم حجة على من خالفكم) قال فى المقتنى انكم بفتح الهمزة وفى النسخة التى ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم اى اجماعهم حجة وشهادة مقبولة معتبرة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة على الجميع كما قال السمرقندى ايضا (وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى انهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطاء واضافة الى الصدق لبيان فضله ومزيته قال ابو عبيد كل سابق غير قدم وفيه اشارة الى ان الصدق هنا بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا فى فصل الشفاعة واجيب عنه بان هذا الفصل لما كان معقودا لوصف الله له بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله استطرد التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه (قال قتادة والحسن وزيد ابن اسلم) قتادة هو ابو الخطاب ابن دعامة الدوسى الحافظ المفسر روى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفى كهلا سنة سبعة عشر وثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة فى الميزان والحسن البصرى تقدمت ترجمته

وزيد ابن اسلم هو الفقيه مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفى سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة فى الكامل والميزان (قدم صدق) مبتدأ خبره المفسر له قوله (هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع) فى نسخة لهم وروى لبشفع وشفيع فالقدم على هذا الشفيع سمى قدما لتقدمه وسيأتى قريبا تفسيره بالشفاعة عن ابى سعيد الخدرى بتقدير قدم انسان صدق اى صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع او يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما فى قولهم حمل حمله صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق فى خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته (وعن الحسن ايضا هى مصيبتهم بنبيهم) اى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة ينفعهم حياته ومماته* كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان تأخرت عنه الى آخره فى الطلب (وعن ابى سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابن خدرة بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذى نسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر الصحابى الرفيع القدر المشهور ومن فقهاء الصحابة ومن اصحاب الشجرة توفى بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اربع وستين وقيل اربع وسبعين وروى عنه احاديث كثيرة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم) جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها او تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الى آخره اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق او بمعناه المصدرى وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار الشفاعة ايضا كما مر او الى المسامحة فى تفسيره بالشفاعة فتوافق الاقوال (وقال سهل) تقدم الكلام عليه (هى سابقة رحمة اودعها الله تعالى فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى اودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفى نسخة العزفى بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحه اذا سقطت فى ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل وهو الله وليس ما قاله بشئ لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوه هنا ولا بأس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر او فى الازل سابقة رحمة بمعنى رحمة سابقة او الاضافة بيانية وقيل هى رحمة قدمها بوفاته لما فى الحديث اذا اراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا وتقدم تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد فى الحديث فى صفة النار يضع الجبار فيها قدمه اى من تقدم فى علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين

والقدم على ظاهره وليس هذا محل تفصيله (وقال محمد بن على الترمذى) الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا يروى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس فى اعتقاده لكلام صدر عنه فى بعض تصانيفه والله اعلم بالسرائر ورمز فيها لغات تقدمت (هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام ابو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكانى الصديق فعيل من الصدق واصله فى القول والخبر واختلفوا فى تفسيره وورد فى الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة فى الصدق وتكثيره فاما اقوال العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتأت منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة يلى درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وورد فى القرآن العظيم فى مواضع كقوله تعالى *اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم* واولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعنى بالشهداء الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين هم شهداء على الناس يوم القيامة فلهم اجر ونور لم تره عين ولا اذن به سمعت الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهى الولاية وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبى ولذا قال الله تعالى فى حق ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبى هنا ومناسبة هذه الآية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل فى الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية فى القرآن على القول المرضى فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اماما مطاعا مجابا لما سأل يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

﴿الفصل الثالث فيما ورد خطابه اياه﴾

اى خطاب الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم والخطاب مصدر فى الاصل بمعنى المخاطبة وهى توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول هى نسبة بين المخاطبين وهى بالنسبة الى الكلام الازلى القائم بالنفس محال ولذا اختلف فى صدق الخطاب على الكلام النفسى كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص فى العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجئ والوقوع مجاز مشهور

وحقيقة عرفية وقيل انه تجوز فى اسناد الورود الى ماخوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بشريعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولايخفى مافيه فتدبر تدر وكون فى بمعنى من تأويل من غير داع (مورد الملاطفة والمبرة) مورد اسم مكان اومصدر ميمى بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله اوهى لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعانى متغايرة وتغايرها ظاهر فلاحاجة لماقيل ان المراد هنا لطف ومبرة لم يكن مماسبق من المدح والشفقة او القسم (فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم) فى نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك وذلك اشارة لماورد على الوجه المذكور قال فى الكشاف وتبعه البيضاوى ان هذا كناية عن الجناية لان العفو مرادف لها ومعناه اخطأت وبئسما فعلت وقد شنع الناس عليه فى هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه كما حكى عن الامام السبكى لمافيه من ترك الادب وقال ابن المنير فى تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة فى الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب فى التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء اوخبر معناه ولاعهدة عليك لانه تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فهو تخصيص وتمييز لاان الاذن ذنب متعلق به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو تعب عليه بلطف لاملامة فيه اى قد بلغت فى الامتثال والاحتمالات الغاية وزدت ماحف بك فى محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر واين هذا من التخطية والزمخشرى نزع منه هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واراد بعضهم ان يصلح ذلك فاشتد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب فى حيفه على نفسه وهو تخفيف لاتعنيف ومدح لاقدح وهذا كما قيل اذ جهد وجد فى العبادة ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو وان كان يستدعى ذنبا كاستدعاء رضى الله تعالى عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر ان يرفق بنفسه فكانه قيل له ان ابدت الا الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب لكن يرخص له فى لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه ورفقا لقدره لالتزامه مالايلزمه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين فى رتبتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لاينافى دعواهم ولولم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم لبسوا فى ورود ولاصدر فلما اذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله حتى يتبين لك الى آخره وليس فى هذا مخالفة مصلحة مرضية

فان الله تعالى بين انه باذنه لهم طبق تحز الكراهة فانه لامصلحة فى خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة شنعاء لانهم لوخرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ومثيرون غبار الضغاين مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكانت المصلحة العظمى فى قعودهم وان كان فيه سترة امرهم واحتمالا لمكرهم وغاية الغائلة التباس امرهم وقبام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدوركم ضاق نطاق عمر رضى الله تعالى عنه عن ذلك واشار بضرب اعناقهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا ياعمر يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويرفع فى حصائد الالسنة فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى الولى ان تزحزحه الشبه عن رتبة نقاه وحمل عبأ ذلك نفسه فى ذات الله تعالى انتهى (اقول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول السليمة من انفس التحف ودافع به عن حرم النبوة العالى فى الرتبة لمن عرف وانت اذا تأملت مابعده من النظم تراه مصرحا بما افاده الم تسمع قوله تعالى * لوخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم فاى رأى اشد من الاذن فى تخلفهم واى حلم اعظم من الستر عليهم فكيف يكون فى اول الكلام عتاب وآخره بيان لان ماوقع عين الصواب ولو كان هذا فى رسالة كاتب مزقها سلطانه فاظنك بمالك الملك تعالى شانه (قال ابو محمد مكى قبل هذا افتتاح كلام) اى هذا جار على نهج البلغاء وارباب الترسل والانشاء فى ابتداء كلامهم بالدعاء توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائية دعائية على ارجح الاحتمالين فيها كما سمعته آنفا (بمنزلة اصلحك الله واعزك الله) اى هو مثله فى انه دعاء للتعظيم لم يلتفت اليه لما يوهمه الدعاء بالصلاح من الفساد ولغير من الذل كما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف عليه الصلوة والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضى عنده لما ستعرفه فى قوله (وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب) وعون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الراوى عن ابى هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعى لكن له حديث عن ابن عمر فى مسلم وروى عن الزهرى وابو حنيفة وابو العميس واخرج له احاديث كثيرة وهو ثقة توفى فى حدود الستين بعد المائة وفى نسخة خبره بدل اخبره والمعنى واحد وكذا يخبره لكن فى المقتفى ان يخبره فى النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع اخبره من تنويع الكلام لان اخبره وخبره بمعنى واتنويع ان يكون فى الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار * اذا انكرتنى بلدة اونكرتها * خرجت مع البازى على سواد * ففى العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد

بالذنب هنا خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه
هو الاول وبعض الشراح ارجع هذا لماقبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لانه على
الاول لاذنب اصلا والجملة انشائية دعائية وعلى هذا هى خبرية فان اراد ان المآل
واحد صح ماقاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف
بعضهم باذن لابأس فيه لاسيما اذا كان فى ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه اللاتى
ذكره اذا امر الملك احدا على جيش كان ذلك تخييراله فيما يأمرهم وينهاهم فيمتنع
العتب عليه فيما فعله لمصلحة لاسيما اذا كان مقامه فى غاية الجلالة عنده (وحكى
السمرقندى عن بعضهم ان معناه عافاك الله ياسليم القلب لم اذنت لهم) فيه ايهام
لان عفا من المعافاة لاشتراكهما فى اصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس
للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما فى الحديث نسئلك العفو والعافية والمعافاة الدائمة
وفيه اشارة الى ان الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافى له الاانه قيل عليه
ان سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا فى نحو قوله * الامن اتى الله
بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش الاانه صار فى الاستعمال عبارة عن
الغفلة وضعف الرأى وقلة الحزم والعزم كما فى لباب التفاسير واجيب عنه بان ماورد
مدحا فى القرآن يجوز التعبير به فى مقام المدح وان اوهم خلافه لعرف طار عليه
وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندى وترجمته (قال ولو بدأ النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم) بدأ مبنى للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبى
منصوب مفعول وبدأ مهموز بمعنى ابتداء لا معتل بمعنى ظهر (لخيف عليه) اى
لخاف عليه من يحبه لا الله (ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام) لتأثيره فى قلبه
وجلالة قائله ومهابته خصوصا ممن هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسيأتى
الكلام عليه وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد ان يخاف عليه او يخاف عليه من
لايعرف انه امن مغفور له اوخيف عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك فى ذاته
ومثله لايوجب خللا فى المقصود كما توهم وهذا مبنى على ان خوف النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم من العقاب بعد تأمين الله له غير جائز وسيأتى تفصيله وانفطار
القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله كما قال
الله تعالى * لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله *
(لكن الله تعالى اخبره بالعفو حتى سكن قلبه) سكن ماض بالتشديد والتخفيف وفى
نسخة سكن وقلبه مرفوع اومنصوب وروى يسكن مضارع مضموم الاول مشدد
وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه بمعنى انه تعالى لرأفته به صلى الله
تعالى عليه وسلم ورحمته قدم العفو اولا ليسكن قلبه اى يطمئن ويأمن قيل المراد به
بدو مله السكون وعدم الاضطراب لامنه او هو من قبيل سبحان من صغر البعوض

واعترض عليه بعض الشراح بانه طائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه
نحو فلاتكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتأمين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد
بانا لانسلم انه اشد منه اومثله فانه نهى عن الواقع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجئ
ولو سلم فهذا اعتراض اشد تخويفا من النهى مع انه لايلزم من عدم الرعاية فى مقام
عدمها فى مقام آخر ولامن الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على ان الوعد
لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبياء عليهم السلام فى يوم القيامة
والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسيأتى تحقيق هذا
ان شاء الله فى محله (ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق فى عذره من
الكاذب) ثم هنا لمجرد الترتيب الذكرى بغير مهملة او بمهملة لتنزيل ما تقتضى
وانعدم بمنزلة البعيد كما حقق فى قوله ذلك الكتاب فى احد الوجوه ويتبين بمعنى
يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا وينفصل فيتعلق من به باعتبار ما تضمنه من
الانفصال وحتى متعلق بمقدر لاباذنت لفساد المعنى اى حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين اى لم اذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك ان لاتأذن لهم
حتى يتبين الى آخره كما فى لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار بما قدروه
(وفى هذا) المذكور من تقديم العفو وتأخير السؤال (من عظيم منزلته عند الله مالايخفى
على ذى لب) المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا اضيف الى المنزه عن
المكان فهى بمعنى فى علم الله اوفى حكمه كما فى قوله تعالى كان عند الله عظيما وبينهما
فرق دقيق ويكون للقرب المعنوى كما فى قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة وبمعنى احسانه
وانعامه كما فى قوله قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك ما يحلو واللب العقل
والمراد الكامل اوهو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من اجاز تقديمه
وهو بيان لمقدر مبهم ومابعده بيان اوصفة اخرى للمبهم (ومن اكرامه تعالى اياه)
صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره به) رعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعاء والعفو
فى اول خطابه به كما مر فتذكره (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) نياط
فعال من النوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ماقبلها وهو عرق
غليظ تعلق به القلب الى الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه
فلذا كنى به عن الموت قال ابن خالويه فى كتاب ليس فى اسماء المنية قال الله عز وجل
الا ان تقطع قلوبهم معناه ان يموتوا يقال قطع قلبه ورمى بنيطه ورماه الله بذنبه
وطالبه بحقده اذا مات انتهى وللنياط معان آخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد
ان له صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة اكرمه بها وانعم عليه بما لاتطيق
العقول معرفة كنهه وغايته ولاتفى الاعمار بتحصيله وعلى تفنن واصفيه بحسنه *
يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف فانقطع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه

اوعبارة عن عدم وفاء الاعمار به وحيلولة الموت دونه وماقيل من انه يجوزان يكون
اشارة الى ان من عرف كمال اكرام الله تعالى عز وجل ورعايته له عرف
انه فى غاية التقصير فيخاف خوفا يثمر الهلاك تعسف وارتكاب لمايأباه فحوى الكلام
والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشئ
وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل (قال نفطويه)
هولقب لابى عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب
ابن ابى صفرة الازدى النحوى الواسطى صاحب التصانيف الجليلة توفى فى صفر سنة
ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة اربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة اربع
واربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لدناءة منظره والنفط معروف معرب وفى هذا
وامثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون الياء وبعضهم يسكن الواو ويفتح
الياء وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل فى هجائه * احرقه الله بنصف
اسمه * وصير الباقى صياحا عليه * وقال المعرى ان هذا مما احدثه المولدون وويه
بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز فى مثله
لاعراب والبناء على كسر الهاء لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس (ذهب ناس الى
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك) اى والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان يفعل مايستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام
على حاشا مفصلا وانه لاعتاب فى هذه الآية بل فيها اعزاز له واكرام بالدعاء له
وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان مافعله خلاف الاولى عند صاحب
القيل (بل كان مخيرا) بين الاذن وعدمه اذلم يتقدمه نهى كما قيل وفيه نظر
والاولى ان يقول لنزول وحى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لقوله فأذن
لمن شئت منهم كما سيأتى فى اول القسم الثالث الاان ابن الجوزى قال ان هذه الاية
منسوخة بقوله فأذن لمن شئت الى آخره ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية
وقال البرهان الحلبى انه فى بعض النسخ مخبرا بموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان
عنده والاولى اولى والمعنى على هذه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مأذون له بوحى غير
متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد (فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن
لهم لقعدوا لنفاقهم) وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم يأذن لهم ماتخلفوا
فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه
فكان ما فعله اولى واصوب (وانه لا حرج عليه فى الاذن لهم) اى لبس فيما
فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين امرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله
عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير تقتضى العتاب ولا خطأ فى الاجتهاد
ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم (قال القاضى ابو الفضل) هو المصنف

عياض كما مر (يجب على المسلم المجاهد نفسه) بتهذيب الاخلاق والصبر
وكسر شهوتها كما يدل عليه مابعده فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا اعم من
الشرعى بل ما لايليق تركه وهو شايع بهذا المعنى كما صرح به فى شرح المواقف
وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفى تعبيره بالمسلم المجاهد لطف لم ينبهوا عليه لتعريضه
بانهم منافقون تاركون للجهاد (الرايض بزمام الشريعة خلقه) هو من رضت الدابة
روضها اذا ذللتها لتنقاد لماتريد وتلين شكيمتها والزمام ما يقودها كاللجام ففيه
استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقى اوعبارة عن الاحكام الشرعية على
احد ينقضون عهدالله وفسر التلمسانى الرياضة بالتعليم والزمام بالسبب والطريقة
وفى كلامه تسامح ولايستغرب مثله (ان يتأدب) فاعل يجب (بادب القرآن) وفى نسخة
باداب القرآن بصيغة الجمع والادب كما قاله الازهرى وغيره يقع على كل رياضة محمودة
يتخرج بها الانسان فى فضيلة من الفضائل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع
لحقيقة الادب وادب ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام به ودعى الناس اليه
فهو ادب بزنة فاعل قال *نحن فى المشتات ندعو الجفلا* لاترى الادب فيها ينتقر*
ومنه المأدبة للمائدة والقرآن مأدبة الله وهو الداعى اليها وفى كلام المصنف رحمه الله
اشارة الى الحط على مثل الزمخشرى مما خاطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واساء الادب فى مقامه الشريف بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعا له
وقال هنا اخطأت وبئسما فعلت وقد تقدم ذلك بما فيه (فى قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته) الجار والمجرور متعلق بيتأدب ومعاطاته من العطاء والعطية وهى
مايعطيه قال فى المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء فى مناولة
خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا قدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر المراد به
الافعال الواقعة معه فهى اخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته
فهى اخص من القول فما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطاة كمعادة
ومعادات فى قوله *موكل بمعادات المعادات على ما فيه من احتمال *افرادهما
وربط تأبهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحاء المهملة وهى المجاوبة ومعاطاته
وان احتملت الافراد الاان محاوراته جمع قطعا فناسب ان يكون مقابله جمعا انتهى
لا وجه له كما مر (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الاداب الدينية والدنيوية) ضميرهو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم
او للقرآن وهذا ارجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة ويجوز
فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمسانى بالمنبع ولاوجه له والمعارف العلوم اوالمعلومات
والحقيقية المتحققة فى نفس الامر والروضة ارض ذات مياه واشجار وازهار طيبة
متنزهة والمراد بالدينية هو ما يتعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية

والدنيوية ما يؤخذ من الشريعة متعلقا بالدنيا فهى دينية ايضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه بما يدفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية اوشبه الاداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لالان وصفه بالدينية والدنيوية يأباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الا على قول اوتأويل بعيد فتدبر (وليتأمل) التأمل تفعل من الامل وهو رجاء مايبعد حصوله من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما فى المصباح التدبر واعادة النظر فى الشىء مرة بعد اخرى حتى تعرفه والمصنفون رحمهم الله تعالى يستعملونه فيما فيه دقة او شبهة واللام لامر الغائب وفاعله ضمير راجع للمسلم وفى العبارة حرازة ولو اسقط اللام وعطفه على يتأدب كان اولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر معطوف على يجب ان يتأدب ميلا مع المعنى لانه فى معنى ليتأدب فهو كما قيل فى قوله * ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم * اى ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير وارسلها ليذيقكم كما فى المغنى ومن العجب ماقيل انه امر معطوف على يتأدب ولوقيل انه من عطف القصة على القصة كان اسهل (هذه الملاطفة العجيبة) كما تقدم حيث قدم الدعاء والتبشير على مايوهم الاعتراض والعقاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلى الغنى عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التأدب معه (فى السؤال من رب الارباب) متعلق بملاطفة اوصفة لها بتقدير الكائنة والرب الموجد لمربى والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة اوصفة مشبهة وفى اختصاصه به تعالى اقوال فقيل يختص به اذا اطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله تعالى * ءارباب متفرقون * واما قوله * وهو الرب والشهيد على * يوم الحوارين والبلابلا (وقوله ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * فنادر جاهلى لا يعتقد به ولبس الكلام فى صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام اومكروه وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف رب العرش والدار والاصح انه ينهى عنه اذا اوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من الرب العالم الغنى عن خلقه كما اشار اليه بقوله (المنعم على الكل المستغنى عن الجميع) لم يبين ماانعم به واستغنى به ليفيد العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتأكيد للغناء وعرف الكل بالالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفان بها فى كلام العرب كما ذكره الجوهرى وغيره من ائمة اللغة وقد جوزه الجوهرى فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضفته اولم تضف انتهى يعنى انه يلزم الاضافة لفظا اوتقديرا الا ان الالف

واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضى صحة دخولها عليهما الا انه تسمح فى قوله معرفتان وتجوز به عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قالوه نظرا لان كل مالم يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالويه فى كتاب لبس انه سمع نادرا فالحق ما قاله الجوهرى ولا اعتراض عليه وارداف المصنف المنعم بالمستغنى اشارة الى انه لم يرد بانعامه فائدة ولاحاجة له به وعلم مما تقرر انه انما امر بالتأمل حثا على رعاية الادب فى حقه تعالى (ويستثير مافيها) اى فى الملاطفة اوالاداب القرآنية (من الفوائد) ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من آثار الارض كما قال الله تعالى عز وجل * واثاروا الارض وعمروها * اى يحركه ويبرزه كما يثار الصيد من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفى نسخة ابن ارسلان يستبين بالنون بدون الراء وفى نسخة بعض الشراح يتبين ويستثير وهو كالعطف التفسيرى قال وهو مجزوم معطوف على يتأمل اى يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع فى نسخة هو ويستثير بمعنى يبحث ويستخرج مرفوعان انتهى فيجوز جزمهما عطفا على يتأمل ونصبهما عطفا على يتأدب او فى جواب الامر بتقدير ان بعد الواو اى لكن منه الامر ان التأمل والاستثارة وتعيين هذا كما فى بعض الشروح لاداعى له والفوائد جمع فائدة وهى ما يتنبه له الزكى من ملاطفة الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال عما هو اعلم المشير الى انه خبير مما صدر منه واقف على ما حققوه من مكائدهم حارس لصباب حقدهم من نافقائها وتعظيمه ورونق خطابه فى المبداء والختام المقتضى للزوم الادب معه (وكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب) كيف اسم استفهام يسئل به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله شراح البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى ولاحاجة لنا به هنا وابتداء بفتح التاء والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها وانها اسم اشارة بمعنى هناك والهاء المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة ايضا بتاء التأنيث وهى احتمال هنا وفى قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لاذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو من محاسنه كما قال البحترى * اذا محاسنى اللاتى ادل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف اعتذر * واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المصنف عن ذكره فهذا من بدايع الاكتفاء وقد حام حول هذا من قال لم يقل المصنف رحمه الله ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثانى عن الاول لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ماهو صورته لئلا ينافى

ماسيذكره من انه لاعتب عليه اصلا وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبر وكذا من الزوائد جعله كيف مفحمة وآنس بمد الهمزة بزنة قاتل وروى بالقصر وتشديد النون وقوله وكيف قيل انه معطوف على مافيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة اى وليتأمل كيف الخ و يعينه قوله فيما سيأتى ثم انظر كيف بداء الخ فتنبه له (وقال الله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) اى لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففى الآية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه وسلم على الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على ماقدمه من انه لاذنب له رأسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير (قال بعض المتكلمين) اى المفسرين الذين تكلموا على هذه الآية وكثيرا مايستعمله المصنف رحمه الله وغيره بهذا المعنى اللغوى و يجوز ان يراد المعنى المصطلح اى اهل علم الكلام واصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهى من مباحثه فلاوجه لماقيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم (عاتب الله الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (بعد الزلات وعاتب نبينا) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل وقوعه) العتب والعتاب مخاطبة من توجه بماصدر منه ممالايناسب ليزيله او يترك العود له وهو يكون ناشيا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزلل واصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لايرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطأ وفى التعبير بالوقوع بمعنى الصدور فى الواقع مع الزلل لطف لان من زل يقع وضمير وقوعه للذنب و يجوز عوده لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بتقدير قبل وقوعه فى الذنب ولك ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره فى الآية بقوله كدت تركن اى تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضى عدم وقوعه والمراد بزلات الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلاف الاولى الذى هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه قيل كان اللائق مع عدم وقوعه فان القبلية تقتضى الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى * لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى * وفى بعض الشروح معترضا على مانقله المصنف رحمه الله تعالى بانه لاعتب فيما ذكر وانما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناف لما سيأتى من عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ماهو بصورتها فهو لحكمة كبيان الجواز والتشريع للامم و قال الصفوى العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم امرين احدهما وقوع العتاب فى زمن لم يقع فيه الذنب والآخر وقوع الذنب بعده فاستعمله فى لازمه الاول فقط مجازا فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة يقال عاتبه وعتب عليه قال اذا ذهب العتاب فليس ود

ويبقى الود مابقى العتاب (قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما قال * لقد كدت تركن اليهم وهذا انما يكون مع كيدودة الركون وعتاب معلق كما فى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك الى آخره وهذا انما يكون مع عدمه اى لولم نثبتك وقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان اقره المصنف رحمه الله تعالى لاينافى ما جزم به من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعاتب اصلا لان المنفى المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى مافيه فتأمل (ليكون بذلك) المذكور والعتب على ما ادعاه (اشد انتهاء) اى اقوى فى تركه لما ذكر مما لايليق به والانتهاء افتعال من النهى يقال نهاه فانتهى لامن النهاية (ومحافظة لشرائط المحبة) اى مداومة لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب (وهذه غاية العناية) من الله به صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكر من الفوائد وكذا انت اوهو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتناء بحفظه وامره يقال عنيت بامر فلان بالبناء للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه اقوى من عناية الله بغيره من الانبياء فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة (ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه) اتى بثم لبعد مرتبة هذا مما قبله لان فى المعطوف عليه احتمال صدور الذلة وفى هذا اكرامه وتأمينه من صدورها منه وهو اما من كلام المصنف رحمه الله تعالى او من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمأمور وحثا له على التأمل وهو من عطف القصة على القصة او عطف على مقدر اى تأمل ما ذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة من المهلة اولان الفراغ من ذلك التأمل انما يكون بعد مهلة و بدأ بيانه اى لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بثباته ولم يقل بتثبيته كما فى الآية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح اولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة مما خيف عليه وللعاتب عليه الركون وخيف مبنى للمجهول اى وقع الخوف ممن هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا فى قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة المختبر ولاختبار ولا ابتلاء اى خاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خاف عليه القرب من شئ خاف عليه ذلك الشئ بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور فى الآية وقيل ان كدت من افعال المقاربة وقد اخبر به مؤكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيئا قليلا يدل على انه مما لايضر

لقلته وهو عناية به صلى الله تعالى عليه وسلم ونعمته عظمى لانه تعالى صفاه من شوايب الخطرات القلبية التي لا ثبات لها وانما يؤاخذ مما وقع عن عزم وتصميم كما قالوه فى تفسير قوله تعالى * وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله * وله تفصيل لبس هذا محله (ففى اثناء عتبه برأته وفى طى تخويفه تأمينه وكرامته) اثناء الشئ بالمد خلاله وتضاعيفه يقال جاء فى اثناء الناس اى بينهم جمع ثنى بكسر فسكون وياء تحتية اوثنى بالقصر والمراد بكون البرأة فى اثناء العتب انها معه فى كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا كما قيل لان الدال على البرأة قوله لقد ثبتناك وفى طيه اى داخله او فى ضمنه او فى تخويفه للطى فيه اذ كرا ذلم يفهم منه صريحا قيل وفيه بعد وتأمينه وكرامته بتثبيت الله تعالى له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعنى انه عتبة بالركون للاعداء وتخويف بقوله اذا لاذقناك العذاب متعلق بما هو صريح فى عصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين واستماعا لهم على حد قوله * اياك اعنى فاسمعى ياجارة * وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى تركه وكلامه فى غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعى له (ومثله قوله تعالى * قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك * الاية) اى مثل ما تقدم فى اللطف به او مثل لولا ان ثبتناك فى الشفقة والتسلية وهو اقرب او مثل عطاء الله عنك فى الملاطفة والتهوين وضمير انه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضى او بمعنى ربما بالنسبة لسائر معلوماته والذى يقولونه انه ساحر او مجنون او شاعر او كذاب ونحوه مما لا يضره اى لا تحزن لنفسك كما فى الكشاف ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وهو خبر اريد به لازم الفائدة كقوله انى وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه صلى الله عليه وسلم (وقال على رضى الله عنه) وكرم وجهه وهذا رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال ابو جهل) هذه كنيته كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يكنى ابا الحكم فالله كناه ابا جهل والناس كنوه ابا الحكم والجهل وان كان ضد العلم فالمعروف فى كلام العرب انه ضد الحلم كما قال الا لا يجهلن احد علينا * فيجهل فوق جهل الجاهلينا * وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل انه مع جهله وكفره كان يحنى العصاة ولذا قيل له مصفر استه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم اعز الدين الاسلام باحد الرجلين ابو جهل او عمر بن الخطاب فلما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه علم انه هو الذى اجيبت فيه دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وان ابا جهل اشقاه الله تعالى فقتل ببدر واختلف فى قاتله كما فصل فى السير واسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه ونصر الله به

الدين تحقيقا لرجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به) وفى نسخة مصححة من الشفاء ما جئت به بدون با الجحدة لايات الله تعالى عنادا وبغيا اى ننكره ونجعله كاذبا مع انك صادق عندنا وفى لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مر بابى جهل واصحابه فقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية فهذا هو سبب نزولها كما قال المصنف رحمه الله تعالى (فانزل الله تعالى انهم لا يكذبونك الاية) وعزاه ابن الجوزى الى ناجية ابن كعب من المفسرين وقد فسره به على قرأة يكذبونك بالتشديد وما فى الكشاف واللباب من قوله وانك عندنا لصادق مروى فى الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبى لا نعتقدك كاذبا وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا او حسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به فى موضع نحسدك اقامة للسبب مقام المسبب وفيه بعد وقيل المعنى لا نقصد نسبتك للكذب وتعييرك به لانا جربناك فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام اولا نقول انت من عادتك الكذب لكنا ننكر النبوة فلا يلزم ان يكون كذابا اوانك غير مفتعل متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فتعاله فما كذبناك ليكون عيبا وهذا احسن التأويلات وقيل انت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفى اللباب المعنى لا نخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزى عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا ولا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه الطيبى هذا زبدة كلامهم وسيأتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ما يوافقه (ويروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاء جبريل) عليه الصلاة والسلام قال السيوطى فى تخريجه هذا لم اجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يزد على هذا وهو غريب منه (فقال ما يحزنك قال كذبنى قومى) لما حرف وجود لوجود او وجوب لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الاوضح فى جوابه عدم اقترانه بالفاء وورد اقترانه بها ومن يأباه يقدر لها جوابا محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شايعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبنى بالتشديد وروى اكذبنى وهى لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث قالوا ان ما جاء به كاذب ان يقولوا انه كاذب او حيث قالوا انه كاذب واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بما يأتى من انهم معترفون بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا واعتقادا ويرى او اعتقادا اشارة الى القولين السالفين كما مر (فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله

تعالى الآية) فهو سبب النزول على احد القولين وفيه دليل على ان المنفى فى الآية العلم (فى هذه الآية منزع لطيف المأخذ) منزع بفتح الميم والزاء المعجمة وبالعين المهملة محل النزع مصدر ميمى بمعنى المفعول فسره التلمسانى بالمأخذ وورد بان مابعده يأباه فالمراد به شئ يرجع اليه قال فى القاموس المنزعة مايرجع اليه الرجل من امره ورأيه واقتصر عليه صاحب المقتفى والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت فى القوس نزعا وانزع بمنزع اى سهم وفى المثل عاد السهم الى النزعة اى رجع الحق الى اهله قاله الامام المرزوقى ولطيف المأخذ اى حسن دقيق اخذه واستنباطه منها (من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام والطافه فى القول) قال البرهان الطافه بكسر الهمزة فى النسخ التى وقعت عليها مصدر من الطفه بكذا اذا بره به كما فى الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبان المنزع بتقريرانه صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه بقوله (بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين) الباء سببية اوليه وقدر بمعنى بين وحقق هذا بحيث قر وثبت فى نفسه لما فى الاية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين له من تحقيقه وستسمعه قريبا ومر انه روى اواعتقادا اشارة الى القولين فى الاية وروى ان الاخفش قال لابى جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيرى وغيرك اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنوقصى باللوا والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف باحدهما كانه اعتراف بالآخر فلا يردان عدم الكذب اعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لاتستلزم نسبة الصدق لجواز ان لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالآية فسرت بانتفى اعتقادا اوقولا فمن اين تقرير الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم الكذب الحكم بعدالكذب لانهم لم يسكتوا فى حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف رحمه الله تعالى جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه ان عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لابطريق اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذب فى بعض الاحيان كامر والاظهر ان المراد نفى التكذيب باحد الوجوه والتأويلات السابقة فلاينافى التكذيب ظاهرا كما اشار اليه البيضاوى وهذا غاية مايمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله * وزججن الحواجب والعيونا * وكلام النحاة فيه مشهور * وتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة بالامين مشهور فى كتب الحديث وسمى يتعدى بنفسه وبالباء (فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب) الدفع بالدال المهملة منع الشئ قبل وصوله وبعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا

الدفع اسهل من الرفع وفى التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله تعالى عليه وسلم بما افتروه والتقرير برائين مهملتين هو ماتضمنه قوله بان قرر الى آخره وفى بعض النسخ التقدير بدال بدل الراء كما ذكره التلمسانى وقال ان الذى فى اصل القاضى بالراء ومعناه على تلك النسخة فرض الشئ وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الآخر والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمضاء وهى شدة الحرارة شبه بها ما اشتد عليه واقلعه من الم قلبه والسمة العلامة واصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة والمراد وصفهم له بها والاضافة لامية او بيانية اى سمة هى الكذب فى قولهم انه كاذب (ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الخ عطف على قرر وثم للتراخى الرتبى والاشارة الى بعد الذم عنه او هى للترتيب الذكرى ولاحاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما اخبرعنهم بانهم يجحدون فكانه قال جاحدين لانه لما اخبرعنهم بانهم يجحدون وقدم الجحد مع تأخره فى الآية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على ان جحدهم نشأ من ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم بايات الله اما انكار حقيقتها او انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمين الجحد معنى التكذيب الا انه قال فى القاموس جحد حقه وجحد بحقه اذا انكره وهو يقتضى خلافه (فحاشاه من الوصم) حاشا فعل ماض اى نزه الله عز وجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبرأه من الوصم بالصاد المهملة فى اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور فى الآية (وطوقهم بالمعاندة) طوق فعل ماض من الطوق وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم وقال فى كشف الكشاف فى شرح قوله طوقهم بها طوق الحمامة انه لايقال الا للامر المذموم الذى لايفارق من اتصف به لخصه بالذم كقول حسان رضى الله تعالى عنه لولا سوابقك طوقتك بها طوق الحمامة اى هجوتك (اقول فى اختصاصه بالذم نظر لما نقل فى مرأة الزمان عن حاتم الطائى انه قال لابنه لما سأله عن ابله التى نحرها للقرى وقال له مافعلت الابل فقال طوقتك بها مجد الدهر طوق الحمامة وعليه قول المتنبى * اقامت فى الرقاب له اياد * هى الاطواق والناس الحمام * والباء للتعدية وقيل انها للسببية (بتكذيب الآيات حقيقة الظلم) هذه الباء متعلقة بالمعاندة وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلهم كالطوق فى اعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذى هو وضع الشئ فى غير موضعه

لانهم وصفوه صلى الله تعالى عليه وسلم بالكذب وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم عند اهل المعانى كما قيل اقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا الحق بالاسماء كالمؤمن والكافر ولا خلاف فى هذا بين النحاة واهل المعانى كما مر (اذا الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره) ثم للتفاوت الرتبى او الحقيقى كما مر وهذا مما صرح به اهل اللغة فى القاموس والصحاح وغيرهما جحد اى انكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده انه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر ايمتنا الحنفية فى الاصول انه لو قال للخصم امقر انت ام جاحد فان قال مقرا وجاحد فقد اقر وينبغى ان يقيد هذا بمن كان من اهل اللسان (كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) اتى بهذه الآية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل انكروها واستيقنتها انفسهم كان صحيحا فيكفى لمدعاه النقل من ائمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشرى الاستيقان ابلغ من الايقان ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم اخفوا علمهم واسروه لان فائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفى شرح الصفوى اقول اليقين فى اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره المصنف رحمه الله افاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويون واهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد فى الآية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها تأسيسا لا تأكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار واليقين بالعلم ويمكن ان يكون مراد المصنف رحمه الله تعالى ان الجحود يطلق على الانكار بشرط ان يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو فى الآية كذلك قطعا لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالآية بلا نزاع واستيقنتها تصريح بما يمكن ان يفهم منه فتأمله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبنى على ان الشاهد والمثال سيان فى جواز وقوعهما بعد الكاف ويعضده مجيء الكاف للتعليل كقوله واشكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثانى مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل (اقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعا انه شرط خارج تعسف وحرية والآية الثانية انما اجابها المصنف للاستشهاد المعنوى وبيانه انه تعالى قال فى الآية الاولى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والدليل النقلى والعقلى دال على ان المراد انكار عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان الجهل قد يعذر صاحبه

لكن لما كان فيها خفا اتى بالآية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين فالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم فى ذكر اليقين تأكيد ان لم يكن اخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفى على من يدعى انه بيضة البلد (ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل الآية) التعزية من العزاء وهو الصبر ومعناها تسلية المصائب بما يخفف حزنه قال * هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا * وتختص فى العرف بما يقع عند الموت كقول ابى فراس * كن المعزى لا المعزى به ان كان لا بد من الواحد * وقوله وانسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها اى اذهب وحشته وقلقه مما لقيه منهم ورجح الاول لمشاكلته لعزاه وقوله ووعده النصرة فى الآية لقوله فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اى مواعيده بنصر انبيائه واوليائه بقوله * ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقوله فيها انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل ان فى هذه الآية دليلا على تحقق مقام النبوة فانه غنى عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روى عمن كان قبله اى فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصر فقد كذب اخوانك واصبروا حتى نصروا وهذه الآية تدل على ان نفى التكذيب فى الاية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوى ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم لايات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الآية على ما ذكر وقد قيل فى معنى الآية انها كقول السيد لعبده ما اهانوك بل اهانونى قاصدا تعظيم الامر وتقريره ان اهانتك اهانتى لا لنفى الاهانة وهو كلام حسن جدا (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا) هى قراءة نافع والكسائى من اكذبه كابخله اذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا احد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة فى ابنية الفعل ومعناه ان صيغة الثلاثى موضوعة للاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان آخر منها وجد ان الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذى دل عليه الثلاثى وهو معنى حقيقى وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب ام لا ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا (وقال الفراء والكسائى لا يقولون انك كاذب) الفراء هو الامام ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمى الدولى الكوفى النحوى اللغوى المفسر كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشرى توفى سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفراء لانه كان فصيحا يفرى الكلام ويفصله فليس نسبة للفراء لعملها او بيعها والكسائى هو ابو الحسن على بن حمزة

ابن عبد الله بن بهمن بن فيروز الاسدى الكوفى احد القراء السبعة امام النحو واللغة والقرآت عاش سبعين سنة ومات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة بزنبوية قرية من قرى الرى وقيل بطوس والذى لقبه بالكسائى حمزة شيخه لانه كان يجيئه ملتفا بكسا وقيل لانه احرم فى كسا ولما لم يجد هذا المعنى السابق فى كتب النحو المشهورة السيد الصفوى قال هنا ان هذا بناء على ان اكذب ككذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضى او ان معناه بين كذبه كما فى القاموس و يؤيده ما نقله الواحدى عن الفراء ان معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفى الصحاح نقلا عن الكسائى ان اكذبته بمعنى اخبرته انه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول و بالجملة ان فى هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلى فى شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فان هذا المعنى صرح به أئمة العربية قال ابن عصفور فى كتاب الممتع من معانى افعل التسمية كقولهم اكفرته واخطأته اى سميته كافرا ومخطئا انتهى وهو معنى النسبة فى العرف لانهم يقولون نسبته للزنا اذا قال انه زان لا لاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب (وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه) عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفى بعض النسخ لا يجتمعون قيل كانه تفسير باللازم فان من معاينة لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفى الجعل نفى الاحتجاج ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه (اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون للدلالة على الشئ والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال فى الممتع تقول ابصره اى دله على وجود المبصر واغفلته اى وصلت غفلته اليه واما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر و بما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد (ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب) كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وتممته اذا نسبته لبنى تميم وهذه النسبة اعم من النسبة المصطلح عليهما وهذا على الوجوه السابقة (وقيل لا يعتقدون كذلك) وهذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما فى هذه الاية من قولهم لا يكذبونك بان المثبت قولهم والمنفى اعتقادهم لمعنى ما قالوه واورد عليه ان الاعتقاد المنفى لا يخلو من ان يكون ما جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضى انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فلبس فيه تطمئن له كما فى الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتماله للثانى بعيد وقصد المصنف بعد ما قرره نقل اقوال المفسرين فى القرائتين ليزل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء فى قوله فمن قرأ الى اخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال و الظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه بأس فان منهم من جعل القولين بمعنى كما قالوا قللت واقللت وكثرت ا

واكثرت ولك ان تقول المعنى على هذا ان نفى تكذيبهم مطلقا جعل ما قالوه بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل فى قوله تعالى لا ريب فيه * مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم وما قرره المصنف وارتضاه مبنى على انهم معترفون بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا غبار عليه (ومما ذكر من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (و بر الله به) الخصائص جمع خصيصة وهى ما خص به دون غيره تمييزا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر واتى بمن اشارة الى كثرتها حتى افردت بالتصنيف و بر الله به احسانه ولطفه (كما مر ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام باسمائهم (فقال يا آدم) بدأ به لانه ابو البشر صلى الله تعالى عليه وسلم المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة و وزنه فاعل كآزر وعازر وجمعه اوادم واد ميون وقيل انه عربى مشتق من اديم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة واصله على هذا ءادم بالهمزة فابدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف للعلمية و وزن الفعل ومن الغريب ما نقل انه منقول من نقل الرباعى كما حكى عن الطبرى وفيه نظر (يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا ذكريا يا يحيى) وروى تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام ووقوع الخطاب بها فى القرأن كقوله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم غنى عن البيان (ولم يخاطب هو) بصيغة المجهول وضمير هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى لم يخاطبه الله فى القرأن باسمه وفى نسخة لم يخاطبه بالبناء للفاعل والضمير وقيل هى الاولى ولا وجه له (الا ب) عبارة فى ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله (يا ايها النبى يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر) معنى النبى والرسول معلوم وقدم النبى لانه اعم كقوله تعالى يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا يا ايها المدثر قم فانذر قيل الخاصة انما هى عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجئ من ان يا سين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل فى طه ايضا فيعتذر عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفى العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم فى العرب يعرفه كل احد وفى شرح التجانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يذكر باسمه فى النداء وذكر فى الخبر كقوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اى الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير اخر والمدثر اصله المتدثر اى لابس الدثار وهو البرد الذى فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله لخديجة رضى الله عنها حين رجع من حراء زملونى زملونى وفى رواية دثرونى دثرونى والقصة مشهورة فى كتب الحديث

اى غطونى وذكر المدثر والمزمل للملاطفة والتأنيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه يا ابا تراب لما رآه نائما عليه فلو ناداه سبحانه باسمه وبامر عار عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فلو ابدأه بما يونسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلى وذلك انه صلى الله عليه وسلم قال انا النذير العريان وهو مثل للعرب تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقوله من بالغ فى الانذار بقرب العدو لان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد لئلا يسبق العدو صوته وقيل أصله ان رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحال فقوله يا ايها المدثر قم فانذر وقوله انا النذير العريان اى مثلى مثله فيه اشارة الى ان التدثر يضاد النذير ففيه تمليح وتلميح وتظرف للملاطفة كما فى الاستعارة التمليحية التى ذكرها اهل المعانى وان لم يكن منها وماذكره المصنف فى خطاب الله له باسمه فى القرأن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله له بقوله انك لا تهدى من احببت وقوله له فى المحشر ارفع رأسك وقل تسمع لك يا محمد ولم يقل يا ايها النبى ويا ايها الرسول وان قيل الحكمة فيه انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب فى مقام الاذن فى الشفاعة وقال السيوطى ان الله شرف امته صلى الله تعالى عليه وسلم بخطابهم فى القرأن لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة يا ايها المساكين فاعلم انه قال فى الامتاع ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد بل يقول يا نبى الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرهما مجاهد والضحاك ومقاتل وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابى يا محمد انا رسولك الحديث بانه قبل النهى او هو مصدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه نظر انتهى ويأتى الكلام على ذلك والظاهر ان ذلك مخصوص بخطاب المشافهة فى خصوره حال حياته ❊ الفصل الرابع فى قسمه تعالى بعظيم قدره ❊ وفى نسخة عز وجل (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال النحاة انه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو فى عرفهم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى لا على جهته التبعية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم عليه كما فى الفصل الذى بعده بتغايرهما والفرق بينهما ظاهر فالباء فى بعظيم قدره بالقسم لا سببية حتى يتداخل المقصد ان فيحتاج لارتكاب تكلفات فى الفرق بينهما وعظيم قدره اما بمعنى قدره العظيم او الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من القسم به تعظيمه وتقدير المقسم عليه فى الذهن

وتمكينه والعرب من عادتها ان يقسم بالشئ اذا اردت تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذى عدوه من انواع البديع كقوله ❊ بقيت وفرى وانحرفت عن العلاء ❊ ولقيت اضيافى بوجه عبوس ❊ ان لم اشن على ابن حرب غارة ❊ لم تخل يوما من نهاب نفوس ❊ قال المرزوقى هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء ومحصوله القسم وكرر هذا فى مواضع من شرح الحماسة واشار اليه الزمخشرى وقل من تنبه له وهذه الاية فى قصة لوط عليه الصلوة والسلام وماذكره المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان هذا الخطاب لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على احد الوجهين فيها وفى الكشاف انه على ارادة القول اى قالت الملائكة للوط عليه الصلوة والسلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق ورجح المصنف رحمه الله تعالى الثانى لانه تعالى لما قص عليه قصته بتمامها الى قومه هؤلاء بناتى ان كنتم خاطبه ببيان ماهم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطاب من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى فى البصر والعمه فى البصيرة وفيه استعارة تحقيقية من شبه بالعمه وشبه تمكنهم فى الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف فى الظرف لانهم لم يفدهم النصح اللائمة طبايعهم وحسة انفسهم ففيه استعارة اخرى تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال النجانى انه بعيد لانقطاع الاية به عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية او لتشبيه الماضى بالحال فتدبر (اتفق اهل التفسير فى هذا) الكلام او اللفظ الذى هو لعمرك (انه قسم من الله جل جلاله) هو اسناد مجازى كجد جده وسعد سعده كما مر وتحقيقه فى كتب المعانى (بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان او كثيرا من مده اذا بسطه وفى بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبايح قوم لوط عليه الصلوة والسلام واهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه لم ينفع نصحه وتنفيرا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف رحمه الله تعالى الاتفاق دعوى بينها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلوة والسلام اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يأتى وقيل ايضا العمر مطلق الحياة اى سواء كانت المدة بتمامها او بعضها وقيل المراد البقاء فلا اتفاق ايضا على احدهما الا ان يريد بمدة الحياة معنى يشملهما وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار

ولوعند المصنف لايجد نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير مفسر والسلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكان وجيها وعلى هذا فتأخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لايخلو من الكدر (واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) قال ابن مالك رحمه الله تعالى فى باب المبتدأ والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدأ صريحا فى القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا اى لعمرك قسمى اوما اقسم به قال الدماميني فى شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح فى القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقهاء صرحوا بان كلا منهما كناية لاتنعقد به اليمين الابالنية وقالوا المراد بالعمر البقاء والحياة واجاب بان المراد بصراحة الاول اشعاره بالحلف مطلقا فى استعماله وارادوا بنفى كونه يمينا انه لا يعتد به شرعا وقالوا فى باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز الله النصب والرفع وعمر مصدر محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك فى القسم ايضا ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر * ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان * وفيه كلام فى شروح الكشاف لايسعه هذا المقام وقال السيوطى فى مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير فى الحديث خرجوا عمارا اى معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قاله الزمخشرى وعمرك الله اى اساله ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال فى القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفى شرح الصفوى قال فى المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتأكيد القسم وانهم جوابه ووقع فى بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم اصلا لم يذكره اهل اللغة لكن فى تفسير القاضى ان الفتح لغة فى الضم وهو يشعر بما ذكره المصنف انتهى ملخصا ومثله فى شرح البجانى وقال ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحقق هذا الموضع وفى التقريب فى شرح الغريب العمر بضم و بضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه (اقول هذا ماقاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد واصله التعمير فحذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك او قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ماجنح له ساداتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده فى الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بماشاء كقوله تعالى * والضحى والليل اذا سجى * فالضم

اصل فى هذا المعنى لاختصاصه به فى غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا لابأس ان يقال انه من قبيل معناه اومعدول به عنه ويؤيده مافى شرح ادب الكاتب للاقليلى انه سمع نادرا العمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى فى قسم الناس صح ان يقال انه كناية لتوقفه على النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما ارادوا فلا منافات بين ماذكره النحاة وماذكره الفقهاء ولاحاجة لماقاله شيخنا مع مافى قوله لايعتدبه شرعا من الوهم وبهذا اتضح ماقاله القاضى (ومعناه وبقائك يامحمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك) البقاء جملة حياته فى الدنيا وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان فى اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين مابعده لفظية ولذا فسره التلمسانى به هنا لئلا يتكرر مع مابعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة فى دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل المراد معيشته الواسعة الفائضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها مأثورة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخش معنى آخر وهو وحقك على امتك قيل وعرض لوط صلى الله تعالى عليه وسلم بناته انما هو اشارة الى نساء امته لانه كالاب لهم اى ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم بناته لا مانع منه وقيل المراد دوام ابد الآباد معه كما قيل * وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعا * وهو بعيد ومن الغريب مانقل عن مجاهد ان المعنى لعملك من قولهم لعمر الله اى بعبده والمعانى التى ذكرها تحقيقية لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها (وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف) تأنيث الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكرما فكيف برب الارباب فى مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية والتعظيم كون ربه أقسم به وقيل انه فى خصوص القسم بالحياة لانه فى العرف يدل على كمال الالفة والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتأمله (وقال ابن عباس رضى الله عنهما ماخلق الله وماذرأ ومابرأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الخلق الايجاد وماذرأ ومابرأ بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور اى لم يوجد احدا اشرف منه ذاتا ونسبا وصورة اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه العبارة يفيد انه ليس احد افضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة عليهم الصلاة والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلاة والسلام بناء على المذهب الحق انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منهم ولاعبرة بمن اختار خلافه كالزمخشرى وغيره من المعتزلة وقد سئل بعض البصريين عمن

يقول بتفضيل الملائكة على البشر على الاطلاق هل يفسق بذلك فاجاب ان عنى هذا القائل بالاطلاق دخول المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فهذا امر فوق الفسق لمخالفته للاجماع وان عنى من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم فالخلاف فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعى رضى الله تعالى عنه لما سئل عن مثل ذلك كنا نتكلم فى فضول الاصول فصرنا نتكلم فى اصول الفضول فقيل له اجزم بالصواب الجواب فقال هذا عار عظيم المصارع يخشى على قناعه من المقارع والمسئلة طويلة الذيل وماوقع من صاحب الكشاف فى سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام فهو خرق لاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكونى وغير واحد فليحذر كلامه اعنى الكشاف كم له من امثال هذا بما يخالف السنن القويم انتهى وسيجئ تحقيقه الان بعض الشراح تعقبه المصنف بانه لو قال روحا اى ذا روح كان اصرح فى تفضيله على الملائكة عليهم الصلاة والسلام اى لان النفس ربما يقال انها لاتطلق عليهم لتفسير بعض اهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح لانه احد معانيها وعلى هذا يجوز ان يقدر فى قوله من محمد من نفس محمد كما قيل (وما سمعت الله) قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه اى السماع قد يفيد العلم وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر على ان المفعول الاول مصدر لخبر المضاف الى المبتدأ واليه ذهب الرضى وغيره فى فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت اقسام الله تعالى لا من نبى ولا من كتاب يتلى وقصره على الثانى قصور والجملة مبينة للمقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به فى حواشى المطول وفيه كلام فصلناه فى طراز المجالس (اقسم بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض النسخ غيره وبعد ماذكر هذا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تلى الآية لعمرك الى آخره وكلمة غير مجرورة صفة احد او بدل منه الا انه على هذا كما قيل لايفيد انه اقسم بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلى الآية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثناء فانه لايفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق كما مر فى قوله ما خلق نفسا اكرم من محمد واما احد فقال شراح الكشاف فى قوله تعالى * لانفرق بين احد من رسله * انه يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وهو فى حيز النفى يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما فى الدار واحد بل اثنان ولا يقال مثله فى احد وذكره التفتازانى وقال معناه ماذكره اهل اللغة من ان احدا اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره فاذا اضيف اليه بين واعيد اليه ضمير جمع ونحوه فالمراد به

جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لانفرق بين احد لانفرق بين جمع الرسل ومعنى فما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت فى سياق النفى فعمت فكانت بهذا الاعتبار فى معنى الجمع كسائر النكرات وفى التلويح نقلا عن النحاة انك اذا قلت خذ احد هذين فالفه منقلبة عن واو ويستعمل فى الاثبات واذا قلت ما جاءنى احد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله فى الاثبات وهذا مشكل لان اللفظتين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيها اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما واذا كانا مشتقين من الوحدة واما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم ار من تعرض لهذا حتى رأيت العلامة القرافى فى كتابه العقد المنظوم فى الفاظ العموم اجاب عنه بان احدا الذى لايستعمل الا فى النفى معناه انسان باجماع اهل اللغة واحد الذى يستعمل فى الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى احد اللفظين غير مسمى الآخر غيره فى الاشتقاق فغايته مناسبة بين اللفظين فى الحروف والمعنى ولا يكفى فيه احدهما فعلم من هذا ان احدا الذى لايستعمل الا فى النفى ماهو واحد المستعمل فى النفى والاثبات فان وجدت المقصود منه انسان فهو الاول والفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفى والاثبات والفه اصلية انتهى وفيه بحث وقد اشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهتد به (وقال ابو الجوزاء) بفتح الجيم وواو ساكنة وزاى معجمة يليها المد ولهم ابو الجوزاء ايضا غير هذا وابو الحوراء بمهملتين راوى حديث الفتوحات وهذا اسمه اوس بن عبد الله ابن الربعى البصرى يروى عن عائشة رضى الله عنها وصفوان بن عسال رضى الله تعالى عنه وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم واخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وثمانين مقتولا فى الجماجم (ما اقسم الله بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم قيل غير هنا منصوب على الاستثناء وقد سمعته آنفا مع ماله وعليه وقد مر ايضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة وورد فى القرآن لمعان منها الحكم والعلم كما فى آية الافك فى قوله تعالى * كان عند الله عظيما * وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على انواعه ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من براء النسمة فيجوز همزه وتحقيقه والثانى افصح واكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اهل اللغة ثم انه قيل ان الاكرمية لاتقتضى حصر القسم فيه دون غيره ولا قصرها على حيوته دون ذاته فالتعليل غير تام الا ان يقال عادة العرب لمن احبوه وعظموه ان يقسموا بحيوته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضى العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد القسم به وقد يقسم بفاضل مع

وجود الافضل وكون الاكرمية تقتضى التخصيص ببعض الامور فلذا خص بماذكر لا انها تقتضى هذا بخصوصه لايخفى مافيه (اقول هذا كله من التعسفات التى لاحاجة اليهـا فان فيماذكر تكريما وتعظيما خصه الله به على ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى فلا يحتاج الى اقامة برهان منطق عليه وكله من ضيق العطن وانما تعرضت له لئلا يظن ان السويدا رجال واكرم من الكرم وهى صفة جامعة لكل خير ويقال هذا تكرم على اى هو عزيز عظيم فى قلبى ونظرى وهو فى العرف يختص بالجود وليس بمراد هنا لابمعنى انه اكثر جامعية لكل خير عنده (وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم الايات) لم يصرح ببقية الآيات لانها ليست ممانحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل الثانى ولم يذكرها هناك اكتفاء بماذكره هنا وتفننا فى التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن فى التعبير فن من فنون البلاغة وسيأتى فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم مايتعلق بيس (اختلف المفسرون فى معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكى) رحمه الله تعالى تقدم الكلام فى ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة وهى ان معناه ياسيد او يا انسان فى لغة طى كما يأتى او هو اسم من اسماء الله تعالى لانه السيد الحقيق او يا محمد او يا رجل او هو اسم من اسماء القرآن كله او سورة منه وماعدا الاخير فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه قرآت فتح الياء وكسر النون وفتحها وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب او مبنى وجهان ايضـا ومعنى الحكيم ذو الحكمة او الحكيم صاحبه او المحكم (انه روى) بصيغة المجهول وفى تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث على وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعايشة رضى الله تعالى عنهم وفى سنده مقال وقال السيوطى انه رواه ابونعيم وابن مردويه باسناد فيه ابو يحيى الوضاع وسيف ابن وهب وهو ضعيف ولكن سيأتى عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه قد يجبر ضعفه وليس ممايتعلق بالاحكام (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسماء) تقدم ان عندالله بمعنى فى علمه فالمعنى انه هو الذى سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال ربى دون الله والعدد لامفهوم له فالمعنى الزيادة واليه اشار بقوله (ذكر ان منها طه ويس) وورد تسميته بهما فى لسان العرب كقول الشريف الحميرى * يانفس لاتمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الاآل يسينا * اى الاآل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد قوله ذكر امالان فى الحديث زيادة على ماذكر اولانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يارجل وقيل اصله طأها اى الارض وسيأتى الكلام عليه (اسمان له) اى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم بحذف حرف النداء او القسم ويجوز على بعد ان يكون خبر ان (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه اراد ياسيد) فيه اطلاق السيد على غير الله وقد قيل

بامتناعه لحديث رواه البيهقى مسندا فى كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله الى آخره وتحقيقه ان فيه للسلف اربعة اقوال الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا اطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفى غيره بمعنى الرئيس المتبع وله شواهد من الكتاب والسنة وكلام العرب الثانى وهو منقول رحمه الله تعالى انه لايطلق الاعلى غيرالله اذلم يثبت اطلاقه عليه فى الاحاديث المشهورة ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه وفخره ولذا لما اطلق على الله فسروه بغيرهذا كمامر الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لايليق بغيره تعالى الرابع التفصيل فى المعرف بال فيختص بالله وبغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره فان قلت ماتصنع بالحديث اى السيد هو الله المفيد للحصر بتعريف الطرفين قلت اذاثبت وصفه لشئ اريد سلبه عن غيره حقيقة اوادعاء فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لامعبود الاالله الثانى ان يعرف الطرفان وهو فى معنى ماقبله الا ان فيه ايماء الى ذكاء المخاطب لاستغنائه به عن التصريح فقد يكون ابلغ من الاول الثالث وهى ادق طرقه ان يجعل من اثبته الزاعم له الصفة عين من هى له حقيقة فيقال للدهر الذى يضيف الامور للدهر الدهر هوالله اى لاتصرف لغيرالله فى جميع الامور سوء الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهانى عماسواه على حد قوله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العـابدين وهو نوع من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلوين فصله عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو مذكور فى الكتاب اى كتاب سيبويه رحمه الله تعالى كقولهم عتابه السيف وتحية بينهم ضرب وجيع ومانحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل فلادليل فيه وقد مر بيانه ايضا فاعرفه فانه من نفائس الذخاير المستودعة ولزم عوده الى ذلك فى الكلام على الاسماء الشريفة عند قوله سيد ولد آدم (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الطاء منصوب بدل مماقبله او مصدر لفعل مقدر اى خاطبه به مخاطبة مخصوصة به (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (يس يا انسان اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابن ابى حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لغة طى فقيل ان اصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة النداء به كما قال الامام تبعا للزمخشرى وتعبه ابن حيان بان المنقول عن العرب فى تصغير انسان انيسيان بياء قبل الالف واستدل به على ان اصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولم يسمع فى تصغيره انيسين ولوسلم تصغيره لذلك فلا بد من بنائه على الضم مع

ان الصغير اصله التحقير فيمتنع فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا لما قال ابن قتيبة فى المهيمن انه تصغير مؤمن واصله مؤيمن ابدلت همزته ياء قيل انه قرب من الكفر فليتق الله قائله وايضا الحذف من اول المنادى غير معروف وسيأتى الكلام عليه فى فصل اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من ان اصله ياسيد فانه قيل انه اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع فى كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الاتا بمعنى الا تفعل فيقول بلا تا اى افعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وورد فى الحديث كفى بالسيف شا اى شاهدا وقال التجانى التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة تعبيرا باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفى فقالت قاف اى وقفت فيحتمل ياسين ان يكون عبر عنه باسمين من اسماء حروفه لا بمسماه كما قاله الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة * كقوله كانت مناها بارض لا تبلغها * لصاحب الهم الا الناقة الاحداء اى منايها (وقوله درس المنا بمتالع فابان * اى المنازل وله نظائر كثيرة (اقول هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادباء كما نقله النواجى فى كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء ان الاكتفاء كما قال علماء البديع ان يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسئل القرية على احد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة كقوله تعالى * سرابيل تقيكم الحر * اى والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه المتأخرون من اصحاب البديع واكثر منه الشعر المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدمامينى رحمه الله تعالى

* يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر *

* تعال بنا كرالروض المغدى * وقم نسعى الى ورد ونسرين *

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

* دع ياعذولى رقى الملام فذ سرى * عن الحبيب فبت دام له البقاء *

* والطرف مذ فقد الرقاد بكى بماء * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقاد *

وامثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يجوز الترخيم فى غير المنادى بشروطه المذكورة فى بابه فيكون هذا وامثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يعد هذا من المحسنات البديعة التى انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف تجوز ان يخرج على مثله القرآن الكريم ان كان فيه تورية لانها لا تجوز مثله اللهم الا ان يقولوا انه مقتبس مغتفر فى الشعر وما وقع فى القرآن ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايماء الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذى اشار اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك فى صدرى ولم ار من تعرض له وفى كلام التجانى الذى مر آنفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به (وقيل هو قسم وهو من اسماء الله تعالى) قال السيوطى

رحمه الله تعالى اخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به (وقال الزجاج) ابو اسحق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام فى الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا فى الدنيا توفى ببغداد سنة ست او احدى عشرة وثلاث مائة وقد بلغ سن الثمانين واليه ينسب الزجاجى صاحب الجمل (قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان) فسين او يس علم له والمراد بالرجل والانسان محمد ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم واما ارادة النوع وانه التفات كما قيل فبعيد لا ينبغى حمل التنزيل على مثله وتقديريا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ لقوله اصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل فى اصل وضعه ثم نقل وجعل علما اونقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض هذه المعانى تقدم وانما اعيد هنا تتميما لكلام الزجاج (وقال ابن الحنفية) رواه البيهقى فى دلائل النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد بن امير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه والحنفية امه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضى الله تعالى عنهما وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وتوفى بالمدينة فى سنة ثمانين على الاشهر وفيه اقوال اخر فصلها البرهان فى المقتفى وترجمته مفصلة فى التواريخ وهو من كبار التابعين رضى الله تعالى عنهم (يس يا محمد) اى معناه هذا لانه وضع له ابتداء او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قائله وتعدد طرقه (وعن كعب الاحبار) كما تقدم الكلام عليه (يس قسم) اى مقسم به او جعله قسما لتضمنه له او مبالغة (اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفى عام) لم يبين المقسم به ففيه احتمالات السالفة وفى المواهب فى نقل كلام ابن الحنفية اقسم الله باسمه وكتابه وفيه فائدة سترها والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلى رحمه الله تعالى كلام فى الفرق بينهما والمراد بمقدار الفى عام والا فقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك او المراد مجردا لكثرة او عدم النهاية مجازا فلا يقتضى الحصر وينافى الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض لقوله تعالى * وكان عرشه على الماء * كما قاله زين العرب فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السماء والارض بخمسين الف سنة وفيه نظر ثم انه قيل انه مشكل ايضا لان كلام الله قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث واجيب بان المراد ابرازه فى ام الكتاب او اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات ولم يرتضه التجانى فقال الاولى ان يضعف مثل هذه الروايات ما امكن فان صحت ترك علمها الى الله تعالى اذ مثله لا يقال بالرأى ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكور متعلقة بالاقسام وليس

المراد معناه النفسى القديم بل احداث مايدل عليه عند الاشعرية وتعلقه باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة وهذا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت انه فاعه وكون التعلق حادث ارتضاه بعض ائمتنا كالنفسى ومن لم يقل به يدخل من باب التأويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلى بالمعدوم الذى سيوجد فلا ينافى الاقسام به ازليته الاترى الى قولك الزمان الماضى قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لايخطر ببالك ان للزمان زمان اوظرفية لنفسه (اقول مثل هذا ورد فى الحديث وهو كثير والطعن فيه لايليق ولابد من تأويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملائكته عليهم الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار او قديما وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظم قدره فى الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضى الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر (يامحمد انك لمن المرسلين) ليس قوله يامحمد تفسيرا ليس لانه غير مناسب لماسيق له الكلام من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين الذى هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيسين حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما باه النحاة كما صرح به فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه وينبه الذوق لا تسمع الامع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة لا قسمية وقد خطر لى توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا منهما قسم يقسم به على شئ واحد فيقتضى العطف واجتماع واوين وهو ثقيل او حذف احداهما وفيه لبس وترك المصنف رحمه الله تعالى بقية التفاسير ككونه اسم السور لانه لبس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتأكيد وهو مخالف لما قالوه (ثم قال والقرأن الحكيم انك لمن المرسلين) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى اى قال يس والقرأن الى آخره وماقيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر وهو مراد كعب ايضا وان خالف كلام النحاة لاوجه له (فان قدر) بكسر الدال المهملة المشددة اى ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجها اخر (انه) الضمير ليسين والفاء فصيحة اى اذا عرفت مامر فان قدره الى آخره انه (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح انه قسم) كما سمعته عن كعب ومكى وصح بمعنى ثبت او اريد به ذلك فى نفس الامر لاحتماله عقلا وان فى قوله فان قدر ليست للشك بل هى شرطية وجوابها قوله (كان فيه) اى فى القسم وقيل فى يس وقيل فى التخصيص ورد بانه لاتخصيص فيه لاان يريد التخصيص بالذكر (من التعظيم ما تقدم) من القسم بقوله لعمرك واورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم مامر ولذا اقسم الله

بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسى قوله قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لا انه فى محل الجر لانه لم يرد فى غير لفظة الله الا شذوذا وفيه بحث (ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه)عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام والضمير فيه ليسين او للنظم فالمعنى مظروف فى اللفظ والآخر بالمد وفتح الخاء وكسرها كما قاله البرهان الحلبى وفى شرح الصفوى المعنى انه ذكر بعده مقسما به باواو والمتبادر منه العطف ويسين اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والالم تكن الواو عاطفة ولا القسم تاوء مثله اوكان المقسم به عطفا على غيره والاول احسن وانسب وفى العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على اول مثله مبنى على ان يسين قسم فكيف يؤيده مع انه مقسم به لاقسم فالوجدان يقول يؤكد ذكر المقسم به لاخر وعطف عليه واوكان قسما وذلك العطف اولى فكذا تسميته (اقول هذا ممالاينبغى ان يصدر من مثله لان كون القسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادى الذى زعم انه حسن باطل وتعين قسمية الثانى لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية لاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المصنف رحمه الله تعالى لما نقل ان يس بمعنى محمدا تبعه بيانه على وجه اختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض يوهم ان قوله ويؤكد الى آخره استدلالا على القسمية بالعطف والتأكيد وهما انما يتحققان اذا كان قسما والاستدلال على الشئ بمايتوقف وجوده عليه فاسد فقال ماقاله وكم له مثل هذه مماقرعت له العصا فيه ومما يدل لك على ماقلته قوله (وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته) اى ان كان يسين متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقدير يا او بدون تقدير كامر وفيه اى فى الكلام قسم آخر بالقرأن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس لكنه مناسب لماهنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقيق ذلك بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته فى نفسه وغيره بقوله على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحقيقها الدال عليه ان واللام والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استأنف لتوضيح معنى الرسالة والطريق المستقيم فقال مبناه على هذا الوجه وهو كون يس قسما (اقسم الله تعالى باسمه) اى اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به او بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما او المراد بايراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله (وكانه) بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار [illegible] من مخالفة الافصح والاحتياج الى التأويل والقسم

بكتابة متعين واما بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته آنفا والضميران للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر وانتشار الضمائر وعلى النداء لاينافى مامر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى اى قائلا انه الى آخره ولذا لم يقل انك والارسال بمعناه اللغوى ولذا ذكر الوحى بعده لتخصيصه او بمعناه الشرعى على التجريد ومجرد ملاحظة الثانى لايكفى كما قيل (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وان المراد بها التوحيد اوهى تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لامتعلق بالمرسلين اى ممن ارسل على هذه الطريقة فالقسم على امرين كما قال قبله ان الارسال على امرين رسالته والشهادة بهدايته لا امر واحد هوانه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول مهدى على طريقة مستقيمة ولاحال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لاينافى القصد لان هذا اوضح واتم فى المدح (اى طريق لا اعوجاج فيه ولاعدول عن الحق) اى بفتح الهمزة وسكون الياء المخففة مفسرة للطريق المستقيم وهو اعم من الايمان فهو تفسير ثان على الاول وتشديد الياء على ان المعنى طريق واى طريق لانه لااعوجاج فيه ولاعدول الى آخره تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية وللظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولى من احسن العشرة فليتزم * سماحة النفس وترك اللجاج ويستر المعوج من خلقهم * اى طريق ليس فيه اعوجاج (قال النقاش) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن احمد الموصلى البغدادى المقرى المفسر روى عن ابى مسلم الكجى وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب فى الحديث فلذا قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب عليه القصص الا ان اباعمرو الدانى اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضى رده وفى حاشية التلمسانى انه مغربى توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان وطبقات القراء وقال ابو شامة فى شرح الشاطبية انه ضعيف عند اهل النقل وقال الجعبرى رحمه الله تعالى المضعف له غالط (لم يقسم الله لاحد من انبيائه) عليهم الصلوة والسلام (بالرسالة فى كتابه الاله) اى بسبب الرسالة اولم يقسم على رسالة احد غيره كما فى هذه الآيات وهذا وان دل على ان غيره مرسل ايضا الا ان المقسم عليه بالقصد الذاتى رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدل الى قوله انك لمن المرسلين عن قول رسول الله اومرسل وهو اخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلماء ابلغ من عالم كما قرره علماء البيان وفصلناه فى غير هذا المحل اى لم يذكر هذا القسم فى القرآن لغيره تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء مؤكدا بتأكيدات (وفيه من تعظيمه وتمجيده

على تأويل من قال انه ياسيد ما فيه) التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتأويل حقيقته فى اللغة معرفة مآل الشئ وما يرجع اليه من آل ثم شاع فى معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضى الله تعالى عنهم والتأويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفى دون الظاهر وقال القرافى رحمه الله تعالى المأول هو الكلام الذى فيه الاحتمال الخفى مع الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليسين وقوله مافيه فيه ايجاز ومبالغة اى فيه امر عظيم لايمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم فى المقام الخطابى فيفيده تفوقه عن من سواه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم الكلام فى اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السود فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على مامر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا فى الصحيح فيعل بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل ورد بانه لامانع من اختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم) اى جميع اولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمسانى وفى نسخة (ولا فخر) الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره اى لا اقوله متبجحا ولا افتخارا بل تحديثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول اى لا فخر فى الدنيا عندى اى لا اتعظم ولا اتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر فى الدنيا والآخرة وفى الحديث روايات منها انا سيد ولد آدم يوم القيامة كما رواه مسلم والترمذى قال التجانى فيه اشارة الى التجاء جميع الخلائق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك اليوم من غير منازع كما فى الدنيا وهو كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى وقد قيل انه واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لتبليغ امته مايجب فى حقه ولذا قال الله تعالى * واما بنعمة ربك فحدث * وهذا لاينافى سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم على الملائكة وما سوى الله تعالى وقوله ولا فخر احتراس عما يتوهم من الكبر على حد قوله * فسقى ديارك غير مفسدها صوب الحياء وديمة تهمى * وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم ومر فى الخطبة الكلام فيه وان الاحتراس على ثلاثة اقسام (وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) يعنى لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله تعالى كما اشار الى توضيحه بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه) وروى اذ لم يكن وهما بمعنى هنا اى (بعد خروجك منه حكاه مكى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم

القسم به لخروجه منه ولو قال اذا خرجت كان اوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم فى سورة التين بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافى بين الآيتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فهى حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله (كما قيل وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا * وهو منتظم مع مابعده من قوله ووالد الى آخره اى لا اقسم بالبلد واقسم بغيره او اقوله بغير قسم بناء على انسحاب النفى عليه اولا اقسم بهذا الجلالة القسم والمقسم عليه وان كان مايذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفى القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى (وقيل لا زائدة اى اقسم به) زيادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تأكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع انها لا تأتى زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد فى غيره ايضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زائد بل يقال تأدبا صلة وهو كلام حسن وقيل لانا نخذ فوا انا واشبعت الكلام ويؤيده انه رسم فى الامام بلا الف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتداء (وانت به يا محمد حلال او حل لك مافعلت فيه) جملة حالية وهذا مبنى (على التفسيرين) فى هذه الاية بالاثبات والنفى او فى معنى الحل او على كليهما ليكون الكلام افيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة و بمعنى الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وانت مقيم بها بشرفك وعظمتك عندى او انى حللت لك ما لم احل لغيرك فى هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما نسخ حرمتها او هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره او فسر بالحرم وهذه الآية محكمة عند ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولا بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم وامره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى عن السلف واورد عليه الجعبرى فى كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك هى منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبايات اخر فى معناها وتمسك بفعله

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى انتهى وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان اخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثانى على انتفائه او كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير اخر فقيل المعنى وانت حلال اى غير محرم مقيم بها او المعنى يستحلون ايذاك واخراجك منها وهو تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه او اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضى عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل اوانت حال فانه حينئذ ينبغى القسم لك الا انه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى وهو امر سهل وقال القسطلانى فان قلت هذه السورة مكية اى على ما يأتى وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التى ذكرت فى آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى * انك ميت وانهم ميتون * واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة لا حالية فتتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل عليه قوله او حل لك مافعلته فيه قيل وفيه اشارة الى عظم شانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف او ان شرفه مكتسب فيه والمراد بالبلد (عند هؤلاء) المفسرين (مكة) وقيل غيرها كما سيأتى (وقال الواسطى) نسبة لواسطة مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله تعالى ابو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفى بعد الثلاثمائة وعشرين وهو من اجلة العلماء والصوفية (اى نحلف بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا) نحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة تليها لام مكسورة وفاء كذا ضبطه فى المقتفى ولو قرئ بالياء التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير كنحن الا ان العظيم يتكلم بها ويطلقها عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعات كثيرة او لان له اتباعا فى خدمته اذا اراد فكنى عنه وعنهم ولذا قال الراغب فى مفرداته ان الله تعالى انما يوردها فى كلامه فيما يفعله بواسطة ملائكته عليهم الصلوة والسلام كقوله انا نحن نزلنا الذكر وفى شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه افتى علماء الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصرى فى قوله * اغمزه بناظر ولم افه بكلمة * يحيينى بحاجبه لكن بنون العظمة وقوله الذى شرفته بمكانك اى حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك بتشريفه لانه بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحى ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا القسم ادخل فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم من القسم بذاته وبحياته كما اشار اليه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله بابى انت وامى يا رسول الله

قد بلغت من الفضيلة عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمى ولذا اعمله كقوله * اظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلما * ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المصنف بمكانك و بركتك حيا وميتا كان اولى لان الانبياء عليهم السلام احياء فى قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن لان بركته صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته كما علم (يعنى المدينة والاول اصح لان السورة مكية) يعنى ان هذا القائل اراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته ومماته وهى على القول الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة فى حال النزول تعين انها مكية لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف رحمه الله تعالى كما فى شرح البخارى ولشدة ضعفه وضعف ما بنى عليه لم يعتد به مدعى الاجماع (وما بعده يصححه) مبتدأ وخبر اى ما بعد القسم وهو قوله تعالى وانت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة وفساد قول الواسطى فقوله (قوله حل بهذا البلد) خبر مبتدأ مقدر مع الاقتصار على مناط الدليل واصله وهو قوله وانت حل بهذا البلد و يجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث كما اشار اليه بعض الشراح لان القائل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد فى الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فاللائق الاقتصار على رواية خلافه لصحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الى آخره مجموعه علة للاصحية وهو قوله وانت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور فى حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجائز ان يفسره الواسطى بالحال النازل و يقول البلد فيهما المدينة والسورة مدنية فلا يلزمه شئ مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما اذا اريد بالاول المدينة و بالثانى مكة على انه وعد له صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سيكون بها حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة فى كلام واحد لغائب وحاضر بتنزيل الغائب منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم وما بعده القول الحاكم بانها زائدة و يصححه قوله تعالى * وانت حل بهذا البلد * اذ فى كونه حلا به اشعار بثبوته مع كونها زائدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف (ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله وهذا البلد الامين) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب افرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه اى مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله تعالى عليه

وسلم او نحو قول الواسطى فى ان لمحله صفة مدح بواسطته قول ابن عطاء وان كان قول الواسطى فى حق المدينة وقول ابن عطاء فى حق مكة وذاك بسببه وهذا لتشريفه بما فيه من الامان بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد علية له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو امن لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المأمون على ما اودعه من البركات او لانه مأمون عن الغائلة وتحقيقه فى الكشاف و شروحه (قال امنها الله لمقامه فيها وكونه بها) فى المقتفى امنها بقصر الهمزة وتشديد الميم كما فى النسخ ولا اعرف فيه الا مد الهمزة وفتح الميم يعنى ان المعروف فى اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته و يجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بها على ما قبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفى نسخة بمقامه بالباء السببية فالامان بسببه وقد فهم من الآية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية فيكون الاقسام لسببه ايضا (فان كونه) اى وجوده امان اى موجب للامان (حيث كان) اى حيث وجد بذاته الشريفة والحيثية قد ترد للتعميم اى فى اى مكان كان لقوله تعالى * وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهذا الامان كان بعد وجوده وقريبا من وجوده كما امنه به من الفيل واصحابه لان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت فى ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل فى المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى * اجعل هذا البلد آمنا ومن دخله كان آمنا * واجاب الله دعاءه فقال الله تعالى * واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا * واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون كل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم و يمن وجوده فيه فلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعاء خليله او يكون استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان المصنف رحمه الله تعالى اشار الى هذا بقوله (ثم قال ووالد وما ولد) عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا فى تفسير الوالد فمنهم (من قال اراد آدم) عليه الصلوة والسلام (فهو عام) اى ما ولد على هذا التفسير عام شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته ونسخة توحيده فى ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون القسم بالاول والآخر ولا ادرى ما وجه تركه وعدم تعرض احد من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر (ومن قال هو ابراهيم) عليه الصلوة والسلام (وما ولد) ضمير هو للوالد او لمجموع الوالد والولد والثانى اولى وقيل الاولى ان يقول على منوال

ماسبق ومن قال اراد ابراهيم عليه السلام والضمير فى قوله (فهى ان شاء الله تعالى) للقصة وانث باعتبار الخبر وهو قوله (اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى هو المراد من قوله وماولد عند هذا القائل وهو ابو عمران الجوفى كما نقله فى زاد المسير وقيل هم العرب وقيل هم اولاد ابراهيم عليه الصلوة والسلام او الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم اطلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على مايدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بمابعده اوهو تأدب منه فى الحكم بان مراد الله اواشارة الى ان فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم ان يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين لانه لما حمل الوالد على اكمل افراده ناسب حمل مابعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته اوذريته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه مادون من ومافى الاصل لما لايعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه اولتأويله بالمبهم اى الولد الكامل الذى لايدرك كنه ذاته لتناهيه فى الكمال (اقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد به المعنى الوصفى كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما فصل فى حواشى الكشاف قال الزمخشرى فى قوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا اريد الذوات واما اذا اريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفى هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقى فان قيل بانه يجوز ان يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب احد جزئى المدلول وانما ذكروه فى الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقبل بالمدح والتعجب كما قيل (فتضمن السورة القسم به فى موضعين) اشار بالفاء الى نشأته مما قبله اى اذا كان كذلك ففى ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين احداهما فى البلد التى هى محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله تعالى عليه وسلم ابلغ من القسم بذاته وحبوته كامر تحقيقه والثانى فى قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما اقسم بوالده وهو فى صلبه فكانه اقسم به بعيد غاية البعد واما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الكشاف فغير صحيح لانه لبس فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا ان يقال من اقسم باحد ممن مضى من آبائه قاصدا تعظيمه فكانه اقسم به اى بصفة من صفاته وهى شرف حسبه فتأمل (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم على انه طائفة من الحروف او اسم السورة او القرأن تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره اوتقضيه كما فصله المفسرون (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه

وعن غيره فيها غير ذلك) الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روى عن ابن عباس وغيره من مفسرى السلف فى هذه وفيما ضاهاها اقوال غير ماذكر قال الشريف كما روى عن الخلفاء الاربعة انها مما استأثر الله به قال البيضاوى ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورموز لمن يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب مما لايفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لايعلمه الا الله فانه اخفاء لحكمه فلم يتحاشوا عما فر منه اقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوى يخل بالفصاحة فكيف بما لايمكن علمه وماذكره لايدفع ماقاله فالحق فى جوابه ماقاله الفاضل الليثى بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهيم المخاطب كما فصله فى حواشى المطول وهذه الحروف اشارة لماذكر اوالى جميع حروف المعجم كما يقولون تعلمت اب اى جميع الحروف المقطعة كما قال ابن قتيبة فهى اقسام متعددة جوابها مقدر اى لقد بينت لكم السبل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله ذلك الكتاب وفيها اقوال كثيرة تكلفت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا اشار بقوله (وقال سهل ابن عبد الله التسترى) تقدم مافيه قال السيوطى رحمه الله تعالى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم (الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان هذا غير واضح المعنى ولابد له من مأخذ وفى تفسير الاصبهانى نحو عشرين قولا لم ار فيها هذا الا انه حكى عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والالف من الله وهى اقسام اقسم الله تعالى بها وهو فى غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفى هذا تقديم جبريل عليه الصلوة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فربما تعلق به مدعى التفضيل وان لم يلزمه مطلق التفضيل يعنى انه لم يقل انها حروف من اسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه فى غاية الخفاء فان نزل على ماذكره الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لاطائل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناسب لماهو بصدده واما تقديم جبريل عليه الصلوة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاعتراض به فى غاية السقوط كما اشار اليه بقوله (وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (على محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (بهذا القول) وفى نسخة بهذا القرأن (لاريب فيه) كما حكاه القاضى بمعناه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى انه لوضوح شانه واعجازه لايرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال تعالى وان كنتم فى ريب الى آخره (وعلى الوجه الاول) الذى رواه عن ابن عباس وهو القسم بالحروف (يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه) ان بالفتح اى على انه قسم

فى قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لاريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله ذلك الكتاب لاريب فيه لاجواب بتقدير اللام لانه لايسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما فى المغنى وحذف الجواب ورد فى القرأن فى قوله تعالى * ص والقرأن ذى الذكر * بانه لمعجز وانك لمن المرسلين فاتى بدل ذلك بهذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر فى المعانى والنكات لاتتزاحم والتردد فى انهما على حد سواء ام لا كما قيل لاطائل تحته وفى شرح السيد التحرير انه اشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر فى الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لاريب خبر بمعنى حق (ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم) فى الم او فى هذا القول او القسم او الكتاب على قول سهل مطلقا او على ماذكره السمرقندى لدلالة الحروف المقطعة من الاسماء اولدلالتها عليهما كانها اسما واشار بقوله نحو ما تقدم الى مامر فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولايخدش القران توسط اللام المفسرة بجبريل لمافى وقوعها فى ذكر واحد من القران لاسيما وجبريل عليه الصلوة والسلام سفير محض بينهما لايعد فاصلا قيل وكون الالف من اول اسم الله والميم من وسط اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واللام من آخر اسم جبريل مناسب لماذكر (وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرأن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما فى قوله * قلت لها قفى قالت قاف * والظاهر ان مثله لايقال بالرأى فلا وجه للاعتراض بانه لم لايجوز ان تكون من قدرة الله تعالى ونحوه وقد تقدمت ترجمة ابن عطاء رحمه الله تعالى وقوله (حيث حمل الخطاب والمشاهدة) اى حيث تحمل واطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته مما تنهد له الجبال ولاتطيقه الملائكة على احد تفسيرى قوله تعالى * حتى اذا فزع عن قلوبهم * اومشاهدة التجليات القلبية (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) اى لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله اى ان له صلى الله عليه وسلم حالا فى ثبات جنانه ورفعة شانه لما اودع فى قلبه من اليقين (وقيل هو اسم للقرأن) ضمير هو لقاف وهذا القول تفسير مأثور عن قتادة فما قيل من انه فى غاية الركاكة لانه يصير المعنى القرأن والقرأن المجيد تهجم لايليق بالادب والعجب منه حيث رواه بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفاء ماقبله ولذا قيل انه فى غاية الوجاهة من حيث المعنى اذحاصله ان هذا القرأن اقسم به واظهره فى مقام الاخبار لم يكن وصفه ودخول حروف القسم عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هى لو صرح باسم القرأن لا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر فى العدول فتفطن وتأدب على انه يحتمل ان يراد بالقرأن هذه السورة (وقيل هو اسم

لله تعالى على نهج مامر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم اوقدير ونحوه اوهو مما لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ماحكاه القرطبى رحمه الله من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب (وقيل جبل يحيط بالارض) ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزى عن مجاهد قيل انه من زمردة خضراء وخضرة البحر من انعكاس شعاعه (وقيل غير هذا) فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولاتتعداهما والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته رضى الله تعالى عنه (فى تفسيره) وفى نسخة فى تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسير لم يشتهر (والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهوى بمعنى نزل اوصعد الى السماء فى المعراج من الهوى بتشديد الياء مع فتح الهاء وهو الذهاب فى انحدار اومع ضمها وهو الذهاب فى ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوى رحمه الله تعالى فلاغرابة فيه رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر (وقال) اى جعفر فله فيه تفسيران اوعنه فيه روايتان على البدل او الاجتماع ان جوز (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هوى انشرح من الانوار) الربانية المنزلة على قلبه فى مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال وتشبيه قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنجم لايخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى اذا فتح فما اومديدا ولايضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة له (وقال) اى جعفر الصادق فى رواية اخرى عنه فى تفسير هوى (انقطع عن غير الله) وهذا اظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس وقال الامام المرزوقى فى شرح اشعار هذيل قال الاصمعى يقال هو العقاب اذا انقض لغير الصيد واهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوى هويا بفتح الهاء من اعلى الى اسفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى فى مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت متقدم على النافى وقوله الا ان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما فى التقريب فيكون هذه الخلوة عن غير الله اومن هوى ذهب فى جهة العلو لارتفاعه الى الله تعسف غير محتاج اليه وتوقفه فى هذا دون ماقبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفى النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل مانزل من القرأن منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج وسيأتى الكلام فيه (وقال ابن عطاء) تقدم الكلام عليه (فى قوله والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) تفجر بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان او بفتح الجيم المشددة على انه ماض

فاعله الايمان من تفجر الصباح طلع كما قاله ابن ارسلان وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحى الماحى لظلمة الكفر اوهو استعارة لتشبيهه بالماء على نهج المكنيــة واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندى ان يشبه الصبح وانواره بماء متفجر ثم يستعار ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله تعالى عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم رحمه الله تعالى * انظر الى الصبح المنير وقد بدا * يغشى الظلام بمائه المتدفق * عرفت به زهر النجوم وانما * سلم الهلال لانه كالزورق * وفيه تفاسير اخر تركها المصنف رحمه الله تعالى لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه الان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومرارة الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة (اقول نقل الشراح هذا كانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء ادب وتهجم على كتاب الله تعالى عز وجل وهذا منقول عن السلف مأثور وهم اهل لسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يفسر الليالى العشر بعشر رمضان وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد فى العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى حالته التى جد فى عبادتى والتقرب الى فيها واى مناسبة اتم من هذه كما لو قلت

*وحبيب هو المنى وليال * كان فيها وصاله ورضاه*

*ورمانا بالانس كان ربيعا * لا اطيعن عاذلا فى هواه *

اترى هذا كالباذنجان و بزوره الهذيان اوكوجه الحبيب وعيبة الرقيب والذى عليه المحققون من المفسرين انه على حقيقته او هو بتقدير مضاف اى صلاة الفجر والليالى العشر عشر ذى الحجة او الفجر فجر عرفة او النحر والعشر اول محرم او آخر رمضان ومما يضاهى قول المصنف رحمه الله تعالى قول الرازى ان الضحى وجه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والليل اذا سجى شعره

﴿ الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده ﴾ بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالى له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازى او استعارة مكنية وفى بعض النسخ (له) وهو متعلق بالقسم والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم (لتحقق مكانته عنده) اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدى عامل بحرفين متحدى اللفظ والمعنى وقوله (صلى الله عليه وسلم) متعلق بحسب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى لتبين حقيقة حقه عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفى بعض النسخ لتحقق وفى بعضها لتحقيق بصيغة المصدر والكل بمعنى واللام قيل انها مثلها فى قوله تعالى

*وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * بمنزلة الغرض لا غرضا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وهذا وان اشتهر فالذى ارتضاه النسفى خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظى وعند مثلث العين والكسر افصح و بدأ الفصل بسورة الضحى لمناسبتها لخاتمة الفصل الذى قبله وتضمنها لتكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال (قال جل اسمه) كما جل وعلا فى نفسه وفيه تأدب وتأس (والضحى والليل السورة) بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر او اقرأ السورة الى آخرها والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات فان كانت معتلة فهى منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مداين العلوم ومنازله وان كانت مهموزة فهى من السور وهى البقية كما بين فى محله (اختلف فى سبب نزول هذه السورة) سبب النزول امر حادث فى زمن النبوة ينزل القرآن فى حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا فى كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) روى ان هذه المرأة هى ام جميل بنت حرب واسمها العوراء امرأة ابى لهب وكان ابو بكر بن العربى رحمه الله تعالى يسميها ام قبيح وهذا ما رواه الحاكم فى مستدركه وقال اسناده صحيح الا انى وجدت فيه علة و بهذه المرأة كان بعضهم لكراهتها لا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى امرأة اولما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وروى عبد الله ابن السكن انها احدى عمات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن جرير انها امرأة من اهله او من قومه ونقل عن امرأة اخرى وهو غير صحيح وفى شرح التجانى كلام طويل هنا وقال المصنف رحمه الله تعالى بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روى ان ام قبيح قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد ان شيطانك تركك لما رأيت من عدم قيامك اولم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث كما ذكره البخارى قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره الذى تركه به ما روى ان حجرا اصاب اصبعه صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت فقال صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت وقيل انما قالت ام قبيح ذلك لابطاء الوحى عنه وروى ابو داود باسناد صحيح ان ام المؤمنين خديجة رضى الله عنها قالت له ان ربك وفى رواية ان صاحبك قد قلاك فنزلت وانما قالته رضى الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة او هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بسبب تعدد النزول وفى اطلاق الصاحب على الله وقد ورد فى حديث اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل ولم يقل صاحبى وصاحبك او ربى وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهى الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لا ينبغى لسواه (وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت

السورة) اى تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور فى سبب النزول الاول لابشخصه
وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين والسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى
على فترة من الرسل وكان الوحى تأخر عنه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما وقيل
سنتين ونصف والاول اصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان اليهود
سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فوعدهم
بالجواب ولم يقل ان شاء الله تعالى فانقطع عنه الوحى وقيل بل كان فى بيته جرو كلب
قيل ولامانع من تعدد السبب كما مر وقول المصنف بل الخ كأنه اشارة الى ان القائل
الثانى ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه فلاضراب لذلك وقيل بل لافادة انهم تكلموا
به ايضا فهو انتقالى للترقى وهو بعيد ومر منه لان الاول اصح (قال القاضى ابو الفضل)
المصنف عياض رحمه الله (تضمنت هذه السورة) اى اشتملت سورة الضحى (من
كرامة الله وتنويهه به) كرامة الله اكرامه اى توقيره واللطف به وتنويهه به رفعة قدره
وجعله مشهورا بذلك واشاعة فضله (وتعظيمه اياه) جعله عظيما مهابا فى عيون الناس
وقلوبهم فهو مغاير لما قبله ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه
بعضهم والا فهو بيان لمقدر يفسره ما بعده وليست زائدة للتعظيم كما قيل (ستة) مفعول
تضمنت (وجوه) والوجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شئ وما يواجهك منه ويطلق
على الحال فيقال فلان احسن القوم وجها اى حالا وقول الفقهاء الوجه كذا اى القوى
ولهذا وجه اى مأخذ والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المصنف فى القلة لان كلا
منهما يقوم مقام الاخر وقد يقال انه اشارة الى انها اكثر من ذلك كما قيل (الاول القسم عما
اخبره به من حاله) بيان لما والمراد حاله التى له فى الدنيا والاخرة (فقال والضحى والليل
اذا سجى) والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهى الاول النهار وسجى اذا دخل واظلم
واصله من السجية وهى التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى * وجعلنا الليل لباسا *
وقلت للانس لما اختلينا * وغاب داعى الهمومى * فى حلة للدياجى من زورة بالنجوم *
ومنهم من فسره باقبل او ذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات او اصحابه
واكل وجهة اى ورب الضحى هذا بناء على الظاهر الذى ذهب اليه الفقهاء من ان القسم
لايجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيقدر فيما ورد مخالفا له رب ونحوه والظاهر
ان هذا مخصوص باليمين التى تنعقد ويكون لها كفارة واما ما يذكر للاستعطاف
والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم بابى وامى وامثاله مما لايحصى ولم ينكره السلف وقيل النهى مخصوص بالناس
تعظيما لله واما الله عز وجل فله ان يقسم بما اراد ونحوه الصلوة فانها لاتجوز لغير النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم استقلالا على ما فيه واما هو فله ان يصلى على من اراد كقوله
اللهم صل على آل ابى اوفى والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله واما
الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انهما وقت

الحلوة مع المحبوب اى وحق قربك مناواته وجه وجيه فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه
وسلم كما نقله الطيبى رحمه الله تعالى غير ظاهر بالنسبة للضحى فتأمل (وهذه من اعظم
درجات المبرة) اى القسم المذكور والمبرة مصدر ميمى بمعنى البر وهو الاحسان
وفعل الخير وكل امر مرضى وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له
درجات توصل اليه ويجوز ان تكون استعارة تصريحية فى الدرجات للمراتب وفى
كلام المصنف رحمه الله نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون التعظيم الذى
يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه صلى الله تعالى عليه
وسلم اوتى ما لم يؤت احد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرات ونحوه
مما لايحصى (الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه) مر مرارا ان المكانة المرتبة
المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل فعلة لامها واو كما قيل وفيه نظر
وبعده ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء ايضا من خطى عنده
اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمنى وبعض الشراح معترضا
على المصنف ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للمقسم عليه المذكور فى هذه
الوجه فجعله وجها مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه اولا واجيب عنه بان المراد ان
فى هذا القسم والمقسم عليه تعظيمين متغايرين احدهما بيان المكانة والاخر القسم
عليها وان توقف احدهما على الاخر وهذه جرزة لاتحصل لها (بقوله ماودعك
ربك وما قلى) الوداع له معنيان فى اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثانى هنا على
طريق الاستعارة يكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه اصلا فانه معه ايضا كان
واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع فالتوديع
انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه اشار الارجانى بقوله * اذا رأيت الوداع
فاصبر ولا يهمنك البعاد * وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا *
فقوله وما قلى مؤكد له وهذا لم ار من ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسروه بالمعنى الاول
ولما رأوا صيغة التفضيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضى الانقطاع التام
قالوا ان المبالغة فى النفى لا فى المنفى فتركه لحكم عليه لا لضرره بهجره او لنفى
القيد والمقيد وقرأ على عروة بن هاشم ما ودعك بالتخفيف وورد فى الحديث
شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وورد فى الشعر كقوله
* فكان ما قدموا لانفسهم * اعظم نفعا من الذى ودعوا *
ولهذا قال فى المصباح بهذا علم ان قولهم فى علم التصريف اماتوا ماضى يدع
ويذر خطأ وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله (اى ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد ان اصطفاك) تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لما قبله وان كان المشهور
الثانى والاهمال عدم التصديق مع الترك فهو الترك مخصوص وقوله بعد ان اصطفاك
اى اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل ان يكون من معناه الوضعى كالهجران فانه

انما يكون بعد المودة وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحذف مفعول قلى اختصارا للعلم به وليجرى على نهج الفواصل التى بعده اوليلا يخاطبه بما يدل على البغض وقيل الاحسن انه حذف ليعم نفسه واصحابه وامته فكانه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هجرتك لبغض وسترى منزلتك (الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق) صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (اى مالك فى مرجعك) ما موصولة وروى مآلك بمد الهمزة اى ما يؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان اومصدر فى تقدير وقت رجوعك من الدنيا الى الله فى الاخرة (عند الله) اى فى دار كرامته وجنته وهو متعلق بمالك او باعظم ولام للاخرة لام ابتداء مؤكدة اوجواب قسم ففيه تعظيم آخر اى كما اعطاك فى الدنيا يعطيك فى الآخرة ماهو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفى عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية (اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا) من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد (وقال سهل) التسترى السابق ترجمته فى تفسيره (اى ما ذخرت لك) بالذال والخاء المعجمتين اى ما اعددته لك من الذخيرة وهو ما يخبؤه من النفايس ومن الغريب ما قيل هنا ان الذخر بالمعجمة ما يكون فى الآخرة وبالمهملة ما يكون فى الدنيا قال التلمسانى وهذا غلط اوقعه فيه قولهم وتدخرون (من الشفاعة) بل الشفاعات التى ستأتى (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون اوكل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله وقيل المراد ان احوالك الآتية خير من السابقة فى الدارين وقيل الدار الآخرة خير فى المحبة والوصلة (الرابع قوله) اى ما يقوله مما يتضمن ذكره اوهو بالمعنى المصدرى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك واللام للتأكيد وقال الزمخشرى انها لام الابتداء وهى لا تدخل الا على المبتدأ تقديرها ولانت وردّه ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مؤكدا بالنون (وهذه آية جامعة لوجود الكرامة وانواع السعادة) حيث اجمله ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كل ما ترضاه وتريده فقد عممت عموما بليغا ووجوه بمعنى ضروب او استعارة من الوجه المعروف وهذه فقرة مع قوله (وشتات الانعام فى الدارين والزيادة) والشتات مصدر بمعنى التفرق اريد به متفرقاته ويعنى به انه يجمع فيك كل نوع من انواع النعم التى انعم بها على غيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصه به اوالزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال الله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * او الاول ما فى مقابلة عمله وهذا غيره اوالاول ما وعده واعطاه وهذا ما لم يخطر بباله مما سيعطيه

وما قيل من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له (قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا) الفلج بفتح الفاء واللام وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعداء ويكون بمعنى مطلق الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام ايضا فالمراد انه يفوز فى الدنيا وينصره الله ويحميه (والثواب فى الآخرة) الثواب الجزاء بالخير على فعل الخير فى الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصلية مطلق الجزاء خيرا وشرا دنيا وآخرة وهذا كالوجه السابق على بعض الاحتمالات السالفة فان جعلت الآية شاملة لكل ما اعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواء كان ايضا قريبا مما قبله وقيل انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وقيل يعطيه الحوض والشفاعة) الحوض ما يحفر مع بناء او بدونه ليجعل فيه الماء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض فى حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفاء اغفاءة ثم رفع رأسه وقال نزلت على آنفا سورة وتلى سورة الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده امتى يوم القيمة الى آخره وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر وان كان للخير الكثير فهو غيره كما ورد فى حديث آخر الكوثر نهر فى الجنة عليه حوض عبد وهذا التفسير روى عن على وابن عباس والحسين رضى الله تعالى عنهم قيل ان اريد انهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام وان اريد التخصيص فلابد من قرينة وفى مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال امتى وبكى فقال الله لجبريل قل له سنرضيك فى امتك ولا نسوءك فيشفع حتى يقول رب رضيت (اقول ان اراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ محتمل له والنقل مساعدة فالمانع من حمله عليه (وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم) هو على رضى الله تعالى عنه قال السيوطى اخرجه ابونعيم فى الدلائل موقوفا واخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبى روى انه الحسن بن محمد بن الحنفية وهو اول المرجية وقال الذهبى ان اول من تكلم فى الارجاء ابن عبد الله بن زرارة الهمدانى ورواه الثعلبى مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن على ورواه ابن ابى حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذه طرق تعضده (انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها) اى من قوله تعالى ولسوف يعطيك الى آخره وارجى افعل تفضيل من الرجاء معناه اكثر رجاء والمعنى ان هذه الآية اكثر رجاء من سائر آيات الوعد وهو مجاز اصله ليس سامع للقرآن وآيات الوعد ارجى من سامع هذه الآية فجعل الآية نفسها ترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام (تنبيه) اختلف فى ارجى آية فى القرآن فقيل هذه وقيل وهل يجازى الا الكفور وقيل انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل * وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم

و يعفوعن كثير * وقيل * قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم * الى آخره وقيل * ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين * لانه احتاط لدنيانا فكيف لايحتاط لاخرتنا وقيل ولايأتل اولوا الفضل الى آخره وقيل ليطمئن قلبي واخوف آية و يحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايه الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غيرذلك (ولايرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار) وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار امر مقدر فلولم يكن من رضاه لزم الخلف فى الوعد ولذا قال القرافى رحمه الله لايجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد فى الآثار وفى قوله تعالى * رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات * وبان عدم الخلود مغفرة ايضا واعلم انه اورد هنا ان مقام الرضاء بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لايكون لسيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتربه بعض الجهال من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لايرضى واحد من امته فى النار او ان يدخلها احد من امته من غرور الشيطان فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو اعرف بحقه من ان يقول لاارضى الى آخره ورد ايضا بانه جرأة وسوء ادب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت ولايبعد ان يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضى لله تعالى فلا يرضى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى بالقضاء قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل للمولى الكريم الحكيم لامن حيث هو فى ذاته وهو المنفى فى الحديث الثانى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايرضى بدخول احد من امته النار من حيث هو فى ذاته لامن حيث انه مراد الله فلا اشكال او الرضى مجاز عن ترك الطلب اى لا اترك طلب العفو واحد من امتى فى النار ولا يلزم منه عدم الرضاء حقيقة وكم طلب صلى الله تعالى عليه وسلم لامته امورا وهو فى مقام الرضاء دائما واذا وعد بالارضاء فلا بد من ادخالهم الجنة لاترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغى ان يجترئ احد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل مافى شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضى باعتبار النسبة الاولى وفى بعض الشروح يجوز ان يكون المراد نفى الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال و يجوز ان يكون المراد ولايرضى ان يعصى الله احد من امته فعبر بالمسبب عن السبب الا ان سياق الكلام يأباه وقيل مقام الرضاء انما هو فى حق نفسه وهو بعيد (الخامس ما عده الله عليه من نعمه وقرره من الآلاء) النعم والآلاء بمعنى وعبر فى النعم بالعد وفى الآلاء بالتقرير اى التحقيق موافقة لقوله

تعالى وان تعدوا نعمة الله وفى قوله تعالى * فباى آلاء ربكما تكذبان * فانظر حسن مقاصده وفى واحدة الآلاء لغات منها الى بفتح الهمزة والكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواى فى بيان اوعد ماعده (قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بزنة عنب اى عنده وفى جهته و يقال لى بكذا قبل اى طاقة وقوله (فى بقية السورة) متعلق بعد وهو من قوله تعالى الم يجدك يتيما الى قوله تعالى فاما اليتيم الى آخره تنبيها على انه كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى * ثم اشار اليه بقوله (من هدايته الى ماهداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير) بيان لما وما هداه له عام شامل للغويين فى تفسير قوله تعالى فهدى اى فهداك او هدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل او للمفعول اى هداك للشريعة ومعالم النبوة والقرآن وتعليم مالم تعلم او الطريق التى ضل فيها فى طريق الشام او فى شعاب مكة فى صغره صلى الله تعالى عليه وسلم وكلها اقوال مذكورة فى كتب التفاسير (ولامال له فاغناه بما اتاه) قيل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه لامال الى آخره ولو جعلت حالا جاز ووجد فى الآية بمعنى علم واتاه بالمد بمعنى اعطاه ولوقصرت على معنى اتاه من عند الله مما اغناه الله به كمال خديجة وابى بكر رضى الله تعالى عنهما ومال الغنائم بل بما فى خزائن الغيب الذى لوطلب ظهوره ملأ الارض لجاز وقيل عياله فى الآية الذين اتبعوه من امته اذا غناهم الله به صلى الله تعالى عليه وسلم (و بما جعله فى قلبه من القناعة والغناء) القناعة فى اللغة الرضاء بما قسم الله او الاكتفاء بقدر الضرورة والرضى به كما قيل * ما كل فوق البسيطة كافيا * واذا اقنعت فكل شئ كافى * والقناعة كنز لايفنى والغنى غنى النفس كما ورد فى الحديث وقد رفع الله قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لاحاجة اليه (ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه) اى وجده صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما لموت ابيه قبل ولادته او بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذى لا اب له ولايتم بعد البلوغ قبل واليتيم فى غير الانسان من الام وفى الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة واشهر بفتح الدال وكذا وقع فى بعض النسخ الا انهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد به العطف والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه اى عطف الله عليه عمه ولبس بغلط كما قيل والمراد به ابوطالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته له امر مشهور فى السير وكان يعظمه و يعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله للاسلام وفى الامتناع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم قريش لايمكن احد منهم ان يتعدى على ما فى جوازه فكان النبى صلى الله

عليه وسلم فى بدء امره فى كنف حمايته يذبهم عنه كما قال الله تعالى * والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب د فينا * فلو اسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته بد من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله احياه له صلى الله تعالى عليه وسلم فامن به كابويه واظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد متعد اى ضمه اليه لتربيته وحمايته واوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم واما جده عبد المطلب فمات فى صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه انما لم يتعرض لعطف جده عليه اولا لانه كالاب فكانه لايتم معه اولان عطفه امر عادى لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والاوجه التعميم خطأ منه (وقيل اوحى اليه) اى قيل فى تفسير هذه الآية ان معناها اواه الله اى ضمه الى نفسه ولم يحوجه لحماية احد وابوائه وهذا فى معنى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روى هذا عن الحسن ايضا وقيل فيه ان عليه فى صغره حق لغيرهما قطعا كابى طالب وحق ابويه اولى واسهل من حق غيرهما فالوجه ان يقال فى حكمته ان فيه تسلية ليتامى امته وان فيه مع ابويه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولاوجود لابويه ولايخفى ان حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما البست لغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما ايواؤه فلما فقد اعلم عناية الله به واواه روى بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو اولى واظهر وبالقصر من اوى الى منزله يأوى من باب ضرب اويا اقام قال فى المصباح وربما عدى بنفسه فقيل اوى منزله وانكر بعضهم تعديه وقال الازهرى انه لغة فصيحة وقرئ بها فى الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه او جعل له مأوى عنده وفاعل اوى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفى نسخة وقيل اواه الله تعالى وروى اوى الى الله اى لجاء اليه وكان الظاهر ان يقول اواه الله اليه قيل وانما عدل عنه لما ذكر ولم يقل واواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله وههنا امران ان الاول ان المصنف رحمه الله غير ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الايواء وابقى الاولين على ترتيبهما فيه وقدم الثالث على اخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما فى النظم انه قدم عدم تركه وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه فى سبب النزول لانه جواب لهم ثم اردفه بانه فى الاخرة ايضا غير متروك ولا مقلى وفيه ادغام لانوفهم وجواب اقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما يأتى وكما يحب ويرضى فى الدنيا والآخرة ثم كر على ذلك التفضيل حاله المؤيدة لجوابه فقال انه اواه فى صغر ويتمه وعدم المعين له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال الم يجدك يتيما فآوى فهذا ناظر لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعقبه بانه انقذه من الضلال وهداه وهدى به

لسبيل الرشاد فمن كان هذا حال دنياه فحال اخرته كذلك وهذا ناظر لقوله وللاخرة خير الى اخره وثلث بانه اغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله ولسوف الى آخره ففيه شبه اللف والنشر على اتم نظام وكذا ما بعده كما سيأتى وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمصنف لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم اعظمها وهو الهداية التى فيها سعادة الدارين ثم الغنى فى اليد والقلب الذى هو اعظم النعم الدنيوية بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لايكون الا بهدايته ثم الايواء الذى هو بمعناه الظاهر دون هذين فغير الترتيب واتى بترتيب مشتق اقرب الى العقول الا ان اشارة الى ان النكات لا تتزاحم وان الحسن يحسن فى كل اناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول فى الواقع وتأخره فى كلام المصنف لتأخره عنهما فى النظم تأخر ثانيهما عن اولهما فيه مع ان المقام مقام بيان عظم شانه فاللائق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر ان الاية وردت فى مقام الاستدلال كما ذكروه مقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر والقناعة وفى غناه خفاء بالنسبة لتعليم الشرايع والمصنف رحمه الله تعالى قدم الاشد تعظيما واثر هذا الاسلوب اشارة لاثرفيه والى ان الانسب فى مقام التعظيم تقديم الاعلى كما فى البسملة وهذه امور متكلفة لاتنزل ساعة التنزيل فالوجه ما قدمناه (الثانى ان فى قوله اواه الله على احدى النسخ مكيدة وهو انه لو قال اواه اليه لزم تعدى الفعل بالوساطة الى ضمير هو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة فى غير افعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه فى نحو قوله فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المصنف عنه ولنا فيه كلام فصلناه فى كتاب السوانح (وقيل يتيما لامثل لك) وفى نسخة لامثال لك (فاواك اليه) اى قيل فى معنى يتيما انه لانظير له من قولهم درة يتيمة اى لانظير لها وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظائرها اى عمك عديم النظير لانه كان واحدا فى قريش بل فى جميع الخلق قال التجانى وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى اواك اليه كما مر اصطفاك او ضمك الى عمك ونحوه ففى مرجع ضمير اليه وجهان وفى نسخة لامال لك قيل ويؤيده ما فى المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات ابوك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع ان اليتيم لايدل على الفقر واجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب فى رعايته وكفالته فالمنة فى ضم اليتيم بدون المرغب اتم والنعمة اعظم واعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثانى لذاته (وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما) حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالضلال بحسب معناه

المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده فى صغره او خطوه فى الطريق فى سفره كما مر وقال التجانى هذا القول لا يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله والفاء العاطفة لا الزائدة كما فى قوله تعالى وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لا تجوزه النحاة ولو جعل وجد متعديا لاثنين حذف احدهما اى وجدك رحيما فاوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان اقرب واكثر النحاة ابوه ايضا وقيل فى توجيهه ان قائله ذهب لما قاله السدى انه من قبيل خطاب السيد بما للعبيد اى وجد قومك ضالين فهداهم وقس عليه اخوته والمصنف رحمه الله تعالى نقله بالمعنى او القائل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله الم يجدك هنا تفسير لو جدك بما آل معناه لتقاربهما وفى النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير اما المساوية لالم لا لم معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله الم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال بعض الشراح انه صرف للايات عن ظاهرها بلا دليل من غير مقتض (ذكره بهذه المنن) ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر اى جعله متذكرا او المنن جمع منة وهى الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير ورد بهذا المعنى كما فى قوله تعالى فذكر بالقرأن من يخاف وعيد اى عظه به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها او تفصيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا اكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى مسالة وددت انى لم اكن سالتها قلت اى ربى قد كان انبياء قبلى منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان عليه السلام ومنهم من كان يحيى الموتى وذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى الم يجدك يتيما فآويتك قلت بلى قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغى ولا دلالة فى الحديث لما ادعاه وما احسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم به عليه وقيل انه لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة او المنعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك او انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لنكتة وان سلم ان هذا غير مناسب فالتذكر بمعنى الوعظ لئلا يغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم اخذ فى تقرير دليل هذه السورة على انه ما قلاه بعدما اصطفاه فقال (وانه على المعلوم من التفسير) وروى على المعهود وقال فى المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتيم واخويه من احواله لا من احوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام (لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته) الضمائر الظاهر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله او للشان

اوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلى بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عائل والجمع عالة كما فى المصباح بمعنى الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر واعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما يقوله الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين الصغر واليتم والصغر بوزن عنب معروف مفهوم من اليتم وقيل معرفته التصبر لقوله ضالا ولم يصرح به تأدبا وان وقع فى الاية موقعا حسنا والضال قد يراد به ما وجد من غير قصد مأخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبياء وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما فى هذه الاية ونظائرها لقوله تعالى فعلتها اذن وانا من الضالين * ولله ان يقول فى حق عباده ماشاء وليس لنا ان نقول مثله الاعلى سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان يدعو اكبر خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك ادب يغضب به كذا فى عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروى المراد قبل ان يعرف الشرائع والاحكام كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وليس فى على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل (ولا ودعه ولا قلاه) اى ما تركه ولا ابغضه فى هذه الحالة وهذا مفهوم مما فى ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه (فكيف بين اختصاصه واصطفائه) كيف للاستفهام الانكارى على من قال انه ودعه كقوله تعالى * كيف تكفرون بالله * اى فى اى حال يكون هذا بعد اختصاصه بمسمى زيادة قربه او جعله مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه اى اختياره من بين خلقه قبل والمراد اظهار ذلك فى عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور اتم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى فبالاولى ان لا يتركك ولا يبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لا يناسب تفسير الغنى بالغنائم ونحوهما مما لم يتحقق بعد النزول فان جعلت بمنزلة المحقق اذ لابد من تحقق امر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمجاز المذكور لا يفيده فالاظهر فى الاستدلال بالمعنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة اوانا قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لان منافاة له فتدبر اقول الثابت فى كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبياء وكمله تلميذه الخوى فنسبة ما ذكر للامام لا ينبغى وما اورده عليه غير وارد لانه لبس فى تفسيره المذكور تعرض الغنى فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر تفسيره عرف ما قلناه (السادس امره) امره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض الشراح او الفعل الماضى كما فى المقتفى والاول اظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما فى قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لا قرينة تدل عليه (باظهار نعمته عليه) هو عام شامل لجميع ما انعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة او القرأن والاظهر الاولى هو الاول

والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تعليما لهم والتحديث بالنعمة شكرلها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفضائله فى مواضع يستثنوها من الاصل الغالب على الكمل من هضم انفسهم وروى عن على كرم الله وجهه انه قال اذا اصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع فى امر وللسيوطى رحمه الله تعالى تأليف فى هذا سماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة وقد روى مثله عن كثير من الصحابة وامره تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتحدث بما اولاه مقتضى تعظيمه لان من امر غيره يشكر نعمة من نعمه انما يأمره فى العادة بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على امر حقير وهذا يقتضى عظم الامور ايضا وقال بنعمة ربك دون بنعمتى اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففى هذا تعظيم ليس فى الامرين الآخرين ولذا لم يذكرهما المصنف رحمه الله تعالى فاندفع ما قيل من انه بقى هنا شئ لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله فاما اليتيم فلا تقهر الى آخره وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله والسؤال ذل وكسر وهما منصوبان بالفعل بعدهما بتقدير مهما يكن من شئ فاما الى آخره فلا حاجة لما تكلف فى الجواب عنه (وشكره ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث) الخ مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكرا للمنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره وما بعده (فان من شكر النعمة التحدث بها) اتى بمن للتبعيضية اشارة الى ان للشكر طرق آخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمركب وفى الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبده بنعمة احب ان يرى اثرها عليه وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم (وهذا خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) الاشارة الى الامر المذكور اى بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المأمور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان امره امر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم فهم مأمورون بهذا الامر او بامر آخر والقول بان المراد انهم مأمورون بالشكر لانه واجب عليهم تكلف (وقال الله تعالى عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله من آيات ربه الكبرى) فقوله تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال اى متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الآية لتضمنها القسم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استطرد بذكر ما معها من الآيات استقصاء لما فيه تعظيمه (اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى فى قوله تعالى * والنجم اذا هوى * باقاويل معروفة) اقاويل جمع اقوال جمع

قول فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين او بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل او مفصحا عن اقاويل واذا فى هذا ونحوه قيل انها للحال ظرف للقسم او كائنا المقدر وليست للاستقبال لان اقسام الله قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشائى لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنا باق على استقباله بدليل صحة مجئ الحال المقدرة واجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان اريد بالنجم الجنس وهويه غروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان اريد القرآن المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان اريد بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته بتكريم من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع ايضا (اقول) هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه او معناه النفسى وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم شئ فى زمان لا يقتضى ان يكون ذلك العلم فى ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غنى عن البيان (منها النجم محمول على ظاهره) فيراد به جنس النجم او الثريا او الزهرة لان من المشركين من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف فى عددها على اقوال قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثنى عشر والنجم صار علما لها بالغلبة وفى الحديث ما طلع نجم فظاهر وفى الارض من العاهة شئ والهوى الغروب والطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثانى مفهوما من النجم لانه يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دل على صانعه وقدرته وكذا فى الهوى بمعنييه (ومنها القرآن) لانه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم القرآن من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة رضى الله تعالى عنهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابى كالنجوم حكاية التجانى هنا وهو بهم موتهم على هذا وهو بعيد (وعن جعفر بن محمد) الامام الصادق تقدمت ترجمته (انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيها والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به وله واحد وهو امر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشرى لقول البحترى * وثناياك انها اعريض * فانظره فى شروح الكشاف ولنا فيه كلام فى السوانح وقد تقدم تفسير هويه على هذا (وقال) اى جعفر مرة اخرى وفى نسخة وقال سهل وتقدمت ترجمتهما (هو قلب محمد عليه الصلوة والسلام) اطلق

النجم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر كما اطلقه الشراح واما اطلاقه على قلبه فلاشراقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم مالا ساق له وماله ساق شجر وقيل تقديره ورب كامر وذكر المصنف رحمه الله تعالى السلام دون الصلوة وقد قيل كامر انه مكروه كعكسه مع الذى فى النسخ الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يحتمل ان تلفظ به ولم يكتبه اومذهب المصنف رحمه الله تعالى عدم كراهته (وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق وماادريك ما الطارق النجم الثاقب) الثاقب المضى كانه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق اصل معناه من يأتى ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا اوالارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل مايرى ويظهر ائلا يسمى طارقا قال الزمخشرى اراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لمافيه من عظيم قدره واطيف صنعه فابهمه ثم فسره (ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وذكره لان الله اقسم به على حفظ كل نفس فكيف ممن هوانفس الانفس فهواشارة الى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تأييدا لقول جعفر فلا وجه لماقيل من ان الاحسن ذكره فى فصل القسم به السابق ولا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء اوانه غفل عن ذكره هنافتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اتى وقد دجى الكفر واظلم اولان معناه سالك الطريق كما قاله الراغب (حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته (تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد) التضمن الاشتمال وجعله فى ضمنه اى اشتملت او وفيت بها كما يفى الضامن بما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم الجريان الذى لا تنقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منها وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لاينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس (مايقف دونه العد) بالفتح والتشديد شبه العد والاحصاء برجل يجرى ليصل الى الاحاطة بمناقبه فبعد عنه حتى اعنى وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب العد يذهب برونق الكلام ومائه ودون هنا بمعنى قبل كما فى قول ابن دريد * ان امرء القيس جرى الى مدى * فاعتاقه حمامه دون المداء * وقد تقدم الكلام عليها فى الخطبة (اقسم جل جلاله) هو كجد جده كامر وفى نسخة جل اسمه (على هداية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى) هذا مادل عليه قوله تعالى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى اشارة الى نفى الضلال والغواية فهوكناية عن الهداية وان

توهم فى بادى النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولامهدى لكنه لما اكده بنفى الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفى النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى ولانطق به على منوال قوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات (وصدقه فيما تلاه وانه وحى يوحى) فيما تلاه متعلق بصدقه اوتنازع فيه هو وماقبله والذى تلاه هو القرأن والتلاوة فى عرف اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذاتبعه وهو وحى متبع وضمير انه راجع لما وهو القرأن والوحى يطلق على معان كالكتابة والاشارة والرسالة والالهام ونحوه بما فيه خفاء واتى يوحى بعد الوحى للتأكيد ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيئا فشيئا كما يشير اليه النجم اوالاول بالمعنى اللغوى فهوتأسيس وقيل الوحى كل ماينطق به وانه يجوز فى قوله ان هو الى آخره ان يكون استئنافا غير مقسم عليه وفى ضمير ينطق ان يكون للقرأن ويمكن تطبيق كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه ولم يذكر الحصر المذكور فى النظم اشارة الى ان فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفى وجوه البطلان واذا بين انه وحى اكد على وجه دل على هذا كما لايخفى فلايرد عليه ماقيل انه اخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفى الذى افاده قوله تعالى * ان هو الاوحى يوحى * وهوانسب بتعظيم القرأن الذى جاء به النظم المقتضى لتعظيم من جاءبه وبجيله وهو المناسب لماقصده المصنف رحمه الله تعالى ثم اتى بكلام اوهم انه ابوعذرته مآله ماذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله تعالى ان هو الاوحى الى آخره مع انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب انه بيان لقوله تعالى * وما ينطق عن الهوى * سواء كان المراد انه ينطق بوحى متلوهو القرأن اوان كل ماينطق به مما يتعلق بالدين وحى من عند الله ولذا رجح القسطلانى عود ضميرهو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرأن فان نطقه بالقرأن والسنة وكل منهما وحى من عند الله ولذا فسر قوله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة * بالقرأن والسنة لانها كانت تنزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينزل القرأن (اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلوة والسلام وهو الشديد القوى) اى اوصل الوحى بعينه كما بيناه فلاوجه لماقيل ان كان المراد القرأن فلاخلاف فيه وان كان كل ماينطق به فهو على التغليب او المراد انه اوصله بواسطة غيره او بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها اى قواه شديدة والقوى جمع قوة واصله معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل عليه الصلوة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله ما لايقدر غيره على تلقيه والقوة

الحسية لقلبه قرى قوم لوط عليه الصلوة والسلام واهلاكه بعد القوم بصيحة
منه ونزوله من فوق السموات الى الارض فى اقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى
هو الله العظيم القدرة (ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا) الباء للالصاق
متعلقة باخبر اوللتشبيه بقصته وثم للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها لزيادة
شرفها والاسراء سراه من مكة للبيت المقدس والمعراج عروجه منه الى الملأ الاعلى
فلا يناسب تفسير الاول بالثانى وان كان كل منهما يطلق على الآخر والفضيلة
ما اكرمه به الله من تقريبه وتشريفه بما لايعلمه غيره وابتداء القصة من قوله فاستوى
الى قوله * لقد رأى من آيات ربه * الى آخره فانها فى المعراج فى قول طائفة قيل
والاصح ان قوله ولقد رآه نزلة اخرى المراد به رؤية جبريل عليه الصلوة والسلام
على صورته الاصلية ويؤيده ان ماقبله ليس حكاية عما فى المعراج على رأى الاكثرين
ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لتفصيله بل اتى بثم معقبا بقوله (وانتهائه
الى سدرة المنتهى) السدرة واحدة السدر وهى شجرة النبق وهذه من جنسها
ولذا ورد فيها ان نبقها كقلال هجر وهى عن يمين العرش وورد انها فى السماء
السادسة والسابعة ووفق بينهما بان اصلها فى السادسة وفروعها تنتهى للسابعة
واضيفت للمنتهى بمعنى الانتهاء او محله لانها ينتهى اليها علم المقادير او الارواح او الملائكة
وسيأتى تفصيل حالها فى مبحث الاسراء وفى الرؤية فى قوله ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى وفى المرئى اختلاف ايضا هل هو الله تعالى او جبريل عليه
الصلاة والسلام على صورة الاصلية والمعراج هل كان الى السماء او الجنة او لمافوقها
وماذكره المصنف رحمه الله تعالى من انتهائه اليها لاينافى انه لمافوقها (وتصديق
بصره فيما رأى) اى تصديق الله له فى رؤيته فى قوله تعالى مازاغ البصر الى آخره
كما سيأتى اى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت
فعلا الا انه يقال صدقت فعله اذا اثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما رآه
ولم يمل عنه ولم يعدل عما امر برؤيته ومدح الله له دليل على عدم خطائه لتركه الالتفات
تأدبا فلاوجه لماقيل ان ذلك لايدل على تصديقه وهذا معنى قوله ما كذب الفؤاد
ما رأى اى ببصره مما امر اى ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك
بالقلب ثم بالبصر او ماقال فؤاده لما رآه لا اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفك بفؤاده كما رآه
ببصره يقينا لاتخيلا كما قاله بعض الشراح وقوله (وانه رأى من آيات ربه الكبرى)
اشارة الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لقدر او تبعيضية
او زائدة اى رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسرا به الكبرى من آيات ربه وعجايب
ملكوته وقال البيضاوى اى والله لقد رأى الكبرى من آيات ربه وعجايبه الملكية
والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما رأى والكبرى صفة الآيات والمفعول

محذوف او مفعول ومن آيات حال مقدمة وعلى البيان فهو راء لجميع الآيات وعلى
التبعيض المرئى بعضها او زيادة من فى اثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه رأى ما رأى
مما لايمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب يدل على انها غيره ولو رآه لكان الظاهر ذكره
دون آياته قاله الكشاف وفيه كما قيل انه نزعة اعتزالية وفيه نظر (وقد نبه على مثل هذا
فى اول سورة الاسرا) ضمير نبه لله والتنبيه يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل
ومطلق البيان وهو المراد لكنه ايماء الى كونه بالليل ليشير الى قوله فى اول سورة الاسرا
* لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير * وجعله مثله لان فى سورة النجم ذكر تحقق
رؤيته بخلافه هنا مع شموله لماقبل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى لنريه
من آياتنا برؤية السموات وما فيها من العجايب ومشاهدة البيت المقدس ومقامات
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثيلهم له وبينهما مناسبة
بدلالتهما على رؤية الآيات الكبرى الا ان فيها اشارة باضافة الاراءة له بضمير العظمة
وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لايخفى على من له
ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته
عن استبعاد ما استبعدوه حتى قالوا ما قالوه (ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام
من ذلك الجبروت) لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشفه فاعل من الكشف
وهو رفع الغطاء والكشف عن الشئ يقتضى معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة
عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله (وشاهده من عجايب
الملكوت) عطف تفسير فلاوجه لماقيل المناسب ان يقول فشاهده لان المشاهدة
اثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعى السجع اذ لايصح ان يقال رفع
غطاء ما هناك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاه
والجبروت فعلوت بفتح الفاء والعين ولام مضمومة يليها واو ساكنة وتاء طويلة
وتسكين الباء والهمز غلط كما قاله ابن مكى فى تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة
من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما فى القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا
وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعانى لايشاهد ولو ابقى على ظاهره جاز وقيل
المكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة الموصول واحد بل المراد الجنس الذى
كاشف بعضه وشاهد بعضه او انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع بقاء صلته
وهو تكلف لاحاجة اليه ومر ان الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى
اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله
قيل وكان الاظهر ان يقول وعجايب الملك والملكوت وفيه نظر (لاتحيط به العبارات)
والعبارة اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال الله تعالى * الا عابرى سبيل *
اطلق عليه لتوهم ان الفهم يعبر به وفى المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكى

فى المحكم فتحها ايضا انتهى اى تقصر العبارة عن ادائه لكثرته بحيث لانفى العبارة بتفصيله له اوهو على اطلاقه مبالغة قيل وهوناظر الى ماشاهده وقوله (ولاتستقل بحمل سماع ادناه العقول) ناظر الى ماكاشفه على اللف والنشر المشوش وهومبنى على تغايرهما كامر وتستقل استفعال من اقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون استفعال من القلة اى عدك الشئ قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

* وبما قصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لاتستقل *

وهذا هو المراد اى لايقدر على حمله الابقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول اى لاتطيق العقول غير عقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حمله وادنى افعل تفضيل بمعنى اقل اى لا يقدر على اقله فضلا عن كله واكثره وفى كلامه مبالغة واعراق حيث اضاف الحمل للسماع وهو كالتحمل لنقل الحديث يعنى ان التعبير عنه غير ممكن ولو امكن لايتحمله و يعيد سامعه (رمز عنه تعالى وجل بالايماء والكناية الدالة على التعظيم) جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز فى الاصل الاشارة الخفية بالعين او الحاجب ونحوه والايماء الاشارة بالرأس يتعدى بالى قال الشاعر

* رمزت الى مخافة من بعلها * والمصنف رحمه الله تعالى عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية فى عرف اهل المعانى مايراد به لازم معناه الحقيق مع جواز ارادته وعند اهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعنى انه اتى بالموصول الاسمى المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى انه لايدرك كنهه كقوله تعالى * فغشيهم من اليم ماغشيهم وقوله * وكان ماكان مما لست اذكره * فظن خيرا ولاتسئال عن الخبر * مع ترك المفعول ايضا وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعانى الا ان فيه اشكالا لانهم اشترطوا فى الصلة ان تكون معروفة معهودة حتى يتعرف الموصول فاذا كانت مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما لم يقصد ابهامه لا يجدى نفعا وان تبعه من بعده كالدمامينى فالتحقيق ان يقال الاتيان بها مبهمة من اعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع فى النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريق و يرتسم فى ذهنه اشدار تسام وليس المراد بالعهد الاهذا فاعرفه (فقال تعالى * فاوحى الى عبده ما اوحى) هذا وما سيأتى تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع الاشعار بمافى الابهامين من التعظيم وقيل ان هذه مبنى على ان الكبرى صفة الايات ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول والثانى رب العزة اى اوحى الله مااوحاه الى نبيه عليه الصلاة والسلام او هما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لان الاول لله والثانى لجبريل او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهر او كلام المصنف فى الباب الثالث يقتضى اختلاف الضمير فيهما (اقول يعنى انه على بعض الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند اهل البلاغة الآتى ذكره كما صرح به القائل والصور على هذا اثنى

عشر وجها تجرى فى هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة فى اربعة جائت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها فى وجهى الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن ما قاله لاوجه له فان البلاغة والمبالغة انما جائت من الابهام وهو موجود فى سائر الوجوه لدلالتها على ان ما اوحى اليه لايحيط به نطاق العبارة ولاتسعه الاسماع والاذهان البشرية ولاتطلع على شرفاته الانفس القدسية (وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز) الايماء والاشارة والوحى كلها بمعنى واحد وهذا نوع من محاسن الكلام البليغ صرح به المبرد فى كامله وسماه الايماء وصرح به التبريزى فى شرح ديوان ابى تمام وفى الكشاف اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية فى كلام العرب ايضا كقوله

* يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى المريب مخافة الرقباء *

وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ماوضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه اهل اللسان الاذكياء ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله

* جاؤا بمذق هل رأيت الذيب قط * فانه اراد انه مزج بماء كثير حتى مال لونه للرماد به ثم كنى به لومهم و بخلهم ومنه قول المنازى فى صفة واد

* تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم *

وقد صرح به اهل المعانى قال ابو هلال فى كتاب الصناعتين فى فصل عقده بهذا الاشارة ان يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحة تدل عليها و ذلك كقول الله تعالى * اذيغشى السدرة مايغشى * وقول الناس لورأيت عليا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله اتعيرنى وانا انا وقوله

* هذا رجائى وهذى مصر معرضة * وانت انت وقد ناديت من لبث * كما فصلناه فى طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا كما قال تعالى * فاوحى الى عبده ما اوحى قصد انه اوحى اليه باسرار عجيبة بواسطة غير البشر و بغير واسطة لايمكن تفصيلها ولاتقدر العقول على ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى و القرب منزلة لم يصل اليها سواه واذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبى فى مقامه الى غير ذلك من المعانى التى لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان و بعض الشراح لما لم يقف على مراده قال تسميته بالاشارة واضح لكن الذى عليه اهل البلاغة انه تفخيم نحو * فغشيهم من اليم ماغشيهم * واما تسميته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة لايرد المبتدأ موصولا والا بلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت فى شئ واحد علمت ماهو كراهة ان يطلع عليه غيرك فما ذكره ممنوع وتعقبه اى المصنف رحمه الله تعالى من قال انه اتم انواع الايجاز لاداء المراد بلفظ اقل من المتعارف فيه وقد ترك المصنف رحمه الله تفصيله

لعظمته فنع منعه وزعم دفعه بما لا محصل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له اضربنا عنه لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردى بنظر سديد ففيه استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفى وقوله وهذا النوع اشارة الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذى فى ضمن جزئى من جزئياته فلا يرد عليه ان ما ذكر ليس بنوع بل كلام تشخص والمراد باهل البلاغة البلغاء او العلماء بعلم البلاغة والبلاغة عندهم معروفة (وقال تعالى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام عن تعيين تلك الايات الكبرى) انحسر بمعنى اعيى وكل وتاه من التيه وهو الضلال فى الطريق والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو العقل ويكون بمعنى ما يراه النائم وليس بمراد هنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك فى الطريق الطويلة التى يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه وانحسر مناسبة تامة والتفصيل التمييز وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشئ وفى ذكر التفصيل مع الانحسار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك الايات لجميع ما رأى وقيل للمرئى منها وهو آيات كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه وان كان خلاف الظاهر مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذى هو بعضها واعتبار ان التقدير * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى فيه نظر (قال القاضى ابو الفضل) وهو المصنف عياض رحمه الله تعالى (اشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم يكن كل واحدة منها مشتملة عليه والتزكية تطهيره عن النقايص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذ اخبر الله تعالى بذلك فقد جعله زكيا (وعصمتها من الافات فى هذا المسرى) العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة والمسرى مكان السرى او نفس السرى على انه مصدر ميمى والافات جمع آفة وهى ما يعرض من المفاسد ولما اخبر الله تعالى فى هذه الايات بما حصلت به التزكية كان كانه اعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه) قال السيوطى رحمه الله تعالى وقع فى نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيرى كما يكون بالفاء يكون بالواو كما فى قوله تعالى * انما اشكو بثى وحزنى * وقد يكون ابلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به اولموافقة الاية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة التكرار وقيل

الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل واراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول اصح واوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهى العضو الذى يكتسب به كما فى الصحاح ويعلم ما جرحتم اى كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور او على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل المراد بعض جوارحه او هو بناء على ان اقل الجمع اثنان او هو بالنظر لكل من المعنيين او لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع او عبارة عنهما لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذى فى نسخ الشراح هنا (قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى) بدون اتيان واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد جوز فى مثله ان يكون بدل كل و بعض بتقدير ضمير او بدونه وفيه كلام فصلناه فى غير هذا الكتاب وفى بعض النسخ وقلبه بالواو وعلى نهج ما مر فى العطف التفسيرى وروى فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر او هو استيناف جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الى آخره والمقام مقام بسط و تطويل وهو مقبول من مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الى آخره مع نصب القلب وما بعده كان اولى واخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه اى اعتقده وهو غير مقبول عند المصنف رحمه الله تعالى لانه يأباه * ما زاغ البصر وما طغى * وقال المفسرون ان القلب لم يوهم العين ولم ينكر ما رأته ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذى رآه ببصره لم اعرفك كما قاله القاضى ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المزكى الرب او غيره وسيأتى تفصيله والمراد نفى الخطاء عن اعتقاداته (ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى) وهذا وان لم يكن مخصوصا فيكفى شموله له الا اذا خص [illegible] كما ذهب اليه الاكثر الا انه بنى كلامه على بعض الاقوال (و بصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى) اى ما مال بصره صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا تجاوز حده فى نظره لما هو امامه ففيه تزكية بصره وهو تزكية له وبيان لثبات جنانه او كمال ادبه وهو فى رؤيته لربه جل وعلا فى معراجه كما سيأتى (وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم) هى النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهى ما عدا النيرين من السيارات ولذا وصفها بالجوار اسيرها والكنس التى تغيب فى مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس مقر الظبى كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس تقعر الانف والظباء توصف

به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق او من شطن
اذا بعد وهو انسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب (لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول
كريم) اى كريم عند مرسله وهو الله عز وجل فعلى عدم الزيادة انه واضح غير
محتاج للتأكيد بقسم وغيره وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة
لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ولثبوت الزيادة فى قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين فى بيان شان القرأن واختاره المصنف رحمه الله
تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل واشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم
او اشارة لجواز الامرين او الفرق بين الموضعين مع ان فى الاية ما يناسب النفى وايهام
عدم جواز غيره لا يعتد به وضميرانه للقرأن او لما اخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى
المقول والرسول المرسل ولم يغير لفظ القرأن كما هو دأبه وقيل التقدير لقول مرسل
رسول والكريم بمعنى العظيم او الجواد بسعادة الدارين قيل فاعل اقسم جبريل
واضاف القسم له لالقائه له صلى الله تعالى عليه وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله
تنزيل من رب العالمين وكريم مكين صفة جبريل عليه الصلوة والسلام على الاصح
وقيل المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتفسير المصنف رحمه الله تعالى بكريم
عند مرسله لا حاجة ليه مع قوله عند ذى العرش مكين والغرض انه عنده غير الاصح
ولذا نقله عن الرمانى فيما يأتى (اقول يجوز جعل ضمير اقسم لله عز وجل واعتراضه
على المصنف رحمه الله تعالى لا وجه له سواء اراد ان المكانة عند الله يستلزم كرمه
عنده او ان العندية من قوله عند ذى العرش لانه مقام مدح فيقتضى التصريح بما يدل
عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتأمل (ذى قوة
على تبليغ ما حمله من الوحى) حمله بالتشديد مع البناء للفاعل اى حمله الله او المفعول
والتحميل فى الرسالة لثقلها مشهورة وهو فى الاصل استعارة لثقل الامانة وعند ظرف
لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوى عند السلطان فيتنازع
هو ومكين الظرف او الظرف صفة اخرى والقوة صفة لجبريل عليه الصلوة
والسلام لما حمله الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لما بلغه لامته والمراد بالوحى القرأن لقوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (مكين اى
متمكن المنزلة عند ربه رفيع المحل عنده) يعنى ان مكين بمعنى متمكن المنزلة اى معظم
مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر فى اعرابها وتفسيره بالتمكن
لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل (مطاع ثم اى فى السماء) ثم بفتح
المثلثة وتشديد الميم مبنى على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وترسم بالهاء
للوقف لها عليه ونقل انه لغة فيه ايضا كما مر ودل على قوله فى السماء قوله عند
ذى العرش واشارة البعد والمقام وهو قريب من قوله فى الكشاف مطاع عند

ذى العرش فى ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة وبهما (امين على الوحى) وخصه
بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بقبول القول فصدق
فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاطلاق
الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلوة والسلام بمطاع فى السماء اظهر
وان قيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مطاع فيها ايضا لامامته بالانبياء عليهم
الصلاة والسلام فيها وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر
وجوز فى ثم ان يكون اشارة للظرف السابق اى مطاع عند ذى العرش مقبول
الشفاعة وهو بعيد (قال على بن عيسى رحمه الله تعالى) فى المقتفى الظاهر انه ابو
الحسين على بن عيسى بن على بن عبد الله الرمانى الامام فى النحو واللغة والتفسير
والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ بن دريد وروى عنه جماعة توفى
ليلة الاحد حادى عشر جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة اثنين
وثمانين ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين واصله من سرمرا والرمانى نسبة
الى بيع الرمان او الى قصر رمان وهو قصر معروف بواسط كما قال ابن خلكان وله
ترجمة فى الميزان (الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع الاوصاف
بعد هذا على له صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال
انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل اى بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم
من قال انه بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر وعلى الاول
الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به او بالمثنى المقدر وضميره له
عليهما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى على هذا القول الاوصاف المذكورة
بعده او المعدودة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى مطاعيته فى السماء كما مر
وما قيل من انه فى الصفات المذكورة ما يعين انه جبريل عليه الصلوة والسلام مبنى
على الظاهر المتبادر ورده بان ملك الجبال قال امرنى ربى ان اطيعك ولا يتخلف
ملك عن امره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه (وقال غيره هو جبريل
عليه الصلوة والسلام فترجع الاوصاف اليه) ضمير غيره هنا راجع لعلى بن عيسى
ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولا تابع له او هو راجع لهما بتأويله بغير
من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذى وافقه على القول المذكور اما كونه هو
على ان عنه روايتين فى التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون
المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه
الواحدى من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ما احسن ما اثنى عليك ربك بقوله
ذى قوة الى آخره وما مر من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له هل اصابك من هذه
الرحمة شئ فقال كنت اخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول تحمل

ماوقع فى خطبة المقامات للحريرى فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول
الشربينى انه عثرة وضعف القول الاول السهيلى بان الآية وردت لتكذيب الكفار
ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم تقول القرآن فاضافه الله لجبريل عليه الصلوة
والسلام وان كان فى الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذى جاء به الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فصار كانه قوله فلايسوغ على هذا ان يكون الرسول
الكريم محمدا وان كان رسولا كريما قيل ماذكره ظاهر ان ثبت انها وردت لهذا
الغرض ورد بان لارادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مساغا ولوسلم ماقاله لان مدعى
الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول
من ارسله كما مر فينتفى كونه من تلقاء نفسه فتدبر (ولقد رآه يعنى محمدا قيل رأى ربه
وقيل رأى جبريل فى صورته) يعنى الرائى محمدا صلى الله عليه وسلم على التفسيرين
واختلف فى المرئى فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح
ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل
رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود رضى الله عنه وقدمه المصنف
رحمه الله تعالى لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد
عليه ويأباه كل الاباء قوله تعالى بالافق المبين سواء كان نواحى السماء او حيث تطلع
الشمس اذ لم يقل احد انه رأى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه
فرؤيته بالافق كاستوى على العرش او المراد بالافق الذى فوق السماء السابعة
وحينئذ فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان او المراد به المنزلة العالية
كما اشار اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روى عن ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه (وماهو على الغيب بظنين اى بمتهم) الغيب الغائب عن الحس الذى
اخبر به او ماهو وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام على اخبار الغيب فيشمل الذات
والصفات والنيران فيستدل به على غيره او المراد ماغاب عن علمكم فيشمل اخباره عن
المشاهد والغائب والظنين بالظاء المشالة ماينسب الى التهمة للوهم والغلط او المراد
ليس مظنونا به ماينسب اليه مما اتهمته به الكفرة فالنفى فيه كالنفى فى قوله لاريب فيه
وقرئ فى السبعة بالضاد المعجمة ايضا كما اشار اليه بقوله (ومن قرأها) اى الآية والكلمة
وروى قرأه اى هذا اللفظ (بالضاد) وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن
والضنة وهى البخل (فمعناه ماهو بخيل بالدعاء له والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق) الفاء زائدة فى خبر الموصول لتضمنه
معنى الشرط وضمير معناه للفظ او القول المذكور وقوله بالدعاء به الدعاء بالمد بمعنى
الدعوة او المدعو اليه والباء فى به على هذه الرواية اشارة الى ان على فى النظم بمعنى الباء
اوهى بمعنى الى او للسببية او المدعو اليه احكام الشريعة كلها وروى الدعاء له

او الدعائية بكسر الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه
بضم الحاء وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع
والعلم ماعلمه من كل امر فيه علم وحكمة اى ماهو بخيل على الناس فى تبليغ ما اوحى
ليه وقد امر بتبليغه وهذه اشارة للآية او الصفة على هذه القراءة والاتفاق على
هذه بخلاف قراءة الظاء لان هذه العلوم والحكم امر نفيس فيه سعادة الدارين
ومثله مما يضمن به البشر فنزهه عن مثله لكرم جبلته (وقال الله تعالى ن والقلم
ومايسطرون الايات) اى اقرء الآيات الى آخرها واذكر او اعنى (اقسم الله تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه) ابهم المصنف ذلك اشارة الى عظمته كما مر والى عظمة
مافيه بناء على ان نون قسم هنا وهى الحرف او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقرأن
وماكتب به والقلم هو المعروف او قلم اللوح وقيل نون الحوت الذى عليه الارض والقسم
على ظاهره او بمعنى المقسم به (على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصه)
وفى نسخة غمصته (الكفرة به وتكذيبهم له) غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة
وغمص بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم
والشئ كذلك وغمص النعم واغمصها كفرها وقال التلمسانى الغمص بالصاد المهملة
العيب والتنقيص واكثر مايكون فى الدين وقال ابن حبيب فى غريب الموطأ الغمض
بضاد معجمة اخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا صغر الناس
وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سواء انتهى فيجوز فى كلام
المصنف رحمه الله تعالى الاهمال والاعجام الا ان الاول ارجح وعليه اقتصر
الشراح وقوله وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع فى كلام
المصنف كما فى بعض الشروح هو قولهم هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال
المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح او ما كذب به (اقول لايخفى ان المصنف
رحمه الله تعالى لم يذكر من الآيات مايدل على التكذيب نفيا واثباتا وليس فى كلامه
غير ما انت بنعمة ربك بمجنون وماقيل اولا لامساس له بكلامه ونظر المصنف
رحمه الله تعالى فى مقاصده دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى انعم عليه بما علمه
واعطاه من نعم الدارين واغناه عما سواه ونصره على اعدائه ومن اتى مثل هذا
لايكذب فان فعل او تكلم بما لايليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل الحلبى انه تعالى
نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الآية ما انت بمجنون بسبب انه تعالى
انعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا
تكذيب لعدم الاعتداد مع قيام الدليل على خلافه (وانسه وبسط امله) انس فعل
ماض معطوف على اقسم بقصر الهمزة وتشديد النون من التأنيس او بالمد
والتخفيف من الايناس يقال انست به وانسته اذا اذهبت وحشته وسكنته كما مر
ولامل الرجاء وبسطه توسيعه وتكثيره او من الانبساط وهو المسرة كما ورد فى الحديث انه

صلى الله تعالى عليه وسلم قال عايشة يبسطها ما يبسطنى اى يسرها مايسرنى فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطافه حتى كثر رجاه اوسره (بقوله محسنا خطابه ماانت بنعمت ربك بمجنون) محسنا حال من الضمير و روى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثانى احسن عند من له ذوق ولذا اقتصرعليه البرهان رحمه الله تعالى وخطابه مفعول بقوله تعالى وماانت الى آخره مقول القول وهوجواب القسم فى النظم وتوسيع الامل لجعله ملتبسا بنعم الكريم الذى رباه وقوله تعالى وان لك لاجرا الى آخره وفيه ايماء لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتحليته وتحليته وسع امله لان من اثنى على احد وسع امله وهوتكلف انت فى غنى عنه بمعرفته والباء للسببية اوالملابسة والمصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم الجنون لا نعام الله عليه واطفه اوحال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق العلية ممايدل قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفى اى انتفى عنك اومن فاعل بمجنون كماذهب اليه الزمخشرى والباء زائدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم نفى الجنون المقيد لامطلقا واجيب بان القيد دائمى فيصح المعنى ولعل غرضه ان مقام رد المعاند يقتضى مالايوهم ولو فى بادى الرأى والتقييد موهم وفيه ان تقييد النفى موهم ايضا لكن ايهامه اقل والقيد للاخبار ومثله كثير كماذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون فى زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل الباء للقسم وبه جزم فى الباب التفاسير وضعف بان القسم لايدخل على القسم انتهى (اقول هذا ليس بشئ لانه وقع مثله فى الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهدا صدق لايحتاجان لتزكية الاترى ان ابا البقاء رحمه الله تعالى اعرب قوله تعالى *وماهم بمؤمنين يخادعون الله* حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذوالحال الضمير المستترفيه ولما خطاه ابوحيان رحمه الله بمثل ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشرى غير مسموع اصلا ولاحاجة الى ما اجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولاخوف الملل لاطلناه ولكن الثمرة تدل على الشجرة (تنبيه) خطر ببالى هنا نكتة وهى ان الله تعالى اقسم بالقلم وماخط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون مرفوع عنه القلم فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره (وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات الاداب فى المحاورة) الاشارة للامور المذكورة من التنزيه عما قالوه فى حقه تعالى بقوله ما انت الخ والتكذيب الذى دل عليه والتأنيس بتقديم الدليل بقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من اول الامر ثم بيان تحقيق اماله بقوله تعالى *وان لك لاجرا غيرممنون* به عليك اوغيرمقطوع وهذا غاية البر والاحسان فى خطابه له صلى الله تعالى عليه وسلم واقصى مراتب

الادب اللايق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما لعباده والمحاورة بالحاء والراء المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن رأى من يحبه فى هجوم اعدائه بمقالهم فكذبهم و بين وجه كذبهم ثم ذكر مايطرد وحشته ثم وعده بماهو اعظم مما ذكره (ثم اعلمه سبحانه وتعالى بماله عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع) اى بعد ان تراه ونزهه اعلمه بما اعده له بعد من الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد مابين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع فى مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بمالايليق ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه قال له لاتحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلانقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد فى مقابلته والصبر على الشدائد والمقاساة فى التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص فالثواب هوالاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون (لايأخذه العد) اى لايحصى ولايعد ففيه استعارة كانه اذا عدا خذه اولايغلبه العد ويحيط به كما قيل فى قوله تعالى *لاتأخذه سنة ولا نوم* ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة فى كثرته (ولايمن به عليه) يمن بصيغة المبنى للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وضيعه والتقدير لايمن احد من الخلق بها عليه لانها من الكريم الوهاب اولايمن بها الخالق ويؤيده انه روى يمن بصيغة المبنى للفاعل وقال الطيبى رحمه الله تعالى ان من شان الكرام ان لايمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لامنة والثواب لاينقص بالمنة ففيها تأكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى يمن على عباده كما صرح به فى مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى عز وجل اذ العمل لا يفى بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر واعطاء ما لايجب عليه فضل ثالث فتجرى وجوه المنة منه وهى تشريف منه والتحقيق انها لماقبحت من غيره تعالى واعتادت النفوس النفرة منها لايفعلها الله تعالى لايهامها مالايليق به وان حسنت منه ففيه تأسيس لتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر (اقول) ماذكره من التحقيق ليس بشئ فان المنة فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها فى نحو قوله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان* بل قد يستحسن من غيره ايضا ولذا قيل ان هذا شبيه بقول المعتزلة فافهم وفى قول المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى تفسير آخر فى قوله غير ممنون (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) اتى بالفاء لانه متفرع على ماقبله من الاعلام او تفصيل له فى الجملة اى لك على ما احتملته من اذاهم ثواب غير منقطع او غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الاهية واتى بتأكيدات اربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فأكد المجموع بالمجموع اوهى موزعة على ماذكر وان

لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما فى التعريض وقد علمت ان المن له معانى القطع والنقص وتعديد النعم واشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا يأخذه العد الى آخره الا انه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك فى معانيه او جوازه فى النفى او ارادته على البدل فقول المصنف رحمه الله تعالى السابق ثم علمه الى آخره وعطفه بالواو غير حسن الا ان يكرن بمعنى او وكل قسم على تفسير وفى تحرير ابن الهمام المشترك يعم فى النفى وهو المختار والقول بانه اعلمه بما له عنده والبيان من المصنف رحمه الله تعالى لثبوت التفاسير تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة فى الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب (ثم اثنى عليه بما منحه من هباته) عطفه بثم لما مر اى مدحه بما وهبه واعطاه من مواهبه السنية (وهداه اليه) من معرفته وتوحيده او من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصلة فان افعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب اهل الحق (واكد ذلك تتميما للتمجيد) اى التعظيم من المجد وهو الكرم اى تتميما لنسبته اليه (بحرفى التأكيد) زيادة لتعظيمه واهتمامابه ففيه تعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع اقسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التأكيد الا انه اقتصر على التصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التأكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم يلقى لخالى الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم (فقال وانك لعلى خلق عظيم) اتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (قيل القرآن) هذا مروى عن عائشة والحسن رضى الله عنهما وغيرهما كما سيأتى والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه ومنزه عن كل ما لا ينبغى مما نهى عنه فليس هذا تفسيرا آخر كما قيل (وقيل الاسلام) ولذا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسيره على دين عظيم والخلق يجئ بمعنى العادة والطريقة (وقيل الطبع الكريم) اصل معنى الطبع الختم وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التى خلق الانسان عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزى حقيقته ما يأخذ الانسان به نفسه من الآداب واما ما طبع فيسمى ختما وقد اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من المكارم ما لم يجتمع فى غيره وقال الامام المراد التخلق بمجموع الاخلاق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهى مرتبة عظيمة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالاقتداء بهداهم ولم يرد اصول الشرايع لعدم مناسبة التقليد فيها فالمراد ما مر قيل فى دليله نظر لجواز ان يراد الاقتداء فى تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد (اقول لا يخفى ان تقليد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قبله من الانبياء فى الاصول

الدينية غير صحيح وهو الذى اراده الامام رحمه الله تعالى فان اراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها لا نفسها فلا خلاف بينهما فتدبر (وقيل ليس لك همة الا الله جل جلاله) الهمة كما فى المصباح اول العزم من هم بالشئ ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثانى وهذا محكى عن الجنيد رحمه الله تعالى قال انما سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة فى غير الله سبحانه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معاشرا للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعنى ان عزمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اعلاء كلمة الله وتبليغ ما يوصل اليه وفكره فى ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا الاوجه له (قال الواسطى فى الاول وتقدمت ترجمته (اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه) اسدى بمعنى اعطى او اوصل وهما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى او سببية والنعم فسرها الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التى انتظمها الخلق فى الاية وتبعه تلميذه ابن الحنبلى (وفضله بذلك) اى بما اسداه او بحسن قبوله (على غيره) من جميع المخلوقات الانبياء عليهم الصلوة والسلام وغيرهم وقوله (لانه جبله على ذلك الخلق) اى خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذى لا ينفك عنه وضمير قبوله السابق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز فيه ان يكون لله اى قبول الله اخلاقه او انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول اولى ولذا اقتصر عليه واكثر الشراح وقيل ان فى كلامه مناقشة لان المجبول على الشئ الذى طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك الذى جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا فكان الاحسن ان يقول اثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله المنة المطلقة فانه المنعم بالشئ والمثنى عليه وتتمة كلام الواسطى تشير لذلك ورده السيد بانه تقرر فى العلوم العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية او القابلية والمراد بالقبول تأثره وتحققه فيه فصرح بانه قابل لا فاعل ردا لطبيعيين بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له ايضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل لقبوله وقبوله ايضا لبس فيه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد (اقول هذا الكلام كله تكلف مبنى على غير اساس وتقريره ان مراد الواسطى بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم فى كلامه ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما انعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة النص بقوله * ما انت بنعمة ربك بمجنون * اى لست ممن تستحقك النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار نعمه وتفضيله على غيره من كونه له اجرا لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لسلامة طبعه وكمال اخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثناء وبهذا التقرير يسقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب صلح من غير تراض فتدبر (فسبحان اللطيف

الكريم المحسن الجواد المجيد) الكلام على سبحان مفصل فى محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل امر عجيب تنزيها عن ان يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد فى ذلك تأثير وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى مثله فى آخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وانعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بما اعطاهم من الثواب والاجر والمجيد المحمود فى كل فعاله المذكورة او الحامد لهم اولنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير مسموع فيه وقال فى عمدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخى بناء على جواز وصفه بالسخاء كما بيناه فى شرح اسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور فى الممتع امتنعوا من وصف الله بسخى لان اصله من الارض السخاوية وهى الرخوة بل وصفوه بجواد اى بالتخفيف لانه اوسع فى معنى العطاء وادخل فى صفة العلاء انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالى فى حديث قدسى رواه الترمذى والبيهقى انى جواد ماجد ووقع فى بعض النسخ هنا بدل الحميد المجيد اى ذو المجد والكرم وهو انسب هنا (الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله) يشير الى قوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة اسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى فى كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله والثناء كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثنى وفوق الذى تثنى فالاعتراض ساقط (وجازاه عليه) هو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال (سبحانه ما اغمر نواله) اغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الماء الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال العطاء (واوسع افضاله) السعة معروفة شاعت فى الشمول والعموم والافضال الانعام قال فى المصباح تفضل عليه وافضل افضالا بمعنى وفضلته على غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر افضله جعله فاضلا وافضله غريب خبط لا وجه له (ثم سلاه) بتشديد اللام من التسلية وهى ازالة الغم (عن قولهم بعد هذا) اى عما قالوه فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثناء والظرف مؤكد لما تدل عليه ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر (بما وعده له من عقابهم) اى تعذيبهم بما صدر منهم وفى نسخة بالباء الجارة وفى نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاقب وانواع العقاب وروى عقابهم اى عاقبة سوء حالهم وما يؤل اليه وفى نسخة عقباه اى عقبى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى نصره عليهم والانتقام منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء

لصدور المؤمنين كما قيل * مصائب قوم عند قوم فوائد * كان وعده له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد فى الشر مجازا اولانه فى اصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله وعده معين والقول بانه عدى بقوله له باعتبار انه ذكره له تغير فى وجوه الحسان قيل ماذكر دليل على عدم رجاء اسلامهم اذلو كان ذلك مرجوا لوعده به لانه احب اليه والاحسن ان يقول على عقاب طائفة منهم ولذا قيل ان الوعيد تعريض بابى جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف رحمه الله تعالى لم يقصد العموم ولو سلم فما ذكره ممنوع لانه يقال لكل كافر ان لم تنته فستبصر ومقابلة الوعيد بقوله (وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات) يأتى ماذكره كله اى ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد او به وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر كما مر والآيات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الاثواب والمقدر اعنى او اقرأ ونحوه ولا فرق بينهما كما تقدم وقوله تعالى بايكم المفتون اى ايكم الذى افتتن بالجنون اسم مفعول والباء زائدة او مصدر لانه يجئ على زنة مفعول قليلا اى بايكم الفتنة والباء بمعناها او بمعنى فى ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا اى المفتون فى اى الفريقين افريق المؤمنين ام فريق الكافرين اومن يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم ما بعده معموله او مستأنف فى ايهما يوجد والعقاب المتقدم مفهوم من سياق التهديد وبقية الآيات ظاهر (ان ربك هو اعلم بمن ضل) اى بالمجانين على الحقيقة وهم (من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) بجنايا تهم كان القتل ثم عطف (بعد مدحه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه) بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع عن الاضافة مبنى على الضم فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزى قيل وفيه نظر لانه يقتضى تقدم الذم على المدح وليس كذلك فى النظم فالاحسن ان يقرأ بالاضافة وقوله عطف اى التفت او مال اليه وعلى رواية المزى المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضى تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف فالوجه الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له صلى الله تعالى عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف او ماض معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كما مر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد ويقال عطفته اذا ثنيته واملته والعطف النحوى يتعدى بعلى ايضا وما فى عبارة المصنف عطف لغوى

لانحوى وتجويزه هنا لكونه بالفاء غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتحمل له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه (متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) حالان من ضمير عطف اى لم يكمل ذلك لاحد ولم يجعل بينه و بينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسى او اللفظى فى قوله سنسمه الى آخره (فذكر بضع عشرة) وروى بضعة عشر وفى المصباح بضع بالكسر فى العدد و بعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة الى تسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث ويستعمل ايضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت الهاء فى بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين واجازه بعضهم فنقول بضعة عشرون رجلا و بضع عشرون امرأة وكذا قال ابو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر او اثنى عشر او احدى عشر بناء على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها (خصلة من خصال الذم فيه) اى فى عدوه والخصلة بفتح الخاء المعجمة الضعة مطلقا وغلبت فى صفات المدح اذا اطلقته (بقوله تعالى فلا تطع المكذبين) فيما دعوك له من تعظيم الهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى الله تعالى عليه وسلم على تصميمه فى مخالفتهم (الى قوله تعالى اساطير الاولين) اى اباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع سطر وما وقع منه فى القرأن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله (ثم ختم ذلك) اى ما عد من المعايب او رده عقبه كالخاتمة له (بالوعد الصادق) لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وفى نسخة بالوعيد وروى ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن كونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد او الصادق هنا بمعنى الخالص الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة (بتمام شقائه وخاتمه بواره) متعلق بختم اى بشقائه التام والبوار الهلاك وعبر به فى نسخة الذى هو خاتمة امره وآخر احواله او حاله تجر اليه فسمى به (بقوله سنسمه على الخرطوم) الوسم العلامة والكى والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا واصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للانسان لايذائه باستحقاقه والتهكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض وجوه وخص الانف لانه اظهر الاعضاء تذليلا للمنكرين عن الحق الذى عنده شمم فى انفه فعوقب بضده (فكانت نصرة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم

اتم من نصرته لنفسه) اى نصرته التى تولاها بنفسه فى قوله تعالى سنسمه الى آخره ونصرة نفسه على اعدائه هى لله ايضا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقم الحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم (ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده لنفسه) رده بتكذيبهم بنفسه ابلغ من رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقامة الحجة وان كان هذا ايضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان له رد ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعل الله ومن كان لله كان الله له (واثبت فى ديوان مجده) اى اعظم واقوى ثباتا وابقى فى صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما امضاه الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسى معرب واصله جمع ديو وهو العفريت شبه به اهله وقيل انه عربى من التدوين وهو الكتابة وهو واوى خفف بقلب احدى واويه ياء ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المصنف رحمه الله تعالى تحتملهما وهو استعارة فاستعار لمجده اى عظمته ديوانا يثبت فيه فاذا اثبته الله كان اتم واكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيمة

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام

يعنى ما جاء فى القرأن من الآيات الدالة على اكرام الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله متجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شانه وحقه والمورد مصدر ميمى منصوب على المصدر او اسم مكان منصوب على الظرفية واصله المحل الذى يؤخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عم شمل ما فيه غيره من المفصول (قال الله تبارك وتعالى طه ما انزلنا عليك القرأن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه) اى من اسماء النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغاء يقدمون مثله لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم اهم مما له تقدم ذاتى كما قرروه فى تقديم الامر بالقراءة فى قوله تعالى اقرأ باسم ربك فتذكره (وقيل هو اسم الله تعالى) هذا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما واستدل لما قاله بحديث لى عند ربى عشرة اسماء طه و يس (وقيل معناه يا رجل) اى معناه رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ايضا كما ذكره البيهقى وقال عكرمة انه لغة معروفة فى عكل وعك وقيل انها لغة حبشية او عبرانية او سريانية او نبطية ومعناه يا حبيبى وقيل لعل اصله يا هذا فقلبوا الياء طاء واقتصروا على هاء وهو بعيد جدا

(وقيل يا انسان) رواه البغوى عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك (وقيل هى حروف مقطعة لمعان) الجمع لما فوق الواحد لقوله (قال الواسطى اراد ياطاهر ياهادى) فالطاء من طاهر والهاء من هادى وقيل الطاء طول الغزاة والهاء هيئتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهدايته وقيل معناه ايها البدر لان الطاء والهاء فى الجمل اربعة عشر (وقيل هو امر من الوطئ) بالقدم فابدلت الهمزة الفا (والهاء كناية عن الارض) اى الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره اهل العربية وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوى وقيل ان ها اسم لحرف مأخوذ من هاء اسم الضمير فهى كناية اصطلاحية عنه لا انه ضمير كما قيل فى طا ورد البيضاوى هذا القول بانه يأباه كتابتها بصورة الحرف ورد بانه رسم المصحف غير قياسى فيه كما رسم آية المؤمنون بلا الف فى الامام وقرئ طه بسكون الهاء واصله طاء فابدلت الهمزة هاء كاياك وهياك اوهوامر والهاء للسكت والمفعول محذوف اى طاء الارض ويحتمل انه اراد ان الهاء من هاء وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة (اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) الاعتماد الاتكاء والاستناد على الارض بقدمه او قدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وماسيأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا لنفسه ليزيد اجره فى عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت فى الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخالفه ماروى ابن عباس وابن مردويه عن على رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام وقال له طاء الارض بقدميك وظاهره ان وضع احدى قدميه كان راحة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاتعبا وصرح به البغوى ونقله عن الكلبي فالوجه ان المعنى لاتتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى لا ما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة وقع فى مشقة القيام برجل واحدة لنقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب ومايوجبه كما خفف عنه قيام الليل (اقول هذا مما لاطائل تحته فانه لاشبهة فى ان القيام على رجل واحدة اشق من القيام على الرجلين كما قيل * اذا الحمل الثقيل توزعته * اكف القوم هان على الرقاب * وان كان فى القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وماذكره المصنف رحمه الله تعالى متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لانريد تعبك دل على الراحة ولامنافاة بينه وبين مارواه

والتوفيق الذى ذكره تكلف فتدبر (تنبيه) كون الاجر على قدر المشقة كما ورد فى حديث عايشة رضى الله تعالى عنها اجرك على قدر نصبك كما فى مسلم قال ابن عبد السلام فى قواعده ليس هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه وانفاذ الحاكم مظلوما افضل من قيامه الليل وصيام النافلة ونقله الزركشى فى قواعده وارتضاه ولنا عودة الى ذلك (وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرأن لتشقى نزلت فيما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله من السهر والتعب وقيام الليل) الضمير راجع للنهى عن اتعاب نفسه المستفاد من النفى فى الآية اى هو المراد من الآية والشقا اصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفى على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يخص بما ذكر ولان تعبه بتأسفه على كفرهم (اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد) اى رواه المصنف عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن على بن شبرين بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من اسفل بشبرين من اصحاب الباجى ثقة حافظ توفى يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (عن القاضى ابى الوليد) الباجى بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هى باجة القيروان وابو الوليد هذا هو سليمان بن خلف ابن سعد بن ايوب بن وارث التجيبى القرطبى الذهبى اصله من مدينة بطليوس وانتقل جده لباجة التى نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجى ولد فى ذى القعدة ببطليوس سنة ثلاث واربعمائة واخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب والحميدى وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة اعوام ولازم اباذر الهروى وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ عن العلماء وتفقه عن ابى الطيب الطبرى واخذ علم الكلام عن ابى جعفر السمنانى واقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته فى كتابة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بيده مشهورة تقدمت الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمدينة فى تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة (اجازة ومن اصله نقلت) الاجازة فى كلام العرب قديما كما نقله اهل اللغة الاذن فى الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى اجازه اذن له فى الجواز ثم استعمل لمطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن فى نقل الحديث فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه فى حواشيه والمراد باصله كتابه الذى ضبط فيه وجعله

ملكا له لا السماع وقوله نقلت الخ هو من كلام ابى عبد الله يعنى انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذى اجازه به وقال ابن الحنبلى انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عن باخبرنا يأباه ولو قيل بدلا عن قال لم يكن من كلام المصنف رحمه الله تعالى والاصل اصل شيخ شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد اوهم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا وحدثنا فى الرواية بالاجازة والمختار خلافه الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة وسوى بينهما الطوفى فى قواعده والخلاف فى ذلك فى الكتب المدونة كذلك (قال حدثنا ابوذر الحافظ الهروى العلامة عبد بدون اضافة ابن احمد بن محمد بن عبد الله الانصارى المالكى ابن السماك سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفى فى شوال سنة اربع واربعمائة قال (حدثنا ابو محمد الحموى) هو ابو عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسى بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة ثم واو مكسورة ثم ياء مشددة للنسبة الى جده حمويه قال البرهانى ورأيت فى بعض النسخ التى وقفت عليها من الشفاء بعد الواو همزة مكسورة وفيها نظر والذى فى حواشى ابن ارسلان والشمنى الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفى ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة وهو نزيل هراة وتوشج ووصل لماوراء النهر وهو اصولى محدث ثقة توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فى ذى الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال (حدثنا ابراهيم بن خزيم) بخاء معجمة مضمومة وزاى معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشى ترجمته مشهورة وهو ابو اسحق بن عثمان ومن قراءه براء مهملة اخطأ وشاش بمعجمتين بلدة بماوراء النهر قال (حدثنا عبد) بلا اضافة (ابن حميد) بحاء مهملة مصغر والذى جزم به ابن حبان والبخارى ان اسمه عبد الحميد الكشى بالاعجام والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال (حدثنا هاشم بن القاسم) ابو النضر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة (عن ابى جعفر) قال التلمسانى هو محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سمى باقرا لتبحره فى العلم من البقر وهو الشق والوسعة تابعى عدل ثقة وامام مشهور توفى سنة اربع عشرة ومائة على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو من تلامذة الربيع ومشايخ هاشم وفى المغنى انه اختلف فى اسمه فقيل عيسى ابن ابى عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزى روى له الاربعة وترجمته مشهورة (عن الربيع بن انس ابو حاتم البكرى البصرى التابعى صدوق لكن له اوهام كما قاله ابن حجر وما فى حواشى

التلمسانى من انه انس بن مالك رضى الله عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه توفى سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم اولى سندا ومعنى ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا كامر اى فلعله نسخ لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى وانزل الله تعالى طه يعنى طاء الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) الى آخره هذا كما مر من غير فرق فما مر لا وجه له وهذا كان قبل النهى فحكم الفقهاء بالكراهة كان بعد النهى فلا اشكال فيه (تنبيه) لم نزل نتوقف فى كيفية صلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاسراء حتى رأينا ما نقله السيوطى فى الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا فى قوله تعالى واركعوا مع الراكعين * ان مشروعية الركوع فى الصلاة خاص بهذه الامة وصلاة بنى اسرائيل لا ركوع فيها فلهذا امرهم الله تعالى بالركوع مع الراكعين فى هذه الآية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبرانى فى الاوسط عن على كرم الله وجهه انه قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه فكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة عنه وكذلك الجماعة كما فى شرح المجمع انتهى (اقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتأخر اسلامهم لان الساجد لا بد له من الركوع فى هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة (ولا خفاء بما فى هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة) الباء بمعنى فى اى المذكور فى الآية وما يتعلق بها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور اتراه يرضى له تعبا فيها فمعاملة الله تعالى له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم (وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله) اى ان جعل لفظ طه علما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مقسما به او جعل اسما لله ونحوه مقسما به ايضا الحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله لاتيانه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة فى مخاطبته واعلى درجات الادب فى محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذى قبله على القسمية واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فان تكلف وقيل انه متضمن للقسم يأباه جعله قسيما لعطفه باو انتهى وقد علمت سقوطه بما بيناه وان كان فى عبارته مسامحة والقسم له لا ينافى كونه به ايضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف او المجاز

والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو من الرابع بل الخامس ايضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله او جعلت ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبنى على احد الامرين فلعل او بمعنى الواو او بل انتهى فيه ما لا يخفى (ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة) فى المصباح النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط ايضا الطريق والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على المصنف رحمه الله والنوع فقيل هذا من نمط هذا اى من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف او من جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه استعمال غير مسموع وفى الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط (قوله تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا) لعل كما تكون لرجاء المحبوب يكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثانى على لسان العباد او بارادة لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب نفع قتلها من وجد او غيظ وبخع لى بالحق بخوعا انقاد وبذله كما فى المصباح قال البيضاوى شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم عن الايمان بمن فارق احبته فهو متحسر على آثارهم وبخع نفسه وجدا عليهم او اذا ماتوا على الكفر تقول العرب بكى على اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن اهمه ما يحزنه من غيره اطرح ما انت فيه وكل امرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق عليه قال الله تعالى * ومن اصدق من الله حديثا * واما اختصاصه بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فعرف طارى وقوله فلعلك اى لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضى قرئ بالفتح على تقدير لا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعنى على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه فى حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الى آخره فللاسف معان ثلاثة مأثورة ثابتة فى اللغة وقيل حزنا او ندما والغضب ضد الرضاء والغيظ اشده وسورته او ما اضمر فى النفس وفيه كلام وفسر بالغضب ايضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفى عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان على من تحته انتشر فصار غضبا او على من فوقه انقبض فصار حزنا وهى منصوبة مفعول له او حال (ومثله قوله ايضا) مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عودا لما قبله لمشاركته فى معناه فلذا فسرت بالتشبيه اى بما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل اذ هى للاشفاق وهو مفعول مطلق او حال ومثله

نظرا لمعناه وايضا نظرا للفظه فلا تكرار ولو حذف كان اولى (لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين) تفسيره ايضا يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الآية لما فيها من توقع انقيادهم ووقوع امنيته صلى الله تعالى عليه وسلم فان كانت لا زائدة ففيها غاية الاشفاق عليه (ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) المراد بالآية هنا آية مخصوصة وهى الملجئة قسرا الى الايمان او ما فيه عذاب وعقاب والا فكم من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضى موقعه وعبر بالماضى لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الرؤساء كما يعبر بالرأس وعلى هذا فخاضعين بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلاء من الخضوع عبر بما رتبهم كما فى قوله رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين او فى الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب صفة العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتأنيث وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف بصدده (ومن هذا الباب) الباب معروفة ويطلق على القبيل والنوع طلاقا شايعا فيقال هذا من باب كذا اى من جنسه ونوعه وهو المراد اى من قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا الفصل (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة) واصل معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تأثيرا ظاهرا والكلام المؤثر فى النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكان صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض غرته صديع * وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف واصله بما تؤمره على حد امرتك الخير ولا يخفى ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول المجرور ان يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون اى منه لان الصدع بمعنى الامر كما مر ولا يشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا تحزن لمخالفتك فانها لحكمة سترى عاقبتها او على اعدائك واى شفقة وتكريم احسن من هذا ولم يقل فى الآية التى قبلها الى آخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلى والشفقة به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن فى القرآن وهى منسوخة بآية القتال قيل كان ينبغى ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين قلت ذكره ضمنا فى قوله وايضا استغنى عنها بالآية التى عقب هذا وهى فى قوله (وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك)

اى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمستهزؤن خمسة من اشراف قريش كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله كما فصله المفسرون وهى واردة على نهج الشفقة و التسلية والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم و ورد بصيغة الماضى تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى عاقبته فى الدارين كما ذكره القاضى واقتصر فى اللباب على ان عاقبة امرهم يوم القيامة وقوله فحاق الخ اى احاط بهم حيث اهلكوا لا طلب الاستهزاء باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزأ به او نزل بهم و باله فوضع موضعه وهذه الآية فى الانعام والانبياء و يحتمل انها اية الرعد وتمامها فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى امهلتهم برهة من الزمان فى دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقابى اياهم (قال مكى) تقدمت ترجمته رحمه الله (سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه مايلقى من المشركين) من استهزائهم وعنادهم وانما تسلى من تحبه وتشفق عليه والتسلية بان اخوانه من اولى العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم الصلوة والسلام فى الدارين والتاسى بما يثلج الصدر كما قيل

* ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى *

وفى التأخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام من اذى المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة امرهم فلذا قال (واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله) اعلم فعل ماض فاعله ضمير الله و مفعوله ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتمادى اى تأخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر وفى المصباح تمادى فى غيه اذا لج ودام على فعله من امداه ابعده او من مادبته اذا امهلته وقوله على ذلك حال اى كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة اية الرعد ويحل به اى ينزل به العذاب الذى نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذى يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال فى المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والثانى بالكسر فقط انتهى وفى القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفى الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعنى انها عادة الله فى مثله (ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) اى مثل التسلية السابقة مافى هذه الاية من تهوين مالقيه بان له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من اعدائه والتسلية لئلا يحزن ويشق عليه و يحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالآية الواقع فى بعض النسخ اطلق فيه الآية واراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرأت بانت سعاد اى القصيدة كلها فالمناسبة

للفصل والمماثلة فى غاية الظهور (ومن هذا) القبيل فى التسلية والشفقة الدال على علو منزلته عند الله قوله (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون) المشار اليه بقوله كذلك الامر الذى وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر او مجنون كقولهم افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه الاية اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام تعجبى تعجب من توارد اقوالهم وارائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلوة والسلام مع بيان ازمانهم والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى تجاوز حدهم فى العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما اتى الى آخره كالتفسير لما قبله كما قاله البيضاوى وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه وان يكون المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول اتاهم اى جاءهم و بعث اليهم كذابا او شاعرا او مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتأخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم واسنادهم لهم ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة تامة (عزاه الله) اى حمله على الصبر كما صبروا لانه تفعيل من العزا وهو الصبر (بما اخبره به عن الامم السالفة) الباء للتعدية او سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتأويله بالجماعة وهو مقيس مطرد (ومقالها) بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فى قراءة الجر اى وبمقالها والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفى نسخة مقالتها (لانبيائهم قبله) والقبلية تصريح بلازم ما فى الاية لان كون انبياء اولئك قبل هؤلاء يستلزم كونهم قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومحنتهم بهم) وفى نسخة محنته اى محنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاولى محنة الانبياء بامهم والمحنة الابتلاء والاختبار وهذه النسخة اولى وانسب بقوله (وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى من ذلك) فذلك اشارة الى ما وقع للانبياء عليهم الصلوة والسلام مع اممهم مما يضاهى ما وقع له صلى الله عليه وسلم وقوله بمثله الضمير فيه راجع للمشار اليه وافرده لتأويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتاسى كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضميرانه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الى آخره (ثم طيب نفسه وابان عذره) ثم للبعد اللفظى او الرتبى ونحوه كما مر وابان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره فى مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور فى اعراضهم وعدم انقيادهم فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شئ من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه فى مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وتفريج كربه وهمه (بقوله تعالى فتول

عنهم اى اعرض عنهم) وهذه الاية منسوخة بآية السيف وقيل بقوله وذكراى اعرض عن المجادلة ومايتعبك اوعن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك اواعرض تارة وذكر اخرى فلانسخ ماذكر من ان النسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هوما قاله ابن الجوزى رحمه الله قيل وهوغريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشتركة الا ان تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المصنف رحمه الله تعالى معنى ذكردم على التذكير والموعظة فتدبر وقوله (فما انت بملوم) اصله ملووم فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفى لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه بقوله (اى فى ادا ما بلغت وابلاغ ما حملت) مبنى للمجهول مشدد الميم وماحمله امامة الرسالة وقد اداها صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل الجهد فلايتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق مالايخفى اى انت لاتلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ماقال البيضاوى من ان المراد نفى اللوم على بذل جهده فى البلاغ اذ المقصود نفى اللوم مطلقا وكلام المصنف رحمه الله تعالى موهم لنفيه مقيدا وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لاتهتم بهم ولاتحزن ولايبعد ان يراد لاتلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الاباء لما امر تنابه ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفى نفس الامر بل فى اعتقادهم ايضا فلا تعتبر ماقالوه وذكروه وعلى هذا فلانسخ كما مر (قلت) التقييد لاضرر فيه هنا وايهام لست ملوما فى هذا انه يلام فى غيره لايلتفت اليه لانه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس فى قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ماقبله لان الثانى فيه كناية عن الاول كما توهم لا لان المعنى انك بلغتنا الكل واديته كما ينبغى فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم اوالثانية تعميم بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه بلغ ووفى حق مابلغه والثانية تفيد انه مأمون بالتبليغ كمن ارسل برسالة وامانة فاوصلها (ومثله) فى التسلية الدالة على الشفقة والمحبة (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى دم على الصبر فى تنفيذ ما حكم الله به ولاتحزن ولاتخف من الاعداء فانك محفوظ محروس لايصلون اليك ولايدب بساحتك عقارب كيدهم اواصبر لاجل حكم الله اى لتبليغ احكامه وفى المعالم اصبر الى ان يقع ما حكمنا به اوالى ان نحكم اوننزل حكما وفيه الايماء الى قتالهم واللام بمعنى على اوللتعليل او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره فى الازل اى لاتنزعج بالتعب فى سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لايجوز اطلاقه منا عليه بل تقصير فيه على ماقاله الله فى حق نفسه كما نقله الدماميني فى شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ

والحراسة على الاستعارة اوالمجاز المرسل كما يقال هو بعينى اوعلى عينى وبمرأى ومسمع منى وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه اولكثرة اسباب الحفظ فان رؤيته تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله (اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك) بيان للمراد من هذه الآية وارادة الحفظ والمجازاة بعيد ولاتلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفى الشرح الجديد دلالة ماذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعينى استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة لازمه وهو فى حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر فى عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط الرؤية عدم مماسة العين للمرئى فان اريد معناه الحقيقى على ان الباء للظرفية المجازية فالحفظ مراد بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها فى حقه تعالى وذهب البيضاوى فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان الباء للملابسة والتعبير بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى على الاختلال والزيغ عن المبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا كناية فيه اصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر (سلاه الله بهذا) اى بمثل هذا الكلام وما فى معناه بذكره (فى آى) بمد الهمزة وتخفيف الياء جمع آية اواسم جنس جمعى لها ولاحاجة لجعل فى بمعنى مع كما قيل وان صح هنا (كثيرة) كقوله تعالى * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا (من هذا المعنى) من بيانية والتقدير كائنة من مثل مايدل على هذا المعنى وهوالحفظ والوعد بالتأييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال فى المصباح تقول العامة لاى معنى فعلت والعرب لاتعرف المعنى ولاتكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب مامعنى هذا بكسر النون وتشديد الياء وقال ابوزيد هذا فى معناة هذا وفى معناه سواء اى فى مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابى معنى الشئ ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو مايدل عليه اللفظ وفى التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتأويل واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا فى معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول ابى زيد والفارابى واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة تداولوها وهى قولهم هذا بمعنى هذا وهذا فى المعنى واحد وسواء اى مماثله ومشابهه انتهى وانا فيه كلام فى حواشى الرضى

الفصل السابع فيما اخبرالله تعالى به فى كتابه العزيز

اى العظيم الشريف اوالقوى ادلته ومعانيه اوالذى لانظيرله فى الكتب (من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحظوة رتبته)

وفى بعض النسخ عليهم اى على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الانبياء كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المشالة اى اختصاص رتبته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظى عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا احبوه ورفعوه منزلته فهو حظى على فعيل وقوله على الانبياء متعلق بماقبله لتضمينه معنى العلو (قوله تعالى) وفى بعض النسخ قال الله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين) يعنى قوله * ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين * وفى بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير فى تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله الميثاق على النبيين او على الامم الميثاق الذى شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم اوهو بتقدير مضاف اى ميثاق امم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما آتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم سادمسد الامرين وهو قوله لتؤمنن به وقرأ حمزة لما بالكسر اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا فى نصرتكم اياه لانكم اوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كائنا مع من كان ولانه جاء بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت ما شرطية اوموصولة فمن بيانية اوان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك مايبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف فى الحجة ويجوز على قراءة الكسر والتعليل ان تكون ما موصولة اى اوحيت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام نصرة النبى الموعود به فى المستقبل لاجل الكتاب الذى اتيته كل واحد منهم وجملة جاءكم معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما آتيتكموه من الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له وقرأ ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوى المصدرية وقيل اصل لما لمن ما ادغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احداهما والمعنى لمن اجل ما آتيتكم من كتاب وهو قريب من قراءة حمزة بالكسر انتهى (واعلم ان هذه الآية اجل آية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد افردها التقى السبكى برسالة سماها التعظيم والمنة فى معنى قوله تعالى * لتؤمنن به ولتنصرنه * قال فيها فى هذه الآية من التنويه به صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلى ما لا يخفى وفيها

مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم عليه الصلوة والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون قوله و بعثت الى الناس كافة لايختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة بل تتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى ان يفهم منه انه امر ثابت له فى ذلك الوقت ولهذا رأى آدم عليه الصلوة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلابد ان يكون ذلك معنى ثابتا فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام يعلم الله بنبوتهم فى ذلك وقبله فلابد من خصوصيته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلها اخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك فان قلت اريد ان افهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لابد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سنه اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره كذلك قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى آخره الى روحه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم اوالى حقيقته والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن امده بنور الهى ثم ان تلك الحقايق يؤتى الله بها كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم عليه الصلوة والسلام اتاها ذلك الوصف بان يخلقها متهيئة لذلك وافاض عليها من ذلك فصار صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته عليهم الصلوة والسلام وغيرهم كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته تعجل لاتأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكرامة وقد يكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه وتعالى ولا شك ان كلما يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية له

والشرعية و يعلم الناس منها مايصل اليهم عند ظهوره لعلمهم بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزل عليه القرأن فى اول ماجاءه جبريل صلوات الله تعالى عليهما وسلامه وهو فعل من افعاله سبحانه من جملة معلوماته من آثار قدرته وارادته واختياره فى محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان و بين المرتبتين وسايط من افعاله سبحانه وتعالى يحدث على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها مايظهرلهم بعد ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق اعظم من كماله ولا محل اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه اعطاء النبوة من ذلك الوقت ثم اخذله المواثيق على الانبياء عليهم الصلوة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم واخذ المواثيق فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه (لطيفة) هذا كايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء وكانها اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو نبى الانبياء ولقد اظهر ذلك فى الآخرة يكون جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء اذا صلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمن آدم وغيره وجب عليهم وعلى امهم الايمان ونصرته و بذلك اخذالله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره متوقف على اجتماعه معهم فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزم اتباعه بلا شك ولهذا يأتى عيسى عليه الصلوة والسلام فى آخر الزمان على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نبى كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه يأتى واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا بالقرأن والسنة وكل مافيها من امر اونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى على حاله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه شئ وكذا لو بعث النبى فى زمنه اوزمن موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم و رسالتهم الى امهم والنبى صلى الله تعالى

عليه وسلم نبى عليهم و رسول الى جميعهم فنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق على شرايعهم فى الاصول لانها لاتختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ اولانسخ ولاتخصيص بل يكون شريعته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات و بهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا احدهما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انهم جميع الناس اولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا الى آخره كنا نظن انه بالقلم فبان انه زائد على ذلك على ماشرحناه وانما يفترق الحال بين مابعد وجود جسده صلى الله تعالى عليه وسلم و بلوغه الاربعين وماقبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة واهلية التوكيل انتهى (اقول بعد ما قدم لك حديثا رواه ابونعيم فى الحلية عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اوحى الله الى موسى عليه الصلوة والسلام انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يارب ومن احمد قال ماخلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم و يطهرون اطرافهم اسود بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من امة ذلك النبى قال استقدمت واستأخرت ولكن ساجمع بينك و بينه فى دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما فى الخصائص الكبرى (واعلم ان معنى كون احد من امة نبى من الانبياء انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهى امة دعوة وامة اجابة و يلزم من اجابه من امته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه فى كل ماجاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله اعزه وعظمه

واحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام جميعهم معظمون له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شرعه والا لم يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه الاترى الى قوله تعالى * انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده * وما فى معناها من الآيات اذا عرفت هذا فاعلم ان ما قاله السبكى رحمه الله تعالى وتبجح به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضى ان من تقدمه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلماء الملل السالفة غيره بالغين فى تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد به وقوله لتؤمنن به دون بشرعه مناد عليه وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى عليه الصلوة والسلام ان يكون من امته عليه الصلوة والسلام فاجابه الله بما سمعته آنفا فى الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم الى آخره لا معنى له وقوله فى حديث كنت نبيا الى آخره انه فى عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم اظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان اراد به روحه رجع لما قبله وان اراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله فى حق عيسى عليه الصلوة والسلام انه يأتى فى آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم جمع بين الضب والنون (وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون للزمان وهو فى الاصل مصدر بمعنى الافتراق ويتجوز به عن مكان آخر كما يقال بين الخوف والرجاء اى متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض اى مز والكلمة بين اسم وفعل وحرف اى منقسمة لها وقوله فى الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقى لاقتضائه وجود روح آدم عليه الصلوة والسلام وجسده حين بعث نبيا ولا يصح هذا ولا شئ من المعانى السابقة فالظاهر انه ظرف زمان اى فى زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نباه فى عالم الارواح واطلع الارواح على ذلك وامرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين اى بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذى صححوه فيكون رواية بالمعنى ان لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله واذ متعلقة باذكروا

مقدرا وحده او اذكروا باهل الكتاب فان اريد به جميعهم فظاهر وان اريد به الموحدين فى زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلتنزيل ما جاء آباءهم بمنزلة ما جائهم او يقدر اذ اجاء آباءكم والميثاق العهد واليمين كما مر وقيل انه متعلق باقررتم وان اخر والمراد بكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم اومع اممهم او انبياء بنى اسرائيل ومن تبعيضية او بيانية واللام موطئة او ابتدائية (ثم جاءكم رسول) التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يصدق بعضهم بعضا ويأمر باتباعه والايمان به وهو مروى عن ابن جبير كما مر (مصدق لما معكم) من وضع الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو تكلف (لتؤمنن به) اى برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية اوجوابها محذوف وعلى كل حال سواء كانت شرطية او موصولة مبتدأ لا بد فى الجواب او الخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التيجانى قد يستغنى بعود الضمير الى ما فى اثناء الجملة عن العود الى المبتدأ او الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل وهو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلا بد من التقدير اى ان ضميربه لما بتقدير المصدقة اى رسالته مصدقة (اقول ما عده غريبا اشهر من قفا نبك وهو مذكور فى متن التسهيل وقال فى شرحه انه مذهب الاخفش والكسائى وصرح به السيد فى شرح الكشاف فى قوله تعالى * والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن * وفى الروض الانف ان ما فى هذه الآية مبتدأ بمعنى الذى والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدان على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر فى التنزيل انتهى (ولتنصرنه) على عدوه (قال) الله لهم (ءاقررتم) للاستثبات (واخذتم على ذلكم) اى قبلتم على ذلك المذكور (اصرى) عهدى وميثاقى (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اى الملائكة على اقرارهم او بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) على ما سبق (قال ابو الحسن القابسى) تقدمت ترجمته فى اول الفصل الثانى من هذا الباب وفى انساب السمعانى قابس بلدة بالمغرب (استخص الله تعالى) استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتأكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى لا تتخلف فمعنى اراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه (بقوله) اى بسبب قوله هذا فى الآية للانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد سقط هذا من بعض النسخ (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره) مؤكدا للتخصيص دفعا لتوهم المجاز او ارادة

التخصيص الذكرى (ابانه به) اى اظهر ذلك الفضل له اوفضله وميزه به عن
غيره وهومؤكد لماقبله ايضاسواء اكان مستأنفا ام لا و بابه للتعدية اوسببية (وهو)
اى الفضل المختص به (ماذكره من هذه الآية) قيل ان هذا على بعض التفاسيرلمامر
من ان بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبى اخذ عليه العهد بان يصدق
بمن بعده وان يؤمن بعضهم ببعض وقال البغوى والثعلبى انه عليه كثير من المفسرين
ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولوفسر الرسول
هنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه امر ثابت بغيرهذه الآية مقررعند هم
واجيب بان العهد المأخوذ على الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجمالى من غيرتعيين
وهذا معين باسمه وصفته اوان الفضل المخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ العهد بان يؤمنوا به ويتبعوه ان ادركوه حتى يكونوا من امته والآية محمولة على
هذا كما مر عن السبكى فلا اشكال (قال المفسرون) اى بعضهم وكون التعريف
للعهد لاقرينة عليه (اخذ الله الميثاق بالوحى) الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وحمل هذا على ماوقع فى عام الذرحين اخرجهم من صلب آدم عليه الصلوة والسلام
واخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم فيكون اخذ عليهم عهدا
بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فالوحى مجاز عن مطلق الاعلام
اوهو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اذاوحاه اليه بعيد جدا والحق
ان هذا امر آخر فى هذه النشاة كما يدل عليه قوله (فلم يبعث نبيا الاذكر له
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ونعته) بصيغة المصدر المنصوب والماضى اى ذكرله
صفته اى لم يبعثه فى حال من الاحوال الاحال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر
الواقع فى اوله او بعده مقارن له فالحال فى زمن العامل (واخذ عليه ميثاقه ان ادركه
ليؤمنن به) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لم يبعث نبيا اى ميثاق ذلك
النبى المأخوذ عليه اولله تعالى والاول اوفق باضافة الميثاق للنبيين فى الآية
اولمحمد اى الميثاق المأخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة
الى ان شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع فيجب على كل
من ادركه اتباعه فيعلم الرسل به اممهم ويأمروهم بتبليغه لمن بعدهم وفى الحديث
لوكان موسى عليه الصلوة والسلام حيا ماوسعه الا اتباعى وسيأتى مافى التوراة والانجيل
وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى ادركه انه عاش حتى يجئ زمنه فيلقاه فى الدنيا
قال الشريف هنا مانقل عن السبكى رحمه الله من ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
كانوا من امته وعلى دينه فى زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعبادم الادليل عليه
ولاقائل به والاحتمال المخالف للظواهر لااعتداد به انتهى وما نقله عن السبكى غير
صحيح وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه فى صدر هذا الفصل (وقيل)
معنى هذه الاية (ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) اى اخذ الله

العهد على كل نبى ان يؤمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وينصره اذا ادرك زمنه
وفى هذا من تشريفه واعلاقدره مالايخفى والايمان لابد فيه من مطابقة القول
للاعتقاد فاذاتلفظ به علانيته فقد بينه فماقيل من ان حمل الايمان على مجرد البيان
بعيد جدا ولعل المراد ما فى بعض التفاسير انه يصفه ويقول من ادركه منكم
فليؤمن به غنى عن الرد وقال التجانى ان المصنف رحمه الله تعالى نقض ما قدمه
عن المفسرين من اخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله (وقوله
ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وتبعه
بعض الشراح فقال هذا لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك
اذ من قاله لايجعل خطاب جاءكم الالهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه
واضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الاخذوه على اممهم وانهم يأخذونه على من بعدهم
الى ان يبعث اوسموانبيين تهكما كمامر ورد بانه من تتمة القول الثانى لاالاول لتصريحهم
بخلافه ومنافاته له والمراد ان الخطاب فى جاءكم وآتيتكم لمن ذكر فالمعنى انه اخذ
الميثاق على الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يبينوا لكم ايها المعاصرون بواسطة
اصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب فى جاءكم فقط لانه بعيد
جدا ولاحاجة تتكلف ان يقال ان المعنى انه قيل للانبياء اذاجاء بعضا بعضكم رسول الله
ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتأمل
هذا من قال من يقول ان الميثاق مأخوذ على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لايجعل
الخطاب فى قوله ثم جاءكم الالهم ومن يقول انه لاهل الكتاب المعاصرين للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ويتأول اضافته للنبيين بانهم الذين اخذوه عن الله فالاضافة الى
الاخذ الفاعل لاالى المأخوذ عليهم وكونه من تتمة الثانى ممنوع لان محصله انه تعالى
اخذ الميثاق على كل نبى ان يبين محمدا صلى الله عليه وسلم لقومه ليؤمنوا به وينصروه
ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب للمعاصرين اولاهل
الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة ابى وابن مسعود رضى الله عنهما
واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ثم ان الطيبى رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم
الوقف على النبيين وان الله تعالى امرهم بعد ذلك فقال قولوا للامة عنى مهما
آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق
مأخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لايجعل الخطاب الالهم لان منهم من جعله
للامم لالهم فيحتمل ان المصنف رحمه الله ماش على هذا فالخطاب للمعاصرين واخذ
الميثاق على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله تعالى
* واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقط لجواز الوقف عليه فتأمل (وقال على بن ابى طالب
كرم الله وجهه) وهذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوى بعبارات

مخالفة محتملة للنقل بالمعنى او تعدد القول المروى عن على رضى الله عنه (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) فى حال من الاحوال (الا) فى حال ان (اخذ الميثاق عليه وفى لفظ العهد عليه (فى) حق (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث) محمد (وهو) اى ذلك النبى (حى ليؤمنن به ولينصرنه) وامر باخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرنه من ادركه منهم كما قاله البغوى واشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (ويأخذ العهد على قومه بذلك) اى بالايمان به ونصرته وعدى اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما فى قوله تعالى * واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه او نقضوه كما ان فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم فى الشئ واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمسانى ومن فى قوله من آدم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده اى واحدا بعد واحد ويأخذ قال الشمنى بالنصب رواية عن المصنف رحمه الله تعالى وهو كذلك فى النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التوكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه يكون حينئذ من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد الا ان يأخذ الانبياء فى زمنهم من اممهم انه اذا بعث وهم احياء لتؤمنن به ويؤيده ما فى اللباب وتفسير البغوى عن على رضى الله تعالى عنه ما بعث الله تعالى نبيا الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وامره باخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا ادركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الى آخره على انها فى موضع مفرد من باب زرنى فاكرمك اى الا اخذ العهد عليه فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالايمان به والنصر ان بعث وهو حى وبان يأخذ فالوجه ان التقدير وامر ان يأخذ كقوله افغير الله تأمرونى اعبد فيمن نصب اى بان اعبد على نهج علفتها تبنا وماء ويعضده ما مر من التفسير (اقول ما ذكره الشمنى ذكره ايضا القسطلانى فى حاشيته وكذلك كونه مؤكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله * لا تهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه * وعلى هذا ففى الكلام مقدر اى ويأخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حى وهذا التقدير لا بد منه على كل حال فاعرفه (ونحوه عن السدى وقتادة) اى مثل ما ذكر عن على مروى عن السدى وعن قتادة والسدى بضم السين وتشديد الدال المهملتين هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة المحدث المشهور واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج به وقال الشمنى انه كوفى تابعى مفسر صدوق لا انه متهم بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه ابو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهى ما يبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه كما فى القاموس وفى المصباح السدة الباب ويذهب اليها

على لفظه فيقال سدى جماعة ومنهم الامام المشهور اسمعيل السدى لانه كان يبيع المقانع ونحوها فى سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما اثبتها ابن جرير (فى آى) اى هذا المذكور مروى فى جملة آى جمع آية كآيات (تضمنت فضله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه واحد) وهذه الجملة صفة آى وآى بالمد وتخفيف الياء قال التلمسانى هذا متصل بقوله فى اول الفصل ما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز اى آية المذكورة مع فى آيات دلت على فضله من وجوه كثيرة وقيل المعنى قال تعالى واذا اخذ فى جملة آيات او عن السدى فيها فى آى آخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الآية لانه من جملة الترجمة وليس ما قاله متعينا كما ظنه (قال الله تعالى واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) قيل اخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعلن محمد صلى الله عليه وسلم بانه لا نبى بعده ففيها تفضيل له صلى الله عليه وسلم من وجوه كما سيأتى وقال التجانى ذكر الله فى هذه الآية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتى كقوله تعالى * من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين او لتقدم زمانى لتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ويجوز ان يكون تقديم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للامرين لحديث كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وان لم يكن الواو للترتيب ولذا ورد فى الحديث ابدؤا بما بدأ الله به وقد راعى هذا الفقهاء فى الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الآية وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شانه او مؤكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما له وقدم نوح فى قوله تعالى * شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لاقتضاء المقام له لان السياق لوصف دين الاسلام بالاصالة فى الاستقامة فتدبر (وقال عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا) كذا فى النسخ وفى بعضها الى قوله شهيدا يعنى قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطأ كما توهم لان بعد شهيدا آيات اربع آخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ومجيئه من الله تعالى بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغى اصلاحه او انه قراءة شاذة او قراءة بالمعنى وهم وارتكاب امور لا يليق واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه الآية غير تامة الغرض فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد الى آخره يدل على الفرض اذ لم يذكر مثل ذلك فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل

التشبيه لوحيه بالوحى الى الكل يدل فى الجملة على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفصل فى بيان المنزلة مطلقا وماذكر استطرادى فلا اشكال يعنى ما وقع فى نسخ الترجمة من حطوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذى استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضى اختصاصه بشهادة الله لما اوحاه له وانه انزله بعلمه مع ان كلا انزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفى هذا من التفضيل والتشريف له صلى الله عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسيأتى جواب هو الحق عندى وذكر نوح دون آدم عليهما الصلوة والسلام لانه اول مشرع عند بعضهم اولانه نبى عوقب قومه اواول الرسل اولعموم دعوته وعلى الثانى فيه تهديد للمشركين (وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) قال السيوطى فى تخريجه لم اجده فى شئ من كتب الاثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج فى مدخله ذكراه فى ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق بالاحكام (انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اول هذا الكلام بابى انت وامى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فاهلك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال الله تعالى * من يطع الرسول فقد اطاع الله * بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال * واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح * الآية بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون * يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول * بابى انت وامى يارسول الله لئن كان موسى عليه الصلوة والسلام اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من اصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليه وسلم عليك بابى انت وامى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح فى ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بابى انت وامى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام اعطاه الله احياء الموتى فما ذا باعجب من الشاة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة بابى انت وامى يارسول الله لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * ولودعوت مثلها علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع

نوحا عليه الصلوة والسلام فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل * بابى انت وامى يارسول الله لولم تجالس الا كفوك لما جالستنا ولولم تنكح الا كفوك لما انكحت الينا ولولم تواكل الا كفوك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ويأتى شرح بعض تلك الالفاظ عند ذكر المصنف له وبكى فى كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما فى المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه فى غيبته وبكاه اذا حمل غيره على ان يبكى بوجه ما ولوكان هذا مشددا كان المعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى ولبس هذا مرادا قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى المخفف لقول الجوهرى بكيت الشئ مخففا ومشددا اى بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى قوله * ولا يغرركم منى ابتسام * ففعلى مضحك والقول مبكى * فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الكلام وذكره بعد وفاته كما نقله الرشاطى اوالمعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى المواهب خطأ على خطأ انتهى (فقال) اى عمر رضى الله تعالى عنه والفاء عاطفة لمفصل على مجمل كقوله تعالى * ونادى نوح ربه فقال رب * ولا تقدير ولا تأكيد كما توهم (بابى انت وامى يارسول الله) هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته اى لوترك بك امر يقبل الفداء باحد من البشر بذلت فى فدائك ابوى فضلا عن المال وغيره وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من اصحابه رضى الله تعالى عنهم وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينه منتقشا حاله فى صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غنى عن مشاهد وانت مبتدأ والجار والمجرور خبر مقدم اى انت مفدى بابى وامى اواصله افديك بابى وامى فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتأخر والباء للمقابلة الداخل عليها الفداء ومنع الثانى لاوجه له لقد (بلغ من فضيلتك عند الله) اى فى علمه وحكمه وتقربك منه ومن فى من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة فى الاثبات على رأى ففضيلتك فاعل اوالمعنى بعض فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل مبالغة مع المعنى كما جوز التفتازانى ان يكون مبتدأ فى قوله ومن الناس من يقول الآية اى بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وان بعثك الاتى مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها بيانية مقدمة على رأى من جوزه كما تقدم (ان بعثك اخر الانبياء) اى جعل بعثتك الظاهرة فى آخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشرع بعثتك سائر الشرائع ويبقى دينك الى يوم القيامة (وذكرك فى اولهم) بصيغة الماضى اى قدم ذكرك على ذكرهم فى التفضيل (فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك

ومن نوح وابراهيم الآية) ليدل على انك عنده اعظم من سائر الرسل واشرف وبهذا الذى قال عمر رضى الله تعالى عنه علم ان هذه الآية دالة على ما عقد المصنف رحمه الله تعالى له الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناش من عدم الوقوف على ما اراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم فى الشرف والرتبة اى ان من خص بالذكر فى الآية من اولى العزم مقدم الرتبة على غيره فهم اول انت منهم واعلاهم فلذا قال فى اولهم ولم يقل اولهم كما قال آخر الانبياء لانه لا خاتم للرسالة غيره مع التفنن البديع (بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ فى فضيلتك عنده) فيما تقدم فهو بيان لهذا (ان اهل النار) من امة الدعوة كلهم او بعضهم كما سيأتى (يودون ان يكونوا اطاعوك) وروى لو انهم يكونون اطاعوك والود فى الاصل المودة وهى دوام المحبة ثم صارت بمعنى التمنى والذى تمنوه طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه (وهم بين اطباقها يعذبون) جملة حالية والطباق جمع طبق وهى المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد ومتراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما ورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم المعنى بدونه (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) ياللتنبيه او النداء والمنادى نفسهم كقوله وهل تطيق وداعا ايها الرجل او لبعض المعذبين او للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقائلين والقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة لتمنى ما فات اظهارا للتحسر ولانهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل فى قراءة يامال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه اشار العلاء الموصلى رحمه الله بقوله * ما كان اغنى اهل نار جحيم * اذ رخموا يامال وسط جحيم * عجزوا عن استكمال كلمة مالك * فلاجل ذا نادوه بالترخيم * ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته صلى الله تعالى عليه وسلم او اهلها عامة على انهم تمنوا ان يكونوا من مطيعى الله تعالى لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم ادركوا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء ويناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله تعالى له والا فكل طائفة جهنمية من امة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة وقال التجانى كلام عمر رضى الله تعالى عنه قاله بعد تحقيقه من ابى بكر رضى الله تعالى عنه موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجوعه فى ذلك الى قوله لما توفى وارتفع البكاء عليه ودهش الناس كما روى عن غير واحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من اقعد فكان ممن خبل عمر رضى الله تعالى عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توفى وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب موسى عليه الصلاة

﴿والسلام﴾

والسلام وغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى عليه الصلاة والسلام فيقطعن ايدى رجال زعموا انه مات واما عثمان رضى الله تعالى عنه فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم واقعد على كرم الله وجهه وبلغ الخبر ابا بكر رضى الله تعالى عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد فى صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكى ثم خرج الى الناس وهم فى عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال يا عمر انت الذى بلغنى عنك انك تقول على باب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا والذى نفس عمر بيده مات نبى الله اما علمت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى فى كتابه * انك ميت وانهم ميتون * قال عمر فكأنى والله لم اسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا ثم قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حى لا يموت وعنده يحتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسقط رضى الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكى ويقول فى بكائه بابى انت وامى الى آخره ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وبما ذكرناه لك علم مناسبة ماذكر من حال اهل النار لهذا الفصل فسقط ما يتوهم من انه حينئذ غير مناسب فاعرفه (وقال قتادة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث) هذا رواه البغوى والثعلبى مسندا عن قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ كنت اول النبيين ورواه ابو نعيم وابن ابى حاتم بسند فيه راو اسمه مجهول وقال الغزالى اى كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلى فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة وانما اراد تقدير ما كان وما يكون فى اللوح المحفوظ او فى علم ملك لما فى صحيح مسلم مرفوعا ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض بخمسين الف سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما روى فى بعض الطرق كتبت بالتاء الفوقية والباء الموحدة الساكنة من الكتابة فالمعنى كنت اول الانبياء فى تقدير الخلق وآخرهم فى البعث لانه تعالى كتب مقادير الخلق كلها كما مر قيل ولا يجدى فى حل الاشكال على الحديث الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما قيل من انه تعالى لما صور طينة آدم عليه السلام اخرج منها ذرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونبأها واخذ الميثاق عليها ثم اعادها لظهره وهذا معنى حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى خفى قبل نفخ الروح فيه كانه اختفى بين الماء والتراب الذى كانت منه طينته ونظيره الحديث وهو ما رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه وآدم بين الروح والجسد اى ثبت لى

النبوة وآدم صورة بلاروح كما فى شرح المصابيح وحاصل معنى الحديث الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نبيا وآدم عليه الصلوة والسلام تراب بلاماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول فان قلت ان اريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد اجيب بانه صلى الله عليه وسلم كلمهم على قدر عقولهم واراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث الثانى وهو انه اراد الله لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبى آخر الزمان وجبت فى النبوة من ذلك الزمان لان ما حكم به وعلمه كائن لامحالة وهذا لاينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبى يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبى يسمى محمدا فى آخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا معنى قوله انى لخاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته الى آخر ما فصله (اقول مجرد تقدمه فى الكتاب حين التقدير امر ظاهر ليس فيه تقدم وجودى فالانسب ماقيل ان الله خلق روحه قبل خلق الارواح ونبأها واخذ عليها الميثاق واعلم بذلك اهل الملأ الاعلى اوذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان جبريل عليه الصلوة والسلام قبض من موضع قبره الشريف طينة منيرة معجنة بماء الجنة فصارت ذرة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش وفى السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة آدم وفى العوارف ان ذرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هى التى اجابت لما قالت اتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهى الاصل والمراد ان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم اول مخلوق كما ورد فى الاحاديث وهذا امر آخر غير الروح وهو المتنقل فى الاصلاب وقوله (ولذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره) من كلام قتادة تعليلا لكونه اول فى الخلق وهذا اشارة للآية وقيل بدل من مقدما اووصف مبين لكيفية التقدم وفى نسخة على نوح وقد رواه القرطبى ايضا (قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله اى فيه مايدل على تفضيله و يظهره اوفيه مايشاء من تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان فى الآية تفضيل لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثانى لايختص به ففيه تفضيل له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم افضل بعد نبينا عليهم الصلاة والسلام فلتقدمه بالزمان اولانه اول رسول مشرع اولما وقع له مما قاساه وصبر عليه (وهو آخرهم) زمانا و بعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام اى قدمه والحال انه آخرهم والتقدم فى الذكر فى الكلام المعجز لابد له من نكتة وهى اما لتقدم زمانه اولتقدم ذاته بحسب الشرف

وقد انعدم الاول فتعين الثانى اذلاوجه له غيرهما وان كان التقدم عند الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لامناسبة له بما نحن فيه وقدمر ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود ايضا نظرا لروحه وحقيقته والحاصل انه للفضل الا ان الجهات مختلفة كذا فى الشروح الا ان قوله (المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر) سواء كان من كلام السمرقندى اومن كلام المصنف يأبى ما قالوه لان المراد ان تقدمه فى الذكر لتقدمه فى اخذ الميثاق فى عالم الذر كما نطق به السياق والالم يكن لذكره هنا التيام مع ماقبله والذر واحده ذرة وهى كما قاله التلمسانى النملة الصغيرة البيضاء اوالحمراء اوجزء من مائة واربعة وعشرين جزاء من شعيرة وقيل جزء من الف وسبعة وعشرين جزاء منها وقيل اصغر شئ لايعلمه الا الله وعدى اخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكليف كما قيل لانه لايتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم اى وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان مافى قوله تعالى الست بربكم الخ فهو شامل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق المأخوذ فى التبليغ والايمان بالرسل السابق وقد ورد بان البغوى رحمه الله تعالى نقل تقدمه فى ذلك ومثله لايقال من قبل الرأى لنقله عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذاك كان فى مرة اخرى والسمرقندى لم يرد ان تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لامحصل له واخذ هذه الذرات كلها سواء كان من ظهر آدم عليه الصلوة والسلام بغير واسطة اصولهم وابائهم وتركيب العقل والادراك فيهم لأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ويشهد على ذلك امر نؤمن به ونصدق وان كنا لانقف على حقيقته كما هى فالبحث عنه كما فى الشروح لانتيجة له فينبغى الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو ثابت فى القرآن والاحاديث الصحيحة وفى قوله كالذر اشارة الى ان الذرية فعلية من الذر وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى جماعة سبقوا فى الذكر اى اومعلومين المخاطب اولجميع الرسل عليهم السلام وماورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة اوماأول كما سيأتى وقال التفتازانى رحمه الله تعالى اجمع المسلمون على ان افضل الرسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم عليه السلام لما ورد فى الحديث انه خير البرية وقال السيوطى اتفق اهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح ولم يذكروا مراتب

بقيتهم انتهى وفيه نظر واعلم ان القاضى بدر الدين المالكى صاحبنا قال فى كتاب الابتهاج وقع للطوفى فى تفسيره المسمى بالاشارات الالهية فى قوله تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * انه احتج بهذه الآية على ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بفعلهم الاتيان بمثل مافعلوه ولابد انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل صلى الله تعالى عليه وسلم وحده من الطاعة مثل مافعله هؤلاء جميعهم والواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان افضل منهم ويحكى ان هذه المسئلة وقعت فى زمن عز ابن عبد السلام رحمه الله تعالى فافتى فيها بانه صلى الله عليه وسلم كان افضل من كل واحد منهم لانه افضل من جميعهم فتمالأ جماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى (اقول) نحن لانشك فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من كل واحد منهم ومن الجميع ايضا وماذكره الطوفى رحمه الله تعالى مأخوذ من التفسير الكبير الا ان فى الدليل بحثا لانه لايلزم من اتيانه بكل ما اتى به واحد منهم الامساواته للمجموع لاافضليته عليهم وكانه اداعى للغر على ماقاله بل قد يتوقف فى المساواة ايضا فانك لوانعمت على اربعة فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر اربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون جميع مالغيره ولو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم قد ساواهم فى العمل وزاد عليهم بانه اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل فى القرب وعلو المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من جميع الامم واجرهم له الى يوم القيامة ولوكانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذى فوق الاخير اعلى من الجميع وفى الاية الآتية ايماء لهذا حيث ابهم وعبر برفع الدرجات دون ان تسميه ويقول انه اعظم اوافضل فاعرفه ثم اعلم ان قوله فى تتمة الآية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ومنهم من قال ان المراد موسى عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان الاشهر الثانى (قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رفع الله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لايلتبس كما قيل * واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس * وقيل المراد بالبعض اولوا العزم وقيل غير ذلك ولما ابهم اولا فى التفضيل اخذ فى التفضيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من اتاه المعجزات غير الاسلوب فى القسم الثانى بذكر بعضهم دون منهم وذكر برفع

الدرجات الكثيرة كما يفيد التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظيره قول الحماسى

* ومن الرجال اسنة مذروبة * ومذندون شهودهم كالغائب *

* منهم ليوث ماترام و بعضهم * مما قمشت وضم حبل الحاطب *

(لانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود) اى جميع الناس او العرب او العجم وغيرهم او الانس والجن واشهر الاقوال الثانى والمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول فى المرأة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم فى صفة الناس النقاء من العيوب فاذا ارادوا اللون قالوا احمر وهذا قول ثعلب من ائمة اللغة ورده فى النهاية باستعمال الابيض فى صفات الناس كثيرا كقول امرئ القيس * مهفهفة بيضاء غير مفاضة * وجاء فى الحلية الشريفة كما سيأتى ابيض اللون مشربا بالحمرة وعن انس رضى الله تعالى عنه ابيض كانما صيغ من فضة ولا منافاة بينهما لان الاول فى نعت وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول انس فى وصف جسده الشريف وعن البكرى مثل ماقال ثعلب وعن جرير الاخطل اوصفتان للحز والحمر اى النساء الحسان ولامنافاة بين القولين ايضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا فتعنى بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح فى الناس لقربه من البرص والممدوح منه ماخالطه حمرة من الدم اوصفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى كانهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد فى المثل الحسن احمر محمول على هذا اوعلى انه يرتكب له المشاق والشدائد التى تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على الوانهم الحمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود (واحلت له الغنايم) جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهى مايؤخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كالهذه الامة لان منهم من لم يؤمر بالجهاد ومنهم من امر به ووضع الغنائم فتنزل نار من السماء فتحرق مايقبل منها كالصدقات والذبائح فلم تحل لاحد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الامم لاتتصرف فى مال الغنائم عما لم تأكله لانفسها وهذا هو الذى عد من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وامته و بهذا يجاب عما ورد فى بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنائم (وظهرت على يديه المعجزات) اى اظهر الله له صلى الله تعالى عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فما من معجزة لنبى الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها او اعظم مع زيادة معجزات باهرة لايقاربها شئ من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القرآن الذى لايشبهه معجزة اذ فيه مالايحصى لكفاه * فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم * ولم يقل ظهر له المعجزات واتى باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كأن يظهرها بكلتا يديه

ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لاخفاء فيه حتى ينطق بها الحيوانات العجم والجمادات وبهذا ظهر نظمها فى سلك الخواص (وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة اوكرامة) قيل المراد بالفضيلة مافى ذاته العلية والكرامة ما اكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها اوالاول ما فضل به على غيره والثانى اعم وهما وان اتحدا معنى متغايران مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثانى مالم يقترن بها والظاهر من العطف باو ان يفسر بما يقتضى تغايرهما كما لايخفى (الا وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى ماهو من جنسها ونوعها ومما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان اعظم منها فى الحقيقة كانشقاق زورق القمر له القابل لانفلاق البحر لموسى عليه الصلوة والسلام كما قلت

* شهد البدر انه زاد حسنا * عن جميع البدور اذتم خلقا *

* ثم لما رأى الشهادة ترضى * ان تبت فشق فى الحال شقا *

وفى مثل هذه الجملة التى بعد الاخلاف فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو زائدة للالصاق اى لافضيلة ذات صفة من الصفات الاهذه الصفة وغيره الى انها حال اى ليس لها حال من الاحوال الاهذه الحال والتقدير مريدا اعطاؤه مثلها اومقدرا ليقارن الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لاتقديره وارادته مع انه لايتأتى فى نحو لايرى رويا الاجاءت مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل مالم يتحقق كالمحقق او المعنى ان الله اعطاه ذلك فى زمن اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون فى قوله تعالى * يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة * ان تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى آخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضى المقارنة فى الحال اغلبية كما فى خرج الامير صائدا غدا بجعل المعزوم عليه كالواقع يأباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثناء يقتضى ان المقارنة لازمة الا انها قد تترك ظاهرا فيجب التأويل ولايخفى مافيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كما سمعته آنفا فى قوله تعالى فبهداهم اقتده ولايحتاج الى ان يقال مع تفضيله بمثل انشقاق القمر وغيره اوجعل كرامات امته كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) تقدم الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه من الفصلين باعتبارين (ومن فضله) عليه الصلوة والسلام معطوف على مقدر كالعطف التلقينى اى من فضله ماذكر (وان الله خاطب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) اى القرآن الكريم (فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول) وقد مر انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقال الله تعالى * لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا * وهذا مخصوص بحبوته

صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وحكى السمرقندى) تقدم الكلام عليه (عن الكلبى) محمد المفسر اوهشام ابنه وقد تقدم ايضا (فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما فى قوله * ولابويه لكل واحد منهما السدس * اى الميت والشيعة الاتباع والمعروف فى كلام العرب اطلاقه على المتأخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما فى قول الكميت * ومالى الا آل احمد شيعة * ومالى الامذهب الحق مذهب * لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك ايضا واذا اضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر افضل من التابع فاذا اضيفت للمتأخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابدله من نكتة وليست الا التفضيل الاترى ان ابانواس لما قال * كيف لايدنيك من امل * من رسول الله من نفره * شنعوا عليه كما سيأتى بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولافرق بين من نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضى تفضيل نوح على ابراهيم عليهما السلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا اضيف للمتأخر ونوح عليه الصلوة والسلام متقدم وهو آدم الثانى واول الرسل والشرايع متفقة فى الاصول فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لايدل على ماذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام جعل من شيعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل حال فالآية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول (اى على دينه ومنهاجه) اى طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر (واختاره الفراء وحكاه عنه مكى) رحمهما الله تعالى وتقدم الكلام عليهما اوترجمتهما واشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وان ما اخره ومرضه بقوله (وقيل المراد نوح عليه الصلوة والسلام) هو القوى الصحيح وفى نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاى المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل عليهما الصلوة والسلام من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لايفيد تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلوة والسلام كما سمعته آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه فى الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا عليه الصلوة والسلام ابو الناس وابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلوة والسلام والعرب والى هذا ذهب اكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح عليه الصلوة والسلام ولذا قيل ان قيل هنا

اريد بها مجرد النقل لا التمريض وانه عادته فى هذا الكتاب ﴿ الفصل الثامن
فى اعلام الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له) اى نصره وتأييده لا بمعنى
توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثانى فقد قصر قال فى
المصباح وليت الامر اليه بكسرتين ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح
النصرة انتهى (ورفعه العذاب بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم) روى رفعه بالراء
والدال وتقدم الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع اسهل
من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ودرئه العذاب كما سيأتى والرفع قد يجئ بمعنى
الدفع كما فى رفع القلم عن الصبى وكذا الدفع يجئ بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر
ثم ان المصنف رحمه الله تعالى اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير
فى كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل المعانى كلا منهما من فنون البلاغة
وتسمية هذا مشوشا يقتضى مرجوحيته عندهم (قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم) قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله ومالهم ان لا يعذبهم
الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد
او كل منهما مقيد بوقت واليه اشار بقوله (اى ما كنت بمكة) اى انتفى تعذيبهم مدة
كونك مقيما بمكة معهم او المثبت مطلق التعذيب والمنفى عذاب الاستئصال كما قاله
الزمخشرى (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة و بقى من بقى فيها من
المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هذا التأويل منقول عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف كما فى تفسير ابن الجوزى قالوا كان صلى الله
تعالى عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فلما اخرج
للمدينة وبقى المستضعفون من المسلمين بمكة يستغفرون انزل الله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فلما اخرجوا انزل الله ومالهم ان لا يعذبهم الله الى آخره فاندفع التدافع
بين الآية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار
و بين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن
بقى من المسلمين بعد ان كانوا لا يعذبون وهو فيهم او هم يستغفرون ومنهم من قال
بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار مكة وعود ضميرهم
للمؤمنين الباقين بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فهمهم من السياق وان لم يتقدم لهم
ذكرا وعود كلاهما الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبنى فلان قتلوا
قتيلا والقاتل واحد منهم واما عود كلاهما الى المؤمنين فقول اخر اسند للمصنف
رحمه الله تعالى لبيانه الحديث الآتى وان قال التجانى انه غريب لانه يدور سنده
على اسمعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمسانى انه ابو بشر الاسدى
قيل انه وهم وقيل مفاد الآية الثانية نفى الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى

فى انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا ما استحقوه وفى حواشى
الفاضل اليمنى انه نوع من الكناية نظيره وما كان ربك ليهلك القرى بظلم فان
الاهلاك دليل على افسادهم اذ لو اصلحوا ما اهلكهم انتهى وفى تفسير ابن الجوزى
معنى الاية على قول لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب
كما تقول ما كنت لاهينك وانت تكرمنى اى ما كنت لاهينك لو اكرمتنى فاما اذ لست
تكرمنى فانت مستحق لاهانتى وهو مختار اهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار بان
عدم عذاب المستغفر امر مستقر وقيل معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل
اولا لينهبأ دخول اللام على خبر كان لتأكيد النفى وافادة المبالغة فى نفى التعذيب
بسببه و بالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهما
لم يظهر وهذا على رأى الكوفيين من ان اللام فى مثله زائدة لتأكيد النفى وعند
البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر فى ما كان زيد ليفعل اى قاصدا لان
يفعل وعلى هذا يفيد المبالغة ايضا لان نفى القصد ابلغ من نفى الفعل ولذا قالوا فى قوله
يا عاذلاتى لا تردن ملامتى انه ابلغ من لا تلمنى *فان قلت ان كان المراد المنفى فقد انتفى
بعثته صلى الله عليه وسلم فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره فلا حاجة لتقييده
بالخروج قلت اجيب بان المنفى استئصال كل كافر والمقيد من هو فيهم او منفى مطلقا
ومقيدا او التقييد فى المثبت لبيان الواقع ونزول الآية فيه وخصوص المورد لا ينافى عموم
الحكم وهذه اجوبة متكلفة باردة والحق عندى انه لا منافاة بين الآيتين لان قوله
تعالى* ومالهم ان لا يعذبهم الله * معناه اى شئ لهم استحقوا به عدم العذاب
فى انفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب
حتى تكلف لدفعه وان قلنا المنفى الاستئصال فالقيد مبين سببه وهو وجوده صلى الله
تعالى عليه وسلم بين اظهرهم واستغفار مؤمنى امته وهذا امر غير منقطع اذ ليس
المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستئصال له انواع كثيرة كالقحط
والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم نوع غير ما كان
قبله فالتقييد فى محله كما لا يخفى ومعنى قوله تعالى *وهم يستغفرون* اى وفيهم مؤمن
او وفى اصلابهم من سيؤمن و يستغفر وهذا كله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشان الاستغفار ما لا يخفى (وهذا مثل قوله تعالى *
لو تزيلوا الآية) هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب عن اهل مكة بسببه صلى
الله تعالى عليه وسلم و بسبب اصحابه وما لاصحابه انما هو ببركته ايضا ولاجل عين
الف عين تكرم وامهالهم ما ذكر فى هذه الآية ايضا وهو قوله تعالى فى سورة الفتح
*ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة

بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما * ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا اى تميز المؤمنون من الكفار بخروجهم من بينهم وروى القرطبى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان معناه لو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطئ والمعرة لايصح فى الذين فى الارحام واجيب بانه يجعل مرجع الضمير الموجودين على الاستخدام اى لو انتفى الامر ان عذبوا اى لولا كراهة ان توقعوا برجال ونساء مؤمنين معلومين القتل ووطئ الخيل فتلحقكم معرة اى عيب وعار من جهتهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم لعذاب اهل مكة عذابا اليما بالقتل وان تطؤهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على النساء فى الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه وسد مسده لاتحاد معناهما مآلا وبقية الكلام على الآية مفصل فى كتب التفسير (وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية) هذا مع ماقبله كلام واحد وهذا مقدم فى التلاوة وانما اخره المصنف رحمه الله تعالى وافرز ما تقدم عنه مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لماقاله بموضعين من هذه الآية وان قوله تعالى * لو تزيلوا * ليس تأكيدا لماقبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم يعرفوهم لولا كراهة ان توقعوا بهم من غير علم فيعيبكم ماتكرهون من العزم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا جماعة فى الاصلاب والارحام يكره ان تطؤا آباءهم وامهاتهم فتلحقكم المعرة بانهم اولم يقتلوا جاءت امة مسلمة منهم كما مر او لولا من علم الله تعالى انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين مانع وان اختلفت جهة المنع (فلما هاجر المؤمنون) من مكة ولم يبق احد منهم مختلطا بالكفار (نزلت) آية (ومالهم ان لايعذبهم الله الآية) فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية (وهذا من ابين) اى من اظهر شئ فى رفعة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه كما اشار اليه بقوله (ما يظهر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله (ودرئه العذاب) بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى اكثر النسخ المصححة وفى بعضها درءة بتاء مصدر بزنة الضربة وهى بمعنى ماقبلها ايضا وفى بعضها درأبه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفى شرح الشريف انه فى غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف او حال وفى بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلا باء وفى حواشى التلمسانى دراية وقال هكذا فى نسخة الشارح اسم بكسر الدال المهملة وسكون الراء وتاء اى دفعه ومنه قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب اى يدفع قال ودرئه

معطوف على قوله من ابين مايظهر مكانته ووقع بخط العرفى وهو الذى عند ابن سيدى الحسن ودرأبه فعل ماض انتهى وعلى الاول وهى الاصح هو منصوب معطوف على مكانته (عن اهل مكة بسبب كونه) اى وجوده صلى الله عليه وسلم فيها (ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم) ثم اشارة الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة او هى للتراخى الرتبى واما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وبين اظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتأكيد وبين ظهريهم واظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله فى الكلام ان اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الاقامة هذا ما عليه اكثر اهل اللغة كما فى المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة او بعدم الغيبة والظهور لان الظهر اظهر من البطن غير مناسب للغة وحال المستضعفين (فلما خلت مكة منهم) اى من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عذبهم الله) اى كفار مكة (بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم) وليس فيه تفكيك الضمائر لظهور المعنى وليس الظاهر ان يقول تغليبهم بدل غلبتهم كما توهم ومثله مما لا يلتفت اليه (وحكم فيهم سيوفهم) حكم بتشديد الكاف اى جعلها حاكمة على رقابهم وهى استعارة لطيفة اى جعلهم فى قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله (واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم) ان فسرت الارض بما لا بناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر المنقولات فهى متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص كما قيل ان تحمل الاموال على مطلق مايملك والتعبير عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم من القرابة وفى كلامه مايرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله تعالى والجمهور كما جزم به البرهان الحلبى وتبعه بعض الشراح وماقيل من انه لاينافى كونها فتحت صلحا كما توهم لاوجه له وفيها قول ثالث ان بعضها فتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر (وفى الآية ايضا تأويل آخر) تعريف الآية للعهد والمراد بها وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون والتأويل السابق محصله ان الله لايعذب الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم ايضا وبقية الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فيهم يستغفرون الله بضمائر الغيبة للكفار الا ضميرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى

ان المراد بالتأويل الآخر جعل الضمير ين الاخير ين للكفار والجملة حالية اى ما كان الله
معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبرى او هو اشارة الى ما سبق
فى علم الله من ان منهم ومن ذريتهم من يسلم اى ما كان الله معذبهم ومنهم من سيخرج
فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج او هو اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم
فجعله الله امنا لهم واختاره ابن عطية وقوله ايضا اشارة الى التأويل السابق او الى
غيرها من الآيات المأولة ولا مسامحة فيه كما قيل وفيها تأويلات كما مر من ان المنفى
الاستئصال فى الدنيا والمثبت عذاب الآخرة او الاوليان من مقالة الكفرة والثالثة
رد لهما وقيل ان المصنف رحمه الله تعالى اشار الى ما يفهم من الحديث من ان حيوته
صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب او المؤمن لا يعذب
ما دام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين اى ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب
من عذاب من قبلهم وانت حى وهم يستغفرون او الآية على تأويلها الاول ولكن
اذا لم يعذب الكفار بهذين السببين فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيهما امان
للفريقين والامة فى الحديث الآتى المراد بها امة الدعوة وان كان فى بعض
التأويلات امة الاجابة (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) بن سكرة الحافظ وقد
تقدمت ترجمته (بقراءتى عليه) اى لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية قال (حدثنا
ابو الفضل بن خيرون) تقدم الكلام عليه ايضا (وابو الحسين الصيرفى) قال البرهان
كان فى الاصل ابو الحسن فصحح فى الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو
المبارك ابن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر ايضا فى اول فصل تفضيله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى القيامة وكتبه ابو الحسن ايضا ولم ينبه عليه احد فكتب تجاهه
ما مر (قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة) هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر
وقد تقدم الكلام عليه وان الحرة بضم الحاء وتشديد الراء وبالهاء (قال حدثنا ابو على
السنجى) الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجى بكسر السين المهملة
والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال (حدثنا محمد بن محبوب المروزى) تقدم
الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ)
هو الامام الترمذى صاحب السنن وقد تقدم الكلام عليه قال (حدثنا سفيان بن وكيع)
ابو محمد ابن الجراح الكوفى وله ترجمة فى الميزان وهو ممن ضعفه الذهبى توفى سنة
سبع واربعين ومائتين وروى عنه فى السنن قال (حدثنا ابن نمير) بالنون والميم وآخره
راء مهملة بصيغة التصغير وهو محمد ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير المحدث
الهمدانى الكوفى توفى سنة اربع وتسعين ومائة وقيل سنة اربع وثلاثين ومائتين
وهو الاصح (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) وابن مهاجر سقط من بعض
النسخ وهو بجلى من تبع التابعين وقول التلمسانى انه ابو بشر الاسدى قيل انه وهم كما مر

وفى التقريب انه ابن ابراهيم ابن مقيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف (عن عباد بن
يوسف) بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة وهو كندى حمصى ثقة وقيل اسمه
عبادة والذى صححه المزى وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية (عن ابى بردة)
عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفى سنة اربع ومائة على قول
(عن ابيه) ابى موسى الاشعرى الصحابى المشهور واسمه عامر بن عبد الله بن قيس
وقيل الحارث احد الحكمين توفى بمكة او بالكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين
ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابى القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر
وهذا الحديث اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهم موقوفا
بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انزل الله تعالى على) اى اوحى الى بقرآن يدل على (امانين لامتى) اى شيئين فيهما
ما يدل على ما يدل على ان الله امن امتى من العذاب بهما وهما قوله تعالى (وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قد تقدم ان الآيتين
فى المؤمنين او الكفار او فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد امة الدعوة
والاجابة على ما مر فما قيل ان مقتضى الحديث شمول الآية للمؤمنين وظاهر النص وكلام
المفسرين ان الآيتين فى الكفار الا ان تجمع بينهما بان حال المؤمنين يعلم بدلالة
النص والطريق الاولى وانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل
الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير فى الآية على
الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كانوا مؤمنين او كافرين
فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف (فاذا مضيت) اى ارتحلت للآخرة
(تركت فيكم) وفى رواية فيهم اى خلفت بعدى بضم تاء المتكلم (الاستغفار) اى
اذا مت بقى فيكم الامان الآخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما او احتمالا والاستغفار
هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد به الصلوة وقيل الاسلام وعلى رواية فيكم
فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بالاستغفار دون
انتفائه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله لمعذبهم اولا دون معذبهم وهو مناسب لنزول
صدر الآية بمكة وعجزها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم وترك بقية المؤمنين بها
كما قيل وفيه نظر (ونحو منه) منه متعلق بنحو لتضمنه معنى قريب اى فيه نوع مماثلة
بحسب المعنى لما مر من رحمة الكفار بتأخير العذاب (قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين) اى لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم
فى امور معاشهم ومعادهم وامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال وغير
ذلك مما نزل بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابى) كونه صلى الله تعالى عليه وسلم امانا

لاصحابه من كل ما يخافون امر قطعي وهو اعم مما حكاه المصنف رحمه الله تعالى بقيل الاتى وينبغى ان يكون هذا مندرجا تحت قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن ابى موسى رضى الله تعالى عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى العشاء فخرج علينا فقال مازلتم ههنا قلنا يارسول الله صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء فقال احسنتم ورفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت اصحابى اتى امتى ما يوعدون فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية موافقة لرواية مسلم او هى رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان وان ورد جمعا لامين بمعنى الحافظ كخدمة كما فى النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقى الاستغفار كما رواه فى اللباب ومن هنا علم انه يجوز ان يكون معنى مضيت السابق هاجرت فلا التفات وان احتمل ايضا والمراد بذهاب النجوم انتثارها بشهادة اذ الكواكب انتثرت وما توعده السماء انفطارها وتبديلها المذكور فى قوله اذا السماء انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى ان اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم كالنجوم فى الامة وما اوعد به اصحابه رضى الله تعالى عنهم الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما انذرهم من البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان اكثره وبقى ما لاشك فى كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب اهل الخير فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مادام حيا لم يقع شئ من ذلك ولا اختلاف وبعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض عصر الصحابة رضى الله عنهم قويت الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم وقيل الامان عليه المذكور ما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم لا فى حيوته وموته كما توهم كما لا يخفى فمن حمله فقد اخطأ وفيه نظر (قيل من البدع) جمع بدعة وهى مالم يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست كما هو مردودة كما توهمه قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار فان الفقهاء قالوا تجرى فيها الاحكام كلها فمنها ماهو حرام كانواع السياسة التى لم يكن فى العصر الاول ومنها ماهو مكروه كتكبير العمامة وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ماهو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ماهو واجب له كدقايق علم الكلام التى تلزم بها الكفرة واهل الاهواء وماهو مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن الحاج فى المدخل وهو كتاب لم يصنف فى بابه مثله وان كان فيه امور غير مسلمة (وقيل من الاختلاف والفتن) المراد بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء والفقهاء والحكام من غير دليل

معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لمعرفة حقيقة كل امر بالوحى واما الاختلاف الذى وقع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الاحاديث الصحيحة من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى مرضه ايتونى بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون به من بعدى فقال عمر رضى الله تعالى عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عنى لا ينبغى التنازع لدى فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا مما شنع به الرافضة على عمر رضى الله تعالى عنه وسيأتى بيان ذلك آخر الكتاب وقال صاحب الملل والنحل هو اول اختلاف وقع فى الاسلام وقال ابن تيمية فى كتاب الرد على الرافضة لا يخفى ان عمر رضى الله تعالى عنه ثبت من فضله وعلمه مالم يثبت لغيره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكن فى امتى محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة فى الصحيحين عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها فى مرضه ادعى لى اباك واخاك حتى اكتب كتابا فانى اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى اى بالخلافة ويأبى الله والمؤمنون الا ابابكر وقد اشتبه على عمر رضى الله عنه قوله هذا هل كان من شدة المرض ام لا والانبياء عليهم الصلوة والسلام غير معصومين عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك واما قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرزية الخ فلان الحائل عند رزية فى حق من شك ومن توهم انه خلافة على كرم الله تعالى وجهه فهو ضال والحاضرون جماعة يجئ منهم بحده ولو كتب فلذا تركه لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث اختلاف امتى رحمة لم يثبت وهو مأول ايضا والصحابة رضى الله تعالى عنهم عند الاختلاف مجتهدون فى ادراك الوقايع واتفاق اولى على كل حال وقد يؤدى الخلاف الى ما لا ينبغى قيل والحق ان المجتهد اذا غفل واخطاء فله اجر كما انه اذا اصاب فله اجران ولا يضره خطاؤه بل ينفعه (اقول هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذى رواه ابن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران وان حكم واجتهد ثم اخطاء فله اجر قال ابن عبد البر فى كتاب العلم اختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر من اخطاء لان الخطاء لا يؤجر احد عليه وحسبه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة رضى الله تعالى عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تجاوز الله لامتى عن خطائها ونسيانها وقوله تعالى * ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به * ونحوه وقال آخرون يوجر اجرا واحدا

لظاهر الحديث وقال الشافعي يؤجر لا على الخطاء لان الخطاء في الدين لم يؤمر به
احد وانما يؤجر لارادته الحق الذي اخطأه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف
جمع به بين القولين والفتن جمع فتنة واصل معناها الاختبار فاطلقت على المصائب
وما يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ماجرى بعده صلى الله تعالى عليه
وسلم بين الصحابة فهو عام ومناسبته للترجمة ودخوله في ولايته له ظاهر (قال بعضهم
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ماعاش ومادامت سنة باقية)
فذاته الشريفة نفس الامان اووجوده صلى الله تعالى عليه وسلم امان من كل مكروه
بالدفع والرفع فهو الامان لاغيره لتعريف الطرفين كما يشير اليه قوله تعالى وانت
فيهم وسنته طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر بما مر وبقاؤها ببقاء
نوعها والعمل بمثلها (فهو باق) الضمير للامان اوللرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقي لتنزيل بقاء سنته منزلة
بقائه كما يشير اليه قوله تعالى * وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون * وهذا مبنى
على انه صلى الله تعالى عليه وسلم امان للمؤمنين والكافرين كما مر ولذا كان اعظم
ومافي الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى وقيل هو ركيك وكانه
جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ماقبله اى ان دامت السنة
فالرسول وامانه باق كما بينه بقوله (فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن) وفي بعض
النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان كان الحكم عاما ومعنى اميتت بصيغة
المجهول تركت على الاستعارة اى لم يعمل بها ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب
فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من اشراط الساعة والبلاء بفتح الباء وبالمد المصائب
كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا كما مر نسأل الله تعالى العفو
والعافية ولبسا مترادفين كما قاله التلمساني وفي كون الاستغفار قائما مقام الامام الاعظم
دون غيره سر لطيف نبهوا عليه فتنبه (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
الآية) انما ذكر هذا هنا لدلالته على عظم شانه وتولى الله اموره وسيأتي الكلام
مفصلا في الصلاة في الباب المعقود لها (ابان الله تعالى) اظهر او فصله عن غيره
(فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلاة ملائكته) ثم للتراخي
الرتبي والذكرى بجعل نبيه كعبده كما فصل في قوله تعالى ذلك الكتاب قيل وفيه
اشارة الى اختيار احد القولين في الضمير في قوله يصلون انه لله والملائكة كما تقدم
(وامر عباده) امر مصدر مجرور بعطفه على صلوته او فعل معطوف على ابان
كما صححه البرهان لا على فضل بتقدير ان المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد
بعباده المؤمنون المكلفون او الاعم بناء على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكون
الامر للوجوب او الندب سيأتي وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين

جمع ابن مالك رحمه الله غالبها في شعره المشهور * عباد عبيد جمع عبد واعبد * اعابد
معبودا معبدة عبد * كذاك عبدان وعبدان اثبتا * كذاك العبد اوامدان ان شئت
ان تمده * وزاد عليه بعض اصحابنا فقال * جموع عبد عبود اعبد عبد * اعابد عبد
عبدون عبدان ** عبد عبدى ومعبودا ومدهما * عبدة عبدا عباد عبدان *
* عبيدا عبدة عباد معبدة * معابد وعبيدون العبدان *
(بالصلوة والتسليم عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتي تفصيل معناهما
فله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان المؤمنين
شاركوه في مجرد صلوة الله وملائكته لقوله تعالى * هو الذي يصلى عليكم وملائكته *
وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف
وقد ذكر ان الاية الاولى لما نزلت قال ابو بكر يارسول الله ما اعطاك الله من
خير الا اشركتنا فيه فما بالك لم تشركنا في هذا الخير فنزلت هذه الآية فاذا كان نزول
هذه بعد الاولى ظهر فضله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره بها حيث نزلت
اولا من غير مزاحم فيها مع التأكيد بان والاسمية وفي تمييزه بمجموع ماذكروا ايضا
المضارع يدل على الاستمرار التجددى في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن
الامام الرازي ان صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته عليهم
بتأخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة في الاية الاولى تفضيل له على غيره كما
اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان
واورد عليه ان الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في اى الركنين كانت واما قول ابي حنيفة
رحمه الله تعالى من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فانت طالق واحدة وواحدة
تقع واحدة بخلاف انت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان
فليس مبنيا على ان الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو
لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا اخر
الشرط لان صدر الكلام توقف على آخره لوجود المغير في آخره فكان في حكم
البيان كما بين في محله وليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا تحت المخاطبين
بالاية الثانية ليقال انه لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل ذلك التميز دلالة واضحة
على ترجيحه فيها كاحب القوم واحب زيدا بتقديم الاول او تأخيره لان المخاطبين بها
المؤمنون خاصة بقرينة السياق انتهى (اقول) القول ماقالت حذام فان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا منا كما صرح به الفقهاء باسرهم
اما من الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه تعالى * لا يسأل عما يفعل * والصلاة
حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فله ان يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة
وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام
مآله لما قاله ابو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو كما مر نظيره في قصة الخطيب

فقعله تعالى وامره لنا امر مخصوص به فلا حاجة لما ذكر من الحزيزة لمن فى بصيرته نور من الله وخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزومه رعاية التعظيم من الامة فى حقه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولانعامه اكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقايص التى عصمه الله تعالى منها ولم يسند هاله غير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتأكيد وتنويره التعظيم اى تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليما لا تسليم غيره من الامة والصلاة لبست مما يشاركه فيها الامة فيفهم منها التعظيم فى نفسها من غير تأكيد اولان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو فى معرض المساهلة فى الجملة وهو كلام حسن (وقد حكى ابو بكر بن فورك) بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربى وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما قالوا فى هندى هندكى اوللتصغير فان العرب اذا صغر والحقوا آخر الاسم كافا ورد بان فور بمعنى فار لم يسمع من العرب والثانية فى اللغة فور جمع فاير بمعنى الظبى والذى فى اللغة الفارسية انه بمعنى لون التراب قالوا فورحاك رنك وفى شرح النخبة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير فى الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما فى العجمة قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا يستعمله العرب الا علما كقالون على ما فيه وقيل فورعربى فلا ينقلب بلحوق الكاف عجميا (اقول) اللفظ العربى اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير اعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه فى الاصل بابا بمعنى اب فصغر بالكاف على قاعدتهم المذكورة وقد استعمل ممنوعا فى شعر ابى تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله كما هك كما فى بعض الحواشى المطول وفى حواشى الفاضل الحفيد على المطول بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبنى على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتد به وفى حواشى البرهان الحلبى هو مصروف بضبط القلم فى النسخ المصححة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهانى الامام الجليل والبحر الذى لا يجارى فقها ونحوا واصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن فى الدين وجرت له مناظرات ادت الى عزله ومات مسموما شهيدا فى الطريق لما عاد من غزنة سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعى المذهب قال التلمسانى انتهى الى ان يكلمه الملك فى اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الآتى الى يوم القيامة لم يثبت فى الاصل الذى عليه خط المصنف وثبت فى الاصل المروى عن ابى العباس العزفى انتهى وفى حواشى الكمال ابن ابى شريف على النخبة انه فارسى مصغر غير منصرف ومعناه فوير تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير

وجعل فى المعجم علما لكن فى القاموس ان لفظ علم له ولم يعده فى المعجم كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر (ان بعض العلماء رحمهم الله تعالى تأول قوله عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) والحديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجئ والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجات والمعارف وكشف الاسرار (اى فى صلاة الله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته وادره الاية بذلك الى يوم القيامة) ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة فى الاية وذكره لتأويله بالمذكور اوالدعاء ودوامه الى يوم القيمة بدوام امته ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لتعدم التكليف فى الآخرة والمراد بالقيمة معناها المعروف اوخراب الدنيا وكون الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لاندراج كل فضيلة فيه والآية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عليه الصلوة والسلام (والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء) وفى نسخة من الملائكة استغفار ومنا دعاء وهو الذى اشتهر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وما فى هذه النسخة سيأتى وهما مشتركان فى انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سيأتى تحقيقه والمراد من قوله منا بنى آدم كالمكلفين كما قيل (ومن الله رحمة) انعام ولطف اوثناء وتعظيم (وقيل) معنى (يصلون يباركون) اى يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو والخير الكثير اوالدائم من برك البعير اومن بركة الماء كما حققه فى الكشف واشار بقوله (و) قد (فرق) بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعانى والمشدد بالاجسام كما قاله القراء فى اى ميز وفصل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) بتشديد اللام اصحابه رضى الله تعالى عنهم (بين لفظ الصلوة والبركة) فى حديث قد امرنا ان نصلى عليك فكيف نصلى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اوحيث عطف احدهما على الآخر فى حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافى تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسيأتى تتمة هذا (وسنذكر حكم الصلوة عليه) من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين) والمراد التأبيد اى الى يوم القيمة لظهور امر الدين فيه او الجزاء عليه او خضوع كل احد له فالغاية غير مرادة وقيل هى للكثرة كقوله ملأ السموات

والارض (وذكر بعض المتكلمين) اى المفسرين بدليل قوله (فى تفسير حروف كهيعص) والجار والمجرور متعلق بذكر او بالمتكلمين وليس المراد به المتسمين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبة هنا (ان الكاف من كاف) اى حرف من اسمه تعالى الكافى ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده مع انه المناسب لتفسيره بقوله (اى كفاية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وعبارته لاتخلو من اضطراب فانه اكتفاء بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها واما من كاف الذى هو اسم له اومن الكفاية التى هى صفته وماقيل انه ميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من الهادى ونحوه وهو المراد بالاكتفاء الاول اوانه اراد الاشارة الى ماوقع فى القرأن والذى فيه فى الاول اسم الله وفى الثانى نسبة الصفة الى الله فذكر على نهج ماورد (اقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحته الميزاب اما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لاداعى له وهو غير صحيح فى الصاد التى هى اشارة الى الصاد من مصلى اوصلوته عليه الاتى اذ ليس من اسمائه المصلى واما الثانى فغفلة عن قوله فسيكفيكهم الله ونحوه والذى يظهر انه اراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لامطلقا وانه لماذكره اولا باسم من اسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه اهمها واعمها فسره بماذكره لئلا يتوهم جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سيأتى وان المراد اثبات معناه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا انه منادى ولانه مقتضى ماعقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى انه كاف له عما سواه كقوله تعالى * يا ايها النبى حسبك الله * واليه اشار بقوله اى كفاية الله كائنة منه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكت عن الباقى لظهوره فالحروف منتزعة من صفات مشتقة لامن مبادى اسمها كما توهم ولايشترط فى الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا مروى فى بعض التفاسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومثله لايقال بالرأى فقول بعض الشراح ان هذا لاينبغى فان الحروف لاتدل على غير مسماها ولولم تكن الكاف من كريم اوكبير وهذا من بدع التفاسير كما فى الكشاف وفى هذه الحروف اقوال اخر احدها انه من المتشابه الذى لايعلمه الاالله وقيل انها اسما للسور اوالقرأن فيه نظر والعجب انه بعد ماانكر ماهنا نقل قولا بانها اسما لله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل علما الحرف لها خواص كما فى حيوة الحيوان منها ان من خاف سلطانا اوظالما عقد اصابع يده اليمنى بكهيعص يبدؤ بابهامها واليسرى بحمعسق يبدؤ بخنصرها ثم يقرؤ فى نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة اصبعا من اصابعه المعقودة يأمن شره قال وهو عجيب مجرب انتهى (قال) الله فى كتابه الكريم (اليس الله بكاف عبده) فسر عبده بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قوى عباده فيدخل النبى بالطريق الاولى والاستفهام انكارى للمبالغة فى اثبات

الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من العباد كيف لايكفيه صلى الله تعالى عليه وسلم (والهاء هدايته له) لم يقل من هدايته لانه يعين ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له وماقيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لاوجه له وكذا ماقيل انه بتقدير مبتدأ ومضاف اى الكاف والهاء رمز كفاية والكاف من كفايته لامن كاف فيتدافع كلاماه والجواب بانها اذا كانت رمز الكاف كانت رمز الكفاية فى ضمنه (ويهديك صراطا مستقيما) من الدين الاكمل والصلاح او يعينك على ذلك وقيل يهدى بك (والياء تأييده له قال الله تعالى (وايدك بنصره) التلاوة ليس فيها واو والضمير فى تأييده لله وفى له للرسول صلى الله عليه وسلم وفى نسخة تأييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والتأييد التقوية والاعانة على اعدائه وبالادلة والمعجزات والملائكة ونصره على اعدائه وفى اللباب لم يروا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الثانى ووجه بانه لم يأت فى اسماء الله ما اوله ياء وقد علمت ان حرف الرمز لايلزم ان يكون اولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله واما قوله والسموات مطويات بيمينه فلاشاهد فيه والاضافة تأباه وعندى ان هذا مما لاينبغى ذكره (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد من لايخلف الميعاد وقد كان له صلى الله تعالى عليه وسلم حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسنى والقول بان معنى الاية انه يحفظه عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم مصونا عنها كما سيأتى وفى زاد المسير فان قلت كيف ضمان العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ فى اذاه قلت انما عصم صلى الله تعالى عليه وسلم عن القتل والاسر لاعن عوارض الاذى اوهذه الاية نزلت بعد ماجرى عليه لان المائدة من آخر ما نزل كما فى الشرح الجديد ويأتى له مزيد بيان (اقول هذا بناء على ان هذه الاية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين الامام الخيضرى فى خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ماحاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من اول امره الى اخره واستدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا بالمدينة وكون هذه الاية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده مارواه ابن ابى حاتم فى تفسيره عن جابر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه ابوطالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب ليبعث معه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ياعم ان الله قد عصمنى لا حاجة الى من يبعث وروى مثله الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفيه انه قال لابى طالب ان الله

قدعصمني من الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الاية نزلت بمكة فى اول الامر وفى الصحيحين عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ارق رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة اذا سمعنا صوت السلاح فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا قال انا سعد بن ابى وقاص جئت لاحرسك فنام صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمع غطيطه وروى الترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله قال الترمذى وهو حديث غريب رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفى سنده من هو ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم رحمه الله تعالى وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة لان عايشة رضى الله تعالى عنها اخبرت عن مشاهدة وهى لم تكن معه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات ومافى الصحيح اولى لكنا نلتزم تأخير نزول الآية بالمدينة وندعى ان وجوب الانكار عليه كان داخلا فى عموم التشريع ثم انهم لم يبينوا ما المراد بالخوف هل هو من القتل اواعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه اصحابه فى الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وامر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة معانا ندعى انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره فان قلت اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ان الله عصمه من اعدائه وامنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذا خرج من مكة وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الآية قلت كان ذلك تشريعا لامته ليقتدوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ليس من خصائصه مع ان فى ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه فى الغار خوفا على الصديق رضى الله تعالى عنه لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لاتحزن فاعلم ابابكر به فقر خاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لايحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهرا لظن انه لحماية بعد قومه فاريد ان لايكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده من اهله واظهارا اعتماده على اصحابه وامانتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء ويظهر ان عنده عدة وسلاحا لظن بعض الكفار انهم فقراء تحدثا بنعمة الله واما كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشجه فبيانا لما فطره الله عليه من العدل لعلم الله انه يصيب المؤمنين باحد مصاب عظيم فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشاركا لهم فى ذلك ليحصل اجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام لها معنيان احدهما حفظه من الناس بما ذكر والثانى صونه عن ارتكاب الذنوب كما سيأتى فان قلت هل يجوز طلب العصمة بالمعنى لاحد غير النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم قلت قال شيخ والدى ابن حجر الهيتمى فى شرح العباب اختلف الفقهاء فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعى نسأل الله تعالى العصمة وقال الشاذلى فى حزب البحر اسئلك العصمة فى الحركات والسكنات وفى حديث اخرجه النسائى ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته والحق ما قاله بعض المتأخرين انه ان قصد التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه سؤال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فهذا لابأس به انتهى وفيه نظر فى حالة الاطلاق وان شيخنا ابن قاسم بعد نقله لذلك واستوجاهه له قال ويبقى الكلام فى حالة الاطلاق والمتجه عندى الجواز لعدم تعينه للمحذور واحتماله الوجه الجائز فى كلام مشايخ الصوفية كما مر انه يقال فى النبى معصوم وفى غيره محفوظ وكأنه تأدب منهم (والصلوة صلاته عليه قال الله تعالى * ان الله وملائكته يصلون على النبى) قيل المراد الاخبار عن هذه الامور والقسم بهذه الصفات وهذا التفسير وامثاله لبس على الحتم ولا احتمال محض فاقيل من انه غير واجب التسليم لاطائل تحته فتأمل (وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله مولاه اى وليه) تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى تعاونا وتناصرا والخطاب لعايشة وحفصة اما المؤمنين رضى الله تعالى عنهما على الاصح اوعايشة وسودة اما المؤمنين رضى الله تعالى عنهما اى اتفقتا فى امر يسوؤه عن افشاء السر اوشدة غير النساء او امر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه (الآية) اى اقرأها التتم بقوله تعالى * وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * والولى والمولى المعين والناصر وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر اى لامولى له حقيقة سواه وماذكر بعده وان كان لايعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا لقلبه واظهارا للفضل والشرف وجبريل مبتدأ وظهير خبر عنه وما بينهما عطف عليه اوهو وصالح عطف على الله والملائكة مبتدأ خبره ظهير وافرده بجعل من ذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد اولانه اسم جمع كطفلا فى قوله يخرجكم طفلا اولان فعيلا قد يقع للواحد وغيره كما فى قوله * ان العواذل ليس لى بامير * ويترتب على ذلك الوقف على مولاه او المؤمنين اوظهير وقد اختار كل واحد منها جماعة من القراء والوجه الاول وذلك اشارة للتنصر والتظاهر اولله وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على حفصة رضى الله تعالى عنها فى نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لمارية جاريته فأتته فواقعها فلما رجعت حفصة رضى الله تعالى عنها علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت امالى حرمة عندك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف ان لايقربها واخبرها ان الخليفة بعده ابوها وابو عايشة وقال لها لاتخبرى

احدا بهذه القصة فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من عندها اخبرت عايشة بالقصة وقالت اراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادفة وتظاهر فانزل الله هذه الآية اى ان تتوبا الى الله * من ايذائه وحب مايكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فى جنس التأويل دون تخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء اوفيما نحن فيه محقق له ضرورة ان التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى هذا التأويل (وصالح المؤمنين قيل الانبياء عليهم الصلوة والسلام) هذا مروى عن قتادة فان قلت الصلاح انما يوصف به احاد الامة دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت لمافطن بهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكانه قيل الصلاح صفة عظيمة فى نفسها لانها مما يوصف بها الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا كما قال حسان رضى الله تعالى عنه * ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لكن مدحت مقالتى بمحمد * وخالفهم السبكى رحمه الله تعالى فى فتاويه فقال الصلاح من ابلغ الصفات واذا اردت معرفة ذلك فانظر الحديث فى مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى آخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت فى ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهى صفة ذاتية تفضل الله بها وماسواها من النبوة والرسالة وغيرهما ناشئ عنها فلذا كانت اعظم الصفات وقوله من قال الصالح من قام بحق الله تعالى وحق العباد كلام اجمالى لازم له وانما السر فى المعنى الذى ابتنى عليه ذلك وهى صفة حقيقية اودعها الله تعالى فى العبد بها تنال سعادة الدارين وصلاح كل احد بحسب صلاح حاله فاعظم اصلاح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى (وقيل الملائكة) رواه القرطبى عن ابى زيد قال السيد عيسى رحمه الله هذا بعيد والعطف للتفسير او للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك ان تقول المراد خواص الملائكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملائكة بعده بقيتهم اوجميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتفسيره عنه بصالح المؤمنين قرينة على ذلك ظاهرة وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملائكة فانه اخفى مما استبعده اذ مقتضى الظاهر ان يقول جبريل والملائكة وصالح المؤمنين (وقيل ابو بكر وعمر) رواه القرطبى والثعلبى عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان رضى الله تعالى عنه ووجه التخصيص على الاول انهما ابوا زوجتيه اللتين اسر لهما ما مر فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعنى انهما وان تظاهرا فابواهما واشفق الناس عليهما لامعهما وهذا كما علمت تفسير منقول عن النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذكر وكذا رواه ابن مسعود رضى الله عنه وقيل هم الصحابة

وقيل الخلفاء وصالح المؤمنين يحتمل ان يكون مفردا فى معنى الجمع لعموم الاضافة اواسم جمع كحاضر وسامر او جمع مذكر سالم تقديره صالحوا المؤمنين حذفت واوه لالتقاء الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لما فى الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هم المؤمنون على ان الاضافة بيانية اوالصالح منهم الاصلح الذين تولاهم الله واعانهم فتولوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصروه (وقيل على) كرم الله وجهه وفى نسخة (رضى الله تعالى عنهم اجمعين) وهذا التفسير رواه ايضا القرطبى والثعلبى عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا (وقيل المؤمنون) كلهم بناء (على ظاهره) المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازى والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذى هو من مقاصد هذا الفصل

❊ الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ❊

تقدم الكلام فى تطبيق التراجم والكرامة ما اكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة والفرق بينها وبين المعجزة سيأتى والفتح اصله ازالة الغلق فى المحسوسات ثم استعير لتيسير الامور معنوية كانت اوحسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا لاينافى كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدنى ما نزل بعد الهجرة على احد الاقوال وقيل لاخلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديث بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفى سبب نزولها قولان احدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم نزلت وعدا له صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضى على عادة الله عز وجل فى اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان علمه ما لا يخفى وهذا هو مشهور والثانى انه كما رواه عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم قالت اليهود كيف نتبع ما لا يدرى ما يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت بيانا لما يؤول اليه امره فى الدنيا والاخرة (قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم) تقدم ان الفتح ازالة الغلق والاشكال حسيا كان اومعنويا والمراد من الغلق النصر على العدو وقيل المراد ما فتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التى هى سبب لنيل اعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا اعقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسماعهم كلاما استمالتهم حتى كان سببا للاسلام كثير منهم وسألوهم

الصلح والامان وروى احمد باسناد قوى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال اوفتح هذا يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو اعظم الفتوح وقال الفراء الفتح قد يكون صلحا وقد كان الصلح مع المشركين متعذرا ففتحه الله وعن انس رضى الله عنه انه فتح مكة وقيل خيبر قيل وليت شعرى لم قدمه القاضى قلت قدمه لانه المعنى الحقيقى للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التى اشار اليها وان حمل الفتح على المقدر اومعنى شامل للماضى والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر (تضمنت هذه الايات) اى وقع فى ضمنها اودلت (من فضله) اى فضل الله وانعامه اوفضيلة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والثناء عليه وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه) اى نعمة الله لدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (مايقصر الوصف) بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مد ونحوه ليتوصل به اليه فلم يف به لكثرته او بعده فلذا قال (عن الانتهاء اليه) اى بلوغه اوالوصول لنهايته لعذر تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه (فابتدأ جل جلاله) السورة (باعلامه بما قضاه له) اعلام مصدر مضاف لفاعله اى الله اومفعوله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فيه اشارة الى ان الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهى القضاء كما فى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم ومنه الفتاح للقاضى والقضاء الحكم الازلى اوالكتابة فى اللوح اوالقدر والاظهار للعيان (من القضاء المبين) اى المقضى الظاهر الذى لايشتبه (بظهوره وغلبته على عدوه) الظاهر تعلقه بالمبين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدل من بما قضاه اى اعلمه بظهوره كل الظهور وبينه اكمل تبين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار اومشركوا مكة (وعلو كلمته) المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة اتى بها صلى الله عليه وسلم وامر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها بما اسقط ماعداها من درجة الاعتبار اوالمراد كل ما اتى به من امر ونهى وغيره وعلى الاول اضافها اليه لانه الذى اصدرها وشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة وايثار الكلمة على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى (وشريعته) علوها بالانقياد لها واجراء احكامها وتذليل من انكرها بالجزية وغيرها ونسخ ماعداها من الشرائع وليس فى كلام المصنف رحمه الله مايقتضى كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضاء حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكانه مال الى التعميم الشامل لما وقع وما سيقع (وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان ومايكون) اى اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مغفور له الى آخره بقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر والمغفرة من الغفر وهو الستر والعفو متقارب كامر والمؤاخذ من الاخذ

قال فى المصباح اخذه بذنب عاقبه عليه وآخذه بالمد مؤاخذة والامر منه أؤخذ به بعد الهمزة وتبدل واوا فى لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة كذلك وقرئ به فى السبعة والامر منه واخذ انتهى فعبارة المصنف رحمه الله تعالى بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مايقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة لعلى مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تأخر بعدها من الصغائر فهو مبنى على تجويزها على الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن لم يجوزها قال انه للمبالغة كما يقال اعطى من يراه ومن لم يره وهو الذى ندين الله به ونعتقده (قال بعضهم اراد غفران ماوقع ومالم يقع) اى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى * لعلك باخع نفسك * وعبس وتولى ان جاءه الاعمى * او انه لو وقع منك ذنب اى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سنح لى معنى بديع وهو ان العبد لايأتى بما يليق بجلال كبرياء ربه ولذا قيل سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازى مبالغة فى التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بعد عبادته عبادة لايقة بجلالته واى مرتبة فوق هذه المرتبة ولايبعد عد مثله قصور التشريف فانه تعالى لكمال حكمته جعل اعمالا لخلقها بقدرته ذنوبا ممن هو مضطر فى صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه قول التجانى الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار محبته لو كان لك ذنب قديم اوحديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة (اقول قد سنح لى ماهو احسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضى لعدم الرؤية اريد منه لازمه وهو انه لاذنب لك يرى اى لاذنب لك اصلا اذ لو كان يرى على نهج قوله ولاترى الضب بها ينجحر ويؤيده ان المتأخر لاوجود له وقد سوى بين المتقدم والمتأخر ففيه اشارة الى انتفائهما كما فى قوله تعالى * اذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون * ولما كان التقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتأخر ماقبل النبوة وما بعدها اوماقبل الفتح وبعده اوقبل نزول الآية (اى انك مغفور لك) كانه اراد بتفسيره هذا ان التقدم والتأخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها (وقال مكى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (جعل الله المنة سببا للمغفرة) اختلف اهل المعقول والمنقول فى الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه اكثر عباراتهم فالسبب مايتوصل به والعلة مايدور على التأثير فى امر آخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله تعالى * فبظلم من الذين هادوا حرمنا * وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما اهل الشرع فعندهم السبب

والعلة تشتركان فى ترتب الامر عليهما و يفترقان بان السبب ما يحصل الشىء عنده والعلة ما يحصل به فلذا قال الشاعر * الم تران الشىء للشىء علة * يكون به كالنار تقدح للزند * واختار السمعانى ان السبب الموصل للشىء مع جواز المفارقة بينهما ولا اثر له فيه ولا فى تحصيله كالحبل للماء والعلة ما يتأثر الشىء عنه بغير واسطة ويعبر عنهما بالباعث وقد تحل اللام محلها كما فى القواعد للسبكى ووقع الخلاف فى افعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة ام لا فالمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجانى ولم يذكروا ذلك فى السببية فعدول المصنف رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكورة فى التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع فى الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان او النعمة التى هى الفتح اوقضاؤه ولما كان الفتح ناشيا من جهده اوسعيه مع ما يترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما يترتب على فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا له عرفا وشرعا فيثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على يدك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الا ان يقال انه عد فعلا له وابرزه فى صورة يستفاد منها انه فعله تعالى كما هو فى نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الى آخره كما فى قوله تعالى * اذا جاء نصر الله والفتح * الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة ويحتمل كلام مكى على السبب والعلة المجازية لانها مستعارة لما يشبه التعليل كما صرح به الزمخشرى وصاحب المغنى فيقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت بالداعى بناء على ان افعاله لا تعلل بالاغراض وان اريد بالفتح القضاء فباعتبار ان المقضى فعله كانه قال قضينا مترتبة على فعلك لتثاب وقيل المعنى ليجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره فى الكشاف وفى شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه فى حواشى البيضاوى (اقول ما اورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل فى نفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد وسيأتى الكلام عليه فى الآية الآتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة ظاهرة وهو الذى بنى عليه القائل كلامه واليه اشار بقوله (وكل منهما) اى من المنة والمغفرة حاصل (من عنده لا اله غيره) فهو الذى سبب السبب وهداه له واقدره عليه وفى نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتأثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفى الملزوم لينتفى لازمه المساوى فهل من خالق غير الله ولذا جعل احد الفعلين سببا للآخر لترتبه من غير تأثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه (منة) بالمغفرة او بالفتح (بعد منة) بخلق

السبب فيه وتيسيره عليه (وفضل بعد فضل) اى تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن كما قاله الجوهرى (ثم قال ويتم نعمته عليك) عطف على قوله قال اولا ولا حاجة لتفسيره باقول ثم اقول وعطفه بثم باعتبار آخر ماذكر اى ذكر هذه الآيات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك قراءت قل هو الله احد ويراد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الاتى فاعلمه الى آخره المعطوف على قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يف ماذكر بما فسره واقتصر على ماذكر لما اعترض بما يتضمن الخلاف فى معناه الذى اشار اليه بقوله (قيل) فى تفسيره (بخضوع من تكبر عليك لك) والجار الاول متعلق بتكبر والثانى بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد التكبر والتعظم (وقيل بفتح مكة والطائف) واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان به بلاد ثقيف سمى به لانها طافت على الماء فى الطوفان اولان جبريل عليه الصلاة والسلام طاف بها على البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اولغير ذلك مما فى القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرمانى باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم انسب بيتم النعمة والمقام الا ان يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل ايضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان (وقيل يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفرلك) الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح فى النسخ المقروءة على وكذا المصنف رحمهما الله تعالى وما فى المقتفى من ان يرفع بالباء الجارة لمصدر المضاف لمذكر فيه ركاكة ومخالفة للرواية وخص الدنيا لان المذكور فى الآية فى احوالها وان كان ذكره مرفوع اى مشهور فى الدنيا والآخرة فلا حاجة لتقدير والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا ان يكون صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد فى الحديث الآتى من ان الله خيره بين ان يكون عبدا نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سيأتى وما قيل من ان النصر وما بعده روى مصدرين مجرورين مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفرلك بغفرك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر فى النظم والافعال على المختار هنا مرفوعة وفى الآية منصوبة فما وجه العدول قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من اوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية ما فى القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة

ذكره والنداء به وغاية النصرة له على اعدائه واقربهم اليه وفيه من السعي مايقتضى
المغفرة ومن هنا علم وجه آخر فى كلامه وهو ان يكون ماذكره اولا توطئة لتفسير
يتم ومابعده مفرع عليه لاتفسيرله فاقيل فى الجواب عما ذكر ان فى الآية تعميما
وتخصيصا والمراد بالاتمام جميع النعم فعدفيه ماذكر واستبعاده بانه يقتضى اعادته
فى قوله الآتى فاعلمه ثم قال المراد بالغفران ثوابه فى الآخرة كما فى المعالم وهوتفسير
لقوله يهديك ولذا قدم النصرلتقدم وجوده تعسف بغيرفائدة وكذا ماقيل
من انه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل مأخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدى
واصله بان يرفع الى آخره فحذف الباء وان ورفعه اشارة الى ان فتح الله له للهداية
والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالاخيرين ورفع الذكر ولوكان عين مضمونه
كان تعميما بعد التخصيص ومثله كثير فى الكلام البليغ وهذا مع تناقضه
تكلف بمالاحاجة اليه ولولاظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدى خيرمن ان تراه
(فاعلمه) فى الفاء وجهان سمعتهما آنفا (بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه له)
مران الخضوع والتذلل والانقياد ومتكبرى جمع حذفت نونه للاضافة ومران العدو
يكون بمعنى المفرد والجمع كما فى قوله تعالى فان كان من قوم عدولكم فالمعنى المتكبرين
من اعداء الله واعداؤه المتكبرون وهم صناديد قريش كابى سفيان والمغيرة بن شعبة
(وفتح اهم البلاد عليه واجهاله) يعنى مكة واهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة
اوالحزن ويقال منهما اهم واهم والمهم مايلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال
فقلت له هاتيك نعمى اتمها * ولاتبتئس ان المهم المقدم * فالمعنى ان فتحها
مطلوب له صلى الله عليه وسلم مقدم على جميع الفتوح عنده لانها كانت مأوى
المشركين وسادة العرب وجميع العرب ينظرون اسلامهم وفتحها فاذاتم ذلك اسلموا
فلذا دخلوا بعدها افواجا افواجا فى الاسلام ولانهم اخرجوه صلى الله عليه وسلم
والمسلمين منها فكان عودهم لها اقوى فى اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها رغما
على انفهم وايضا هى القبلة ومعبد الانبياء عليهم الصلوة والسلام فتطهيرها من
الشرك والاصنام من اعظم المهمات ووقع ملحقا فى بعض النسخ اسنى بسين مهملة
ونون مقصورا امامن السناء بمعنى الرفعة والشرف اومن السناء بمعنى الضوء والمراد
اظهروعلى هذا فهى بدل اهم ويحتمل على بعد ان يجمع معهااى اسنى اهم البلاد
نحو زيداعمل اعلم العلماء وعداه بعلى لمافيه من الصعوبة او الوجوب وهى احب
البلاد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث انك لاحب ارض الله الى
لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة
حتى يرد على المصنف انه مخالف لمذهبه كما سيأتى كما فى بعض الشروح لانه قديكون
فى المفضول ماليس فى الفاضل وفى بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح
كلهم ان النسختين بمعنى وهو مخالف لماقاله النحاة ان فعل التعجب وافعل التفضيل ا

اذا اخذا مما يفهم حبا او بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فتقول
ما احبنى اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما احبنى له اليه اذا كنت تحبه وهذه
المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلنا فى السوانح فالظاهر هنا الى ان اللام
محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهوخلاف الظاهر وماقيل من ان قوله فاعلمه الى
آخره من قبيل الحال البديعى تكلف (ورفع ذكره) بالجر اى ويرفع ذكره السابق
واعترض عليه بانه لاقائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام بهذا
المجموع عند احد وان سلم صحته فلايصح تفريعه على الخلاف الاان تكون الواو
بمعنى او ويراد اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع
لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على مافهم من الاول
ولاتخصص فاللائق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا (وهدايته)
بالجر معطوف على التمام او الخضوع اشارة الى ان ماذكر من التمام (الصراط المستقيم)
وفى نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام وبالى (المبلغ) بتشديد اللام
المكسورة (الى الجنة والسعادة) فى الدارين او السعادة الكاملة فى الآخرة اى اعلمه
بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب
او بتبليغ الصراط المعهود وقال البيضاوى صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة
مراسيم الرياسة ولاوجه للتخصيص بهما لايقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه
لان التعميم افيد وابلغ وماذكر يندرج تحت العموم اندراجا اوليا فالاولى مافى المدارك
من قوله تثبتك على الدين المرضى فاندرجا فيه مع امور اخر من وظائف العبودية
والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على الفتح دون اصل الهداية
فانها حاصلة له قبله (ونصره النصر العزيز) بالجر مصدر والنصر مفعول مطلق له
او بدل منه والعزيز المعز لصاحبه اوجعله عزيزا فى نفسه لوصفه بوصف
صاحبه اوالمراد انه تفسير قليل النظير لاذل بعده او الغالب من قولهم فى المثل
من عزبز قبل ليس قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على مابه تمام النعمة لان من
جعل النصر منه جعل المغفرة منه ايضا فلو وافقه المصنف رحمه الله تعالى لذكرها
مع النصر ولومع زيادة ذكر الهداية اذ لاوجه لتبديلها بها كما لاوجه لكون
وهدايته عطفا على ما به وقع اعلامه وكون ونصره عطفا على ما به تمام النعمة
لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها (ومنته) اى اعلمه بنعمته (على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة) عطف تفسيرى لان السكينة لها معان منها الطمانينة
والطمانينة مصدر اواسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بمايشرحه ويزيل رعبه
(التى جعلها فى قلوبهم) يشير بذلك لقوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب
المؤمنين يعنى ما كان فى صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم يزعج

قلوبهم بعد ما كادت تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه علام نعطى الدنية فى ديننا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعنى فاوقع الله عز وجل الرضاء فى قلوب المؤمنين فسلموا واطاعوه وهذه نعمة اخرى مختصة بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله تعالى عليه وسلم زادتهم ايمانا بحقية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة فى اليقين من نور اودعه الله فى قلوبهم به يعرف الصواب وسيأتى تفصيله فى الباب الثانى (وبشارتهم بمالهم بعد) ظرف مبنى على الضم اى تبشير المؤمنين بمالهم بعد ذلك او بعد الحيوة الدنيا من النعيم المخلد فى الجنة بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الى آخره وفى نسخة عند ربهم واللام فى قوله ليدخل علة لما يستنبط من السياق من اول السورة الى هنا واليه اشار فى الكشاف بقوله وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوى فى التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله تعالى * ولله جنود السموات والارض * من معنى التدبير اى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختاره لقرب ما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه وهو علة لانزل وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضى انما عدل عنه لايهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف لانه مستأنف لانه نزل جوابا لقولهم هنيئا لك فالنا فانزل الله ذلك اوللاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا تسعه هذا المقام (وفوزهم العظيم) الفوز النجاة والظفر بالخير يعنى بذلك قوله تعالى * وكان ذلك عند الله فوزا عظيما * وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال (والعفو عنهم والستر لذنوبهم) فى قوله ويكفر عنهم سيئاتهم مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقة لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمى الليل كافرا لستره ظلمته وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى فى طول ليل الهجر * لى فيك اجر مجاهد * ان صح ان الليل كافر * وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقص وهو لا يظهر الا فى الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ثانى الامرين وان قرب لفظا لبعده درجة بالنسبة لعدمه اولهما ثابتا ويل ماذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصى من الشئ والثانى تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملايم لقوله تعالى * فمن زحزح عن النار

وادخل الجنة فقد فاز * وفيه نظر وقدم المصنف رحمه الله تعالى الفوز مع تأخره فى النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول واشار بالبعيد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف مع العفو وهو بمعنى انيق لم يذكروه (قلت لم يذكروه لما فيه لان الدخول بغير عفو لا يصح (وهلاك عدوه) اى اعلمه الله تعالى بهلاك اعدائه بقوله تعالى * ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء * اى يعذب اهل النفاق والشرك كما يعم المؤمنين لظنهم بالله ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والمراد بالعذاب المذكور العذاب (فى الدنيا) بالقتل والجزى ونحوه (والآخرة) بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله تعالى عليهم دائرة السوء اى يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين (ولعنهم) اصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله (وبعدهم من رحمته) اى اعلمهم بلعنهم وبعدهم بقوله تعالى * وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا اى انتقم الله تعالى منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التى هى اسوء مقر لهم (وسوء منقلبهم) بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبى مصدر بمعنى الانقلاب والاول اولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لذكر غضبه المذكور فى الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره لان الاطناب فى الايعاد ابلغ مع ما فيه من الاشارة الى ان عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناشئ من الغضب عليهم (بما قال) متعلق باعلمه وفى نسخة ثم قال (تبارك وتعالى * انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * الآية) احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم والآية بالنصب اى اقرأ الآية متمما لها بقوله تعالى * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا * وهذا مبنى على انها آية واحدة لا اثنان لانه ربط لتؤمنوا بانا ارسلناك بحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه الا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين * آية تامة مع ربط قوله وبالليل به (فعدد محاسنه) الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على المجمل (وخصائصه) فضائله التى اختص بها اختصاصا حقيقيا اونسبيا (من شهادته على امته لنفسه) شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله تعالى * ومبشرا ونذيرا * بتقدير وكونه مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر (بتبليغ الرسالة لهم) لا حاجة لتأويله باليهم لتعديه باللام (وقيل شاهدا لهم بالتوحيد) فالمراد بالامة المؤمنون وفيه كلام تقدم وفى بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى اممهم بالجحد فعممه وهو افيد (ومبشرا لامته

بالثواب قيل انه معطوف على شهادته بتأويل كونه شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار (وقيل بالمغفرة) والنجاة من النار والعفو فى الجملة فيشمل الكل (ومنذرا عدوه بالعذاب) اى منذرا اعداءه الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد تعم كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا وكافرا والتبشير لكل من اطاع مؤمنا وكافرا فان للكافر تبشيرا معلقا لقوله تعالى * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * وهذا يختلف باختلاف المقامات ولذا قيل فى قوله تعالى * وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا * انه على ظاهره من غير توزيع وان احتمله (وقيل) فى تفسيره قوله نذيرا (محذرا من الضلال) قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن قوله تعالى (ليؤمن بالله ثم به صلى الله تعالى عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى) يأباه الا ان يفسر بثبت ويدوم او يزداد ويرقى فى ايمانه ولا حاجة اليه والتراخى زمانى ويجوز ان يكون رتبيا او اعم منهما والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة فى الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا انسب بما هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة فى علمه الازلى ومن عبارة عن القوم روعى لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله اى برسالته وبما جاء به وقرأ بالخطاب والغيبة وفيه وبما بعده من قوله ويعذروه الى آخره والخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم وللامة لانه كما يجب على الامة الايمان بالله وبه صلى الله تعالى عليه وسلم يجب عليه ذلك اولهم ففيه التفات او ينزل خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة خطابهم (وتعزروه) براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة فى القراءة (اى تجلونه) كذا فى النسخ بالنون مع ان المفسر لانون فيه وينبغى حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما فسرته وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تأكيدا وقد فسر التعزير فى اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسير به ليكون تأسيسا فقوله (وقيل ينصرونه) ينبغى تقديمه لا تأخيره وتمريضه لاسيما وقد ذكر الثعلبى فى تفسيره ان هذا التفسير روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى تجلوه وتنصروه بلا نون (وقيل تبالغون فى تعظيمه) وجه تمريضه انه كان ينبغى تأخيره عن توقروه على هذا وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة اشعار بان الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتناء واما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون عظمته بعيد (وتوقروه اى تعظموه) روى بنون وبغير نون (وقرأه بعضهم) هو ابن الجحدرى (تعززوه بزائين من العز) من العز خبر قرأه وقوله بزائين بهمزة او ياء بعد الالف كما قال التلمسانى لان

فى اسم المعجمة ثلاث لغات زاء بالمد والهمز وزاى بالياء وزى بزنة كى وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم او تسمح منه (والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى انهم اختلفوا فى هذه الضمائر هل كلها لله او للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك الضمائر او بعضها لله وبعضها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اسبق ذكرهما فاختار الزمخشرى وتبعه القاضى الاول لتعينه فى يسبحوه وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف رحمه الله تعالى عود ضمير يعزروه ويوقروه فقط للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للقرينة المعنوية التى تدفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان فى حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القرآن وقد رجعت هذه الضمائر له فى آية الاعراف فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصر له واما التوقير فلا اشكال فيه لقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال فى التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتأديب لا يدفع الاظهرية الموافقة لما دل عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القرائن كثير فى كلامهم والاكثر مبتدأ والاظهر معطوف عليه وان هذا الى آخره خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر على التابع وتغليب المتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدأ ما بعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة (ثم قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى) اشار بثم الدالة على التراخى اما عليه اهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فعين رجوع هذا الضمير كما فى نظيره السابق لله قال الزمخشرى يسبحوه من التسبيح او من السبحة وهى الصلوة وفيه على هذا حذف وايصال كما اشار اليه القاضى رحمه الله تعالى بقوله فى تفسيره تنزهوه او تصلوا له (قال ابن عطاء) الذى تقدمت ترجمته (جمع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة) اى متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقد لها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا (من الفتح المبين) الظاهر فى نفسه المظهر لدينه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو من اعلام) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى امارة ودليل (الاجابة) اى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر الذى سبق منه فى مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله اراد انه تعالى اجابه وبخزاه كل ما يرجوه منه فان فتح مكة اعظم مطالبه واجل نعمه ولذا يقول الملبى اعز عبده وانجز وعده (والمغفرة وهى من اعلام المحبة)

فيه اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما يقول لمن يحبه كل ما يصدر منك مغفور لدى وكل ما يفعل المحبوب محبوب (وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص) اى هو دليل على انه تعالى جعله من خواص انبيائه عليهم السلام لانعامه عليه بما لم ينله غيره كما قال الله تعالى يختص برحمته من يشاء (والهداية وهى من اعلام الولاية) اى ان الله تعالى تولى اموره اذ هداه الى الطريق الموصل الى قربه والولاية بكسر الواو وفتحها كما مر النصر والتأييد فهدايته اماليه وهى علامة لتوليه اموره من التبليغ وغيره وتثبيته عليه المؤدى لنصرته كما قال الله تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم فرع عليه قوله (فالمغفرة تبرئة من العيوب) اى هى كناية عن شدة محبته له وهو لا يحب الا من كان كامل الخلق والخلق مبرأ مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة تكرمة مصدر مهموز من البراءة او بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله الحلبى رحمه الله تعالى وفى بعض النسخ تنزيه بزاء المعجمة مصدر من النزاهة بمعنى انه تعالى اولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه العالى قيل فيكون فى مقام التجلى ويبلغه تمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكره المصنف يترتب عليها التجلى بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيما ذكر لا لظهوره فتدبر وتمام النعمة (ابلاغ الدرجة الكاملة) غير المشاهدة فانجح مطلوبه ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيئة لمشاهدته وتدعوه لها كما اشار اليه بقوله (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) لما مر من ان المشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات الجلية لا ما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضاء المتقدم تعسف لا يفيد (وقال جعفر بن محمد) الصادق الذى تقدمت ترجمته فى تفسير هذه الآية (من تمام نعمته عليه) اى من اتمام نعمه التى انعم بها عليه (ان جعله حبيبه) اى اصطفاه وخصه واكرمه اكرام الحبيب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر (واقسم بحياته) فى قوله لعمرك على احد الاقوال المتقدمة (ونسخ به) اى بشرعه (شرايع غيره) جميعها او مجموعها فلم تبق شريعة احد بكمالها وان بقى بعض منها ولا بأس بابقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشئ من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له صلى الله عليه وسلم بتقريره له (وعرج به) بالبناء للمجهول والتخفيف اى اعرجه ورفعه بناء على انه لا يلزم مصاحبة الفاعل ان لم يكن التقدير عرج جبريل عليه الصلوة والسلام به وقيل عرج به بمعنى صعد به لا اصعده وفى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى اصعده كذهب الله بنورهم اى اذهبه فلا كلام فيه والا فهو كبنى الامير المدينة اى امر جبريل بالعروج به عليه الصلوة والسلام (الى المحل الاعلى) الجنة او العرش او ما فوقه او ما فوق العالم كما حكاه التفتازانى

(وحفظه فى المعراج) اى فى ليلة المعراج او فى عروجه او فى مصعده كما سيأتى (حتى ما زاغ البصر وما طغى) تقدم تفسيره (وبعثه) ارسله صلى الله عليه وسلم (الى الاحمر والاسود) جميع الخلق كما تقدم وسيأتى تفصيله (واحل له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته الغنايم) التصرف فيها كما تقدم (وجعله شفيعا) اى اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشفاعة وخصه ولقبه بها (مشفعا) مقبول الشفاعة (وسيد ولد آدم) بل سيد الاولين والآخرين وجميع العالمين كما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وقرن ذكره بذكره) فى التشهد والاذان وفى مواضع تزيد على عشرين فى القرآن وهو معنى قوله ورفعنا لك ذكرك كما مر (ورضاه برضاه) مصدران مقصوران اى جعل رضاء الله برضى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او رضاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم برضاء الله يعنى طاعته طاعته للزوم الرضاء للطاعة لقوله تعالى * من يطع الرسول فقد اطاع الله * والاظهر انه اشارة الى قوله * والله ورسوله احق ان يرضوه (وجعله احد ركنى التوحيد) اصل معنى التوحيد فى عرف الشرع اعتقاد توحيد الله تعالى وانفراده فى ذاته وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان به واصل معنى الركن الجانب واركان الشئ اجزاؤه الخارجة او اجزاء ماهيته الداخلة فيها بخلاف الشرط فانه الخارج الذى يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ويقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول او بالمعنى الثانى كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثانى حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول اللام وعد الامام منه ما كان قبله لانه اراد بالفتح القضاء او جعل العلة اجتماع ما ذكر او اراد بيان نعم يحصل باجتماعهما التمام لا بيان الاتمام نفسه (ثم قال الله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان) هذا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظر الاول ما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخى الرتبى والمبايعة اخذ العهد والميثاق على امر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال (يد الله فوق ايديهم) وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة * وهى شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وكانوا الفا واربعمائة او خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا او على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى ان نقول فى الله لا تأخذنا لومة لايم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه انفسنا وارواحنا وابنائنا ولنا الجنة * فمن نكث فانما

ينكث على نفسه * وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل فى بيعة العقبة ولم يتخلف احد منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضى الله تعالى عنه لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا الحرب وانما جاؤا زوارا للبيت فبايع النبى صلى الله عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف بقتله (اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك) والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * فالله تعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وهم باعوا انفسهم واموالهم لها فالبيع والشراء مقابضة والتسليم فى المعركة كما اشار اليه بقوله يقاتلون الى آخره لاسلم ما فى بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله * ومن اوفى بعهده من الله * ولما ورد انه كيف اثبت مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ونفاها فى ضمن الحصر اجيب عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفى بحسب الحقيقة وليس المراد نفى الحقيقة من حيث هى بلا تأويل بل بجعلها كانها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطى الوسائط لغلبة الشهود فالقصر ادعائى وقيل انه حقيقى على التشبيه فكانه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفى غير مراد والحصر مجاز عن تأكيد الحكم لا اضافى ردا على من زعم انه مع الجن واولى الوجوه الاول ولما جعل المبايعة مع الله حقيقة اكد ذلك بقوله (يد الله فوق ايديهم) على سبيل التخييل كما ستراه فلذا قال (يريد عند البيعة) اى المبايعة على عادتهم فى وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تأويله بما يليق به بشرط موافقته لكلام العرب وذهب ابن الهمام رحمه الله تعالى الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن الدقيق العيد رحمه الله تعالى الى انه ان كان التأويل قريبا جاز والا فلا واليه اشار المصنف بما ذكره هنا قال الاشعرى رحمه الله تعالى اليد ورد باطلاقها عليه تعالى الشرع فالمراد بها صفة قريبة من القدرة الا انها اخص كالارادة والمحبة فان فى اليد تشريفا لازما وفى الكشاف لما قال انما يبايعون الله اكده على طريق التخييل فقال يد الله الى آخره يريد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى فوق يد المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عهد الميثاق مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كعهده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوى حيث قال الجملة حال او استئناف مؤكد على سبيل التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا فى النفس تحققت هناك استعارة مكنية وهى التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكى لفظ المشبه

المستعمل فى المشبه به ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قال السكاكى للزوم استعمال الجلالة فى غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا فالتخييل الذى قالوه هنا عبارة عن اثبات اليد التى هى من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهى قرينة الكناية على رأى القزوينى وعلى رأى غيره عبارة عن لفظ اليد المثبت للمشبه والفرق بين مذهب السكاكى ومذهب الجمهور ان التخييلية لا تتحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هى صورة وهمية لا يشوبها شئ من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع لها صورة اظفار واطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع لله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشرى بان المراد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى تعلو يد المبايعين واضيفت لله لنكتة ذكرها وكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل فى مادة لا تتصور فيها اعتبار الصورة الوهمية الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله اكد تأكيدا على طريق التخييل معناه ان التشبيه البليغ فى انما يبايعون الله افاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول صلى الله عليه وسلم سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هذا فالجملة المشتملة على الاستعارة تأكيد لجملة التشبيه البليغ على رأى اهل المعانى دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها وذكره صريحا فاكتفى باحد المتلازمين عن الاخر فان قلت المشبه به فى التشبيه المضمر المقرون بالتخييل اما المبايع المطلق والخاص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم المشبه به لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الثانى يرد عليه ان يد الله لعمومها لا يختص بيد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قلت نختار الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضا فتهما من المقام او الثانى واليد وان عمت الايادى كلها مقرونة بما يخصصها وهو قوله فوق ايديهم لان اليد التى فوق ايديهم انما هى يد النبى فالتخييل اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح اهل المعانى وهو الظاهر وان حمل التخييل على اللغوى فان اضافة اليد للمنزه عن الجارحة مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتأكيد لم تحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته فى الجرى على المصطلح وروى انما يبايعون الله اى لوجه الله وقال التلمسانى الصواب ان يقول معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية انما هى فى كلام المخلوقين ولا ينبغى ان يقول المفسر يعنى ولا يريد بل يقول من معناه او يجوز او يحتمل ونحوه وهذا مما لا وجه له (قيل) فى تفسير اليد (قوة الله) هذا على مذهب الخلف الذاهبين

الى تأويل المتشابه اى المراد باليد هنا القوة فانه تعالى يوصف بها ومن اسمائه القوى اى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارها يظهر باليد قيل فعلى هذا يكون نعمة مستقبلة وعدالله بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من اعتباره فى الحال (وقيل ثوابه) اى المراد باليد ثواب الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بعهدهم وهو قريب من قوله (وقيل منته) اى نعمته عليهم بيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم و بذل انفسهم واموالهم واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شايع فى كلام العرب ووردت بهذا المعنى مفردة ومجموعة على ايدى واياد ى وهو جمع الجمع و بعض اهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة يجمع على ايدى وبمعنى النعمة على ايادى والصحيح الاول والدليل عليه قوله

لجودك فى قومى يد يعرفونها وايدى الندى فى الصالحين قروض

وقوله *سأشكر عمرا ان تراخت منيتى* ايادى لم تمنن وان هى جلت*

قيل والى هذا المعنى يرجع ماقبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر (وقيل) اليد هنا معناها (عقده) قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العقد والميثاق يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما فى المصباح وهو المراد هنا اى اليد عبارة عن عقد العهد وهى المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدرى فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله تعالى اوجد هذه البيعة وتممها فاستعارة لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهى من اطلاق المسبب على السبب وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وايديهم على حقيقته كما فى شرح التجانى واعترض عليه بان اول كلامه ظاهر فى ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارة لايجاده عقدها يقتضى استعارتها للايجاد وعليهما التجوز فى المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله تعالى او ايجاده فوق ايديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله تعالى عز وجل اوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم معناه التركيبى وانه لو كان له يد فوق ايديهم وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذى اوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كتقدم رجل وتؤخر اخرى و بهذا يظهر مناسبته لماقبله (اقول ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدرى وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافى بين اول كلامه وآخره الا ان كون اليد الثانية بمعناها الحقيقى غير متجه نعم ماادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازى يد الله فوق ايديهم اى حفظه فوق جارحتهم بحفظهم على البيعة كما انه

قدتوضع اليد على يد المتبايعين لتتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية الا انه لايقتضى ان المتبايعين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبايعون لله كما مر وانما يقتضى انهم مبايعوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الا والله حافظ للمبايع ومنهم من ذهب الى ان فى يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لاينبغى نقله لبشاعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر (وهذه استعارة وتجنيس) اى مستعارا والتقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر انه يجوز فى الاستعارة ان تكون مكنية وتخييلية اوتصريحية اواستعارة لغوية وهى المجاز المرسل اواعم منه ومن الاستعارة المصطلحة وحدها الرمانى بانها تعليق العبارة على غير ماوضعت له فى اصل اللغة على سبيل النقل اوهى تمثيلية كقوله تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم * فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيل الله وقوله استعارة راجع لماقبله اوللوجه الاخير فهو من مقول القول او كلام مستأنف من كلام المصنف رحمه الله تعالى متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه فيما قبله ليس استعارة بل مجاز مرسل اوحقيقة وفيه مالايخفى والتجنيس وقع فى بعض النسخ فكانه تحسين بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على احد الوجوه وهو ان ايديهم مستعمل فى معناه الحقيقى ولاشك ان يد الله ليست بهذا المعنى فتسميته جناسا من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيان او مجازيان اواحدهما حقيقة والاخر مجاز كما فيما نحن فيه وهو تام ان قلنا التخالف بالافراد والجمع لاينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض له ارباب البديع وعلى هذا يزاد على مافى الاتقان من انه لم يقع الجناس التام فى القرآن الافى موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انهما بمعنى مجازى ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل هى بمعنى او بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم فى كتاب الفوائد والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المصنف رحمه الله فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعى بل اللغوى وهو مطلق المناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الحاجة فبينهما و بين الايدى مناسبة وهذا مع فساده لاوجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال مازعمه ابن دريد من ان الاصمعى كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد فغير قادح فى صحة ان يقال ان فى هذا تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف الصورة وان اتحدت المادة بناء على انهما من الجنس الذى هو الضرب الذى هو اعم من النوع كما نبه عليه الجوهرى وهذا لم يفهم كلام الاصمعى فان مراده اى الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كما تحجر واما استعمال المصنف رحمه الله تعالى له فانه خطأ مشهور وهو خير من الصواب المهجور فان المصنفين لايبالون بمثله كما فى كشف

الكشاف ولفظ الجناس هنا مولد واختلفوا فيه هل هو بكسر الجيم او فتحها اولم يذكره اهل اللغة (وتأكيد لعقد بيعتهم اياه) اى الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التى تعلوايديهم هى يد الله على مامر (وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم) عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل اومفعول والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمسانى رحمه الله تعالى والمراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودلالته على تعظيمه لجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه ايضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الله يلزمه اطلاق الجلالة على غيرالله وهو يجوز الا ان يقال ان مثله يجوز فى الاستعارة المكنية على بعض الاقوال كمامر وفيه تأكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته (وقد يكون من هذا) القبيل الذى جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما فى هذه الاية ان الذين يبايعونك انما الى آخره وقد للتحقيق اوهى مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد (قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) اى لم تقتلوا قريشا اذسلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الاية نزلت فى غزوة بدراوحنين كالتى بعدها وقوله ومارميت الى آخره اشارة الى ما وقع ثمة اذ رمى النبى صلى الله عليه وسلم المشركين بكف من حصباء وتراب كما يعلم مما يأتى وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم الاملئت عينه منه فاشتغل وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الاية والمشابه بين الآيات انه اثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباع المعتزلة فى خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفى والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فمن قال ليس فيهما نفى واثبات لاصريحا ولا دلالة لم يصب (وان كان الاول من باب المجاز) اى وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز (وهذا) اى القتل والرمى المسند الى الله (من باب الحقيقة) وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروى فى باب الحقيقة اى داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما فى بعض الشروح والمراد بالمجاز المجاز اللغوى لا العقلى الواقع فى النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة والحقيقة الى اليد والفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على رأى من يقول انه مجاز وليس فيه اداة بقدره وانه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يبق المبايعة فى الآية على اطلاقها اذ قيدها باليد المستحيلة فى حق الله تعالى فى قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك المبايعة التى

يوضع فيها الايدى على الايدى انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوى مركب اى لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه (لان القاتل والرامى فى الحقيقة) وفى اكثر النسخ بالحقيقة ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية (هو الله) لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامى حقيقة الله لا غيره لانه المتعلق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وادرج فيه القتل فقال (وهو خالق فعله) اى الله خالق فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق (ورميه) تخصيص بعد التعميم اوتفسير (وقدرته عليه ومشيئته) المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل فى كتب الكلام وفى نسخة وضمير عليه للفعل وفى نسخة مصححة مسببه بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب ثم اشار الى تعليل ثان ودليل على كون الفعل فى الآيتين حقيقة واعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال (ولانه ليس فى قدرة البشر) فهذا لفظ مشترك يقال على الانسان ويستوى فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر وابشار جمع بشرة وهى اعلى الجلد (توصيل تلك الرمية حيث وصلت) اى مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى كرم الله تعالى وجهه ببدر ناولنى كفا من الحصباء فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقى الامن وقع فى عينه منها وقيل اخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقى مشرك الاشغل بعينيه يعالج التراب الذى فيهما فنزل ومارميت ذكره ابن الجوزى وذكر ان سبب نزول قوله تعالى فلم تقتلوهم الخ ان الصحابة رضى الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا واسرنا فنزلنا وجعل لهما سببى نزول وهو لا ينافى ماذكره المصنف رحمه الله من ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا الاتى لان ما قالوا بناء على ماراوه بحسب الظاهر والى ما ذكر اشار بقوله (حتى لم تبق منهم من لم تملأ عينه) اى لم يبق من المشركين احد لم تملأ رميته صلى الله عليه وسلم عينيه من التراب ودقيق حصبائه حقيقة اونظرا للاكثر ولذا قيل عرفا فانه روى هنا وهذا فعل الله لا فعله صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثانى مبنى على ان هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلى الثانى حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب فى الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لا غير وقيل ان الله والعبد موجدان للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين على اثر واحد

وللجلال تحرير مستقل فى هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفى عنه
والاثبات له ولله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كليهما على الحقيقة اللغوية
واعترض بانه لو صح هذا صح ما صليت والله صلى وكذا فى المعاصى واجيب بانه
ان اراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة
المعنى كايهام او بشاعة كما قيل فى المعارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لابقاس
عليه وان اراد صحة النفى عن العبد واثباته حقيقة لله فبطلانه مسلم وخص هذا
المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قتلنا واسرنا فنزلت تعليما وتأديبا فلا يروا
ذلك الا من الله وقد صرح المحقق فى شرح المقاصد بان الفعل لا يسند حقيقة
الا لمن قام به لا لمن اوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح الكشاف
فى قوله تعالى شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمى الى الله مجاز على ما فيه او اراد
ان القتل والرمى ثابتان له خلقا دون اليد معه واليد فلبست بالمعنى المصطلح
ثم كونه تعالى خالق القدرة والسبب لا دخل له فى المدعى وانما ذكر للمناسبة انتهى
ملخصا (اقول الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى الذى وعدناك به امر
مهم ولم يحققه احد كالابهرى فى شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان يكون
سببا قابليا لعقله ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا فى محل يقوم به يسند ذلك
الشئ الى محله وان لم يكن له مدخل فى التأثير لا اليه تعالى وكذا نحو الطاعة والمعصية
والعيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان اوجده ولذا شدد النكير
على المعتزلة فى اسناد الكلام الى الله لكونه اوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة
بالاستقراء ولذا اسند الفعل لغير السبب القابلى لم يجعل مجازا عن فعل آخر مناسب
له ويكفى فى هذا ان يعد سببا قابليا فى عرف اللغة ولا يجب ان يكون محلا له فى الحقيقة
كما فى سرتنى رؤيتك فلا تجد احدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو
والمسرة الى الرؤية ان فاعلهما غير المذكور هكذا يجب ان يفهم هذا المقام لتدفع
به الاوهام الى آخر ما حققه بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه اختلافا مع طول باعه
وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا القائل امور منها ان قوله ان الفعل
ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لا ينسب الا لمن قام به وعد محلا له
عند اهل اللسان مع ان اول كلامه غير مناسب لآخره ومنها ان الحقيقة تطلق
على ما يقابل المجاز الاصطلاحى وعلى الواقع ونفس الامر والمصنفون اذا ارادوا
الاول قالوا هذا مراد به كذا لا حقيقته واذا ارادوا الثانى قالوا هو فى الحقيقة بمعنى
كذا فترديده فى كلام المصنف لا وجه له ومنها ان قوله ان المعارف لا يطلق على الله
لايهامه يعنى انه يختص بالجزئيات او بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه
تعالى والثانى يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ العراقى
رحمه الله تعالى فى نكتة على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله تعالى فسر العلم

بالمعرفة وتبعه البيضاوى فى تفسير قوله تعالى * وآخرين منهم لا تعلمونهم الله
يعلمهم * فقال اى الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا بالواحد واعترض عليه
الفاضل الحسنى وقال الجوهرى علمت الشئ عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة
على الله فى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقوال الصحابة واهل اللغة
فلا حاجة للالتجاء للمشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله
لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولذا عودة الى بيان ذلك ومنها ان قوله
ان كون الله خالقا للقدرة الخ لا دخل له فى مدعاه عجيب منه فانه اذا خلق فعل
العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك ابلغ من نسبته له على اتم الوجوه فاى مدخلية
اعظم من هذه (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) منهم لمباشرتهم له وحقيقة
يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبنى على ان
الملائكة عليهم الصلوة والسلام قاتلوا فى بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير
ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال
بعض الشراح ما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق
لافعالهم وقدرهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة
لم يسند لله وايضا لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا ان يقال
ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق اولا على ما وضع
له من نفى القتل والرمى مع صدوره صورة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم وما رميت
ثم ثانيا على المقصود من قذف الرعب فى قلوبهم ومنفعة الرمى وتأثيره ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب ورد بان الملائكة
عليهم الصلوة والسلام باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة
رضى الله تعالى عنه فيصح النفى عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا
الدليل انما يدل على ان النفى عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون
الايصال من الله والقتل من الملائكة عليهم الصلوة والسلام ان يكون القتل
والرمى من الله فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تعالى والثانى لحقيقة
النفى فالمجموع دليل عن الاثبات والنفى او الثانى دليل لبعض المدعى ومثله شايع وهذا
ليس بشئ والحق ورود اعتراضه وقصور فهم من رده واما الثانى فغير وارد وقد علم
جوابه مما قررناه اولا (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) وهى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم (انها على المجاز العربى) وفى نسخة العرفى بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقى
هو الله تعالى كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فاعله واسناده لغيره ليس
حقيقيا فيكون مجازا بالنسبة للحقيقة الا ان عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم
على عد غيره فاعلا حقيقة والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا
معنى قوله العربى والعرفى فهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربى شاملا

للمجاز في اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلي في الاسناد والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه وهو المراد بالعرفي ما عدل به عما وضع في عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لايراده في هذا المقام الان يراد به ما يعم عرف اللغة فهو في مقابلة العقلي وقد عرفت انه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا انه لما كان مبحوثا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي سمي عربيا وهو اصطلاح لم نجده لغيره (ومقابلة اللفظ ومناسبته) بجرهما عطفا على المجاز وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحد والظاهر تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة صنعة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سواء كانا مثبتين نحو * وتحسبهم ايقاظا وهم رقود * اواحدهما مثبت والآخر منفي نحو * ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا * كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي والمراد بالمناسبة ذكر اليد في الجانبين والقتل والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

* قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا * كما قيل

وقال التلمساني رحمه الله تعالى المراد بالمقابلة ايراد الالفاظ متوالية متماثلة في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقول البحتري

* تطيب بمسراها البلاد اذا سرت * فينعم رياها ويصفو نسيمها *

والمناسبة ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه كقول المتنبي سقيتها عبرات ظنها مطرا سائلا * من جفون ظنها سحبا * انتهى والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته (اي ما قتلتموهم وما رميت اذ رميت انت وجوههم بالحصباء والتراب) الحصباء بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب ان الحصباء مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اي لم توجدوا ذلك وتلحقوه ولم يكن منكم ما ثبت لله من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله (ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) اي رمى ما رماه من الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمي شاملا لايصال الحصباء لعيونهم الشامل لهم كان اولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان مقتضى الظاهر ان يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي لمشاكلة قوله رميت قاصدا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد النبي صلى الله عليه وسلم رمي الحصباء (اي ان منفعة الرمي كان من فعل الله تعالى) والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل النصر وفي لحن العامة للزبيري اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد لقوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا واذا ذكر وحده

فبالضم كقوله مسني الضر والنفع بالنصر والغلبة والعزة او شغل قلوبهم بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالفعل فائدة الموضوع له (فهو القاتل والرامي بالمعنى) والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على انه مقدر قبله او في حكمه او منفعة الرمي التي هي الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد لسببه والرامي لانه الموجد لفائدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفائدة من اجل سببها فهو الموجد لها (وانت بالاسم) اي بتسميتك راميا واطلاق لفظه عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين كما انه في قوله اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز ان يسمى قاتلا لانه السبب والامر بالقتال او لينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر كما قاله التجاني وغيره

﴿ الفصل العاشر في ﴾ ذكر (ما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز) اي القديم النظير او الغالب لغيره من الكتب بالنسخ او الممتنع من مضاهاته باعجازه او من التغيير والتحويف لحفظ الله له (من كرامته عليه) يقال كرم عليه لتضمينه معنى العزة او هي بمعنى عنده وعدل عنها لئلا تتكرر مع قوله (ومكانته عنده) اي علو مرتبته وشرفه عند الله كما مر (وما خصه به من ذلك) المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (سوى ما انتظم فيما ذكر قبل) اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبني على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به او بذكر على التنازع فيه ولما لم تستوعب كراماته قبل ارداته بفصل كله به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق (من ذلك ما قصه الله تعالى) من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجه كما في المصباح فهو اخص من الذكر مع مجانسته لقوله (من قصة الاسراء في سورة سبحان) وسورة (النجم) وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسرا سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما ايضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا الا انه ذكره هنالك استطرادا وهنا اصالة لعقد الفصل لامثاله (وما انطوت) اي اشتملت (عليه القصة من عظيم منزلته وقربه) من الله المفهومين من قوله ومن ذلك (ومشاهدته ما شاهد من العجائب) وهذا بناء على ان المراد بالدنو الاتي دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الله او دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو

جبريل عليه الصلوة والسلام منه والعجائب ما رأى من آيات ربه الكبرى ورؤية الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآيابه فى برهة من الليل الى غير ذلك (ومن ذلك) عطف على من ذلك المتقدم اى ومما اظهره وقيل الاشارة الى عظيم منزلته وقربه (عصمته من الناس) اى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يصل اليه كيدهم ومكرهم الذى اشير اليه بقوله (والله يعصمك من الناس) اى يحميك عن القتل ومالايليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته صلى الله تعالى عليه وسلم باحد بتخصيص العصمة بالقتل اوتأخر نزول هذه الآية والمراد بالناس الكفار كما فى قوله امرت ان اقاتل الناس الحديث (وقوله تعالى واذيمكر بك الذين كفروا الاية) اى ومن العصمة قوله الى آخره وهو مجرور معطوف على قوله وكذا مابعده وتمام الآية ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين * وهذا كان لمابايع صلى الله تعالى عليه وسلم الانصار بالعقبة وامر اصحابه رضى الله عنهم بالذهاب للمدينة اشفقت قريش من ظهوره صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة فى امره فاتى ابليس اليهم بصورة رجل نجدى وقال سمعت مااجتمعتم له فاحببت ان اكون معكم ولم تقدموا من رأى نصحا فقال بعضهم احبسوه موثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا برأى يوشك ان يثبت اصحابه فيأخذونه من ايديكم فقال آخر اخرجوه من بين اظهركم فقال ماهذا برأى يجمع جموعا ويأتى لكم فقال ابو جهل لعنه الله تعالى نأخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلاتطيق قريش تقدر على حربهم كلهم فيقبلون العقل ويستريح منه فقال ابليس لعنه الله تعالى هذا هو الرأى وتفرقوا فاتاه جبريل عليه السلام واخبره بذلك وامره ان لايبيت بمضجعه فى هذه الليلة فامر عليا كرم الله وجهه بان يرتدى ببرده وينام مكانه ففعل فأتوا واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا اتوه فرأوا عليا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا الى الغار على مافصل فى السير وعلى اول من باع نفسه لله تعالى كما قال

* وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر *

فى شعر نسب له ويثبتوك معناه يوثقوك ويحبسوك ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازى مكرهم بما يليق به كقوله تعالى * نسوا الله فنسيهم * قال التجانى وخير الماكرين اقدرهم واعزهم جانبا لانه اثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضى ان اصل المكر ثابت له كما ثبت لهم الا انه خير منهم مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقى وهو ايصال المكروه حقيقة وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية العينين المشتركتين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل فى احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث (وقوله تعالى * الا تنصروه فقد نصره الله

اذ اخرجه الذين كفروا * الى آخره) بالجر كما روى وروى بالرفع عطفا على العصمة وفى هذه الآية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسننصره من نصره قبل ذلك وهو بين اعدائه وقدهموا بايذائه فاذن له صلى الله عليه وسلم فى الهجرة وامده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له اولانه سلمه من اعدائه واعمى ابصارهم عنه صلى الله عليه وسلم وحماه فى الغار وقصة سراقة معه فلا اشكال فيه والآية نزلت فى غزوة تبوك ونسب الاخراج الى الكفار وان كان منه باذن الله تعالى لانهم سببه كما قصصناه عليك (ومادفع الله به) اى بحفظه من غيرمعين له او ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذه القصة) المشار اليها بقوله تعالى * واذيمكر بك الى آخره * فى الهجرة والغار والطريق وقوله تعالى * الا تنصروه فقد نصره الله اذاخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار (من اذاهم) اى اذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بما سيأتى ومن مبينة لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية اوموصولة ومن بيان لمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه او والكرامة التى دفع الله تعالى بسببها عنه امرا عظيما ولايخفى مافيه من التكلف من غير داع (بعد تحزبهم) بحاء مهملة وزاء معجمة وموحدة وفى نسخة تحريبهم براء مهملة وثناة تحتية اى قصدهم والاولى بمعنى تجمعهم فى مشاورتهم مع احزابهم وقرار رأيهم (اهلكه) بضم فسكون اى هلاكه وهو مصدر اواسم مصدر (وخلوصهم نجيا فى امره) اى بعد اخلاصهم فى اذيته منفردين فى دار الندوة للمشاورة فى امره والخلوة اعون على الجسم والرأى ونجيا بمعنى مشاحين ومناجين فهو فعيل بمعنى فاعل اومفعول للمبالغة فى التجوز ويقع على الواحدة والجمع (والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم) حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه اخذه الله بمعنى اهلكه ومعنى اخذ الله على ابصارهم منعها من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم والاخذ مجرور معطوف على تحزبهم وروى مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره من الاخذ على ابصارهم عند خروجه لما ارادوا قتله وهو خطأ لاقتضائه دفع الاخذ وهو ثابت (وذهولهم عن طلبه فى الغار) الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفى الغار متعلق بالطلب اى ذهلوا عن ان يكون طلبهم له فى الغار لاحال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا اثره حتى بلغوه فصدهم عنه نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار نقب فى الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف وتعريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة (وماظهر فى ذلك) الغار والامر وهذا معطوف على عصمة اى ومن ذلك ماظهر (لهم) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر رضى الله تعالى عنه فيما ذكره من قصة الهجرة

والغار وجمع ضمير هما تعظيما و جمع ضمير المثنى كثير ولهم فى اكثر النسخ والقدح فيه توهم ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف (من الآيات) الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم يبدر و نبات شجرة تسمى الراء كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام و بيضه به وشفاء الصديق رضى الله تعالى عنه من لدغ الحية بريقه الشريف وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الفيروزآبادى والطبرى وفتح جبريل عليه الصلوة والسلام لطرف الغار الآخر عند خروجهما (ونزول السكينة عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او على ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما فى مصحف حفصة رضى الله تعالى عنها فانزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثانى لانه هو الذى كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لاتحزن وقال التجانى فى عود الضمير على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او ابى بكر رضى الله تعالى عنه قولان وفى احكام القرآن لابن العربى الاقوى انه لابى بكر رضى الله تعالى عنه لانه خاف على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله على قلبه سكينته اى طمانينة وامنا وفى الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير فى عليه لهما واكتفى باعادته على احدهما كقوله تعالى * والله ورسوله احق ان يرضوه كما ذكره ابن الجوزى عن ابن الانبارى بعد ترجيح عوده لابى بكر رضى الله تعالى عنه وان كان ضمير وايده بجنود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا خلاف لانه لايحتاج للسكينة الا المنزعج ونظيره مامر فى قوله * و يوقروه و يسبحوه * والقراءة الشاذة مأولة بنسبة ماللواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الان قوله تعالى * ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين * يصح عودها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا والسكينة فسرت بطمانينة الامن والرحمة والوقار فتفسر فى كل محل بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم لو وصلوا اليه على اذيته او للرضى بما قدره الله تعالى وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل * و بما شئت فى هواك اختبرنى * فاختيارى ماكان فيه رضاكا (وقصة سراقة) بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف (بن مالك) وسيأتى تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك ابن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجى الصحابى الحجازى رضى الله تعالى عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة وما نقله البرهان عن الجوهرى من انه بفتحهما ليس موجودا فى نسخه كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه واسلم فى غزوة الطائف بعد فتح مكة ومات فى سنة اربع وعشرين كان شاعرا و بنو مدلج كلهم قافة والقيافة من علوم العرب وقلما يخطؤن فيها وقد عمل بها النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم فى بعض الانساب (حسبما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث الهجرة) حسب بفتح السين وسكونها منصوب اى موافقا لما ذكر وفى الحديث يجزى المرء على حسب عمله اى على مقداره وله معان اخر والحديث اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله واحواله وتقريراته و يطلق على قول الصحابى ونحوه ايضا كما فصل فى محله واهله علماؤه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وهى هنا للعهد اى هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة المنورة (ومنه) معطوف على قوله من ذلك (قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر الى آخره) اكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطى والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضى لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال * وانت كثير يا ابن مروان طيب * وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا * وكذا ان كان اسم لحوض او نهر فى الجنة احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج كما ورد فى الحديث لتقدم العطاء وفى الروض الانف عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت الكوثر نهر فى الجنة لايدخل احد اصبعيه فى اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر او نحوه مما ثبت فى الاحاديث الصحيحة فان قلت ما تسمع من الدوى اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوى المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التى فى داخل الدماغ وهو امر طبيعى كما قال المتنبى فى صفة حرب

* وتسمع فى الدنيا دويا كانما * تداولت الاذان امثال العشر *

فما معنى هذا الحديث قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب اهل السنة وهو الذى نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذى ينصب فيه انهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته فى عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالسمع الآن لسده ادركته او ادركت دويا آخر كما قاله الحكماء فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأى وفى كلام العماد بن كثير ومعناه من احب ان يسمع خرير الكوثر اى نظيره او مما يشبهه لانه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوى ما يسمع اذا وضع الانسان اصبعيه فى اذنيه وقد قلت وانا بالروم اتشوق لمصر * لحديث نيل مصر امسى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره * يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * القاه فيه قد جرى بخريره *

(فصل لربك وانحر) امر بالصلوة مطلقا او التهجد و كان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغى ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها الصلاة وعدل عن المتكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله لربك التفاتا تطرية للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالرتبة قبل الشكر

فكيف بعده وقوله وانحر امر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفى غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع انواع العبادة المالية والبدنية ولما رأى بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك فى الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو ان صلاتى ونسكى لا يجدى (ان شانئك هو الابتر) اى المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه ابتر لئلا يسند الشر لنفسه (اعلمه الله بما اعطاه) حقيقة او قدره له او بما هو موجب للعطاء فسمى به وتأويله بيعطى لفوت هذه النكات ثم شرع فى تفسير الكوثر وسرد اقوال المفسرين فيه ولم يقصد بقوله قيل كذا فى الستة الاقوال الآتية تضعيف ذلك وانما اراد الحكاية فقال (والكوثر حوضه) صلى الله عليه وسلم فى القيامة وسيأتى بيانه (وقيل نهر فى الجنة) غير الحوض وهو الصحيح (وقيل الخير الكثير) فهو صيغة مبالغة من الكثرة فى اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام واحسن فى تعقيبه بقوله (وقيل الشفاعة) التى هى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام لا يسع غيره النطق به وهذا اعظم الخير والنفع واكثره (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة) اى العلوم اللدنية التى افاضها الله تعالى عليه فليفيضها بغير واسطة كأنها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انه جميع ما انعم الله به عليه لا وجه له ثم انهم اختلفوا فى الحوض ونهر الكوثر هل هما شئ واحد او امران متغايران او الحوض مأخوذ من الكوثر وانه يمده بمجارى ثابتة منه على اقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها (ثم اجاب الله عنه عدوه) تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص بن وائل السهمى كما قاله المفسرون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر اى لا عقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة بما اعطاه عوضا من مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قائل ذلك ابو جهل لعنه الله وقيل كعب بن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخرها نزل جوابا لقول ابى جهل بتر محمد وكلام المصنف رحمه الله تعالى ماش على هذا واورد على القول الاول بانها جواب للعاص وان الابتر من لا ولد له وانه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمرو ماتا مسلمين وهشام قديم الصحبة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما حبسه ابوه وقومه وعمرو قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة واجاب التجانى بان العاص وان كان له عقب فقد انقطعت عصبته

منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اب لهم وازواجه امهاتهم كسائر المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روى انه انقطع نسله كما سيأتى وقد قرئ ازواجه امهاتهم وهو اب لهم ولا تنافى بينها وبين قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفى الابوة الحقيقية واجاب غيره بان من قال انه ابتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به فى بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانئه هو الذى لا ذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولا شك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم واما ما قيل من ان صدر السورة لا دخل له فى الرد فانها كانت نزلت جملة فكيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لا مانع فى الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه مؤيد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا اعطيناك عطايا عظيمة فى الدنيا والآخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شانه لا يكون ابتر انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر واى ذكر ابقى من ذكرك واقوى ولك ان تقول ليست سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور اولادهم وقولهم شماتة نسبته انه ابتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد فرط لابائهم يثابون عليه فى الآخرة فالمراد انا اعددنا لك الكوثر لما احتسبته منهم واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله تعالى بك عقب لك الى يوم القيمة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه واى مناسبة اتم من هذه (ورد عليه قوله) انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه (فقال تعالى) وفى نسخة قال على الاستيناف او البدل (ان شانئك هو الابتر) لا انت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر اى لا تلتفت لمقاله فانه ابتر وهو استيناف نشأ مما قبله اى امرناك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها لا عائق لك عنهما من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاول وغير فيها الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما والحصر لم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفى ماذكر عنه واثباته لعدوه على اتم الوجوه وتحجيج بعض الشراح هنا بالامر لا طائل تحته غير التطويل (اى عدوك ومبغضك) اصل معنى الشنان البغض ويلزمه العداوة فى الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما لا لانهما مترادفان كما قيل بدليل قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء (والابتر الحقير الذليل) اصل معنى البتر القطع وفى حديث الضحايا نهى عن المبتورة اى المقطوعة الذنب ثم استعير لمن لا عقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد لازم فيه وانما يلزم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلته كما ورد فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الى آخره مع ان عقبه صلى الله عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة ذا الحقير لا يذكره احد وقيل الابتر مشترك بين من لا عقب له

والحقير وليس ببعيد (او) معناه (المفرد) بفتح الراء (الوحيد) بمعناه تأكيد له وفى القاموس الابتر الذى لاعقب له اومقطوع الذنب وهذا المعنى مأخوذ منه ولذا فسر الابتر بالمنفرد الذى لا ناصرله ولا يبلغ مأموله وروى هذا عن الحسن ونسل اعدائه انقطع باسلامهم كما مر ومنه ماانقطع بقاؤه حقيقة او العاصى كما قالوه (اوالذى لاخير فيه) فلايذكره احد وفيه مقابلة بينه و بين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التى ذكرها الله تعالى ما اشاراليه بقوله (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) والمثانى جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية اوتبعيضية اى من جملة الآيات المثانى قال فى مرقاة الصعود هى السورة التى تقصر عن المئين وتزيد على المفصل كان المئين جعلت مبادى فالتى تليها جعلت مثانى والقرآن وصف واسم وخص السبع بالذكر لفضلها واما كون الفاتحة لم تكتب فى مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلاوجه له (قيل السبع المثنى السور الطوال) بكسر الطاء جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها للمبالغة (الاول) بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع اولى مؤنث اول وليس الطوال جمع طويل حتى يرد عليه ان جمعه انما هوطوال اى السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال و براءة معا بناء على انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف ابو العالية هذا القول بان هذه الآية نزلت ولم يكن اذذاك نزل شئ من هذه السور والمثنى اما صفة القرآن كقوله كتابا متشابها مثانى ومن تبعيضية او بيانية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه واوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها من الحديث المعاد اوهى المثانى نفسها فمن تجريدية واجيب بان اعطيناك بمعنى نعطيك فى المستقبل عبربه لتحققه وقيل المثانى من الثناء للثناء عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اقاربه والعامل به كقوله قرآن كريم و مجيد وهذه الآية مكية والسورة مدنية (والقرآن العظيم) على هذا التفسير (ام القرآن) اى الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعانى التى ذكرها المفسرون واطلاق القرآن عليها بخصوصها وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف للعهد اولخصوص آخر اولانه جعل علما عليها وان لم يذكره فى اسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما واطلاقه عليها مروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مع تفسير السبع المثانى بها ايضا فانه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليه ابى رضى الله تعالى ام القرآن فقال والذى نفسى بيده ما انزل الله فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان مثلها هى السبع المثانى والقرآن العظيم فما قيل ان ماذكره فى القرآن ضعيف مهجور عقلا ونقلا لايخفى مافيه (وقيل

السبع المثانى ام القرآن) وعليه اكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين وورد به الحديث الصحيح فى البخارى وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة آية منها او بعد صراط الذين انعمت عليهم آية وما بعدها آية اخرى على الخلاف المشهور ويأتى انها انما سميت مثانى لتثنيتها فى الصلاة وغيره من الوجوه المشهورة (والقرآن العظيم) على هذا التفسير والقول بانه غير مخصص بها كما مر (سائره) اى جميعه او باقيه بعد الفاتحة وفى كتب اللغة ان السائر الباقى مهموز فى السؤر وهو البقية اومعتل من السور المحيط وهو بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما فى كلام العرب وقد اشبعنا الكلام عليه فى شرح درة الغواص ويأتى له مزيد بيان فى اول الباب الآتى وقول صاحب القاموس هو الباقى ووهم الجوهرى فى تفسيره بالجميع لبس بشئ والواهم ابن اخت خالته وكلام المصنف رحمه الله تعالى يحتملهما وما قيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لانعلم احدا قال ان السبع المثانى ام القرآن والقرآن العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثانى السبع الطوال والقرآن العظيم جميعه امر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن يطلق على الجميع وعلى معنى كلى شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثانى وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها وثوابها واشتمالها على المعانى القرآنية اجمالا والحاصل انهم اختلفوا فى السبع فقيل السور وقيل الفاتحة وعلى التقديرين جوز فى القرآن كونه الفاتحة اوالسائر وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ام القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم وفى الرواية الذى اوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه فى هذه الآية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف فى الحديث والمصنف رحمه الله تعالى عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هى السور اوالفاتحة جزم فى القرآن بما نقله وليس كذلك فتأويله بان مراده نقل ماقيل فى كل مفردا مفردا بعيد مع ان اللايق حينئذ نقل ماقيل فى السبع ثم ماقيل فى القرآن فتدبر (وقيل السبع المثانى) فى هذه الآية (مافى القرآن من امر ونهى و بشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم) اى المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القرآن والمراد بالامر الطلب ايجابا اوندبا لاصيغته وان كان يطلق عليها والنهى طلب الكف عما يحرم او يكره على سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا اومعلقا وضرب المثل تشبيه شئ بشئ وهو المراد بالمضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة اى تهيئتها وجوز فتحها على انه جمع عدد وبه جزم البرهان الحلبى وقال ابن رسلان انه الواقع فى النسخ المعتمدة وكذا قال الدلجى والعدد بمعنى المعدود اوالتعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام اوالمنعم به والذى عده المصنف

رحمه الله سنة فقيل ان السابع سقط سهوا اومن الكاتب واما قوله (وآتيناك نبأ
القرآن) فقيل انه اشارة الى السابع ويؤيده قوله فى تاج القراء والسابع انبأ قرون والانباء
جمع نبأ وهو الخبر والقصص التى قصها الله فى القرآن لما فيها من الفوائد كالعبر وتسلية
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله
تفننا كما قيل به فى حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة
عينى فى الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر فى قوله
وجعلت قرة عينى اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة وان عد منها لقوله فيها
على ما اختاره ابن فورك وغيره كما بين فى محله الآتى وليس هذا تفسيرا للقرآن العظيم
ليشمل ما مر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة
الى السابع بارادة نبأ القرون لان مقتضى النظم حينئذ ان يترك قوله آتيناك
ليوافق المعطوف الاخير ما قبله فى الافراد بل هو اشارة الى ان القرآن العظيم
منصوب بالعطف على سبعا من المثانى والمعنى آتيناك القرآن العظيم وزاد نبأ بمعنى
شان لتعظيمه والنبأ يكون بمعنى القرآن كما فسره به فى قوله تعالى عم يتساءلون
عن النبأ العظيم (وقيل سميت ام القرآن مثانى لانها تثنى فى كل ركعة) قيل لا ارى
ترك الواو ولا ابهامها انه قول آخر فى تفسير الآية مع انه بيان لوجه تسمية الفاتحة مثانى
وكونها سبع آيات تقدم منا بيانه وفى نسخة تثنى كل ركعة باسقاط فى ونصبه على
الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد فى كل ركعة بعد اخرى او الكل
المجموعى او المراد بالركعة الصلوة اطلاقا للجزء على الكل لخروج صلاة الجنازة
والمأموم عند ابى حنيفة لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله والركعة الواحدة
لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين يصلوا مع المصلين لما مر
والتثنية من جعل الشئ ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا كنت رابعهم اوثالثهم او بمعنى
التكرير اومن الثنى بمعنى العطف قيل اولتكرر مضمونها فى القرآن اوهى من الثناء بها
اوعليها وتثنى بضم اوله وفتح ثانيه والتشديد او بسكون ثانيه والتخفيف وعليه
اقتصر التلمسانى (وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها)
فالمثانى من الاستثناء المعروف واصله الثنى بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها
واخرجها من بقية كلامه وذخرها بذال وخاء معجمتين وفى نسخة ادخرها بالمهملة
المشددة والمعنى فالاصل واحد من الذخر وهو ما يدخر من النفائس والمراد انه
اختارها اوحفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام واذا قال
(له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم تنزيلها عليه (دون الانبياء) وروى دون
سائر الانبياء فلم يدخرها ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفى الحديث نادى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ابيا رضى الله تعالى عنه وهو يصلى فلما فرغ لحقه فوضع

يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال انى لارجو ان يخرج من المسجد
حتى تعلم سورة ما انزل الله فى التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطئ فى المشى رجاء ذلك
ثم قلت يارسول الله السورة التى وعدتنى فقال كيف تقرؤا اذا افتتحت الصلاة
فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين الى آخره فقال هى هذه وهى السبع المثانى
والقرآن العظيم الذى اعطيت وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام
ليس هذا محله يعنى انها اشتملت على ما لم يكن فى غيرها ولها من الفضل واجابة
الدعاء بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية والخرق حتى قال ابن
برجان فى تفسيره لوقيل لك ان احدا احيى بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع
على تفسيره فهم ما قلناه فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده فى سائر
السور ساقط (وسمى القرآن مثانى) اى فى هذه الآية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمى
به لما مر اوهو جواب سؤال مقدر (لان القصص) بكسر القاف جمع قصة وهو
الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكى الخبر للآثار وروى بفتحتين كقوله
تعالى * نحن نقص عليك احسن القصص * فقوله (يثنى فيه) بالياء التحتية
والضمير للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير
والقصص مطلق الحكاية ويخص فى العرف بحكاية اخبار الامم السالفة ومجرد
هذه المناسبة كافية فى تسميته مثانى فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص كالفرائض
والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثانى فلعله اقتصر
فى كل منهما على وجه ليعلم اجراء كل فى كل يقينا والقول بان وجه التخصيص بها
انها مع اعجازها لا يزداد تاليها الارغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لوكرر
مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال الشاطبى * وخير جليس لا يمل حديثه *
وترداده يزداد فيه تجملا * لا يخفى ما فيه ولك ان تقول الاحكام لازمة لامة عظيمة
فتكرارها ليتعلموها وتثبت فى حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال الا ترى
ان الاستاد يقرر المسئلة مرارا على الطالب لهذا (وقيل السبع المثانى) معناها
فى قوله تعالى * ولقد آتيناك سبعا من المثانى * انا (اكرمناك بسبع كرامات) هذا
مروى عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى اعطيناك تكريمات لانها كالهدية
التى ترسل للتكريم وكان الظاهر ان يقول سبع اكرمه بها اوآتيناك بمعنى اكرمناك
فالسبع مبتدأ ما بعده خبره بتقدير مضافين اى معنى آتيناك السبع المثانى اكرمناك
الى آخره اوالسبع مبتدأ وقوله الهدى الى آخره خبره وقوله اكرمناك جملة معترضة
وقيل انه بدل بعض من السبع اوخبر مبتدأ مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر
فى هذا انه ذكر فى هذه السورة لجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات اشارة الى ان
من اكرم بها امن من تلك (الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية

والتعظيم والسكينة) يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ماهداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم الكاملة المختصة به الخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اوما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سيأتى والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له بنصره اوتوليه لجميع امورهم بحيث صار اولى بهم من انفسهم اوالولاية التى هى صفة له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه اعظم من سائر خلقه والسكينة الوقار والهيبة بحيث يخافه كل من يراه وهو لايخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اندراج بعضها فى بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر (وقال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر الآية) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالآية المذكورة ومناسبة لمابعدها لدلالتها على عموم الرسالة اذلاعهد ولاتقييد اى لتخبر الناس بالوحى ولاتكتم شيئا منه اولتبين لهم مافيه من التكاليف والشرايع قيل اورد فى هذه الآية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان تدريجيا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الآخر وتفصيله فى شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر اى ليبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين معانيه واحكامه والمعانى منزلة تبعا لالفاظه ولاحاجة لتقدير مضاف فيه (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) الكافة مأخوذة من الكف وهو المنع اوالجمع والاحاطة كما قاله الهروى ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهى فى الاصل للتأنيث نظرا للغاية والنهاية اوالجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتأخر اومن الضمير المنصوب اوهو صفة مصدر قام مقامه اى ارسالة كافة وفى المغنى انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشرى فى جعلها صفة لارساله وذكر بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريرى فجعل تعريفها والاضافة اليها لحن وليس كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلنا فى شرح الدرة وانما قدم لتدخل على المقصود حصره ولو قيل وما ارسلناك الا للناس كافة اوهم نفى الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى ما ارسلناك الاجامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصى والمراد جميع بنى آدم اومايشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد اهل زمنه كما توهم (وقال الله تعالى قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) تقدم مايعلم منه انه لايعترض على ذلك بان آدم ونوحا كانا مبعوثين الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الامن كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة واما كون

ثمة رسول غيره فى اثناء مدته فيحتاج الى النقل اوالمراد بقاء شريعته بحيث لايطرؤ عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر فى شرح البخارى واختلف فى خطاب ياايها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع وقياس ونص آخر اوللجميع ويدخل فيه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان مخاطبا بقل لانه يلزمه مايلزم امته بطريق الاولى مالم يتعرض له مخصص ولاحاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبى فى بعض الاحكام (قال الفقيه القاضى) عياض المصنف رحمه الله تعالى (فهذه) اى الصفة اوالبعثة العامة (من خصائصه) جمع خصيصة وهى مالم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام كما عليه اكثر اهل الملة للحديث الآتى ومر الكلام على بعضه اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى فنصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واحلت لى الغنائم واعطيت الشفاعة وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم مايرد عليه وجوابه وقوله فيه وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبى وهو صريح فيه فلاوجه لقول الامام الخاصة بمجموع ماذكر فلايلزم اختصاص عموم البعثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع مثله للداودى من شرح السنن قال ابن حجر رحمه الله تعالى وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى اول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وماقيل من انه احتمال بعيد اذلايظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين اخرى جليل فائدة غير متجه لانه اذاسلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فائدة واى فائدة وقد وقع بما مر وقيل المراد بالناس من فى زمنه الى يوم القيمة وهذا لم يكن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا امر غير بقاء الشريعة لاعينه كما توهم اويقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو ادركه من قبله لزمه اتباعه اوهو مبعوث الى الاصناف والاقوام واصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح عليهما الصلوة والسلام ليسا كذلك (اقول هذا كلام لاطائل تحته اماورده الاول بان ماذكر وهو غير بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقاء مع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخير فظاهر الفساد (وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه) اى الابلغة من بعث اليهم (ليبين لهم) مابعث به اليهم واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث الى قومه وغيره من جميع الامم كما عرفته (فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة) الانس والجن والملك كما سيأتى تحقيقه وقيل كلامه يقتضى ان غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الخلق فيخصص الرسول

بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ويقابله على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فان لسانه عربى وكتابه عربى ايأخذه عنه قومه بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلوة والسلام بقومهم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان ارسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحدا الا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو اتى بغير لغته فات الحجازه المقصود منه واجيب عنه بانه معطوف على قال الاخير ناظرا اليه مبينا لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث (كما قال صلى الله عليه وسلم) فيما رواه البخارى واحمد والبيهقى (بعثت الى الاحمر والاسود) اى العرب وغيرهم او الانس والجن كما مر (وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) يدخل فيه النساء على ما بين فى الاصول لانهم تبع لهم فى الاحكام فيدخلون بالتغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن فى مثله الا بدليل وقرينة الظهور انهن يعلمن بالطريق الاولى الا ان قوله (وازواجه امهاتهم) مرجع الضمير فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالمذكور ولذا لم يسمع امهات المؤمنات وقيل انه عام ايضا وهن امهات المؤمنين والمؤمنات واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن ايضا وقوله من انفسهم المراد به ذواتهم وازدواجهم يعنى انه صلى الله عليه وسلم مقدم عند كل احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه وطاعته كما قيل فى قوله تعالى فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو اولى بالمؤمنين فيما قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف (قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى فيما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده) فيفعل ما يأمر به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان احق بكل احد من نفسه ومضى الحكم بمعنى نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضى السيف او السهم واصل معنى المضى الذهاب واولى بمعنى احق وقيل انه من الولاية والتسلط وانما ذكر مبنى على قول العرب السيد اولى بعبده من نفسه اى نافذ فيه حكمه فحمل الآية عليه مجازا او كناية وروى ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت اى طاعة الرسول اوجب عليكم من طاعة آبائكم وامهاتكم وانفسكم وليس فيه تأييد للتفسير الثانى كما توهم (وقيل اتباع رأيه اولى من اتباع رأى النفس) هذا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالمعنى فالاولى هنا بمعنى اولوية اتباعه وقيل اولوية محبته وقيل معناه ارأف واعطف والاحسن ما فى الكشاف من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اولى بهم فى جميع امور

الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين الآية فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا وضياعا فليأتنى فانا مولاه قال القرطبى هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا التفسير فلا ينافى ما سبق وفيه اشارة الى ان مقتضى الاولوية ان يراعى فى جانب الرسول ايضا ومعاملته معهم فينفعهم اكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم (و) قوله (وازواجه امهاتهم اى هن) وفى نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له اى كالامهات فى التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة والنظر والخلوة لآية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما يأتى وفى كونهن امهات المؤمنات قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر اشار بقوله (فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده) اى بعد نكاحه او بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى واختلف فيمن طلقها قبل الدخول واكثر على ما سيأتى على قولين تجوزه كثير من الشافعية وبه قضى عمر رضى الله تعالى عنه (تكرمة له وخصوصية) بضم الخاء وفتحها اى هو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره من الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك ادب والمراد بالحرمة حرمة النكاح اى تحريمه لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وفى خصايص الامام الخيضرى اختلف فى تعليل ذلك فقيل لانهن امهات المؤمنين قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اى مثل امهاتهم فى وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لان فى احلالهن لغيره صلى الله عليه وسلم من النقص لمنصبه الشريف وقيل لانهن ازواجه صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء لان المرأة فى الآخرة لآخر ازواجها فى الدنيا كما قاله القشيرى وورد به التصريح فى الحديث وقيل لاجل انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى ولذا حكى الماوردى انه لا تجب عليهن عدة الوفات واختلف فيمن فارقها فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كالمستعيذة على اقوال ثلاثة احدها وهو مروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج المرأة الثانى يكره الاول فيؤذى الكفرة قال النووى رحمه الله تعالى وهو الارجح والاشبه بظاهر القرآن الثانى انها لا تحرم فالبعدية مخصوصة بما بعد الموت والثالث انه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف فى الامة الموطوءة له صلى الله تعالى عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضى الله عنها وقيل تحل فانها لم تسم ام المؤمنين لنقصها

بالرق وامومتهن لاتتعدى فلا يقال لبناتهن اخوات ولا لاخواتهن اخوال فلا يقال لمعاوية
رضى الله تعالى عنه خال المؤمنين وفيه خلاف ايضا واما كون النبي صلى الله عليه
وسلم ابا للمؤمنين فقال الواحدى لايسمى به لقوله تعالى ماكان محمد ابا احد من رجالكم
والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفى الابوة الحقيقية انتهى و يأتى
هذا الاخير من قوله وقد روى فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم
الايذاء وحرمة النكاح فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن
وقال ابن كثير لايقال لهن امهات النساء لعدم العلة فيهن وهى حرمة النكاح ورجح
ابن حجر جوازه وقول القرطبى الظاهر التعميم اذ لايختص بالرجال مرفوع بماذكر فان
اريد التشبيه فى التعظيم فلامنع والافلا انه يوهم انه مراد فى الاية كلام غير محرر
لما سمعته آنفا (قوله ولانهن له) صلى الله تعالى عليه وسلم (ازواج فى الآخرة)
احد الاقوال فى الآية كما عرفته والامهات جمع ام قيل اصلها امهة ولذا تجمع
على امهات واجيب بزيادة الهاء وان الاصل امات للفرق و يأتى لذلك مزيد بيان
والوجه مافى البارع ان فيها اربع لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامه وامهة فالامهات
والامات لغتان ليست احداهما اصلا للاخرى ولاحاجة الى دعوى حذف ولا زيادة
كما فى المصباح (وقد روى وهو اب لهم) اى قرئ به فى الشواذ وهى على وجهين
فقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم اب لهم بدون وازواجه امهاتهم وقرأ ابى رضى الله تعالى عنه
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فجمع بينهما فقول
بعض الشراح قرأها ابى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم من غير تمييز بين
القراءتين خلط ووهم وقد علمت الكلام فيه وابوته صلى الله تعالى عليه وسلم برأفته
ورحمته لهم اولكون ازواجه امهاتهم اولكونه سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما
مر وفى سنن ابى داود انما انالكم بمنزلة الوالد حكم الشاذ انه (ولا يقرأ به الآن لمخالفته
المصحف) وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه مر بغلام يقرؤها فقال للغلام حكه
من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه المتواتر بالاجماع
ومخالفته له ايضا بعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه ومعناه على قول كما مر وقيل وانما
نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الولد فتأمل وقول التجانى انهم اجمعوا على ان قراءة
ابى رضى الله تعالى عنه المذكورة مما نسخ من القرأن مع ان مضمونه خبر مجمع على انه
لايصح نسخه ليس بشئ لان فى نسخ الخبر خلاف مقرر فى الاصول ولو سلم فيلزمه
احكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلوة به (وقد قال الله تعالى * وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة * الآية) وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما والكتاب القرأن والحكمة الشريعة والمواعظ والسنة كما مر وهذا كقوله

تعالى فى سورة اقرأ * علم الانسان مالم يعلم * ولما كان التعليم انما يحصل به مالم يعلم
ورد السؤال على الآيتين والفرق بينهما فقيل المراد بمالم يعلم ما لايقدر على علمه
من الخفايا اوممالم يتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لوقيل ما تعلم
اى ما كان مجهولا لك افاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة
الجهل او المراد ما لم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون فى اية النساء
دون آية اقرأ لانه اذا اريد بالانسان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقط فلان الثانية
وردت فى مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت
فيه (اقول هذا السؤال غير وارد اصلا رأسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين
كالزمخشرى الا انا نقول فى تحقيقه ان نفى الكون ابلغ من نفى الشئ نفسه فان الثانى
يصدق بما بقى على عدمه الاصلى لم يشم رائحة لوجود والثانى يشمله وماعدم بعد
وجوده والاول ابلغ ولما كان المنفى علما اولا علمه بالدين والحكم والوحى ونحوه ممالم يتيسر
لمن شاء فى امدامية ولايمكن بغير عناية الالهية اشار فى الاول الى ان انتفاءه عنه امر
محقق مقرر قوى فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما ولما كان
الثانى قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة
لم يؤكده لان انتفاءه امر اتفاقى واما الفائدة فى المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها امراما
بل امرا عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما ابهم ليدل على عظمته كما فى قوله (فاوحى
الى عبده ما اوحى فلاحاجة لقوله فى عروس الافراح انما ذكر لانه اوضح فى الامتنان
والافلا فائدة فيه وفى بعض حواشى المطول نقلا عن السعد رحمه الله تعالى انه قال
فى درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول مالم تكن تعلم كما فى قوله وعلمك مالم تكن
تعلم والافلا فائدة فى ذكره لان التعليم انما يكون لمالم يعلم لان مالم تكن تعلم فيه اشعار
بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفى لايمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب وهو
بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى ورد بانه مثل الآية فذكره
لافادة العموم كما فى قوله تعالى * ومامن دابة فى الارض * الى آخره و بما قررناه لك تبين
انه كلام قشرى ولنا عودة الى بيان ذلك عند اعادة المصنف الآية (قيل فضله العظيم)
فى هذه الآية (بالنبوة) مطلقا فانها اعظم النعم التى تفضل بها او بنبوته الخاصة به الكاملة
(وقيل بما سبق له فى الازل) الازل مولد وهو القدم والوجود الذى لا اول له قال فى
المجمل الازل القدم ويقال هو ازلى والكلمة ليست بمشهورة فى كلام العرب واحسب
انهم قالوا فى القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا يزلى ثم ابدلوا الياء
الفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته اصلية
والمراد بما سبق ما سبق للنبى صلى الله عليه وسلم فى علمه وتقديره من كل ما اعطاه الى الابد
فيعم جميع ما انعم الله به عليه اذ لامخصص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه باعتبار تقديره
ففيه مضاف مقدر وهو تقدير وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا لعدم

تخلفه عنه ولفظه كان في مثله تدل على الازلية في حق الله تعالى كما صرحوا به
(واشار الواسطى) رحمه الله تعالى تقدم ذكره وترجمته والاشارة في اللغة الايماء الى
الشئ بغير نطق ويكون في كلام المصنفين مقابلة للتصريح والمراد هنا مطلق
الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده (ان انها اشارة الى احتمال الرؤية) وضمير انها للآية
وقيل الكلمة الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على رؤية الله تعالى ومشاهدته
ليلة المعراج على قول من قطع بانه رآه ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضائل
واخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها الاختلاف الا انها لما كانت عند المصنف
راجحة لم يلتفت للخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على
الواسطى رحمه الله تعالى بانه لا دلالة في النظم على ما ذكره غير متجه وحمل الرؤية على
القلبية التامة يأباه ظاهر قوله (التي لم يحتملها موسى) ابن عمران عليه الصلوة والسلام
حيث قال لن ترانى الى قوله تعالى وخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة
والعلمية واصله كما قيل موشى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا
وهو الشجر فسمى به لان امه القته في ماء النيل في صندوق من خشب الشجر والقول
بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التأنيث بعيد جدا واما موسى بمعنى
آلة الحلق فعربى في وزنه اختلاف عندهم وفي معربات الجواليقى ان موسى لم يسم به
احد من العرب قبل الاسلام وبعده سمى به تبركا باسماء الانبياء عليهم الصلوة
والسلام قال التجانى واكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله
عليه وسلم عن ان يضله احد من الكفرة لقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك وهذا آخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه
والنظر في حقائقه ودقائقه الرائقة وشفاء غليل الصدر من موارد فضائل سيد الخلق
الفائقة وانا ارجو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن صفته ان يشرح صدرنا
وييسر امرنا ويفيض علينا من بركاته آمين ﴿ الباب الثانى في تكميل الله سبحانه
وتعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم المحاسن ﴾ جمع حسن على خلاف القياس او جمع
مفرد مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها
الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة الى ان النوع
البشرى مخلوق على الكمال في احسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله تعالى عليه
وسلم وسيرته في غاية الكمال وكون النوع احسن لا ينافي التفاضل والتفاوت بين افراده
حتى ذهب بعض الحكماء الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة (خلقا) بفتح الخاء وسكون
اللام وقدمه لتقدمه على ما بعده في الوجود وهو منصوب على التمييز اى من جهة
المخلوقية وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم على احسن
ما يكون كما قال فيه ابو العباس الاشبيلى الواعظ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

* من انت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره *
هيهات عنك ملاح الناس تشغلنى * واكل اعراض حسن انت جوهره

(وخلقا) بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق
على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة واوصافها
بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما
في الاصل بمعنى وخص المنسوخ بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والمضموم بالقوى
والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة في النفس تقتضى سهولة صدور الافعال
عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على تلك الكيفية ويخص
في العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سيأتى وقال الآمدى في كتاب الموازنة جمال الوجه
وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد في الهيبة
والدمامة يذم بها لعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل في مدح العظماء
انتهى قلت وقد اشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصرى رحمه الله تعالى في قوله

* الا يا رسول الاله الذى * هدانا به الله من كل تيه *
* سمعنا حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه *
* وانت قلت اطلبوا الحوائج * عند حسان الوجوه *
* ولم ار احسن من وجهك الكريم * فجد لى بما ارتجيه *

فان قلت قول الراغب رحمه الله تعالى ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه قول
النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعله بكسر الفاء كالجلسة قلت لا منافاة
بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هى الهيئة العارضة في الافعال كالخلقة
(وقرانه) بكسر القاف كما علم مما مر مجرور معطوف على تكميل اى جمعه (جميع
الفضائل الدينية) الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام (والدنيوية)
المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفي امثاله مما رابعه الف تأنيث كحبلى اذا نسب اليه
ثلاث لغات دينى ودنيوى ودنياوى كما فصل في كتب العربية فيه (نسقا) حال من قرانه
اى قرن الفضائل فيه متناسبة منتظمة وفسرها التلمسانى بتبعا ولا وجه له وقد تقدم
الكلام فيه (اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم) اعلم دأب المصنفين كما تقدم انهم يأتون
به في ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه له والمخاطب به
من سأله تأليف هذا الكتاب او كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه
خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لدأبهم والكريم الشريف العظيم
او الجواد (الباحث) اى الطالب المتفحص عما خفى لان اصله كما قاله التلمسانى
الفاخر للتراب لشئ تحته (عن تفاصيل جمل قدره العظيم) جمع تفصيل المصدر

تفعيل من الفصل وهو تمييز الشئ وافرازه عن غيره ثم استعمل فى تبيين كل امر باستيفاء افراده وتوضيحها و يطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع فى عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال فا قيل ان المشهور فى مقابل التفصيل والمفصل الاجمال والمجمل فاللائق اجمالات او مجملات قدره الا ان يريد بالجمل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لاوجه له وقدر بالسكون والفتح مقدار الشئ ومماثلته وحرمته ووقاره كما فى المصباح ومنهم من فسره هنا بمبلغه من الكمال والمرتبة والمراد تفصيل ماجمع من انواع صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كعلمه وحلمه (ان خصال الجمال والكمال فى البشر) وفى اكثر النسخ الجلال بلامين وان ومامعها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهى الصفة المعتادة محسوسة كانت ام لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفصل به الشئ على غيره وخص البشر لان مجموع ماذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعى ان الجلال لايجوز ان يوصف به غير الله ولم يسمع فى غيره وخالفه فيه اكثر اهل اللغة لوروده فى كلامهم كقول هذبة * فلاذا جلال هيبة لجلاله * ولاذا ضياع هن يتركن للفقد (نوعان) منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها اربعة لانها اما ضرورية اوكسبية وكل منهما اما دنيوى اواخروى حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة فى قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناش من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت اربعة الا انها فى الواقع لايخلو من نوعين عنده لان الدينى منسوب للدين وهو وضع الهى سائق وهم باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوى لايعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط منه قسمان وسيأتى معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لاالنوع المنطقى احدهما (ضرورى) منسوب للضرورة وهى هنا اعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به مايقابل النظرى كما توهم فان الضرورة لها معان منها هذا (دنيوى) لايتعلق به ثواب وكمال اخروى من حيث هو (اقتضته الجبلة) قال التلمسانى اقتضته بمعنى دعت اليه والمقتضى والداعى والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب للخصال ودون اثباته خرط القتاد وفيه ميل لمذاق الحكماء والمراد ان الله تعالى خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الافتنان وهذه دقة من غير محلها لان الجبلة ماجبله الله عليه وخلقه فأ له لماذكره من غير دندنة قال البرهان الحلبى الجبلة الخلقة قال الله تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع على الشئ لايتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله تعالى عليه وسلم اوجبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفى الجبلة لغات ذكرها الصاغانى فى كتاب المعادة بضمتين مشدد اللام وجبلة بزنة فعيلة وجبلة بتثليث الجيم وسكون الباء وجبلة بكسرهما مع التشديد

(وضرورة الحياة الدنيا قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لايمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضرورى الدنيوى لم يقتضه ولايرد عليه انه ينبغى عطف باو لان العطف فى التقسيم بالواو كثير لاجماع الاقسام فى مقسمها (ومكتسب دينى) اخروى حصل له فى حياته بعد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لماهو بجهده وماهو وهبى فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط و يلتئم ولايخفى مافيه (وهو) قيل انه عائد على مطلق الدينى (مايحمد) شرعا وعقلا (فاعله) وهو من اتصف به (ويقرب الى الله زلفى) مصدر بمعنى قربه مؤكد ليقرب كقعدت جلوسا لانه امر دينى بعد عبادة يثاب عليها مالم يعرض له مايفسده او بغير نية فاعله كالرياء وبقى قسما آخر ان الدنيوى المكسب والدينى الضرورى وقد تقدم الكلام عليهما (ثم هى) اى خصال الجمال والجلال والكمال جميعها لابعضها والجملة معطوفة على ماقبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبى لان الاول تقسيم حقيقى وهذا اعتبارى (على فنين ايضا) اى على ضربين ووجهين آخرين كما انهما على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الدينى ويأباه المحض الاتى (منها) اى من تلك الخصال (مايتخلص) اى يصير خالصا غير مختلط بغيره (لاحد الوصفين) اى الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم السابق لاالضرورة الدنيوية والكسب الدينى وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان فى واحد من الانواع السابقة او اكثر (ومنها مايتمازج ويتداخل) التمازج والتداخل والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منها الاخر الا ان اصل المزج خلط بعض المايعات ببعضها بحيث لايمكن تمييز بعضه من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شئ فى اخر مايعا كان ام لا امكن تمييزه ام لا والاختلاط اعم منهما لانه وجود امور مع امور تداخلت ام لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين فى شئ ولما كان امرا معنويا لاامتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع فى بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى ان يختلط الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما فى الاخر والتفاعل لاصل الفعل او هو على ظاهره وبينهما عموم وجهى والممتزج ماكان اصله جبليا وكماله كسبيا اونوع يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمسانى التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع فى العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدى الحسن يتمازج اى يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لاجل التشابه فى الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله اوخلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشئ فى الشئ وهو تفاعل ومعنى الامتزاج ان يكون الشئ الخارج فى شدة تمكنه كالاصل لايمتاز عنه ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع

عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط انت غنى عنه بما مر (فاما الضرورى المحض) اى الخالص الذى لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فلبس دينيا كما اشار اليه بقوله (فلبس للمرء) بفتح الميم وسكون الراء والهمزة بمعنى الانسان (فيه اختيار ولا اكتساب) الاختيار هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل على ماهو خير كما قال الله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار فيحصل له سواء اراده ام لا من غير كسب واسباب عادية ثم مثل له بعد مافسره توضيحا له فقال (مثل ما كان فى جبلته) اى فطرته التى فطره الله عليها (من كمال خلقته) وايجاد اجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير قيل كان الاحسن ان يقول مافى جبلته من الكمال اذ الجبلة هى الخلقة كما تقدم وهو امر سهل (وجمال صورته) اى حسن صورته الظاهرة فى جسده بتناسب اعضائه ووصفا لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه (وقوة عقله) وهو نور اوقوة اودعه الله فى الانسان يميز به بين الاشياء وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب اوالدماغ قولان وسيأتى بيان ذلك واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لايليق كما قال قد عقلنا والعقل اى وثاق وصبرنا والصبر مر المراق (وصحة فهمه) اى ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفى اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة (وفصاحة لسانه) الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة ويوصف بها المفرد والكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل كما يقال خطيب فصيح منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لا ان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم اللكنة وماقيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة لاسباب فهى من الممتزج الا ان يريد القدر السليق منها كما فى الاخلاق الاتية واطلاقه يقتضى انها ضرورية محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها اوالتقسيم لماذكر مطلقا والاسباب انما ترفع الموانع عن القوة ولاتزيدها وان كان هذا بعيدا جدا كلام ناش من عدم معرفة الدخيل من الناشى (وقوة حواسه) المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها اوسلامتها عن الآفات واعتدالها (واعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهى اجزاء البدن التى يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبقوتها تتم اعماله ومابه كماله كما قيل ليس فى الانسان جارحة احب الى الله تعالى من اللسان لنطقه بتوحيده (واعتدال حركاته) الاعتدال قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط فى السرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل فى كل عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها فردا فردا كالرأس والظهر والكف والاصابع

والزند وهكذا الجيد ينحنى ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس فى غيره فقدرته على ذلك ومنشؤه ليس باختياره فى الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعم منهما ولا الحركة فى النحو والكم ونحوه مما ذكر فى الحركة لبعده عن مقاصد المصنف رحمه الله تعالى فاذا اريد باعتدالها سلامتها اوالمعنى الآخر باعتبار منشئه ومبدئه لم يشكل بانها امور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا ان يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وماقيل من انه لو اريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز ان لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفى الجبلة ان يؤتى بها على ما ينبغى فهذا الاعتدال غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه (وشرف نسبه) اى شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا ان تسميته جبلة تسمح اوعلى التغليب ومثله غير بعيد والشرف والمجد بالاباء والحسب به وباباته معا كما قاله ابن السكيت ولاشك ان نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف الانساب لما فى سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصميم قريش ومثله يدعو العلو الهمم وتوقى سفساف الامور لاسيما اذا انضم لشرف الذات الذى لايساويه غيره كما قال ابن الرومى كم من اب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان * (وعزة قومه) القوم الجماعة اذا اضيف لاحد كانوا معه مجتمعين فى اب (وكرم ارضه) التى هى موطنه ومولده وهى من احب البلاد الى الله والحرم الامن من فيه ومقصد الحج وقبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلوة والسلام واعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض الام لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجانى فان السياق يأباه وهذا مما لم يكن باختياره وشرف البقاع يؤثر فى الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يعتبر فى الضرورى غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم الانفكاك فلا وجه لما قيل ان المراد مالم يكن يكتسبه واطلاقه موهم والمراد بما فى الجبلة الخالق سواء كان فى طبيعته اوخارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان اريد بالضرورة مالاينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان اريد فى بعض الاوقات وكل مكتسب كذلك الا ان يقال المراد انه لاينفك فى وقته اللائق به اوانه ناش عن كيفية مستمرة (ويلحق به) لحوق الشئ بالشئ تبعيته له والحق الولد بابيه اخبر بانه ابنه لشبه بينهما كما فى المصباح فالمراد انه ابعد منه لشبهه به وسيأتى بيانه وهو بضم الباء مبنى للمجهول وفى الشرح انه يجوز فيه البناء للفاعل وفتح الباء اى ملحق بالضرورى المحض امور منها (ماتدعوه ضرورة حيوته اليه)

اليه متعلق بتدعو او بضرورة او بهما على التنازع وروى تدعو بغير ضمير والضرورة
شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفى عبارته لطف لايمائه الى انه لبس مضطرا
اليه كغيره وانما الضرورة انما هى التى دعته وطلبته كما قال الابوصيرى رحمه الله ونفعنا به

* وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم *

وانما كان ملحقا لانه اختيارى لاتدخل فى الضرورة المحضة كامر (من غذائه)
بغين مكسورة وذال معجتين ومد وهو مايتغدى به من الطعام والشراب وجوز فيه
الفتح والدال المهملة وهو طعام اول النهار والاول اصح والاضطرار له لقيام البنية به
(ونومه) وهو حالة معروفة تقتضى عدم الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة
وارتخاء الاعصاب وهو الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة الحواس وقال
المعرى * وفضيلة النوم الخروج باهله * عن عالم هو بالاذى مجبول (وملبسه)
بفتح الميم بمعنى اللباس (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضرورى
بحسب العادة وروى مكتسبه بتأخير التاء عن الكاف الساكنة وبالباء الموحدة
وكسر السين وفتحها اى اكتسابه للرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا انه يغنى
عنه قوله وماله الاتى وقد يفسر بانه مغاير (ومنكحه) اى ماينكح من النساء بعقد
اوتسرى وهو ضرورى عادة ومثله قوله (وماله) اى مايملكه وهو معروف يذكر
ويؤنث وهو عند العرب يختص بالابل وفى العرف العام بالنقدين (وجاهه) المنزلة
والقدر عند الناس واصله وجه فقلب وفى عده من الضروريات الملحقة بعد
وان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد مايحمى به ماله واتباعه (وقد تلحق)
بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى انها فى الاكثر غير ملحقة بها (هذه
الخصال الاخيرة بالاخروية) الدينية المثاب عليها فى الآخرة نسبة للاخرى بمعنى
الآخرة وهو المعروف فى النسبة فتكون بحسب القصد والنية اخروية لان لها
حكمها وان كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها
بالنية من العادة للعبادة المثاب عليها صرح به فى الاحياء ومنهم من قال الثواب
انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف فى ذلك مالم يصر واجبا وعلى
هذا يمكن عدها اخروية والحاقها بها اما لمشابهتها لها حتى كانها ضرورية
اولاستلزام الضرورى لها وعلى هذا يمكن ان يقال ان الغذاء والنوم ملحق بكمال
الخلقة والصورة والملبس والمسكن والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال بشرفه
وعن قومه ويمكن غير ذلك فتأمل (اذا قصد بها التقوى) بفتح المثناة الفوقية
والقاف وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة ومابعده كالتفسير له وجوز فيه
فتح التاء وسكون القاف والواو المخففة من الاتقاء والاول اقوى واظهر وعلى الثانى
المراد التحوز من المناهى وامتثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره

الدنيوى وقصده معه فان الباعث على الشئ قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة احدهما
وبدونها وقيل لبس المراد النية بل انبعاث النفس وميلها الى فعل يعتقد انه يترتب
عليه الغرض الباعث الغالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض وارادة الشئ
قد لايتيسر للتوقف على الميل النفسانى الذى لبس باختياره الى آخر ماطوله بغير
طائل (ومعونة البدن) المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهى المساعدة وهو من الشواذ
كما ذكر فى التصريف والبدن هو الجسد ما سوى الاطراف اوماسوى الرأس
كما قاله الازهرى ويطلق على جملة الجسد كثيرا وماقيل من ان حذفه اولى اذقد
يقصد معونة الروح ايضا لاوجه له لان المراد انه يقصد تقوية بدنه بالغداء ونحوه
ليقوم بوظائف العبادة كما اشار اليه بقوله (على سلوك طريقها) اى الآخرة اى ليدخل
فى طريق الآخرة وطريق الخصال الاخروية مع ان هذا لايكون بمجرد البدن فهو
يدل على ماذكره والمراد ان يكون متلبسا بماينفعه فى الآخرة اوفى طريق يوصله
لنعيم الآخرة بقصد مايحمده الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة
ونحوه لالمجرد قضاء الشهوة وحق النفس واما قوله فى الحديث ان لنفسك عليك
حقا فلاينافى هذا الا لانه بامتثاله لامر الشارع مثاب بل لانه امر لازم له جائز شرعا
وتركه اذا اخر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة اخرى يصير بها احسن ولكل
مقام مقال واللحوق بالاخروى يجرى فى كل مباح حتى اللعب كما اذامل من عبادة
فاشتغل بمباح ينشطه بل قال الغزالى لهوه هذا افضل من صلاته وعبادته ووجه
بان تنفله بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه (وكانت على حدود الضرورة)
الحدود جمع حد وهو نهاية الشئ وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها
ان يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط بالنسخ ونحوه
فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى * ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون * وما كان كذلك لايفيد فيه نية صالحة كمن نوى
بطعامه التقوى للعبادة وزاد على الشبع اوزاد فى الالوان ومن جمع المال لينفقه
وانهمك فى جمعه ولكل ضرورة حدومرتبة لاينبغى تعديها والامور الدنيوية لبست
مقصودة لذاتها وفى بعض الشروح هنا كلام لامحصل له (وقوانين الشريعة)
القوانين جمع قانون وهو الاصل والقاعدة المنطقية على جزئياتها والاضافة لامية
او بيانية لالادنى ملابسة كما قيل والمعنى ان يكون مايفعله من هذه الامور على وفق
الشريعة المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لاينفعه نية التقرب به الى الله تعالى عزوجل
كمن يأكل حراما اويلبس مغصوبا ليتعبد به او يتصدق بمال حرام (قال)

* ومطعمة الايتام من جد فرجها * فليتك لاتزنى ولم تتصدقى *

وقال الغزالى رحمه الله لاتظنن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الربط بالحرام

فانه جهالة عظيمة وله فى كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلم الا ان منها مالا تتغير حرمته كالزنا وذهب ابن القيم الى ان من انفق مالا حراما فى قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل كالصلاة فى ارض مغصوبة وفى هذا المقام كلام طويل ليس هذا محله (واما) الخصال (المكتسبة الاخروية) الدينية (فسائر الاخلاق) جمع خلق وهو الوصف الذى اطبعه الله تعالى عليه او اكتسبه وسائرها هنا بمعنى الجميع او الباقى وقد اختلف فيه اهل اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد فى كلامهم الا بمعنى الباقى ثم اختلفوا فقيل هو الباقى مطلقا قل او كثر لانه من السور بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقى الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهرى وغيره الى انه يكون بمعنى الجميع وخطأهم فيه كثير كابن قتيبة والحريرى فى الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهرى رحمه الله تعالى وان ما قالوه غير صحيح اما الاول فلانه قد سمع من الفصحاء كقوله * الزم العالمون حبك طرا * فهو فرض فى سائر الاديان * واما الثانى فلان القائل به يقول انه مشتق من السير اى يسير فيه هذا الاسم ويطلق عليه وقد اشبعنا الكلام فيه فى شرح الدرة فانظره (العلية) اى الشريفة المحمودة عند العقلاء واهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا اريد بها وجه الله تعالى (والاداب الشرعية) التى هى اعم من الاخلاق او مقابلة لها فيشمل انواع العبادة ثم بين ما اجمله بقوله (من الدين) اى التدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان (والعلم) بماله وعليه مما به نظام معاشه ومعاده (والحلم) وهى ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى (والصبر) وهو حبس نفسه اذا اصابته مصيبة اوناله ضرر وقل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله تعالى وان كل شئ بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى (والشكر) بان يحمد الله على نعمه ويحمد من اولاه معروفا ويصرف ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله (والعدل) بان يجتنب ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره (والزهد) بترك الدنيا والرغبة عما فى ايدى الناس وترك المحرمات والمشبهات وترك ما سوى الله تعالى مريدا وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) اى الخضوع والتذلل ولين الجانب (والعفو) وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة (والعفة) وهى قمع النفس عن تعاطى ما ينبغى (والجود) وهو بذل ما ينبغى فيما ينبغى من غير اسراف ولا بخل (والشجاعة) وهى الاقدام على ما ينبغى كما ينبغى ولها طرفان الجبن والتهور (والحياء) وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل وهو انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها (والمروءة) وهى فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها مأخوذة من المرء وهى تعاطى

المرء ما يستحسن ويجتنب ما يسترذل كالحرف الدنية والملابس الخسيسة والجلوس فى الاسواق (والصمت) وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغى وترك الفضول فانه كما ورد فى الاثر الصمت حكم وقليل فاعله وقد يحمد فى محله ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه انه قفل الفم كما قيل وكم فاتح ابواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل * وهو كثير فى النساء ولذا يذم احيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام للسان والتكلم يقظته والمرء مخبو تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات خاطره وهذا فى الخبر (والتؤدة) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهى التأنى وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وروى التودد اى اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة (والوقار) وهو السكون والطمانينة من غير طيش وخفة (والرحمة) الشفقة والتعطف (وحسن الادب) مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم (والمعاشرة) معطوف على الادب اى حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التحجب وهجر الاخوان بغير داع (واخواتها) بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سيأتى فى الفصل الذى يليه (وجماعها) بكسر الجيم اى يجمع هذه واخواتها ويشملها كلها وفى الحديث حدثنى بكلمة تكون جماعا اى جامعة للكلمات كما فى النهاية (حسن الخلق) فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معاملة كل احد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله ابو مدين رحمه الله تعالى وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما فى قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كانه عينه للزومه وفيه تفصيل فى حواشى المطول فى تعريف الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصور الباطنة ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) هى والطبيعة والجبلة بمعنى كما مر (واصل الجبلة لبعض الناس) خلقه الله وانشأه عليها كما ترى من بعض كرم الناس وحسن خلقه من غير تعلم من احد واعلم ان مراده بالكمال الذى عقد له هذا الباب كمال الانسان فى خلقته الذى ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وما يلحق به من امور معاشه وماله دخل فيه كارضه واصله وماله دخل فى بقائه من امور معاشه وهو الذى اشار اليه الحكماء بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التى هى النفس الناطقة خصه الله تعالى باشرف الامزجة واعد لها وجعلها بحكمته تقدست اسماؤه مدينة فيها اعضاء رئيسة ومرؤسة ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيها عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحمده كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيره وهذه

لايدخل فيها صرف العبادة كالصلاة والحج ونحوه مما خصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة ايضا لان الشارع امر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لاحاجة اليها فقوله واصل الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ماهو قسم من الضروريات ايضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى آثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلة مسامحة ويشترط فى كون هذه دينية ارادة وجه الله بها كما عرفته فما قيل على المصنف رحمه الله تعالى ان مقتضى كلامه ان الجبلى والوهبى كالنبوة لعدم القصد والعمل لايكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمال يكون لكمال فى الجبلة ووهب فى الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبى والجبلى كما فى بعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام والانتساب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم يكن اعمالا يثاب عليها وكم فى الآخرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لاينكره من له انصاف والاخلاق التى مدحها الشارع امور كسبية وان كان لها كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى والظاهر انها توجب التقرب والتكريم فى حد ذاتها وباب الجدال لايسده طول المقال الى آخر ما اطال فيه قد عرفت انه خارج من نهج السداد (وبعضهم لاتكون فيه فيكتسبها) هذا معلوم من جعله مكتسبا وانما ذكره توطئة لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبى وقال بعض الشراح الصواب الرفع على الاستيناف وتقدير المبتدأ وهكذا كل ما اريد به نفى ما قبله واثباته كقولك لمن تكره اتيانه ما تأتينى فاكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام فى الشذوذ وفى الاوابد وكتب العربية مايخالفه وليس هذا محل تفصيله واعلم انهم اختلفوا فى الاخلاق هل هى كلها غريزية من غير كسب او كلها كسبية او بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال النجانى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى كما سيصرح به فى الفصل الحادى عشر من هذا الباب والشعراء فى تخيلاتها ان ما ليس بغريزى لابد من زواله كما قاله المتنبى * واسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده * وقال ذو الاصبع العدوانى * كل امرء راجع يوما لشيمته * وان تكلف اخلاقا الى حين * (ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى) لابد من كذا اى لامحيد عنه ولامفارقة من بددت الشئ اذا فرقته ولايستعمل الا فى النفى ولايرد عليه قوله فمن ظن ان لابد عنه فان عنه الف بد لقصد التمليح وهو مولد وما وقع فى بعض حواشى المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لاوجه له واصل الجبلة اضافة بيانية والشعبة بضم الشين وسكون

العين المهملة الحصة من الشئ واصل معناه الفرقة والقطعة واحال المص على ماسيأتى فى فصل الخصال المكتسبة (وتكون هذه الاخلاق دنيوية) اى آثارها المترتبة عليها او اكتسابها والتطبع بها يعنى تنقلب من دينيتها المحمود المثاب عليه الى انها تكون دنيوية صرفة لايثاب عليها كما ان الدنيوى ينقلب دينيا بالنية الصالحة وكذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين اولا وهو الدنيوى المكتسب فالانواع اربعة دينى او دنيوى وكل منهما ضرورى او مكتسب وقد عرفت ما فيه (اذا لم يرد بها) بالبناء للمجهول او اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد (وجه الله) اى ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره (والدار الاخرة) التى فى مقابلة الدنيا اى نعيمها ومافيها من الثواب والجزاء وما كان لله ولوجهه فهو للاخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التى لاينظر فيها لجنة ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال امره وقد يجعل هذا على قسمين ماقصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وماقصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل مايستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالى رحمه الله تعالى وهذا قل ان يفهمه احد فضلا عن ان يأتى به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلانى تكفير من ادعى به البراءة من الحظ بفعله واجاب الغزالى بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لايصح فى القسم الثانى اذ ليس نظرهم لتلذذ انفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق فى الجواب ان عدم التأثر عن شئ فانه غنى وهذا نقص لايليق به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متأثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولادليل على اختصاصه فيجوز فى فعلهم الغير الاختيارى واما الاختيارى ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختيارى من الممكن لابد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكماء والثانى اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها مايفعل لعبادة الله واطاعة امره راجيا النجاة بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه اعلاها ومنها مافعل لذلك والباعث لعبادته امر اخروى بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها مايفعل مع الغفلة عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الرازى رحمه الله تعالى ببطلانها وفاقا فقال فى تفسيره اجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لاتصح عبادته ودعاؤه وذلك لان

التكاليف بمقتضى الالوهيـة والعبودية عند اهل السنة ومع كونها مصالح
عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهى فمتى اتى بها لاتباع الامر
والنهى صحت ومتى اتى بها خوفا وطمعا لم يصح اتفاقا لانه لم يأت بها على وجه وجوبها
انتهى ومنـه يظهر ان المراد وجوب ان يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف
انضمام شئ آخر باحد الوجهين مالم يصر رياء فلا ينافى هذا قول النووى رحمه الله
تعالى لو قال احد لآخر صل لنفسك ولك على كذا فصلى فهذه النية صحيح
ومن لم يفهم مراده توهم المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة مالا يحتاج الى نية
بل يكفى عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيره فلا يبعد ان يكون فى الاخلاق
العلية ماهو كذلك واذا لم تجب فى الصدقة ونحوها فبالاولى ان لاتجب فى العلوم
الشرعية والعدالة واذا كان الكلام فى الآثار فقد يكون عين ماذكروه وحينئذ
انما تكون دنيوية اذا اريد بها غير الله واما اذا اريد بها آخرة وغيرها ففيه
تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة من مقاصد الكتاب انتهى ملخصا (اقول
ذكر هذا الامام فى تفسير الفاتحة واستدل بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقد اقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى فى شرح الارشاد
وهذا عجيب فقد صرح الفقهاء بان من قصد بالصلوة الدنيا تصح صلاته فبالاولى
هذا فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه
دليل على ان مثله لايضر وقد صرح فى الاحياء بان قصده لاينافى الكمال والعامل
للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم اكثر اهل
الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكى رحمه الله تعالى العاملون على اصناف
صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نار ومع ذلك يسئلونه الجنة ويستعيذونه
من النار اتباعا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد
خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا فى جنته وهو دون الاول
كلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على
من جعل عبادته فى مقابلة ذلك وانه واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية
حينئذ فيبطل عمله عند اهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ماعبد تكلف اذ الكلام
فى اسلامه حينئذ وفى الاحياء عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن
عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده بالمحبة فهو زنديق اى المؤمن لابد له من الخوف
والرجاء لقوله خافونى ولا تيأسوا من روح الله الى آخره فمن عبده بالخوف ولم يوجد
منه رجاء او وجد مالاوزن له معه فهو حرورى لحكمه على العاصى بالانسلاخ
من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على على كرم الله وجهه وهم فساق او كفرة
فتجريد الخوف يوجب الالحاق بهم ومن عبد بالرجاء دون الخوف فهو كالمرجئة
الذين يقولون لايضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال لاتصح صلاته

ولاشئ من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك
انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض مايذم تاركه او يعاقب او يخاف من العقاب
على الخلاف فى حده ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء
الخوف لاتصح معه عبادة واجبة لانه ارجاء لايقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب
الى آخره لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لايوجب الارجاء مطلقا بل تجريد الرجاء هو
الموجب له وثمة حالة اخرى اكمل منه وهى الحياء المانع من المعصية ومعنى الثالث
ان تمحض المحبة مع انتفاء الخوف والرجاء يستلزم العمل لا لاجلها لا لاستحقاقه تعالى
واعتقاده كفرا لمن يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ماعبدناك خوفا من نار
ولا طمعا فى جنتك انه لذاتك المستحقة لذلك كامر انتهى وانما اطلنا فى هذه المسئلة
لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ما ذكروه ليس غير متجه بوجه من
الوجوه لان كلامهم فى العبادة المعروفة فى عرف الشرع ومانحن فيه من هذا القبيل
كما حققناه لك فلتكن على ذكر مع ان فى كلامه سقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر
نزيوف المعارف نقاد فليجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير
والى ماذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة فى عرف الشرع اشار
بقوله (ولكنها كلها محاسن وفضائل) اى هى كلها امور حسنة تفضل بها صاحبها
فى حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد حسنة وخلوص نية
اثيب عليها والافلا (باتفاق اصحاب العقول السليمة) وان كانت قد تذم لامر عارض
كالرياء والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا (وان
اختلفوا فى موجب) بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم اى سبب (حسنها وتفضيلها)
على غيرها هل هو لذاتها لما يترتب عليها او لتحسين الشارع وتفضيله بناء
على ان الحسن والقبح امر يعرف بين الشرع لا من غيره مطلقا كما ذهب
اليه الاشعرى او فى بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدى او من العقل مطلقا
كما قاله المعتزلة والخلاف فى الحسن والقبح الذى يترتب عليه الثواب والعقاب
لا مطلقا كما توهم ﴿فصل﴾ قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه
عد ماتقدم فصلا ولم يعد الفصول لذلك او للاختصار ولم يترجم بعض الفصول
لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله
تعالى عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ماذكر فى الفصول التى بعده
(اذا كانت خصال الكمال والجلال) المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله (ما ذكرنا)
فى اول هذا الباب (ووجدنا الواحد منا) معاشر البشر وهذا معطوف على ماقبله
او حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد يشرف كما وجدنا ويشرف بفتح الياء وضم
الراء اى يحصل به الشرف على غيره (بواحدة منها واثنتين) اى بسببه اذا كانت
فيه على مايليق به (ان اتفقت له) قيد للشرف او للوجدان والحصول ومعنى

الاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من
السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان الكمال
(فى كل عصر) قليـل كما قيل * انى لافتح عينى حين افتحها * على كثير ولكن
لا ارى احدا * والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوى على امم
وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور متعلق بوجدنا او يتشرف ويجوز تعلقه
باتفقت والمراد بالواحد الجنس اى واحد فى عصر وآخر فى آخر عصر بعد عصر
لافى ايام قلائل واشار بقوله واحدة او اثنين الى ان اجتماعهـا كلها او اكثرها
نادر وفى بعض النسخ (اواوان) وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من
عطف الخـاص على العام كما قيل (اما من نسب اوجمال اوقوة) فى الاعضاء
والقوى وقيـل هى بمعنى البطش والشدة (اوعلم) اى علم من العلوم الشرعية
او العقلية (اوحلم اوشجاعة اوسمـاحة) وجود وكرم (حتى يعظم قدره) غاية
لقوله يشرف ولوصفه بما ذكر اى يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس فى حياته
قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة اعلا من العلو والشرف او مقيدة بقوله (وتضرب
باسمه الامثال) فى حياته ومماته كما يقال هو حاتم فى الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به
وضرب بيانه وتشبيه غيره به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم
مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيـل والمثل يضرب للايضاح بابرازه فى معرض
المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله فى وجه الشبه والضرب اصله ايقـاع
شئ على آخر ويختلف باختـلاف متعلقه فالضرب فى الارض السير لايقـاع
الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقـاع المطارق ومنه اخذ المثل لتأثيره
فى النفوس كما اشار اليه بقوله (ويتقرر بالوصف بذلك فى القلوب اثرة) بضم الهمزة
وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهى المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التى
وصف بها وانفرد واستأثر عن غيره (وعظمة وهو منذ عصور خوال) اى والحال
ان ذلك الموصوف بها من ابتدأ ازمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب
الامثال به ومنذ مبنى على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على ما فيه
(رمم) بكسر الراء وقد يضم جمع رمة او رميم وهى العظام واجزأ البدن البالية فقوله
(بوال) جمع بالية وبال تأكيد كنفخة واحدة او تجريدا او بيان لرمم لانه قد يغفل عن
معناها وهو قريب من التأكيد فلا وجه لرده وليس فى حمل الرمم على ما هو باعتبار
اجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته
بالاتصاف بواحدة او اثنين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما ظن
بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض واحياه فى قبره
كسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد رأيت فى بعض الكتب ان السلف
اختلفوا فى كفر من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما انتقلت روحه

للملأ الاعلى تغير بدنه وروى ان وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن ابى خالد
ان رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم لما توفى لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى
خنصره واخضرت اظفاره لانه صلى الله تعالى عليه وسلم توفى يوم الاثنين وتركه
لليلة الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح امر الامة وحكمته ان جماعة من
الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا لم يمت فاراد الله ان يريهم آية الموت فيه ولما
حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى الحـاكم العثمانى فاراد صلبه على خشبة نصبها
له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينـة واطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب
وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض
النـاس بريدا اخبره بذلك فرجع للكوفة خيفة من القتل وكان المفتى بقتـله
عبد المجيد بن رواد وقال سفيـان لا يجب عليه القتل وانكر هذا الناس وقالوا رأينا
بعض الشهداء نقل من قبره بمدار بعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شئ فكيف
بسيد الشهداء والانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغى
التحدث بها (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت له كل هذه الخصال) اى الواحد
منا اذا حصلت له خصلة او خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع فى القلوب
ورفيع قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق
فى قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا جواب اذا
والظن الاعتقـاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره
العظيم والاستفهام انكارى بمعنى النفى او للحمل على الاقرار بغاية عظمته او للتعجب
وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة (الى ما لا يأخذه
عد) اى لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا يأخذه لا يحيط به او يغلبه
كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم كما مر فهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعاء
او مبالغة والى ما قلناه اشار بقوله (ولا يعبر) بكسر الموحدة المشددة (عنه قول
قائل) يعبر اى نقول وروى به مقال اى لا يعرب به ويظهره مقال (ولا ينـال)
اى يحصل ويوصل اليه (بكسب) وتحصيل باسباب عادية (ولا حيلة) اى
حذق وتصرف بجودة نظر وهو اعم من الكسب (الا بتخصيص الكبير المتعال)
استثناء مما قبله منقطع اى لكن لا ينال الا بامر وتهيئ يخص الله به من يشاء وقيل
يحتمل ان يكون متصلا اى الا بحال مصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب
بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير لعظيم شانه وقال الرازى الكبير ما كبر فى ذاته
والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتأمله والمتعال
بحذف الباء للوقف تخفيفا المستعلى على كل ما سواه والعالى شانه عن جميع شوائب
النقص وقوله (من فضيلة النبوة والرسالة) بيـان لما فى قوله ما لا يأخذه عد

اى لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لايجوز به العهد مماهو مذكور فى الكتاب ليقف عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص اعم من الشئ والحقيق وان الظاهر انه لم يرد الخصايص لعد المشتركات ولاداعى للتكلف للتخصيص والقول بانه لايناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفى قواعد القرافى النبوة افضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة انها عبارة عن خطاب الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة افضل لعظم ثمراتها وعموم نفعها ولكل وجهة وسيأتى تفصيله (قلت) و بهذا ظهر السر فى ان الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبى لتعلقها لذاته الشريفة ولذا قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى لا لانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم (والخلة) بضم الخاء من المخاللة (والمحبة والاصطفاء) افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهى الاختيار والاجتبار بالجيم تناول جبايته وجمعها فيه وسيأتى الكلام على المحبة والخلة وهواشارة الى ماورد فى الحديث الآتى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (والاسرا) الى المسجد الاقصى وسيأتى تفصيله (والرؤية) لربه وآياته الكبرى اوجبريل عليه الصلوة والسلام فى صورته الاصلية فلايرد عليه ماقاله البرهان الحلبى من انه هنا جزم برؤية ربه وقال فيما سيأتى ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال ان يراد بالرؤية غير ماذكراو يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذى رأه رفرفا اخضر سد الافق فى الجنة (والقرب والدنو) لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى على القول بان الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به من القرب من الله تعالى لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر فى الآية على سبيل المدح فالاول فى قوله تعالى فكان قاب قوسين اوادنى والثانى فى قوله تعالى ثم دنى فهما متغايران هنا اوعطف تفسير (والوحى) مصدر وحى بمعنى اوحى والاكثر فى الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثى وهو من اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بما يريده من شرع وغيره بكلام اوارسال ملك اوالهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفى (والشفاعة والوسيلة) المراد مطلق الشفاعة فى امته صلى الله عليه وسلم او الشفاعة العظمى وله صلى الله عليه وسلم شفاعات ستأتى والوسيلة اصلها مايتوسل به ويقرب ويتوصل بها لمراجعة ربه وقيل هى الشفاعة يوم القيمة وقيل هى منزلة فى الجنة وحمله هنا عليها ارجح (والفضيلة) هى اما فضيلة خاصة به صلى الله عليه وسلم او شاملة لجميع مامنحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة

قابلة للزيادة ولذا قال وقل رب زدنى علما وقال ولايحيطون بشئ من علمه الابماشاء ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز فى الدعاء للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقال اجعل ذلك زيادة فى شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله ولذا اثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله ولاتزكوا انفسكم واستثنى منه محال منها الامين الواثق باماتته كقول يوسف عليه الصلوة والسلام انى حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول على كرم الله وجهه انا مفرق الكتائب انا ليث بنى غالب ومنها العالم والنسيب اذا لم يعرف انتهى ملخصا (والدرجة الرفيعة) واحدة الدرجات وهى الطبقات والمراتب وهى المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة العالية (والمقام المحمود) هو مقام تقوم منه صلى الله عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولاشك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا اولى من القول بانه الشفاعة لاخراج طائفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص اوتغاير المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد ويكون اقرب من جبريل وقال البرهان انه الشفاعة العظمى فى اراحة الناس من الموقف وعن كعب ابن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود رواه ابو حاتم وهذا لاينافى ما تقدم كما قاله الطبرى لقوله فاقول الى آخره فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الى آخره فذلكة لما قبله والاشارة لمجموعه لقوله تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف اى فمقام ماذكر والاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان عبدالله بن سلام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله الف وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاثة ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لااله الاالله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يامحمد وفى الرياض النضرة فى فضائل العشرة للطبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذوالنورين على الرضى انتهى رضى الله تعالى عنهم وتصديق بن سلام رضى الله تعالى عنه اظهار الخلوص اعتقاده او لموافقته لما فى

الكتب الالهية عنده لانه خبر بنى اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسما بناء على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد بيدى اراد به انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق والقرب تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسمية لواء الحمد كتابة الحمد عليه او انه تبعه فيه جميع الناس حامدين له او انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللايقة به (والبراق) تقدم الكلام عليه (والمعراج) بكسر الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم على المعراج الى السماء وفى رواية انه رأى معراجا كسلم فسمى به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفى الصحاح المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة او المراد الدرجات الصورية كالسموات او المعنوية التى عرج عليها وقد يطلق على العروج وبه فسر فى بعض المواضع وفى القاموس عرج يعرج عروجا ومعراجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح او مثلث فى غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ومن لطائف الفاضل قوله فى رسالة فى اعرج قامت العصا بيده مقام رجله وقلت اعواد الاغصان من اجله * فعرج به من الارض الى السماء وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ونما ولعمرى حمل العصا هو العذاب الاليم وما افلح من لازمها بعد موسى الكليم (تنبيه) قال الحافظ الدمياطى الاسرا عبارة عن سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور او من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الاخر كما مر (والبعث الى الاسود والاحمر) اى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب او الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب السمرة وعلى العجم البياض (والصلاة بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين اسرى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يراع المصنف رحمه الله تعالى الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن (والشهادة بين الانبياء والامم) يوم القيامة كما فى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر (وسيادة ولد آدم) اى سيادته لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت فى الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر (ولواء الحمد) تقدم الكلام عليه وسيأتى ايضا واللواء اكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع كما قاله التلمسانى ويجمعها العلامة (والبشارة والنذارة) بكسر اولهما اى لكونه بشيرا ونذيرا كما فى القرأن الكريم (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم) بفتح المثلثة اى هناك (والامانة) على الوحى واسرار الالوهية المذكورة فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم الاية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له فى نفس الامر

بادلة اخر (والهداية) له المذكورة فى اول سورة الفتح او كونه هاديا للخلق (ورحمة للعالمين) بالنصب بكون مقدر وروى بالجر اقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم (واعطاء الرضى والسؤال) بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المأمول وكل مسؤل والرضى كل ما يرضيه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤال قريب من الرضى قيل والذى ورد فى الآية الرضى والسؤال ورد فى حق موسى فى قوله تعالى * لقد اوتيت سؤلك يا موسى * اى ما سأله بقوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى قال التجانى ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اعطى الرضى لان من اعطى ما به الرضى فقد اعطى واما السؤال فكم اعطى سؤالا ونال مأمولا ومسؤلا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ كما فى حق موسى عليه الصلوة والسلام فلعل المصنف رحمه الله اراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى سؤال موسى السابق لقوله تعالى له * ان مع العسر يسرا * وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح (والكوثر) تقدم الكلام عليه (وسماع القول) اى سماع الله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقبوله الوارد فى حديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال ان يراد بالقول القرأن وسماعه العمل بموجبه او استماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد (واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر) المذكورة فى قوله تعالى * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كما تقدم (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) المذكورة فى قوله * الم نشرح لك صدرك الخ (وعزة النصر) كما مر فى قوله تعالى * وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة والتأييد بالملائكة) اشارة الى قوله تعالى * فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة عليهم الصلاة والسلام ببدر كما مر وقال ابن العربى فى احكام القرأن اتفقوا على ان الاقوى فى هذه الآية ان الضمير فيها عائد على ابى بكر رضى الله تعالى عنه لا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفى انوار التنزيل فى تفسير قوله تعالى * سكينة من ربكم * اى ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها ولها جناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملايم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغانى من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات او الرحمة او الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم السلام والتأييد التقوية وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا وينزل سبعون الفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت الارض
خرج سبعون الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه (وايتاء الكتاب والحكمة) الكتاب
القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع على ما مر (والسبع المثانى والقرآن العظيم)
تقدم الكلام فيهما (وتزكية الامة) لقوله تعالى * يتلو عليهم آياته ويزكيهم * وفيه
فضيلة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (والدعاء الى الله) قال الله تعالى
* قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة * وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا * كما تقدم واما قوله تعالى * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله * فعامة والمراد به نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عايشة رضى الله تعالى عنها ان هذه الآية نزلت
فى الاذان للصلوة واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكذا ما قيل
المراد بذلك بلال بخصوصه رضى الله تعالى عنه والجواب بان المراد ان الاذان
داخل فيها يأباه ظاهره (وصلاة الله والملائكة) عليه صلى الله عليه وسلم كما فى الآية
والاحاديث الآتية (والحكم بين الناس بما اراه الله) لقوله تعالى * انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله * اى عرفه بالوحى والاجتهاد الذى اراه طريقه
(ووضع الاصر) اى ثقل التكاليف التى كانت فى الامم السابقة (والاغلال عنهم)
اى المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل فى العنق وفيه استعارة مصرحة قال
ابو على فى قوله تعالى * ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم * اى
بتخفيف ما يشدد فى التوراة على بنى اسرائيل واخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون
دية او عفو او قطع الاعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وضمير عنهم
لامته اوله ولهم (والقسم باسمه) كما مر والاسم ما اطلق عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم فيشمل نحو والنجم اى ايراد اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القسم انما هو
بمعناه (واجابة دعوته) اى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مواضع لا تحصى
(وتكليم الجمادات) كالطعام والحصا والاحجار كما ورد فى الحديث انى لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولاجله
صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام فى
يده كما ظنه التجانى نعم هو داخل فى تسبيح الحصا لشبهه به وسيأتى ذلك والجمادات
جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان قال وقبلنا سبح الجودى
والجمد وقيل انه اصطلاح العلماء والاسماء المذكورة التى لم يسمع لها جمع تكسير من
العرب يجوز جمعها بالالف والتاء كحيوانات واما ما جمع جمع تكسيره فلا الا فى الشاذ
القليل كما قال التجانى وظاهره انه مقيس وكلام الحريرى فى الدرة مصرح بخلافه
(والعجم) اى وتكليم العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية
ودراية والمراد به الحيوان الذى ليس من شانه النطق واراد به ما ورد من نطق الظبى

والضب والجمل والحمار المفصل فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جمع اعجم
كما فى المقتفى وحاشية الشمنى وقال ابن ارسلان جمع عجماء ومنه الحديث اذا اركبتم هذه
الدواب العجم وجرح العجماء جبار وكلاهما جائز وفى النهاية ومختصرها للسيوطى
ورد بعد ذكل فصيح واعجمى اى آدمى او بهيمة فقول التجانى الاعجم يطلق على
من فى لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وعلى من لا يفصح منه كلام من الحيوانات
غير الناطقة ان اراد الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب غير
صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا فى هذه سماه النطق المفهوم طالعته فلم اره
محررا وفى عرى الايمان للبارزى اختلف اهل النظر فى هذا فمن قائل انه كلام واصوات
يخلقها الله فى الجماد ونسمعها من غير تعبير وهو مذهب الاشعرى والباقلانى وذهب
آخرون الى ايجاد الحياة فيها او لائم الكلام بعده وللمنصورى فى قصيدة نبوية
* بالسن فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا * وسيأتى الكلام فيه مفصلا
(واحياء الموتى) اى احيائه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب الظاهر والمراد
احياء الله الموتى له جمع ميت كما ورد فى احياء ابويه له صلى الله تعالى عليه وسلم وغير
ذلك مما سيأتى (واسماع الصم) اى اسماع الله بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة
الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع اصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله تعالى
عليه وسلم امر الحجارة ان تجتمع عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره التجانى
وهذا لا يخالف قوله تعالى * افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان فى ضلال
مبين * فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصمم المعروف
(فائدة) قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى لم يكن فى حياته صلى الله تعالى عليه
وسلم احد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم اصم وهذا من كراماته صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه مبلغ لهم اوامر ربه والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى (ونبع الماء
من بين اصابعه) اى حدوثه من بينها كما سيأتى بيانه والاصابع جمع اصبع وفيه عشر
لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى فى فوائده بتثليث الهمزة مع تثليث الباء
واصبوع كعربوع فهى عشر وما اقلته فى هذا من مقطعات النيل * لا تقل لى اصابع
النيل تحكى * ما جرى من اصابع المختار * وهو عذب جرى بغير قياس * زائدا رائقا
بغير انكسار (وتكثير القليل) من الطعام وغيره اى تكثير الله له بسببه صلى الله تعالى
عليه وسلم او تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضم الامثال كما فى قصة جابر
وطلحة رضى الله تعالى عنهما المروية فى كتب الحديث لما امر صلى الله تعالى عليه
وسلم بجمع الزاد القليل ودعا وترك فيه فكثر حتى ملئ منه كل وعاء معهم (وانشقاق
القمر) لاجله بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى انس رضى الله تعالى عنه
ان قريشا سألته ذلك فانشق القمر فلقتين وروى مرتين وروى انه ذهبت فلقة

وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما فى الآية انه سينشق يوم القيامة كما فى الكشاف وغيره لانه اخراج للقرأن عن ظاهره وترك لتفسيره بما هو من اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى بسط الكلام فيه كالذى قبله (ورد الشمس) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حفر الخندق وصبيحة الاسرا ولصلاة على كرم الله وجهه وسيأتى تفصيله فى حواشى التلمسانى انها وقعت ليلة الاسراء لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت لعلى كرم الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف فى ايام الدجال لطول ايامه فيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلوة والسلام فبطل بعضه وبطل باقيه بقصة على كرم الله وجهه والى هذا اشار القائل رحمه الله تعالى

وردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر مطلع * فوالله ما ادرى ءاحلام نائم * المت بنا ام كان فى الركب يوشع

(وقلب الاعيان) جمع عين وهى ذات الشئ ونفسه وهى مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضى الله تعالى عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله تعالى عليه وسلم من يده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سيأتى وقلب الاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره وان لم يعتد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت واوجد الله مكانها مثلها (والنصر بالرعب) بضم فسكون وهو الخوف وسيأتى تفصيله (والاطلاع على الغيب) بتشديد الطاء اى اطلاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله له صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ليكون معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاولياء كرامة لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول والجواب عنه مفصل فى التفاسير وكتب الاصول وقال التلمسانى الاطلاع بسكون الطاء ولا يشدد لفساد المعنى لان الله هو الذى اطلعه لا انه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله تعالى ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله تعالى عليه وليس بشئ (وظل الغمام) اى تظليلها له صلى الله عليه وسلم لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك فى اول امره فان لم يثبت بعده فلاستغنائه عنه (وتسبيح الحصا) فى كفه الشريف وان كان ما من شئ الا وهو يسبح بحمده لان هذا تسبيح خاص يسمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن احسن ما قلته فيه

* رسول له وارى زناد عزيمة * فليس به صم الحجارة يقدح *
* رمى بالحصا قوما بغاة فكفهم * بكف به بحر السماحة يطفح *
* فكل لسان ناطق بتعجب * لذاك الحصا فى راحتيه يسبح *

(وابراء الآلام) جمع الم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحاديث

فيه كثيرة مشهورة (والعصمة من الناس) من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه (الى ما لا يحويه محتفل) هذا كقوله قبله الى ما لا يأخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق اى منتهية او مضمومة الى ما ذكر ويحويه بمعنى يشمله ويجمعه اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به اى لا يهتم والمعنى ان من اهتم بجمع هذه الصفات وامثالها لا يمكنه الاحاطة بها ويبينه قوله (ولا يحيط بعلمه) اى بالوقوف عليه على اتم وجه (الا مانحه ذلك) اى الا الله الذى اعطاه ذلك واصل المنحة كما فى المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها ثم ترد وكثر ذلك حتى صار لمطلق العطاء يقال منحته منحا من باب نفع وضرب اعطيته والاسم المنيحة ولا يلزم من الاتصاف بشئ ان يعلمه الناس لان منه امور باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه الموصوف بالكنه والكمال فلا خلل فى الحصر (ومفضله) على غيره مما اودعه من الفضائل (به) اى بكل ذلك ومجموعه (لا اله غيره) اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على ابلغ وجه والا للحصر اى ليس علمه واعطاؤه الا لله الخالق لا للمخلوق العاجز لانه المعطى الحقيقى المحيط علمه بكل شئ وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به النووى رحمه الله تعالى فى الاذكار (الى ما اعد له فى الآخرة) اى هيأه له فيها من المنح والمنازل العالية مما لا عين رأت ولا اذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر فالتجاوز الى ما لا يحويه فى الدنيا حال التجاوز عنها الى ما اعد او بدل او حال بعد حال افرز للتصريح لكثرة الانواع فى الدارين (من منازل الكرامة ودرجات القدس) اى من مراتبه المقدسة او الموجبة للقدس او الكائنة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة لتقدير الحلول فى منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر فسمى به المكان لانه يطهر فيه العائد من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف وانشد والكثير

* كالمصرحى غدا فاصبح واقعا * فى قدس بين مجاثم الاوعال *

قاله التبريزى فى شرح ديوان ابى تمام (ومراتب السعادة) التى يترقى لها فى رفيع الدرجات (والحسنى والزيادة) معطوف على مراتب او السعادة اى والمثوبة الحسنى من اللقاء لله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع (التى) صفة للزيادة او للمجموع (تقف دونها) اى عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها (العقول) فلا تصل لادراكها وتقدر عليه (وتحار) بتحير وهو مفتوح الياء التحتية (دون ادانيها) وروى دون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل واسفل او اقرب الدنو اى لا يدرك العقل سافلها فضلا من عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها (الوهم) وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس اعلاء من تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت

قد نفرض المحالات وفيه من الترقى مالايخفى والقول بان من هذه الخصال ماهو محض موهبة فلايناسب المقام من جملة الاوهام (تتمة) لابد من التنبيه عليها فانها من المهمات اعلم ان افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم صنف فيها العلامة ابوشامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى افعال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم ارفى بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان افعاله تشارك اقواله فى حكم الاسناد يختص باحكام ولاخلاف فى الاستدلال بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب اوالندب اوالاباحة اقوال وقيل يستدل بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والافضر بان اما بيان لمجمل دال على وجوب وغيره اولا والثانى لايدل على وجوب وغيره والاول تابع لمابينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول مافعله امتثالا لامر كالحج والصلوة وهومساو لامته فيه والثانى ماوقع منه جبلة مما لايخلو البشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة فى منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وامته ومنه تتبعه الرباء واكله القثاء بالرطب ومحبته الحلو او البارد وسائر ماورد فى طعامه ولباسه ممالايظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ماثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع مافعله بيان المجمل فى القرأن كالصلوة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ماصدر ابتداء وليس بيانا ولاخصوصية له ولاحيلة وهواما يعلم وجوبه او ندبه اولا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة اولا فالاقسام سبعة وفى حكمها مذاهب فماساواه فيه امته ظاهر والجبلى والضرورى لايسوغ اتباعه فيه ولذا كل مافعله على الاباحة من اكله ولباسه ولايستحب كلبسه العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضى ابن الطيب قولا بان التاسى به مندوب وقال الغزالى فى المنخول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل مافعله ولاوجه له والى الاستحباب ذهب ابن عمر رضى الله تعالى عنه فكان يتحرى آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فمنها ماوجب عليه دون امته فيجوز التشبيه به كالوتر عند الشافعى رضى الله تعالى عنه والمبادرة لان المختص به صلى الله تعالى عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما ابيح له صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا ومافعله بيانا لمجمل وتقييد المطلق فهو كاينه وقيده والفعل المبتدأ على وجوه ماعلم وصفه من وجوب وغيره فتعبد به كما علم ومالم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب مالم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالى يحمل على الوجوب فى العبادات وعلى الندب فى العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل

ماظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة ومالم يظهر فيه القربة قال الآمدى فيه الاقوال ايضا غير ان القول بالوجوب والندب ابعد مماقبله والوقف والاباحة اقرب قال وبعض من جوز على الانبياء عليهم الصلوة والسلام المعاصى قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازرى افعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم اى الانبياء من الصغائر سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذا صدر منهم ولم يقارنه مايدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لايقتدى بهم وهو كما قال ومن قال بالحظر اراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الجبلية مباحة وماوقع امتثالا اوخصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذى ظهر فيه قصد القربة وعلمت صفته ومالم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد المشترك بينهما من غير تعيين ومالم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم واما بالنسبة للامة فماظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ماكان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسى به فيها الا ان الثانى محطوط الرتبة عماقبله وقال المازرى التاسى به ابرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغى حفظه وسيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام افعاله ثم انه ذكر بعد هذا ادلة المذاهب ولاحاجة لنا به هنا ﴿فصل﴾ ثالث لما مر حتى يتم العدد (ان قلت اكرمك الله) وفى نسخة وان قلت بالواو دعا له بان يكون معظما عزيزا ببركة حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل والكريم من كرمت نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق اول الباب اولكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة (لاخفاء) بالفتح اسم لا وخبرها انه الآتى اى فى انه (على القطع) اى على سبيل القطع (بالجملة) المصنفون يقولون فى كلامهم هذا فى الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال لانه اذا قطع بشئ مع الاجمال فمع التفصيل اولى فالمراد لاخفاء قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفاء ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفاء اذا قطعت بجميع ماتقدم وقيل المعنى لاخفاء فى المجمل اى لاسترعلى

قد تفرض المحالات وفيه من الترقى مالايخفى والقول بان من هذه الخصال ماهو محض موهبة فلايناسب المقام من جملة لاوهام (تتمه) لابد من التنبيه عليها فانها من المهمات اعلم ان افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم صنف فيها العلامة ابوشامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى افعال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم ارفى بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان افعاله تشارك اقواله فى حكم الاسناد يختص باحكام ولاخلاف فى الاستدلال بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب اوالندب اوالاباحة اقوال وقيل يستدل بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والافضر بان اما بيان لمجمل دال على وجوب وغيره اولا والثانى لايدل على وجوب وغيره والاول تابع لمابينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول مافعله امتثالا لامر كالحج والصلوة وهومساو لامته فيه والثانى ماوقع منه جبلة مما لايخلوالبشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة فى منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وامته ومنه تتبعه الدباء واكله القثاء بالرطب ومحبته الحلواو البارد وسائر ماورد فى طعامه ولباسه ممالايظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ماثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع مافعله بيان المجمل فى القرأن كالصلوة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ماصدر ابتداء وليس بيانا ولاخصوصية له ولاجبلة وهواما يعلم وجوبه او ندبه اولا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة اولا فالاقسام سبعة وفى حكمها مذاهب فماساواه فيه امته ظاهر والجبلى والضرورى لايسوغ اتباعه فيه ولذاكل مافعله على الاباحة من اكله ولباسه ولايستحب كلبسه العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضى ابن الطيب قولا بان التاسى به مندوب وقال الغزالى فى المنخول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل مافعله ولاوجه له والى الاستحباب ذهب ابن عمر رضى الله تعالى عنه فكان يتحرى آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واماخصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فمنها ماوجب عليه دون امته فيجوز التشبه به كالوتر عند الشافعى رضى الله تعالى عنه والمبادرة لان المختص به صلى الله تعالى عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما ابيح له صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا ومافعله بيانا لمجمل وتقييد المطلق فهوكاينه وقيده والفعل المبتدأ على وجوه ماعلم وصفه من وجوب وغيره فتعبد به كما علم ومالم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب مالم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالى يحمل على الوجوب فى العبادات وعلى الندب فى العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل

ماظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة ومالم يظهر فيه القربة قال الامدى فيه الاقوال ايضا غيران القول بالوجوب والندب ابعد مماقبله والوقف والاباحة اقرب قال و بعض من جوز على الانبياء عليهم الصلوة والسلام المعاصى قال انها على الخطر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازرى افعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم اى الانبياء من الصغائر سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذاصدر منهم ولم يقارنه مايدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لايقتدى بهم وهوكماقال ومن قال بالحظر اراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذاعلمت هذا فافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الجبلية مباحة وماوقع امتثالا اوخصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذى ظهر فيه قصد القربة وعلمت صفته ومالم يعلم مترددبين الوجوب والندب والظاهر الندب و يعتقد المشترك بينهما من غير تعيين ومالم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحصب وماكان بيانا فهوواجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم واما بالنسبة للامة فماظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ماكان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسى به فيها الا ان الثانى محطوط الرتبة عماقبله وقال المازرى التاسى به ابرك انتهى وهوكلام نفيس ينبغى حفظه وسيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام افعاله ثم انه ذكر بعد هذا ادلة المذاهب ولاحاجة لنا به هنا ﴿فصل﴾ ثالث لمامر حتى يتم العدد (ان قلت اكرمك الله) وفى نسخة وان قلت بالواو دعاله بان يكون معظما عزيزا ببركة حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل والكريم من كرمت نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق اول الباب اولكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة (لاخفاء) بالفتح اسم لاوخبرها انه الآتى اى فى انه (على القطع) اى على سبيل القطع (بالجملة) المصنفون يقولون فى كلامهم هذا فى الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال لانه اذاقطع بشئ مع الاجمال فمع التفصيل اولى فالمراد لاخفاء قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفاء ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفاء اذا قطعت بجميع ماتقدم وقيل المعنى لاخفاء فى المجمل اى لاستر على

القطع بالمجمل اوجعل الاجال الذى هوصفة اعظمية القدر متعلقا بالقطع اوعدم الخفاء مجازا ومسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعى لاحاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لان التفصيل كذلك كما توهم (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا) اى فى انه والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة واثر الناس على الخلق قيل لانه ابس بواضح على القطع (واعظمهم محلا) تعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لايخفى قيل ولوقال اعلاهم محلا واعظمهم قدرا كان احسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة محمول عمايلزمه والتقدير علا قدره فتأمل (واكملهم محاسنا وفضلا) فى ذاته وعلى غيره (وقد ذهبت) اى سلكت اوقصدت اواعتقدت قال فى المصباح ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب فى الدين مذهبا رأيا حسنا وتاء ذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه البرهان (فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) حسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب قال ابو فراس ومن مذهبى حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب * والمراد بتفاصيلها ماتقدم من كونها ضرورية وكسبية (شوقنى) وفى نسخة شوقتنى بتاء الخطاب والتأنيث للمذهب بمعنى الطريقة وهوتكلف لاداعى له والشوق الحنين ونزاع النفس يقال شوقنى الى كذا اى هيجنى وقال فى هياكل النور فى الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال الدوانى فى شرحه كلام طويل فى الفرق بينه و بين العزم لايليق ايراده هنا لانشائه على تخيلات فلسفية (الى ان اقف) اى اطلع (عليها) اى الخصال لان من وقف على شئ عرفه و يقال وقف الامر على كذا اى علقه عليه (من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا) وهوحال من ضمير عليها لانه قدوقف عليها فلا بيان لها لامن حيث انها من اوصافه صلى الله عليه وسلم وتفصيلا بمعنى مفصلة حال اومفعول مطلق لمقدر (فاعلم) خطاب خاص اوعام كما مر (نور الله قلبى وقلبك) بنورمنه يزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ماقصدته وقدم نفسه لما مر ولانه هنا معلم مقدم رتبته (وضاعف) اى زاد وضعف الشئ مثله اواكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين طويل الذيل (فى هذا النبى الكريم حبى وحبك) الجار والمجرور متعلق بالمصدرمقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويزالا كثرله اذاكان ظرفا كقوله فلمابلغ معه السعى اوفى كما فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله فهى تعليلية كما فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة وهى ابلغ من اللام وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كانه فى ذاته والاشارة بهذا مؤيد له لدلالته على قربه وتعظيمه وقوله الكريم اى الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب جدا لان من احب شيئا اكثرمن ذكره ففيه حث له على التفحص عن اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفهمها وتفهيمها (انك

اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غيرمكتسبة وفى جبلة الخلقة) اى طبيعتها واصلها والاضافة لامية او بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وقوله انك الى آخره مفعول اعلم (وجدته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى علمت علما يقينيا انه كان (حائزا) اى جامعا (لجميعها) ومتصفابها على اكمل وجه يليق به (محيطا بشتات) بفتح الشين مصدر بمعنى التفرق اريد به هنا المتفرق (محاسنها) اى وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة اى جمع ماتفرق فى غيره منها واحاط به كما ينبغى (دون خلاف) اى متجاوزا عن اختلاف الناس الى اتفاقهم (بين نقلة الاخبار) نقلة بفتحات جمع ناقلة ككاتب وكتبة اى لم يقع اختلاف بين رواية الاخبار فى جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن والكمالات (لذلك) متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكورمن حيازته صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن ثم انتقل لماهوابلغ فقال (بل قدبلغ بعضها مبلغ القطع) الجزم اليقينى لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لامفعول مطلق ثم شرع فى تفصيل الصفات المذكورة فقال (اما الصورة) اى هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسألة كذا ومنه ماورد فى الحديث ان الله خلق آدم على صورته على احد الوجوه فيه (وجمالها) حسنها (وتناسب اعضائه) اى كل عضومناسب لمقابله وملاصقه فى صفاته المستحسنه ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كمامر (فقدجاءت الآثار) جمع اثر وهو والخبر والحديث يطلق كل منها على الآخر وقد يفرق بينها (الصحيحة والمشهورة) ليس المراد بهما مااصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور فلاوهم فيه كما توهم وان اريد به المعنى اللغوى فبينهما عموم وخصوص وجهى اى تلك الاخبار والآثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر (بالكثيرة بذلك) متعلق بجاءت لانه يتعدى بالباء تقول جئت به واجاءته اى الجئته الى المجئ وذلك اشارة لما ذكرمن الاخبار والآثار (من حديث على) كرم الله وجهه بيان لماقبله من الاخبار والآثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة على رضى الله تعالى عنه معروفة (وانس بن مالك) الانصارى الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه خدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهوابن عشر اوثمان ولازمه عشرسنين وروى عنه الفى حديث ومائتين وستة ودعاله صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركه فى ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضى الله تعالى عنه من اكثرالناس مالا ودفن لصلبه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وعاش حتى سئم من الحياة وتوفى سنة ثلاث وتسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصرانس وحديثه فى الصحيحين كماقاله النووى (وابى هريرة) رضى الله تعالى عنه وقدتقدم ان اسمه عبدالرحمن بن صخر على الاصح

من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وعبد شمس وفى الاسلام عبد الله او عبد الرحمن وكنيته التى كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك (والبراء) بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح علم منقول من البراء كالقضاء بمعنى التراب (ابن عازب) بعين مهملة وزاى معجمة وموحدة الصحابى الانصارى اسلم فى صباه قبل الهجرة وشهد احد اومشاهد على رضى الله تعالى عنه واسلم ابوه وتوفى بالكوفة فى ايام ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما (وعايشة ام المؤمنين) بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة فى لغة ضعيفة وهى الصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم المأمور بحبها رضى الله تعالى عنها الطيبة الطاهرة النازل فى حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع اوثمان عشرة وخمسين وروت الفا ومأتى حديث وسيجئ بعض حديثها وهذا الحديث فى وصف حلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يروى فى الشمائل وعنها نظرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهتين فقالت نظرت لعرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كثير الهذلى لعلم انك احق بقوله

*ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معيل*

*واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل*

فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينى وقال جزاك الله عنى خيرا ما سررت بشئ كسرورى بهذا قال التجانى معناه ان امه صلى الله عليه وسلم لم تحمل به فى آخر الحيض بعد انقضائه واستيصال طهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر *حملته عزا فى اول الطهر * وقد لاح الصباح بشير*

(وقال المعرى *وانى لمثريا ابن آخر ليلة * وان عزمالى فالقنوع ثرا*

قال ابن السيد فى شرحه اراد ان امه حملت به فى آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة وبالراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهرى (وابن ابى هالة) بالهاء وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهى الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك اخو بنى اسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار واسمه هند ولابى هالة ثلاثة اولاد هند وهالة وبه كنى والطاهر واشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه والمصنف رحمه الله تعالى ويقال له هند الوصاف لاشتهار وصف حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه كان ابن خديجة ام المؤمنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخا لفاطمة

وخال الحسنين رضى الله تعالى عنهم فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويديم النظر لوجهه لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنيئا له مع ان ماقاله قطرة من بحر *وعلى تفنن عاشقيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف* شهد بدرا قيل واحدا وقتل مع على رضى الله تعالى عنه يوم الجمل قال التجانى ولهند ابن ابى هالة ولد يسمى هندا ايضا توفى بطاعون البصرة الذى مات فيه نحوا من سبعين الفا فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر الدولابى وقيل الذى مات فى الطاعون هند بن ابى هالة والصحيح الاول (وابى جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة والفاء مصغر واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب السواى بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواءة بن عامر بن صعصعة صحابى مشهور توفى النبى وهو مراهق وتوفى هو سنة اثنين وسبعين وروى له احمد وغيره (وجابر بن سمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء المهملة ابن جنادة بن جندب يكنى ابا عبد الله وهو ابن اخت سعد بن ابى وقاص توفى بالكوفة سنة اربع وسبعين وقيل وستين وفى التهذيب انه وهم ولكن التجانى وغيره اقتصر عليه (وام معبد) بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفى الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن حنيبس بن حرام بمهملتين ابن حبشية اى نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته وهى خزاعية كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى الموصلى وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ قال البرهان وحرام فى نسبها بالحاء المهملة وبالزاى كذا ضبطه الامين وزاد السهيل ابن كعب ابن عمرو وهو ابو خزاعة انتهى وهى اخت حبش بن خالد انتهى (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وترجمته معروفة (ومعرض بن معيقيب) معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوى العرض ثم نقل علما وهو صحابى روى له ابن قانع من طريق القديمى ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبى وفى تجريد الصحابة ان اسم ابيه معيقيل باللام بدل الباء قال البرهان الحلبى وكذا هو فى نسختى ولا ادرى الصحيح هو ام لا وفى تنقيح ابن الجوزى معيقب بالباء وابوه شهد بدرا وتوفى فى زمن على رضى الله تعالى عنه وهو يمنى (وابى الطفيل) اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر الكنانى صحابى له رؤية ورواية وولد فى اوائل الهجرة وروى عن ابى بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهرى وقتادة وغيرهما وكان من محبى على رضى الله تعالى عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة

وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطاء مهملة مضمومة مصغر (والعداء بن خالد) بعين مهملة مفتوحة ودال كذلك مشددة ومد معناه الشديد الجرى وهو ابن خالد بن هودة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذى اشترى من رسول صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اوامة كما رواه الترمذى وذكره الفقهاء وتأخر الى بعد المائة وروى له الطبرانى كان حسن السبلة والعرب تسمى اللحية سبلة (وخريم بن فاتك) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر وفاتك بفاء مثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب ابيه اخرم بن شداد بن عمرو وفى التهذيب انه حزيم بن فاتك ابن احزم وهو غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة فى زمن معاوية رضى الله عنه وروى عنه ابن عساكر (وحكيم بن حزام وغيرهم) حكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحاء المهملة وبالزاء المعجمة يليها الف وميم ابن اخى خديجة بنت خويلد ام المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضى الله تعالى عنه ولما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة والف شاة ووقف بمائة وصيف فى اعناقهم اطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك واكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتأييدا لكلام قبله واشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معود كما فى كتاب الدلائل والوفاء وغيرهما (من انه صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه او مستأنف او بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد ان جميع من ذكر ان كل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم (كان ازهر اللون) صفة مشبهة للفاعل وفى الازهر هنا تفاسير منقولة عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا ازينتها وقيل ابيض وقد اختلف الرواة هنا فى لونه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل ابيض كما فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها وابيض مشرب بحمرة عن على كرم الله وجهه وفى رواية انس رضى الله تعالى عنه ازهر اللون كما هنا وعنه ايضا انه كان اسمر وفى الصحيح عن انس لم يكن بالابيض الامهق اى الخالص البياض كلون الجبر فانه غير محمود وما وقع فى رواية فيه عنه امهق ليس بابيض مقلوبة اووهم من الراوى كما قاله المصنف او المهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيثمى وليس المراد الاسمر وورد الطبرى فى الاحكام رواية اسمر ورواه غيره كالترمذى فى الشمائل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر فى صحاح الجوهرى وقد وفقوا بين الروايات بان المراد بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر

ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه كان اسمر فى بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة احيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمى به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الامهق الشديد البياض الذى لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابى فى الجمع بين حديثى السمرة والبياض ان السمرة فيما برز للشمس من بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن ابى هالة رضى الله تعالى عنه انور المتجرد وايضا فى الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل انه ما فى الشمائل عن انس رضى الله تعالى عنه ابيض كانما صيغ من فضة لا يعارج وصف على كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عنى وجهه الشريف وانس جسده كما مر وسيجئ تتمة (اقول) ما ذكر من انه عارض من تأثير الشمس يأباه السياق لان الظاهر من لونه صلى الله تعالى عليه وسلم انه امر خلقى لا عارض لان مثله لا يقال انه لونه والراوى له انس رضى الله تعالى عنه وكان قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم ملازما له لا يخفى عليه امره قال ابن حجر الهيثمى الاولى حمل السمرة على الحمرة التى تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية البيهقى عن انس رضى الله تعالى عنه كان ابيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر النسبى فانكار رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان ابيض مشربا بحمرة وهو احسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى ازهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن اطلق عليه آدم عنى هذا او اما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه واما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد ايضا وقوله انور المتجرد اى ما تحت الثياب لا ساعده وقالوا برنس الجمال وما سواه ملاحة فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم من تأثير الشمس وقد كان الغمام يظله قلت اجيب بان ذلك انما كان فى اول امره ارهاصا للنبوة كما مر واما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر فى شرح الشمائل كيف وقد ظلله ابو بكر رضى الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمار فى حجة الوداع (تنبيه) قال ابن حجر ايضا ائمتنا الشافعية من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسود او غير قرشى او توفى امرد كفر لان نعته صلى الله تعالى عليه وسلم بغير صفته نفى له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت له بالتواتر نفيها كفر وسيأتى الكلام على ذلك آخر الكتاب فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم اشرف الالوان وكذلك اهل الجنة فلم جاء فى صفتهم ان لونهم بياض بشوبه صفرة كما فسر به قوله كانهن بيض مكنون قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة

المزاج واعتداله الناشى عن الغذاء فى الدنيا واما غذاء الاخرة فله شان آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا امدحن به فى اشعار العرب مع انه ناش عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا الاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبيه بالرجال (ادعج) وعند الترمذى ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد السواد و بياض البياض و يشكل ذلك بانه (اشكل انجل) من النجلة وهى سعة شق العين ومنه طفته نجلا ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريد او توكيد واشكل بشين معجمة من الشكلة وهى الحمرة فى بياض العينين وكان اصله مطلق الحمرة لقوله * فمازالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة اشكل * اى احمر وقال ابن دريد يسمى به الحمرة والبياض المختلطين فيه وفى المقتفى ان فى صحيح مسلم عن سماك بن حرب ان معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال التجانى الشكلة حمرة يسيرة فى بياض العين فان كانت فى السواد فهى شكلة والرجل اشكل واشهل وكلاهما مستحسن و بمعنى اشكل اسجر بجيم وسين وراء مهملتين وفى حديث جابر رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين خرجه مسلم وقال الاصمعى الاسجر الاشهل واكثر اللغويين على خلافه وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسجر العينين ولم يرد الشهلة فى وصفه صلى الله عليه وسلم (اهدب الاشفار) الهدب بضم الهاء والدال و يجوز تسكينها الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب او الكثيرة و هذه الصفة فى حديث رواه الترمذى والبيهقى ووقع فى رواية فيه طويل الاهداب و فى البيهقى وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقى ناظر العين الاذى وهى تمسحه فى انطباقها وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال فلا افترقا ماذب عن ناظر شفر ولذلك كان الذباب يمسح دائما يديه عينيه لانه خلق بغير اجفان واليه اشار عنترة فى تشبيهه البديع بقوله * وقع المكب على الزنا والاجزم * وفى الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة اهدب الاشفار من اضافة الشئ لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين وهى لامية او على معنى فى والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل اهدب والجفن والشفر وليس فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كاسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف اى شعر الاشفار كما توهم (ابلج) من البلج بفتحتين وهو ما نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن وانه اقرن وهو مخالف للرواية

المشهورة فى حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما لانه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار فى شعر ونحوه وحديث ام معبد سفرى وفى كتاب خلق الانسان لثابت رجل اقرن وامرأة قرنا فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال اقرن الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين * اذا راش سهم الناظرين بهدبه * وان كان سلما غير يوم هياج * غدا مؤثرا من حاجبيه حنية * لها البلج الوصاح قبضة عاج * ومنه اخذ ابن سناء الملك قوله * رمانى ومن اجفانه السهم صائبا * ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج * والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذى يقبضه الرامى والعرب تسمى السيد بالابلج ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به مشهور وقال ابو طالب فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * وابلج يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل * على احدى الروايات وانشده بعضهم وابيض والثمال الملجأ اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى (ازج) بفتح الهمزة والزاء المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وارنه فى حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجوى كذلك فى الصفات والحلى و يوصف به الرجل والحاجب فى المدح والزجج كما فى تحفة العروس للتجانى دقة مخط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الذبت وقال الشمنى ازج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضى الله تعالى عنه ازج كشق النون من يد كاتب وقال رؤبة ومقلة وحاجبا مزججا * والزجيج خلقة والتزجيج ما كان بصنع كما قال وزججنا الحواجب والعيونا * اى صنعنا ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذى رحمه الله تعالى (اقنى) كما ورد فى حديث هند الذى رواه الترمذى رحمه الله تعالى وفى حديث على كرم الله وجهه اقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه وفسره الجوهرى بالحدب والمصنف رحمه الله تعالى بالسائل المرتفع الوسط وقد تبدل السيلان بالدقة وقيل انه نتو فى الوسط وضيق المنخرين وقال التجانى القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهى رأس الانف مما يلى الفم والشمم استواء اعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السود فى الرجال قال حسان رضى الله تعالى عنه بيض الوجوه كرائم احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول (وقال الفرزدق

* بكفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم *

و ورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم و بهذا وصفه اصحابه رضى الله تعالى عنهم كما ورد فى الاحاديث و يعارضه ما اشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فاذ بادئه

غير ممدوحة كما مر فى البلج ويدل عليه قول ابن ابى هالة الاتى اقنى العرنين يحسبه من لم يتأمل اشم وقول بعض الشراح هنا فمن رآه متأملا عرفه اشم ومن لم يتأمله ظنه اقنى انعكس عليه الامر فتأمل (افلج) الفلج بفتحتين تباعد مابين الثنايا اومابين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشئ اذاشققته فلجين اى نصفين وفلج فلوجا ظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس رحمه الله تعالى انه لايقال رجل افلج اذاذكر معه الاسنان اى اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان اوالثنايا اوغيرهما لئلا يلتبس برجل افلج اى بعيد مابين القدمين اوالقيدين فانه ورد استعماله مطلقا فى كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا قداعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان قوله افلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الامقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريرى كذلك ثم قاله اهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج * ازمان ابدت واضحا مفلجا * وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروى فى الحديث هكذا وابن ابى هالة راوية من خلص فصحاء العرب ولاعبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لايستدل به فى اثبات العربية واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها باضافة مطلقة اومعينة كوحده او نحوها وقد تلتزمه فى حالة مخصوصة كاب واخ اذا اعرب فى الحروف وقد تلتزم هيئة مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الاول وقد تلتزم تقييده بشئ كما فيما نحن فيه ثم ان ههنا شيئا وهو انه اذا ورد استعمال لفظه عن العرب على هيئة مخصوصة كما مر ما المانع من استعماله فى ذلك المعنى من غير تغيير لبنيته فى موضع آخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها قياسا فهذا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم والاسنان لعدم بقاء المأكول بينهما مع المعاونة على خروج الحروف من المخارج سهلة فصيحة ومن الملح فيه قول ابن نباتة

* افدى الذى جبينه وشعره * طرة صبح تحت اذيال الدجا *

* مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا *

(مدور الوجه) عبر فى الشمائل بقوله لابالمكلثم وكان فى وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو احلى واحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والنحيف فهو ضده وفى النهاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسيل الوجه وروى البغوى مسنون الوجه اى فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وماورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء والحسن فلامنافاة بينهما (واسع الجبين) السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى او بينهما فرق واكثر اهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذى للناصية من الحاجب الى قصاص الشعر وجانباها خفيفان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره بعضهم وخطأ المتنبى

فى استعماله بهذا المعنى الان ابن عاصم قال فى شرح قول زهير * يقينى بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها اوطولها كما قيل والظاهر من العبارة انه اريد بالجبين الجبهة اذا لم يقل الجبينين بالتثنية (كث اللحية) هذه الصفة فى الترمذى والبيهقى عن هند وعلى وام معبد رضى الله تعالى عنهم والكث فى اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يرى منها ماتحتها لكثرة اصولها مجيدة ملتفة وليست بطويلة ولاقصيرة الشعر فى العرض واليه اشار بقوله (تملأ صدره) الشريف يعنى انها طولا وعرضا بمقدار صدره فجعلها كانها حالة فيه لان المظروف لايزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملأت نحره ونحر الصدر اعلاه اوموضع القلادة منه فمراد المصنف رحمه الله تعالى اعلى الصدر والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها تملأ مايقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة واعلم ان اللحى واللحا ماينبت عليه الاسنان واللحية مأخوذة منه (فان قلت ورد فى الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافى كونها كثة (قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد فى ذمه وقد قيل اعتبر واعقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر * ونقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ماطال من لحيته * مع انه ورد خفة لحييه بالتثنية وفسر بخفته فى حركته للذكر (سواء البطن والصدر) هو بتنوين سواء ورفعه وبنصبه واضافته اى مستويهما والبطن مبتدأ وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل ال بدلا من الضمير كما قاله التلمسانى وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروجهما او واحد منهما عن الاعتدال فان البطن اذا كان بارزا او مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برزا وتطامن وسواء الشئ قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمسانى (واسع الصدر) عبر فى المواهب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بقوله رحب الصدر وفى الترمذى والبيهقى عريض الصدر وقال البيهقى كان بطنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مستفيض فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال الصفوى يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال فى صدره غير ضيق الصدر وقال تعالى * فلا يكن فى صدرك حرج * وعدل المصنف رحمه الله تعالى الى السعة ليكون اظهر فى احتمال المعانى (اقول) هذا غير صحيح هنا لان الكلام فى الحلية الحسية وليس هذا منها فلو قال كما قال الدلجى ان معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان اولى فتأمل (عظيم المنكبين) مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف

وبالموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف اى ضخمهما وروى البيهقى مسندا
جليل مشاش المكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى الواقدى رحمه الله
تعالى ضخم العضدين والمنكبين وفى الشمائل جليل المشاش اى رؤس العظام
كالمرفقين والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله (ضخم العظام عبل العضدين)
الضخم الغليظ كما فى الصحاح او العظيم الجرم الكثير اللحم وفى حواشى عبد المجيد
اليمنى ضخم العظام غليظها تقول اضخمت اذا انتصبت قائما والمضطخم المنتصب
والعظام جمع عظم وعظيم كما فى ضرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة
توهم ان قولهم الموالى العظام غلط لانه لا يكون الاجمع عظم وروى الترمذى
وغيره ضخم الكراديس قال ابو نعيم هى العظام اى عظيم الالواح وقيل رؤس العظام
وقال البغوى الاعضاء والمراد عظام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف وقد
ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام اساس
الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة وسكون
الموحدة يليها لام بمعنى ضخم قوى والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد
المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا
(والذراعين) اى وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق
او من المرفق الى اطراف الاصابع (والاسافل) جمع اسفل قال التلمسانى يريد به
رجليه وباقى جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله
مما يؤذن بكمال قوته لما فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى قوة
ثلاثين رجلا وفى مسند احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان مشبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين تقبل جميعا والشبح بفتح
الشين المعجمة وسكون الموحدة وبالحاء المهملة بمعنى العريض (رحب الكفين
والقدمين) اى واسعهما وقال الحجانى اى كبيرهما وهو محمول على ظاهره
من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف صغرها وتأوله بعضهم فى الكفين
على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه ان روى بمجموع رحب الكفين والقدمين
فلا مجال لهذا التأويل للجمع بين الحقيقة والمجاز وان ورد رحب الكفين فقط فان كان
فى مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة له او فى مقام خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع
وهو لا ينافى ما مر وفسر الاصمعى رحمه الله تعالى الشثن بالغليظ الخشن فقيل له انه
ورد فى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينافيه وقد ورد فى البخارى وغيره
عن انس رضى الله تعالى عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا الين وانعم من كف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فالى على نفسه ان لا يفسر شيئا فى الحديث وقيل لين جلده

صلى الله تعالى عليه وسلم ونعومة ملمسة خلقة وخشونة باعتبار عمله فى جهاده
ومهنته وتفسير ابى عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من انه صلى الله تعالى
عليه وسلم سائل الاطراف الآتى واعلم ان البارزى رحمه الله تعالى قال فى توثيق عرى
الايمان انه روى انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم
وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وروى انه صلى الله تعالى عليه
وسلم كان مسيح القدمين اى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى
هريرة رضى الله تعالى عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما
ليس له اخمص وهذا موافق رواية مسيح القدمين قال وسمى عيسى عليه الصلوة
والسلام بالمسيح لانه لم يكن له اخمص فى احد الوجوه فيه وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم
عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففى شرح الشمائل
مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويفسره قوله
ينبو عنهما الماء اى يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ اصابعهما وروى احمد
وغيره ان سبابتى قدميه صلى الله تعالى عليه وسلم اطول من غيرهما وفى البيهقى كانت
خنصر رجله صلى الله تعالى عليه وسلم متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت
سبابته صلى الله تعالى عليه وسلم اطول من وسطاه غلط فانه خاص باصابع رجليه
انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور فى البخارى فيه
نظر (سائل الاطراف) وفى شمائل الترمذى سائل الاطراف او شائل الاطراف بالشك من
الراوى من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط
او بالمعجمة من شالت الميزان اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد
بالاطراف الاصابع وروى سائن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمسانى وطول الاصابع
مما يتمدح به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر فى الصرف وقوله فى المقتفى
انه بالياء ان اراد انه روى كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر
بالطول من غير تعقد وروى كان اصابعه قضبان فضة اى اغصانها قيل والاوجه
فى تفسيره التعميم لما روى من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذى مخ والسبوطة
الامتداد قاله ابو نعيم (انور المتجرد) انور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه
اقتصر التلمسانى والبغوى والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة ودال مهملتين
بمعنى الجسد الذى من شانه ان يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن المجرد والمتجرد
والجردة والعرية والمعرى والكل بمعنى وقيل انور افعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه
كما ذكره النحاة اى متجردة انور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمى يقال امرأة
نصة المتجرد والمجرد اى عند التجرد والتعرى والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اى
نزع ولبس على القلب اى ما جردت الثياب عنه او هو اسم موضع التجرد او اسم مفعول

على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسي اواسم المفعول لايبنى من مثله بغير صلة كمرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدى كما جعل رحم المتعدى بمعنى رحم اللازم وبنى الصفة المشبهة وجعله من الحقايق والدقايق من زخرف القول الذى لاطائل تحته وتفسيره بسائر البدن باعتبار اغلبه واكثره كلام حسن وجعله وهما خرافات واهية (دقيق المسربة) دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه لبس بعريض ولامتكاثف الشعر وروى بالراء المهملة وهما بمعنى والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل والذى يظهر انه شعر دقيق من الصدر الى البطن بطول ويقصر ابتداء ولذا وصفت مسربته بالطول من اوائل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والانسراب فيها (ربعة القد) القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامرأة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفى المصباح حذف الهاء فى المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله اى معتدل وفى القاموس الربع الرجل بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات ولبس فى اضافته للقد تكلف كما توهم وفيه ضمير للنبى صلى الله عليه وسلم بالتأويل المذكور وروى الترمذى وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اطول من المربوع وفى البيهقى عن انس رضى الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول اراد الفاحش ولذا قال (لبس بالطويل البائن) كذا فى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه اى لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله او بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال اولبعده عن الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض اوعن غالب الناس اوعن الاعتدال (ولا القصير المتردد) اى المتناهى فى القصر من التردد بمعنى الرجوع او الدخول كان بعضه يدخل فى بعض ويرجع اليه وهذه صفة خلقته صلى الله تعالى عليه وسلم لذم الطول المفرط والقصر المفرط وللتلمسانى هنا كلام فى تفسيره لامحصل له (ومع ذلك) اى مع كونه ربعة معتدلا (فلم يماشيه احد) من الناس بان يمشى معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود قيل الاولى عدم الفاء الاتية ال هذه بيان للحالة السابقة يعنى لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر (ينسب الى الطول الاطالة) المراد بنسبته له اتصافه به وكونه معروفا به مشهور كما يعرف المرء بالنسبة فيقال القرشى ونحوه فهو استعارة وقوله الاطالة اى غلبة فى الطول وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى معلومه اواصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقى وغيره زيادة ربما كشف الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عادربعة

وفى المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله تعالى عليه وسلم كان كتفه اعلى من الجالسين وهل هذا محض اراءة لذلك اوحقيقى يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق اطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله له هذا فى رأى العين معجزة خصه الله بها لئلا يرى تفوق احد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين اصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقى (رجل الشعر) يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثنى فيه فهو سبط والاول احسن وامدح وروى شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفى مثله مبالغة فى قلة التثنى وفيه كلام بسطناه فى السوانح وفى الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير تكسر فشعره صلى الله تعالى عليه وسلم بين هاتين الصفتين لاتجعيد فيه كثير (اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق) هذا رواه البيهقى مسندا ومعنى افتر كشف عن اسنانه متبسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفى النهاية تبسم حتى تبدو اسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فررت الدابة اذا كشفت شفتها ليعرف مقدار سنها ومنه اخذ السن بمعنى العمر وفى حواشى عبد المجيد اليمنى ومنه فره الجرالة يعنى بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور وروايه مده لااصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المغربى * ايها الصاحب الذى فارقت عينى * ونفسى منه السنا والسناء * اى اذا كشف صلى الله عليه وسلم عن اسنانه فى حال ضحكه ظهر من فمه وبياض اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو اضوء منه كالشمس والبدر اشارة الى انه لايدوم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تبسمه لمخاطبته يعقبه نفع وخير من اعطائه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل ان الاظهر انه اذا استمر يتلألأ فيظهر تارة ويختفى اخرى فالمناسب البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلألأ لا مخيلة برق حلب وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله (وعن مثل حب الغمام) فى بياضه ونقائه وصفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف رحمه الله ويروى تسكينها والاول اصح وقيل حب الغمام حبابه على الماء شبه به ما على اسنانه من قليل الريق وبلته وهو الظلم بالفتح الذى تسميه الشعراء شنبا كما قال ابن الوكيل * ياباه رقاقد حكاه فى تبسمه * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * والاول اصح لرواية البيهقى عن هند رضى الله عنه عن مثل البرد المنحدر عن متون الغمام قال السيد رحمه الله تعالى شبه ما يظهر من اسنانه

فى التبسم بذلك فى البياض والصفاء واللمعان والاعتدال وفى النهاية وفى البرد وهو بعيد ومن قال حبه قطرة الغمام شبه بها مايطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلل فلواجتمع لم يحسن قيل وما احسن عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بامر محرم وقيل عليه ما احقه صلى الله تعالى عليه وسلم بقول البحترى كانما تبسم عن لؤلوء * منضد او برد اواقاح * وقول الحريرى * يقسى الغداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب *

* يفتر عن لؤلؤرطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب *

وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته ولاحباب الخمر بل نضرة الاسنان كماقاله الجوهرى فلاميل فى التشبيه لماقاله وهو وهم منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور مما لاشبهة فيه وماقاله الجوهرى لايصح هنالمافيه من تشبيه الشئ بنفسه كماقيل * اقام يعمل ايام قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء (اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه) وقع عندنا يرى مضارع رأى المجهول والذى صححه التلمسانى وغيره رواية رئ براء مكسورة وياء ساكنة يليها همزة بوزن قيل وفى رواية رئى بضم الراء وهمزة مكسورة يليهاياء مجهول رأى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والثنايا جمع ثنية وهى اربع اسنان اثنان فوقانية واثنان فى مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله تعالى عليه وسلم بشدة البياض والبريق والصفاء واول الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم افلج اذا تكلم الى آخره وروى ابن كثير رئى النور من ثنيته وهى الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهى او الجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفة لمقدرا وتلألؤا وشئ وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله اى يخرج منه كلام شبيه بالنور فى ظهوره (احسن الناس عنقا) رواه البيهقى مسندا وفيه احسن عباد الله عنقا وفى رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس او الناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفاء لونه ويستحسن فى العنق التلع وهو اشرافه وانتصابه والتطع وهو طوله قال التجانى وقد جاء هذا فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن مالم يفرط فاذا افرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب به واعلم ان السهيلى قال فى الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الا ان الجيد يستعمل فى المدح والعنق بخلافه فتقول صفعت عنقه لاجيده ولماورد عليه قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه كثير كماهنا ولقوله وفى عنق الحسناء يستحسن العقد (ليس بمطهم ولا مكلثم) المطهم كما فى القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقة ضد والمنتفخ الوجه والمجتمعة مدورة وقليل

لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن على كرم الله وجهه فى سنن الترمذى والبيهقى باسناد غير متصل وسيأتى وعن عايشة رضى الله تعالى عنها وله معان منها ماتقدم ومنها كما فى الترمذى بادن كثير اللحم والمجاوز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منهما غير التدوير اذا فسر به المكلثم لئلا يتكرر واعادة لامع العاطف يأبى كونه تأكيدا واما معناه المذكور فى القاموس وهو البارع فى الجمال فلا يصح هنا لنفيه وقد ثبت انه وسائر اعضائه فى غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروى عن على وعايشة رضى الله تعالى عنهما مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقى الوجنة وقيل هو قصير الذقن والنهاية انه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسيل الوجه لامستديره ولاينافى هذا مامر عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفى الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرح وابه الا ان فى شرح السنة ان الكلثمة لاتكون الا مع كثرة اللحم وكذا فى الصحاح والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد والصفتان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاللنعق كما توهم وهو غلط فاحش هنا (متماسك البدن) وهذا مروى فى حديث هند رضى الله تعالى عنه كان بادنا متماسكا اى معتدل الخلق كان اعضاؤه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالى لحمه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذى من شانه ان يسترخى اللحم فيه بخلاف الشباب (ضرب اللحم) ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر اى قليل لحم البدن خفيفه لاالى حد الهزال وهو يمدح به كما قال طرفة * انا الرجل الضرب الذى تعرفونه * خشاشا كرأس الحية المترقد * وهو معنى قولهم لحمه بين اللحمين لاناحل ولامطهم وذكر اللحم مع قول اهل اللغة الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه مشترك او للتجريد وهذه الصفة فى حديث ام معبد رضى الله تعالى عنها وفى حديث رواه البيهقى وهى لا تنافى ماورد فى حديث آخر من انه كان بادنا اى جسيما وكثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها امور نسبية فحيث اثبتت اريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت اريد الافراط اوان هذا كان فى اول عمره وكونه بادنا فى آخره لما فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كبر سنه كثر لحمه ولاخفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا وقال التلمسانى معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوى بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة (قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه ورواه بتقديم احسن الآتى (مارأيت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من زائدة اومبينة لمقدر اى احدا واللمة بكسر اللام وتشديد الميم ماطال من

شعر الرأس فى احد جانبيه قال التلمسانى قيل هى الوفرة وقيل فرقها وقيل اذا الم الشعر بالمنكب فهولمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة مابلغ المنكبين انتهى وقد اختلف فى الفرق بين هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ماجاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين وان زادت فهى الجمة وهى ماسقط على المنكب كما فى شرح السنة والمراد بالمامها به قربها كما فى المصباح لابلوغ اواهـا وسقوطها وقوعها متصلة بهـا منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه لما ورد فى الحديث كان شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفى القاموس الوفرة ماسأل على الاذن اوجاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة و وافق ما فى الجوهرى تارة وتارة قال اللمة ماجاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهوجمة فتوهم فيه السهو اوالتناقض وهو محمول على ما فى شرح السنة وقيـل يتعين حمل كلامهم على ان فى الجمة لغتين اى معنيين ماسقط على المنكب ومالم يبلغه لما مر فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على الآخر وذكرهما الجوهرى وفى الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهى ثابتة من غير تناقض ومنهم من اول الحديث بانه جمة قبل وربما وصل لماذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد انتهى (اقول الجمة بمعنى الكثرة الشعر ومنه الجم الغفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب اوالنزول ولايخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما امور نسبية تتفاوت بحسب ماينسب اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشفاق فلكل منها معنى يجوز استعماله فى المعانى المذكورة بحسب القرائن فاللمة مايلم بالاذن او بشحمتها او بالمنكب بان تقرب منه ارتنزل عليه والكثرة اما فى نفسها او بالنسبة للمة فاذ لوحظ كل من هذه صحت المعانى فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما فى القاموس ازار ورداء بردا وغيره ولاتكون حلة الامن ثوبين اوثوب له بطانة انتهى فلاتكون ثوبا واحدا اولا ثوبا لبس له بطانة كما قاله الخليل والثوب لايختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفى النهاية انها من برود اليمن ولاتكون الاثوبين من جنس واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد اوللاسمية وقال التجانى فى الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعنى لتاء الوحدة ووصفها بحمرة واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف رحمه الله تعالى فى مسارقه فقال انها سميت بذلك لحلولها عن الجسم اوعلى ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من اى نوع كان (اقول ما نقله من اشتراط كونها ثوبين واتفاق اهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن صاحب القاموس وعن الخليل واما اعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى فى وجه التسمية فليس بشئ لان وجه التسمية مناسبة لحظها الواضع لايلزم اطرادها ولاانعكاسها فهو غفلة منه ثم اعلم ان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولوكان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم اجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر ولبس احمر خالصا وبان هذا منسوخ قال محمد رحمه الله تعالى فى شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها زى الشياطين وماروى من حديث البراء بن عازب مارأيت ذالمة فى حلة حمراء الى آخره كان فى الابتداء ثم كره استعماله للرجال بعد ذلك انتهى اوهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء والكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ قاسم بن قطلو بغا عن لبس الاحمر الذى فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه ام لا فاجاب بانه مكروه كراهة تحريم للاحاديث الواردة فى النهى عنه ثم اورد كلام محمد فى السير وانه كرهه بعـد ذلك لما فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما نهانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس المعصفر وانما لبسه الشعبى رحمه الله تعـالى فرارا من القضاء لما كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر القيل فتركوه واذا ورد مايقتضى الاباحة ومايقتضى التحريم فالثانى ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وماذكر عن الشعبى جواب عما يقال لوكان النسخ مشهورا مالبسه الشعبى وقال بعض المتأخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهى عن المعصفر العملى الذى شاع فى عهد النبوة لبس النساء له لايستلزم النهى عن الاحمر المنسوج كذلك وفرار الشعبى عن القضاء لايبيح له الحرام وقوله حلة حمراء فى حديث البراء يأبى كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووى فى شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع اى مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض اصحابنا من المالكية بجوازه اى من غير كراهة وقول بعض الحنفية بالكراهة لاينافى الجواز ومراد النووى الاجماع المذهبى وماذكره الشيخ قاسم من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر (وقال ابوهريرة) تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف (مارأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا ابلغ من الحديث الذى قبله لانه فضله فى لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن اكثر من غيره وقال فى هذا ما رأيت شيئا اى من الناس اوغيرهم مطلقا (كان الشمس تجرى فى وجهه) كان بالتشديد فى الرواية هنا وان جاز تحقيقها وهى اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهومبنى على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجرى خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجرى لمستقر لها قيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس

وتارة بجريان الشمس الا ان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كان نور الشمس نورها
فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجرى وهو
دقيق بليغ اوشبه محل اللمعان بقرصها وتغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد
وقال الطيبي رحمه الله تعالى يجوز تعلق الخبر بمستقر فهو من تناسى التشبيه وجعل
الوجه مقر الشمس فكانه جعل تجرى حالا وكان للظن والادعاء اوفعلا ناقصا وهو
بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية فى فلكها مشبهة بما يجرى فى وجهه
من عرق ونحوه ففى وجهه ماهو شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ماهو شبيه بذلك
الجريان من التلألؤ والانبساط ففيها مشبه ومشبه به وصفة هى للمشبه ظاهرا
وللمشبه به حقيقة على اسلوب كانى قائل اى انا كارجل القائل فحول اسناد الجريان
وفيه مشبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما مافى وجهه من التشبيه بالشمس
والتشبيه بذلك الجريان كما فى قوله تعالى ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه على مافصل فى شرح المفتاح (اقول هذا كله تكلف وتعسف لاطائل تحته
وبيانه ان مراده المبالغة فى وصف وجهه الشريف بالنور كما اشار اليه بقوله (واذا ضحك
تلألأ من الجدر) شبه وجهه الشريف بالشمس فى الاشراق والنور ثم عكس
التشبيه ليكون ابلغ فقال كان الشمس وجهه ثم زاد فى المبالغة على طريقة التجريد
فانتزع منه شمسا جعلها فى وجهه كقوله لهم فيها دار الخلد والخم تجرى على انه
حال واصله كان وجهه الشمس وجهه ثم كان الشمس فى وجهه وانما قيدها بكونها
جارية اما لان المراد ظاهرة سائرة على وجه الارض اولان تلألؤ النور فى وجهه
كتحركها وهو اقوى فى التشبيه وهذا هو الذى عناه واما تناسى التشبيه فمراده به
تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الاستقرار اوالجريان اعرفته لكنه تسامح
فى العبارة واما ماسنح له الشراح فلاوجه له ومن الغريب هنا قول التلمسانى ان معنى
تجرى فى وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور الاحزان كرهة او اصابة
كرب فى وجهه كظهور ذلك فى الشمس من سحاب اوغيره ومنه قوله فى الحديث
فرأيت لوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم ظللا وهى جمع ظلة انتهى والتلألؤ
اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس يستعمله بمعنى
الاساس واما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذى يحبس الماء كما اتى فى حديث
الزبير رضى الله تعالى عنه اسق يازبير حتى يبلغ الجدر وليس مفردا بمعنى الجدار
كما توهم وهذا رواه احمد والترمذى وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة
الى جعل التعدد باعتبار الاوقات اى نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل
الى الجدران المقابلة له كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج من
بين ثناياه وكذا اذا افتر وتبسم وروى ابن كثير عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

يكاد يتلألؤ فى الجدر فتفاوته بحسب الاوقات اوبحسب خفة ضحكه وشدته اوما
هنا محمول على المبالغة على تقدير تكاد (وقال جابر بن سمرة) الذى مر ذكره وهذا
مما رواه الشيخان عنه (وقال له رجل) جملة حالية بتقدير قد اومعطوفة على ماقبلها
وفى الشمائل سأل رجل البراء بن عازب (كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم
مثل السيف) بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به فى الشمائل ويجوز عدم التقدير
هنا والظاهر الاول وتشبيهه به فى البريق واللمعان لامطلقا ولافى الطول كما توهم
وروى البيهقى اكان وجهه حديدا كالسيف ولايظهر وصفه بالحدة وان اريد
بحدته نفاذ امره وامضاؤه فى الدين وقصد الخير كما فى النهاية فلاوجه لتخصيصه
بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر (فقال لا) قيل قال تأكيدا لقال الاولى وعطفه
بجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون وانكار
اهل المعانى غريب اوهو لتفصيل ماقبله اوانه لم يقصد الجواب ووقع فى مسلم
بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول ومخالفته فى اللون اولان لمعانه اقوى
والمشبه بنقص عن المشبه به كما قال * ظلمناك فى تشبيه صدغك بالمسك * فمن
عادة التشبيه نقصان مايحكى * (بل مثل الشمس والقمر) شبه بشيئين والمشبه به قد
يتعدد فيعطف باو كقول البحترى المتقدم كانما تبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح
وبالواو كقول الحريرى المتقدم ايضا * يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح
وعن طلع وعن حبب * فلاوجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس او القمر والواو
بمعنى بل والشمس يمتنع استيفاء الحظ من رؤيتها فاللائق القمر ومافى الوفاء من
انه لم يقم مع الشمس قط الاغلب ضوءه ضوءها لاينافى التشبيه بها لانها اعرف
واشهر وقال التلمسانى انه اضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبة وانما يشبه به
نفس الانسان فى نفاذ امره وشدته كما قال * وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه
ان خاشنته خشنان * قال ويقال لابل ولابن ونابل انتهى وهو غريب وفى شرح
الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا فى الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به
فى الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين مع نوع استدارة وطول وفى حديث
كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه كانه قطعة قمر وفى رواية فلقة قمر وفى رواية للطبرى التفت الينا كان وجهه
شقة القمر وانما ارادوا تشبيه بعض وجهه لان السرور كان يبدو فى جبهته فشبه
بعضهم بعضه وبهذا اندفع ماقيل ان وجهه الاحتراز عما فى القمر من السواد
فشبهه ببعضه الخالى منه انتهى (وكان وجهه) الشريف (مستديرا) فيه
استدارة كامر وهذا مؤكد للتشبيه لالعدم المشابهة التامة اى هو احسن منه
واضوء لاستدارته دونه وهذا لاوجه له لان استدارته وكريته كسائر الاجرام العلوية

مبرهن عليه فى الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها ايضا (وقالت ام معبد) وهى كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضى الله تعالى عنها التى كانت نازلة بخباء فى طريق المدينة وقد نزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة تعضدها وتصححها وكان زوجها غائبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحلة ولم تزر به صقلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى اشفاره عطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة اقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب الى آخره ما قالته فى نعته من كلام بليغ مشروح فى السير منه (فى بعض ما وصفته به) اى فى بعض كلام وصفته به من رواية البيهقى فى دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها والحكم لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصته الشاة وغيرها وما نقله المصنف رحمه الله تعالى بعض الصفة لا كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم (اقول تفصيله كما فى شرح الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا فى اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشئ فهو على معنى من ولا يكون ذلك فى كل فقد يكون للشئ حكم لا يكون لمقابله ويجوز فى بعض المال بعض للمال و يراد به اما الباقى منه فيتصف هذا بانه بعض له كان مضافا له والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض الكل المحقق وقال السهيلى البعض فى مقابلة الكل واضافة كل على معنى اللام فيجب ذلك فى بعض مقابلها وايضا فالاضافة على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا اضفت البعض لجنسه كبعض الحديد و بعض الطعام واذا اضفته لذى صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى (اجمل الناس من بعيد) الظاهر انه صفة رجلا فى قوله رأيت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على انقطع والمدح والجار والمجرور حال من ضمير اجمل اى مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والذى فى الرواية السابقة اجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان يكون اسقطه منه لكونهما بمعنى او ظفر برواية فيها هكذا وكون الاطناب فى المدح محمود سهل والناس اسم جمع او جمع نادر واصله اناس كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن ابى هالة اومن محارمه اومن الاعراب الجفاة فاذا فعل ذلك ادرك فوق الجمال مرتبة اخرى

كما قال * يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا * والى ذلك اشار بقوله (واحلاه واحسنه من قريب) وفى نسخة واحسنهم والعرب تفرد الضمير فى مثل هذا حملا على لفظه او على الجنس كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث اى خير هذا الجنس لان الناس والنساء من اسماء الاجناس وفى النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير احنى من وجد اومن هناك كذا قرره بعض الشراح اقول تحقيق هذه المسئلة ان العرب تقول احسن الفتيان واجمله بافراد الضمير بمعنى احسن فتى وفى التسهيل انه لسد واحد مسدهم ومثله * وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه * لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك فى شرح التسهيل وقال ابو حيان رحمه الله تعالى مذهب الفارسى ان افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن فتى فيفردون وتارة احسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك فى حالة الجمع فافردوه والذى يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله تعالى انه افرد كما افرد فى ضربنى وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان على ما يقوله الفارسى قال احناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع افعل مفردا كقوله * ومنه احسن الثقلين جيدا * وسالفة واحسنه قذالا (وقوله

* شربوا منها واغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا *

وضمير الاناث السابق ويكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام حققناه فى غير هذا المحل قال التلمسانى وهو مقيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده لارادة ماهر لا لانه اسم جنس كما توهم واحلى من قولهم حلى بعينه وقلبه اذا اعجبه واستحسنه فعطف احسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة الاجمالية المشاهدة اجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثير ما يتفاوت البعد والقرب اذا دقق النظر (وفى حديث ابن ابى هالة) الآتى وقدمت ترجمته (يتلألؤ) يضئ ويشرق (وجهه تلألؤ القمر) منصوب على المصدرية اى مثل تلألؤه (ليلة البدر) اى عند تمامه وتمامه هو انور ما يكون واحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يستوى ليلة ثلاثة عشر وقد تسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها ليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهى الف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا (وقال على) ابن ابى طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذى والبيهقى عن محمد ابن الحنفية فى حديث مرسل ضعيف (فى آخر وصفه له صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حديث طويل فى صفته وحليته آخره ما نقله المصنف رحمه الله تعالى وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تمحله بعضهم (من رآه بديهة) اى فجأة

وبغتة قبل مخالطته ومعرفة حاله وخلقه ويقال لكل مايفعل بعجلة من غير تأمل بديهة كما قال الغزى * ان الطعام بداية الفرسان * وفى كتاب البدايع البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح ومده واصله فى الكلام وغلب فى الشعر من غير روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة (هابه) اى خافه وقد يرتعد من يقوم بين يديه وفى النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء وقره ولوكان من اعدائه فاذا تدبر كماله وحمله احبه ومن احبه عظمه فالتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد الخلطة كما قال (ومن خالطه) اى مازحه وصاحبه ويلزمه معرفته فلذا قال (معرفة) وهو حال اى ذا معرفة اومفعول مطلق اى مخالطة معرفة اولاجل المعرفة لا لاجل النفاق والعداوة والانقياد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد الله (احبه) لظهور محاسنه التى توجب محبته ولان الله سخر القلوب لمحبته واذا احب الله تعالى بعض عباده القى عليه محبة الناس ولايحتاج الى ان يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روى انه عليه الصلاة والسلام وضع يده على صدر رجل كارفعها حتى صار احب الناس عليه بعد ماكان ابغضهم عنده وفى رواية من خالطه فعرفه وهى قريبة من رواية المصنف رحمه الله تعالى بلا تعنت (تقول ناعته لم ار قبله ولابعده مثله) كلام مستأنف فضله لاستقلاله وناعته واصفه اى لكل من يريد وصفه من شانه نعت من يراه والنعت يغلب فى الوصف الحسن وقال الطيبى رحمه الله تعالى اى ناعته يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية اوعلمية والمثل المساوى والمشابه ونفى المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله فى حسنه وكماله ونفى المثل يقتضى نفى من يفوته بالطريق الاولى ولان كل فائق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفى الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقول بعضهم كل من شانه النعت هذا يقتضى انه لامثل له حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته بذلك كما لايخفى (والاحاديث) الواردة (فى بسط صفته) فالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكائنة اوكائنة على انه حال من المبتدأ اومن فاعل الخبر وفى الظرفية كلام مر والبسط التطويل (مشهورة) شهرة لغوية اوعرفية اواصطلاحية وفى كلام بعضهم وليس المراد بالشهرة مصطلح اهل الاثر فانه غير صحيح بل الشهرة العرفية انتهى وما اشتهر تغنى شهرته عن ذكره فلذا قال (فلانطول) الكتاب والكلام (بسردها) سرد الشئ تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه (وقد اختصرنا) اى اوردنا مختصرا غير مطول فى (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم نكت ماجاء فيها) اى فى تلك الاحاديث والنكت اللطائف والدقائق الخفية من النكت فى الارض كما مر اوالمعانى اللطيفة التى تتأثر منها النفس لحسنها (وجملة) بضم فسكون اى مقدارا مجموعا (مما فيه الكفاية) من بيانية اى جملة هى

الكفاية اى الكافية اوتبعيضية اى جملة هى بعض الكافى وقيل المراد من جملة امور يكفى كل منها الا انها جزء الكافى لانه مع ما فيه ينافيه التقييد بالمشية اللاتى فتدبر (فى القصد الى المطلوب) من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول الى ماطلبه فى هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم اصاب مرماه اوالمراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى او المراد الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضى الى الغرض المطلوب وقوله (ان شاء الله تعالى) وقع فى بعض النسخ هنا وليس فى اصلنا وهو للتبرك والتيمن اوتعليق للقصد والكفاية (وقد ختمنا) جملة معطوفة على ماقبلها ويجوز ان يكون حالا ولاوجه لجعل الماضى بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه فى صورة الحاصل تفأولا اواظهارا للرغبة فيه او جعل مضيه باعتبار عزمه او كونه فى المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر (هذه الفصول) المراد بالفصول فصول هذا الباب (بحديث جامع لذلك) اى لصفات حليته المنتشرة فى الاحاديث المشتملة على اكثر انواعها واصنافها وان فاته شئ من افرادها فلاتكلف فى الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن اخرها بحسب الظاهر لايضر لان مابعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لاتحتمل الفرك (تقف عليه هنالك) وروى هناك وهما للمكان وقد يكونان فى آخر الباب اوفى زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثانى للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلامنافاة بينهما (ان شاء الله) قيد للوقوف لتوقفه على المشية وقول المصنف قبل هذا وقول ونحوه تعليق وهو حذف اول السند وقد يسمى مثله مفضلا فان اعتقد ان لقائله صحبة فلاكلام فيه والا فينبغى ايراده بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل فى كتب ابن الصلاح وغيرها

فصل هو رابع الفصول السابق ذكرها (واما نظافة جسمه) عطف على قوله اما الصورة الى آخره فى الفصل الذى قبله اى نقاوته من نظف بالضم ضد قذر (وطيب ريحه) المراد بالريح هنا الرائحة التى تدرك بالشم وروى رائحته وهما بمعنى (وعرقه) بفتحتين وهما ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره كماء الورد المستقطر منه (ونزاهته عن الاقذار) اى بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضمائر للجسم اولصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لماقبله وكالتفسير له (وعورات الجسد) اى البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو كل ما يوجب خللا فيه او يستر ويستحيى منه مما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذى يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم) الفاء تفصيلية (قد خصه الله تعالى وفضله وميزه عن من سواه (فى ذلك) المذكور (بخصائص) اى فضائل لاتوجد

فى غيره كما اشار اليه بقوله (لم يوجد فى غيره) من الامم اصلا اولم يوجد فى الاكثر وهذه
صفة مخصصة اومبينة مؤكدة (ثم تممها سبحانه) تنزيه الله تعالى المنزه له واقع فى محزه
والضمير للخصائص (بنظافة الشرع) متعلق بتممها اى تمم مافطر عليه من ذلك
وما خصه به مما شرعه له من النظافة الدينية فالوضوء واضافة النظافة للشرع
لملابستها له وكونها بسببه فهى لامية قيل المراد انه جعل بعضا منها فى جبلته
بحصوله فيها او باقتضاء طبعه وعقله مما لم يعط لغيره ثم امره بما لم تكن كذلك
كالطهارات ووفقه لاتباعه على اكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة سواء كان
الشرع شرعه اوشرع من قبله ان قلنا باتباعه له مع انه صار شرعا له واما مانسخ
فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله اوالمراد
بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله
عليه وسلم شامل لكل ماينبغى على الوجه الاكمل (وخصال الفطرة العشر)
من عطف الخاص على العام والفطرة اصل معناها فى اللغة الطبيعة والجبلة التى
خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض واصل
معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم
ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوى ووجه ذلك بعضهم بان مرادهم ان فى
الكلام مضافا مقدرا اى سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشئة عن الفطرة السليمة ورد بانه
وقع تفسيرها بها فى صحيح البخارى والقول ما قالت حزام فلاعبرة بمن انكره من
اللغويين كصاحب المغرب اقول السنة الطريقة المألوفة المعتادة والانسان لاسيما
الانبياء عليهم الصلوة والسلام انما يألفون ماتقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على
النظافة والنزاهة ومايعتاد مما يقتضيه الطبيعة ملحق بها فلابعد فى تسميته باسمها
كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لامناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور
اقناعى لايجدى نفعا وللسيد هنا كلام لامحصل له رأينا تركه خيرا من ذكره ورده
واول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم وكونها عشرا
رواه مسلم فى حديث مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية
والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة
وانتقاص الماء قال مصعب نسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابوداود
المضمضة والختان بدل اعفا اللحية وقال المصنف رحمه الله تعالى المنسى الختان
وروى ايضا فى الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غيرمقصود اوان الشين
كانت تزيد شيئا فشيئا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى
واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن انه امره بعشر خصال ثم عدهن كما مر

﴿واشار﴾

واشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها ظاهرة والسنة المراد
بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر فى حق الرجال
وهو قطع جلدة الكمرة وفى حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر الخاء المعجمة
وبالفاء والضاد المعجمة وهو قطع جلدة فى اعلى الفرج على ثقب البول وقطع
ادنى شئ منه كاف واستحسن مالك رحمه الله تعالى ختان الصبى من سبع الى عشر
وكرهه فى اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له ابو حنيفة رحمه الله
زمانا وقص الشارب سنة وقيل حلقه احسن وتقصير اللحية حسن كما مر
وهيئته تحصل بقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها ايضا على ما يأتى واما
حلقها فنهى عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة فى الوضوء
وقيل هو سنة للرجال دون النساء لضعف اسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه
ولذاكره للرجال الا فى الخلوة لعذر والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص
الماء هو الاستنجاء ويكون واجبا وسنة كما بينه الفقهاء وهو بالفاء والمهملة اوالمعجمة
والمذكور فى اللغة انه بالقاف والمهملة واما الفاء فتضحه على الذكر وقد ورد
الاستنقاص بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجاء قال فى المغرب والقاف والصاد غير
المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هى المشهورة وقال الصاغانى انتقاص الماء
بالفاء والمهملة رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف واشعر بان مافى المغرب
ضعيف وقص الاظفار وتقليمها سنة وورد النهى عنه فى يوم الاربعا وانه يورث البرص
وحكى عن بعض العلماء انه فعله فنهى عنه فقال لم يثبت هذا فلحقه البرص من
ساعته فرأى النبى عليه السلام فى منامه فشكى اليه ما اصابه فقال له الم تسمع نهيى عنه
لم يصح عندى فقال يكفيك انه سمع ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب مابه فتاب
عن مخالفة ماسمع وغسل البراجم ازالة وسخها بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر
الكف والرواجب عقدها من بطنها وهما بالجيم والموحدة وقال التجانى البراجم
مفاصل الاصابع فعمم ونتف شعر الابط معلوم ولابأس بحلقه وحلق العانة وهى
ماحول الذكر والفرج واذا قص اظفاره وحلق شعر ابطه وعانته اوحجم اوافتصد
فينبغى دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه
فلابأس به ولايترك السبال وان طال وفى الاحياء اختلف السلف فيما طال من اللحية
فقيل يقص ماتحت القبضة وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى اى اتركوها على
حالها واصل خلقتها ورجحه النووى وماورد من انه عليه السلام كان يأخذ من طول
لحيته وعرضها ضعيف لايحتج به وان احتج به بعضهم فهو مكروه واما المرأة
اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغى تغيير خلقتها

(اقول انه صح فى لفظ الانتقاص فى الحديث ثلاث روايات الاولى انتفاض بفاء وضاد معجمة والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاض بقاف وضاد معجمة ومعناه الاستنجاء اورش الفرج بالماء دفعا للوسواس وروى انتضاح فلا وجه لما فى المغرب وتفصيله فى شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته وتفصيله فقد افرده السيوطى رحمه الله تعالى بالتأليف فلا حاجة للتطويل بذكره كما فى بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر من اربعين يوما (وقال) ان كان معطوفا على تمم فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستأنفا او حالا بتقدير قد فالمعنى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده انه وقع فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الدين على النظافة) النظافة مصدر نظف وهى ضد الدنس وفى قوله بنى الدين استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على اعمدة اواساس حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر اومنشئ الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والجنب والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الردية والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بنى عليه فلا يعارض بنى الاسلام على خمس وقد اورد هذا الحديث فى القوت وفى الاحياء فى كتاب العلم وقال الحافظ العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عايشة رضى الله تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما النظافة تدعو الى الايمان انتهى وفى الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض حديث ذكره فى كتاب الاستيذان عن سعد بن ابى وقاص احد العشرة رضى الله تعالى عنهم وقال انه حديث غريب فى سنده خالد بن اباس اواياس وهو ضعيف وقال السيوطى فى تخريجه هنا بعد ماساق كلام العراقى قلت رواه الترمذى عن سعد بن ابى وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم وروى الرافعى فى تاريخ قذوين بسنده عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا تنظفوا بكل مااستطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبماذكرناه من ان الحديث روى من طرق متعددة ينجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ماقيل ان الحديث الضعيف لايؤتى فيه بصيغة الجزم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه لانه يقتضى صحته والجزم به فينخرط فى سلك من كذب على وهو تساهل قبيح فينبغى ان يقول قيل اوروى ونحوه من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض اوقصد معناها اعتمادا على القرينة فلا يأتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة فى اصول الحديث فلا يلتفت لما ذكره فى بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله فى الحديث السابق ولم يذكره احد فى اسمائه تعالى كما قيل ووقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا فلا وجه للاعتراض

عليه لتوهم انه الازدواج المذكور فى بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لاحاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث (حدثنا سفيان بن العاصى) سفيان بتثليث السين والعاص بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد بن العاصى بن سفيان بن عيسى ابو بحر الاسدى ولد سنة تسع وثلاثين او اربعين واربعمائة وتوفى بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخر وقد جاوز الثمانين سنة اودونها سنة عشرين وخمسمائة وفيها توفى ابن رشد (وغير واحد) تنبيه على انه رواه عن غيره ايضا (قالوا حدثنا احمد بن عمر) هو ابو العباس احمد بن عمر بن انس العذرى صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة بالمرية (قال حدثنا ابو العباس الرازى) نسبة الى الرى بزيادة زاى معجمة فى النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزى فى النسبة لمرو وهو احمد بن الحسين بن بندار الخراسانى (قال حدثنا احمد الجلودى) بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد اوالشام اومحلة بنيسابور اوافريقة اولبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثورى قاله التلمسانى ولاوهم فيه كما توهم وفى اسمه ونسبه اختلاف لاحاجة لنا به وقال النووى الجلودى بضم الجيم وليس هو منسوب الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودى بالفتح وان العوام يقولونه بالضم انما قالاه فى المنسوب الى القرية لا فى هذا الجلودى راوى صحيح مسلم وهذا الذى نبهت عليه لاخلاف فيه (قال حدثنا ابن سفيان) هو ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن سفيان بن محمد المروزى الفقيه الزاهد توفى سنة ثمان وثلاثمائة وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قرأه عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة اووجادة (قال حدثنا مسلم) ابن الحجاج القشيرى النيسابورى وطنا صاحب الكتاب المشهور الذى تلقته الامة بالقبول وشهرته تغنى عن تفصيل حاله توفى سنة احدى وستين ومائتين (قال حدثنا قتيبة) علم منقول من مصغر القتبة وهى الامعاء وهو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفى يكنى ابارجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفى سنة اربعين ومائتين وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان واربعين ومائة (قال حدثنا جعفر بن سليمان) البصرى الضبعى بالضم لنزوله فى بنى ضبيعة الزاهد الامى وهو كما فى التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا (عن ثابت) البصرى ابو محمد بن اسلم قال الذهبى وهو ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة (عن انس) ابن مالك الصحابى السابق ذكره وترجمته رضى الله تعالى عنه (قال ماشممت عنبرا)

شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف طاهر بلا كلام وقال الماوردى اكثر العلماء على طهارته وفيه اشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل بلاد الهند يجمد وينزل للبحر ونحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولاروث دابة بحرية واجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفى النسائى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تطيب به (قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة المبينة وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع من الزمان اى مضى ولذا اختص بالماضى المنفى فى الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله تعالى انه اكثرى وانه سمع فى المثبت فى احاديث عدة واما استعماله فى المستقبل فقال فى الدرة انه لحن وفيه كلام لنا فى شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر (ولا مسكا) هو طيب معروف وهو فى الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظباء فى زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين اوهما مضموم بينهما موحدة مشددة بزنة مسكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر وقيل انه خصهما لانهما اشرف الطيب واشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعمم بقوله (ولا شيئا) وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى فشمل الشئ غيرهما من كل ذى ريح طيبة مفردا كالورد والنرجس اومركبا كالغالية وقد يكون المركب اطيب رائحة والمراد ما شممت رائحة عنبر الى آخره مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا وكذا كانت رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم مس طيبا اولا حتى انه كان اذا مر فى بعض ازقة المدينة علم مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه فى موضعين احدهما كما ذكره المصنف فى قال الذى فى مسلم عن ثابت رضى الله تعالى عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا الين مسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيادة قط فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بعد العنبر لبست فى محلها اوهو رواية بالمعنى اقتصر على احد الموضعين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بباء موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه ترق على حد ما مر فى قوله تعالى * لا تأخذه سنة ولا نوم * والمعروف انه يبتدأ بالادنى ثم الاعلى فى الاثبات ويعكس فى النفى ليكون الكلام مفيدا فيقول اعطيته درهما ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو تقدم نفى الدرهم علم نفى الدينار بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودى (اقول هذا هو المشهور وهى قاعدة كلية الا ان التحقيق فيها انه ان ذكر فى الكلام ادنى واعلى وقصد اثباتهما فى نفسهما من غير اثبات شئ آخر لهما فالامر كما ذكر فان اضيف الى ذلك شئ وقيد آخر فالترقى والتدنى

بحسبه لا بالنظر لذلك كما فى الآية فان المنفى فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودى فان لم ينظر لهما بل اريد بنفيهما التعميم فلك البداءة بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله فى المثل السائر وبيناه فى حواشى القاضى وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لا طيب كطيبه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك وعزته وكونه اعلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلين الملمس لا ينافى ما ورد كما سبق من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافى ذلك ملاسته فان فسر بغلظ فى خشونة فاما ان يخص بهما ولين الملمس فى غير ذلك من جسده الشريف او هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار كما مر والاول اصح (اطيب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا مثله ولا قريب منه كما مر من ان نفى الافضلية يقصد بها نفى المساواة بطريق الكناية وليس المراد ايضا نفى شمه له بل نفى وجوده فلا يرد ان نفى الشم لا يدل على نفى الاطيبية وهو المقصود على انه قد يراد بنفى العلم ونفى الوجدان نفى المعلوم والموجود والمراد رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح فيها بل لا يصح ارادة المكتسبة لا وحدها لان المكتسب منه مثله ولا مع رائحته الذاتية لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله تعالى عليه وسلم فتأمل (تنبيه) قد عرفت ما اعترض به على المصنف رحمه الله تعالى من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف فى جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء وما فيه ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية ودقائقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفى جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا كله فى غير الامثال وما جرى مجراها نحو اخرك البكرى ومن اعدى الاول وله تفصيل فى ابن الصلاح وشروحه (وعن جابر بن سمرة) بضم الميم وقد تقدمت ترجمته رضى الله تعالى عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) هذا الحديث اخرجه مسلم ايضا واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه لمناسبته للفصل بناء على جواز الاختصار فى الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تأنيسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده تيمنا وتبركا به صلى الله تعالى عليه وسلم مشهور واول الحديث صليت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل

يمسح خدى احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا او ريحا
كانما اخرجها من جونة عطار كذا فى مسلم او ريحا باو بدل الواو الآتى وكثيرا
مايوجد بدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير اوقال جابر (قال) اى جابر (فوجدت)
اى احسست (ليده) اى كفه وماقاربها (بردا) وفى صحيح البخارى فاذاهى برد
من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض لمس ماء ونحوه وقيل
انه عند العرب ممدوح لاسيما فى الزمن الحار ولابعد فى عده من خصائصه صلى الله
تعالى عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته
والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب وقد فسر قوله تعالى لايذوقون فيها بردا
براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال * تبسمت بالرضى مواعده * فقلت يابردها
على كبدى * وفى النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة
الباردة الهنية واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التى كانت
صفة لها قبل تقدمها لايقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت
للمريض راحة فيكون المعنى ذوالراحة يده كما ان المريض كذلك لانا نقول اللام
تعليلية اى وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهى اختصاصية
(او ريحا كانما اخرجها) اى اليد لانها مؤنثة سماعية (من جونة عطار) الجونة
بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بواو ساكنة يليها نون وهاء تأنيث وهى شبه
صندوق صغير ومغشى بادم وزنه مستديره يضع فيها العطار عطره واختلفوا
هل الواو اصلية تبدل همزة لضم ماقبلها كما قالوا فى موسى موسى تنزيلا لضم ماقبله
منزلة ضمه او الهمزة اصل ابدلت واوا على القياس كما قرئ يؤمنون ويومنون
وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هى مركبة او بسيطة خلاف مشهور راى
كان ريحها ريح ماخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة صفة ريح
اوحال وتأنيثه وعطار للنسبة كمال لاللمبالغة وهو بايع العطر وهو كل ماطابت رايحته
وفى البخارى عن ابى جحيفة رضى الله تعالى عنه خرج رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بالهاجرة فى الابطح فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين
يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام فجعل الناس يأخذون يده الشريفة فيمسحون بها
وجوههم فاخذت بيده الشريفة فوضعتها على وجهى فاذاهى ابرد من الثلج واطيب
رايحة من المسك وهذا ظاهر فى ان البرد حقيقى وان برده لمسه الماء ان كانت الواقعتين
واحدة اوهو مأول كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن اخلاقه صلى الله تعالى
عليه وسلم وتواضعه للصغير والكبير وورد فى حديث رواه ابن العماد عن انس
رضى الله تعالى عنه ان ظهور نفحات الطيب منه صلى الله تعالى عليه وسلم
ظهر بعد الاسراء وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى

والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم
طيب لايشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتى وطيب مكتسب من عالم الاقدس لايفارقه
وهو اطيب الطيب ولاينافيه حديث حبب الى من دنياكم الطيب كما مر ويأتى
لان الطيبات للطيبين والزائد قابل للزيادة (وعن غيره) اى روى عن غير جابر
ابن سمرة وفى نسخة وقال غيره وفى بعضها قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه
البيهقى وابونعيم بسند فيه ضعف وفى لفظه اختلاف فلذا ابهمه (مسها بطيب
اولم يمسها) المس واللمس متقاربان الا ان المس يقال لمامعه ادراك بحاسة السمع
واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن المطلب ومنه الالتماس وضمير مسها
للكف واليد وفيه قلب اذ الظاهر مس بها طيبا اولم يمس واول الحديث فكان
كفه كف عطار ولما كان قوله كانما اخرجها من جونة عطار بمعناه اكتفى به
عن سياق اول الحديث فلاخلاف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما
توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم
ذاتى والقول بان الكلام فى الخلق فلاحاجة لهذا لغو من الكلام (يصافح) اى
يمس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بصفحة يده (المصافح) مفعوله وهو بفتح الفاء
اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفى رواية يصافحه
المصافح بكسر الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل من
المتصافحين يده على يد الآخر وفى النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند
الملاقاة وفى معناه قول التلمسانى وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة
على قدر مايقع منه من سلام اوكلام ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضربها
مكروه وقد يشد كل واحد يد صاحبه وقيل لاينبغى فعله وهى بعد الصلاة بدعة
عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الاشارة الى انه كان قدم من غيبة لانه كان
عند ربه يناجيه فافهم (فيظل يومه) يظل بفتح الظاء المشالة مضارع ظللت
بكسرها وظلات بفتحها ويقال ظل بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به عما
يفعل بالنهار ويجرى مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت
الخبر فى جميع النهار كما قاله الرضى لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمساء او من
الطلوع للغروب فاذا كانت بمعنى صار عمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى
الدوام وقوله فى القاموس يظل نهاره يفعل كذا وانه يسمع فى الشعر لاوجه له
ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لاسيما مع دلالته على
الاستغراق (يجد ريحها) اى يجد فى المصافح من طيب يده واضافة ريحها
للعهد اى ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله تعالى
عليه وسلم (ويضع يده على رأس الصبى فيعرف) مبنى لما لم يسم فاعله (من بين

الصبيان بريحها) هذا بعض من حديث طويل رواه ابو نعيم والبيهقى مسندا عن عايشة رضى الله تعالى عنها قالت كان صلى الله تعالى عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير وكان كفه كف عطار مسها بطيب اولم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على رأسه والمخرج رحمه الله تعالى ظن هذا حديثا مستقلا فبيض له ولبس المراد بالصبى معينا والمراد بريحها رائحتها التى حصلت بمسه والباء للسببية والمراد انه يعرف بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسه فيتميز من بينهم وفى نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفى رواية من ريحها وذلك اما فى يومه كما مر فيؤكد اوانه يستمر مدة طويلة والمضارع فى موضع الماضى لنكتته المشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار انس) بن مالك الصحابى رضى الله تعالى عنه السابق ذكره على نطع بسط له وكان النطع لامه رضى الله تعالى عنها قيل والاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما فى صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لوقال دار ام انس احتمل ان يكون كنية لغيرها فلا تعلم الجائية بالقارورة مع ما فى هذا من الدلالة على ان رواية انس رضى الله تعالى عنه الحديث بغير واسطة (فعرق صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت امه) وهى ام سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة اوغيرها قال النووى رحمه الله تعالى وهى ام انس بلا خلاف وقول الغزالى وغيره انها جدته غلط بالاتفاق توفت فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وهى اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة بجزيرة قبرس سيدة الشهداء من النساء وهى التى روت حديث غزاة البحر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث فى صحيح مسلم عن ثابت عن انس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عندنا فعرق فجاءت امى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا الذى تصنعين يا ام سليم قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب وله روايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل فى بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره فى قارورتها وفى رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله فى سكها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع

غيره وكانت تبسط للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نطعا من آدم فيقيل عليه عندها كما مر وروى فى الوفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فاتت فقيل لها هذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نائم على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة آدم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره واخذت من عرقه وشعره فجمعته فى قارورة فلما حضر انس رضى الله تعالى عنه الوفاة اوصى ان يجعل فى حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع فى سائر الاحاديث العرق فقط واجيب بانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حلق رأسه بمنى اخذ ابو طلحة رضى الله تعالى عنه شعره واتى به ام سليم فجعلته فى سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التى فيها الشعر ثم ان نوم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عندها وعند اختها ام حرام استشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذى محرم وهو يقتدى بفعله فلا يدفعه كونه معصوما واجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام عندهما ويخلو بهما ويفليان رأسه الشريف وقيل هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لملكه اربه ولبس هذا قبل نزول آية الحجاب كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخل بهما لان عنده خادما ونحوه غير مسلم (بقارورة يجمع فيها عرقه) صلى الله تعالى عليه وسلم تقدم الحديث وان ام سليم رضى الله تعالى عنها لم تكن فى بيتها لما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد القصة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندنا لان العتيدة الصندوق الذى فيه القارورة وهى اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة يجمع صفة قارورة او مستأنفة لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه (فسألها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) كما فى صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذى تصنعين وفى رواية ما هذا وفى اخرى ما تصنعين والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة اوليظهره لغيرها (فقالت هذا عرقك (نجعله فى طيبنا) وفى رواية لطيبنا اى نخلطه كما روى اذوف اى اخلط وتقدم رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة اجيب فى كل منها بجواب فان كانت واحدة فهو من تصرف الراوى وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصبت (وهو) اى عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم (من اطيب الطيب) قيل يحتمل ان يكون ذلك من مقولها ويحتمل غير ذلك انتهى والواقع الاول ووقع فى مسلم اطيب بدون من وهى اولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه

وغيره فظاهر لان خالص عرقه اطيب منه ولاشك فى طيبه واطيبيته كامر ماشممت عنبرا ولامسكا اطيب فلبس خلطه بالطيب لتطيبه اوللتبرك فقط كما توهم فان قلت اذا كان اطيب الطيب فلم خلط بالطيب قلت لان ما اجتمع من عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كثيرا يكفى لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا (وذكره البخارى) رحمه الله تعالى امام اهل السنة السابق ذكره (فى تاريخه الكبير) وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمى والبيهقى بالمعنى (عن جابر) بن عبدالله الصحابى رضى الله تعالى عنهما الجليل الانصارى شهد المشاهد الابدرا واستغفرله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين مرة لماقضى دين ابيه وهو آخر صحابى مات بالمدينة سنة سبعين وشئ وروى الفا وخمس مائة حديث (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) فى رواية البزار وابى يعلى بسند جيد عن انس رضى الله عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجد فيه رايحة المسك فيقال مر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من هذه الطريق (فيتبعه) بالرفع (احد) اى يأتى بعد ذهابه منه لايمشى تابعاله والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاللطريق كما قيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الاعرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهى مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل * عليك بارباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا * والمراد علوق تلك الرايحة بالمكان الذى يمر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وهو توهم لايساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم او بالتشديد وجوز فيه النصب والمراد انه يمشى بعده بزمان قليل فالفاء للتعقيب والقول بان الفاء لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لاوجه له وقوله احد فاعل يتبع على حال من الاحوال (الا) على حال انه (عرف انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) اى دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلاحاجة لتأويله كما توهم (من طيبه) اى عرف من طيب الطريق مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به اومن اجل طيب الطريق برايحته الطيبة المخصوصة به الباقية فيه وهذا لايكون الامنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر اسحاق بن راهويه) هو ابو يعقوب المروزى الامام الزاهد الثقة المجتهد امير المؤمنين فى الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله تعالى وهو الذى احيى السنة بالمشرق ماسمع شيئا الاحفظه وماحفظ شيئا فنسيه قال كانى انظر الى مائة الف حديث فى كتبى وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب ابيه ابراهيم بن مخلد التميمى الحنظلى لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة فى المشهور ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهواحب عند المحدثين آخره هاء والتاء خطاء كما فى بعض

النسخ من التاء المفتوحة على انه ممنوع من الصرف خطاء (ان تلك) الرايحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق (كانت رايحته) الذاتية لمدركه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بلاطيب) يمسه ويتطيب منه من خارج (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تقدم مايدل عليه من الاحاديث فما قيل انه لم يظهر من رواه واظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولاينافيه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كمامر (وروى المزنى) بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو ابراهيم ابن اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل المزنى المصرى الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه لوناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى لست بقين من رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة باقرب من قبر الشافعى (والحربى) هو فى بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربى الحنبلى نسبة الى الحربية محلة من بغداد وهى تنسب لحرب بن عبدالله صاحب المنصور مات سنة سبع ومائة (عن جابر) بن عبدالله السابق فقد قيل انه المراد اذا اطلق وهذا مما وقع فى بعض النسخ وكانه من الحاقه بالاصل (قال اردفنى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اركبنى (خلفه) اى وراء ظهره وهو راكب يقال له اردفه وردفه ويقال اردفه اعم فعلى ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم اوتأكيد وفى الصحيح الصحاح الردف الراكب خلف غيره قال البرهان الحلبى جمع الحفاظ ارداف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمنى جمع بعضهم من اردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس اوغيره فبلغوا نيفا واربعين وماذكره من التأليف لم نقف عليه والذى عدوه ممن اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه فى مرجعه من عرفة على اكاف والصديق رضى الله تعالى عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله تعالى عنه فى قدومه من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبدالله بن جعفر وقثم وعبدالله بن عباس واخواه عبيدالله والفضل فى نزوله من مزدلفة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمارة عفير وابوذر وزيد بن حارثة وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهيل بن بيضاء وعلى بن العاص وعبدالله بن الزبير وغلام من بنى عبدالمطلب واسامة بن عمير وصفية بنت حيى وابو الدرداء وامية الغفارى وابوقاسم وابوهريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير وجبريل عليه الصلوة والسلام على البراق فى الاسراء والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر وآخرون لعل النوبة تفضى لذكرهم على التفصيل (فالتقمت خاتم النبوة بفمى) الالتقام اخذ الشئ وجعله فى فيه سواء ابتلعه املا والابتلاع والاسترط بمعنى ولذا سمى الطريق سراطا ولقما كانه يبتلع السابلة وخاتم بفتح التاء وكسرها

وسيأتى تفصيله وقوله بفمى تأكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال القم كفه ركبته
وفى العبارة ما يقتضى ان خاتم النبوة كان ذاتيا مرتفعا حتى تمكن من التقامه وهو بين
كتفيه وفيه روايات فقيل كان كاثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة او التفاحة او الجمع
بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل
كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروى عن ابى سعيد
الخدرى انه بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه اودونه
بقليل واما على رواية انه شامة خضراء محتفرة فى اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن
اخفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة بيضة طائر معروف وقيل ان الحجلة حكمة
السرير التى تسميها العامة الناموسية وزرها مايدخل فى عروتها وصححه فى الروض
الانف وقال تفسير الترمذى له بيضة الطائر وهم وقال التجانى انما هو على هذا رز
بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان الخطابى
الذى فسره به وجده فى رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عينى الفرس لاوجه له
فان كان مجازا عن التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لهذا الفاتح الخاتم
هل هو من ابتداء خلقه او بعد ماولد او بعد مانبئ وروى ابن ابى الدنيا عن ابى ذر
رضى الله تعالى عنه مرفوعا انه قال قلت يارسول الله كيف علمت انك نبى واستيقنت
قال ياباذر اتانى ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالآخر والآخر بين السماء
والارض فاخرج قلبى وازال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخاط
بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وولياعنى فكانى اعاين الامر معاينة وفيه
بيان لوقت الوضع وكيفيته الا انه قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوى لان
ذلك كان فى بنى سعد وهو مع حليمة كما سيأتى وقول المصنف انه اثر الشق بين كتفيه
موافق لهذا الحديث سواء قرئ اثر بفتحتين او بكسر فسكون اما على الثانى
فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده و بسببه جعل اثراله فقول النووى
رحمه الله تعالى انه باطل لان الشق انما كان فى صدره و بطنه وكذا قال القرطبى
واثره انما كان خطأ واضحا من صدره الى مراق بطنه كما فى الصحيحين ولم يثبت
قط انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه
فى محاذاة صدره قالا فهذا غفلة منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر فى شرح
البخارى وذكر انه مروى من طرق آخر فاوهم انما هو فى فهم كلامه قال وهذا اصح
مما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفى كتاب القيافة
انه موجود فى كل نبى وانه من علامات النبوة وكان اهل الكتاب يعرفونه صلى الله
تعالى عليه وسلم به وقال البرهان الحلبى لا استحضر فيه شيئا والذى يظهر انه من
خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم النبيين ومارواه ابن حبان

من انه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة و قيل انه شامة سوداء
او خضراء مكتوب عليها محمد رسول الله اوسر فانت المنصور اوالله وحده
لاشريك له ونحوه ولم يثبت فيه ما يعتد به وفى رواية كسلعة اوغدة او بندقة عند
غضروف كتفه اليسرى ورفع عند موته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما وضع هناك
لان الشيطان اذاوسوس وضع خرطومه ثمة وقد زاد بعضهم فى صورة ضفدع له
خرطوم كخرطوم البعوضة ادخله فى منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله
خنس وقوله (وكان ينم على مسكا) اسم كان المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم
نمت الريح اذا جلبت الرائحة قال البرهان رحمه الله تعالى وهو مستعار من النميمة
ومنه نص الريح نم الطيب رائحته وهى استعارة لطيفة شايعة وقد استعير نمام للريحان
ثم للعذار كما قال بعض المولدين لافتضاحى فى عوارضه * سبب والناس نيام * كيف
يخفى ما اكابده * والذى اهواه نمام * وينم روى بضم النون وكسرها وعن المرى
الكسر فى اللازم والضم فى المتعدى وفى القاموس نم المسك سطع والمتعدى بمعنى
ينتقل او يحكى واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال محول
عن المفعول فقد وهم وروى يثج بضم المثلثة وتشديد الجيم لابالفتح كما
قيل وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم او للفم او تندفع رائحته مرة بعد مرة
من ثج الماء وهو خروجه متدفقا بسرعة قال التجانى وفى بعض النسخ بكسر المثلثة
والجيم اى يسيل والذى فى الصحاح انه بالضم لاغير فانه متعد من الثج بمعنى التسييل
اى كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييز اومفعول به (وحكى بعض المعتنين
باخباره) اى المهتمين بنقل اخباره واحواله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشمائله)
اخلاقه وصفاته اعتناء تتبع وعلم واعلام وهو البيهقى عن عايشة رضى الله تعالى
عنها (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا اراد ان يتغوط) اى يأتى الغائط
وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم فى البراز لانه استر قال الله تعالى اوجاء
احد منكم من الغائط ثم كنى به عما يقع فيه ومنه الغائط للبستان ويقال غيط للفرق
بينه و بين غيره (انشقت الارض وابتلعت غائطه و بوله وفاحت لذلك) المذكور
من البول والغائط (رائحة طيبة) وهذا الحديث قد علمت انه رواه البيهقى عن عايشة
رضى الله تعالى عنها ولكنه قال انه موضوع وسنبينه (واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدى) الامام الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد الله محمد مولى بنى هاشم صاحب
الطبقات مات سنة ثلاث ومائتين والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق
مات فى ذى الحجة سنة احدى عشرة ومائتين (فى هذا) اى فى ان الارض
كانت تبتلع ما يخرج منه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفوح له رائحة طيبة (خبرا
عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تأتى
الخلاء) بالمد اى المكان الخالى البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض

فيها يأتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك (فلا نرى منك شيئا من الاذى) بالذال المعجمة والقصر اصله مايضر ثم اريد به هنا ما من شانه ان يكره فالمراد به هنا الغائط (فقال لها ياعائشة اوما علمت ان الارض تبتلع مايخرج من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (فلا يرى منه شئ) تبتلع تفعيل من البلع فى النسخة التى عندنا وضبطه التلمسانى تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم واصل البلع ادخال الطعام والشراب فى الحنجرة والمرى فاستعير لمطلق الاخفاء كما فى قوله تعالى *ياارض ابلعى ماءك* وقوله فلا يرى منه شئ تفسير للمراد من البلع وتأكيد او بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم واخفاؤه مع طيبه وعدم استقذاره قيل لانه لعدم الانكار بحله الخارج منه اوللتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغى ستره لانه من المروة ولا يخشى من اخذ الناس له (وهذا الحديث) وفى نسخة الخبر (وان لم يكن مشهورا) قال ابن دحية سنده ثابت وهو اقوى ما فى هذا الباب فلذا نفى المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفى الشهرة نفى الصحة (فقد قال قوم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم قول بعض اصحاب الشافعى) المراد بالحدثين الخارجين كناية للعذر من ذكر مايستهجن وظاهر ان القول بالطهارة مبنى على هذين الحدثين فكانه من وصفهما بالطيب واما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما فى الخصائص للحصيرى وهو كتاب لم يصنف فى بابه مثله كما قال الرافعى فى كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هى كذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجهان فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليه وام ايمن شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذن لاتلج النار بطنك ويروى شرب على كرم الله وجهه وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما لدمه وقال معظم الاصحاب حكمهما منه صلى الله تعالى عليه وسلم كحكم غيرها وحمل الاخبار على التداوى وروى انه قال للحجام لا تعد فان الدم كله حرام اى على مايأتى وقال النووى رحمه الله تعالى حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف فى الاحتجاج اذا لم ينكر عليها ولا امرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضى حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتأخرين وجواب التداوى يرده لن يجعل الله تعالى شفاء امتى فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف فى طهارة شعره والاحاديث فى هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب ام ايمن بوله الذى كان فى قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلع فلا يرى له اثر قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته

ومحل نزول الوحى والملائكة فلا يليق ان يمس باطنه وظاهره شئ من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما لعبادة ربه وتأديبا الا ترى الى قول القائل

*من عظم الناس عظموه * وفاز بالعز والرياسة *

*ومن زدريهم لو كان مسكا * لقيل فى اصله نجاسة *

واما التداوى بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبره ثقة بنفعه ولم يجد دواء غيره وقيل لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء امتى فيما حرم عليها وقيل انه لا بأس به لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله تعالى اذا حرم شيئا ابطل نفعه وكون على كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما اشار اليه الدميرى فى منظومته فى الفقه بقوله

* غريبة فضلة سيد البشر * طاهرة على خلاف انتشر *

*وابن الزبير بدم الهادى البشير * نال الذى رام كماله اشير *

*وهو الذى خص بوبيل الناس * وهو بويله من الابلاس *

*فى مسند البزار ثم البيهقى * والطبرانى رواه فتق

والدارقطنى وقول ابن الصلاح * ليس له اصل يفى فى الاصطلاح

*وام ايمن استزادت شرفا * اذ شربت بول النبى المصطفى *

*وسقيت اذ هاجرت للسنة * ماء رويا من شراب الجنة *

*فبعده مامس جوفها ظماء * ولم تذق الى الممات الماء *

* صححه الحاكم والمروى فى * شرب على دمه لم يعرف *

*وابن الصلاح قال فى شرب ابى * طيبة انه ضعيف السبب *

* قال ابن سبع ويقينا كانت * تبلعها الارض ومنها ازدانت *

* ولم تبل من تحته بهيمه * ولم تزل الدهر به سقيمه *

وهذه فائدة تفرد بها وهى ان الدواب لم تبل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم راكب عليها ولم تسقم دابة ركبها فى حياته ثم وقع فى فقه الشافعية ايضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم الصلوة والسلام كذلك طاهرة لحديث عايشة رضى الله عنها بذلك وفى بعض النسخ الشفاء هنا (حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ فى شامله) وهو الامام الحبر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن جعفر الصباغ الذى انتهت اليه رياسة الشافعية فى عصره وكان ورعا نقيا زاهدا وله كتاب الشمائل فى الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو اول من درس بالمدرسة النظامية التى بناها نظام الملك للشيخ ابى اسحاق رحمه الله تعالى فامتنع وابى ان يخرج من مسجده فلما الحوا عليه اذن لابى نصر هذا فى التدريس بها وتوفى ابو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع وسبعين واربع مائة بعد ما كف بصره (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) اى فى فضلات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الانبياء عليهم الصلوة

والسلام وحكمها فى الطهارة وضدها وقيل قوله العلماء شامل للحنفية وغيرهم
(ابو بكر ابن سابق المالكى) اى العالم المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بباء موحدة
وقاف قال البرهان وفى بعض النسخ مصححا ابو بكر وهو ابو الحسن محمد بن سابق
الصقلى المالكى المذهب لا النسب (فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج مالم
يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية) يعنى انه الف كتابه المسمى بالبديع
فى فروع فقهية لم يذكرها علماء المالكية فخرجها على حكم ماذكره الشافعية فيها
لتصريحهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر فى دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل
فهو اجتهاد مذهبى ويقع مثله لغيرهم من الفقهاء ايضا والتصريح فى اصطلاح الفقهاء
ان ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين لم يظهر فارق
بينهما فينقلون نصه فى كل صورة الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة
اذ منع فى الاولى العمل بتغير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك لهذه
وتجويزه فى هذه لتلك فصار فى كل قولان منصوص ومخرج المنصوص
فى كل هو المخرج فى الاخرى والتخريج عند المحدثين ان يجد حديثا فى كتاب فينقله
مسندا مبينا حاله فى الصحة وضدها اوغير مسند (وشاهد هذا) اى دليل القول
بالطهارة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) اى فان
النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ
مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلى مؤيد لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه
انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ماهو غير نجس ومن النجس ماهو غير
مستقذر (ومنه) اى من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ
يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن ماجة وابو داود
فى مراسيله (غسلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتشديد السين لانه المستعمل
فى الميت ويخفف فى غيره كالثياب (فذهبت انظر مايكون من الميت فلم اجد شيئا)
ذهب هنا من افعال المقاربة اى جعلت انظر ومثله كثير فى كلامهم فالقول بانه بمعنى
اردت استعير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى
لان قوله فلم اجد لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت تغير
رائحة وخروج فضلات وهذا من اعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير منه شئ ما وهذا مما يستأنس به
لان طيبه يدل على طيب مايحصل منه * وكل اناء بالذى فيه يرشح * وليس برهانا
عقليا كما يرشدك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على ما
نحن فيه من طهارة الفضلات وياتى قريبا ان الذى غسل النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم على والعباس وابناه اى الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء

وغسلوه واعينهم معصوبة تأدبا ولانه صلى الله عليه وسلم قال لا يرى احد عورتى الا
طمست عيناه كما سيأتى وروت عايشة رضى الله تعالى عنها انهم ترددوا فى تجريده
للغسل فسمعوا قائلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه
بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة
بماء وكافور وانما قال على فذهبت انظر بناء على العادة لتأخير دفنه لانه مات يوم
الاثنين ودفن يوم الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت
(فقلت طبت) بفتح تاء الخطاب (حيا وميتا) والمخاطب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم على عادتهم فى مخاطبة الاموات عند التوجع والثناء كما ورد فى المراثى
اولانه صلى الله عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع فى قبره من يصلى عليه كما
سيأتى (قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها فظاهر) اى ظهرت وارتفعت
واصل السطوع فى النور فاستعمل فى مطلق الظهور وروى ابن بكير فى سيرته ان
ام سلمة رضى الله تعالى عنها وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (ومثله)
اى مثل قول على هذا (قال ابو بكر الصديق) رضى الله تعالى عنه (حين قبل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) اشارة الى ما فى الصحيحين عن عايشة رضى
الله تعالى عنها ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه لما نعى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن ثم حاء مهملة
بعوالى المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوى جاء فدخل المسجد ولم يكلم احدا
حتى دخل بيت عايشة رضى الله تعالى عنها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسجى
ببرد حبرة فكشف عن وجهه الشريف واكب عليه فقبله وهو يبكى ويقول بابى
انت وامى يا نبى الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التى كتبت عليك فقد متها
فسل عمر رضى الله عنه سيفه وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله عليه وسلم مات ويقول
انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى عليه الصلوة والسلام فلبث اربعين ليلة ثم رجع
وانى والله لارجوان يرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى
ويقطع ايدى رجال وارجلهم وفى رواية ان الصديق لما كشف على وجهه بكى
وقال بابى انت وامى طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من اخرس
ومنهم من اقعد فلما خرج ابو بكر رضى الله تعالى عنه قال لعمر ايها الحالف على
رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه حى لا يموت وقد
قال الله تعالى * انك ميت وانهم ميتون * وقال * وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل * الآية فنشج الناس يبكون وروى انه لما قبل وجهه وقال ابو بكر

طبت حيا وميتا زاد وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت عن
الصفة وجللت عن البكاء اذكرنا يا محمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك وجعل
يقول وهو يبكى واخليلاه واصفياه وانبياه وتقدمت الاشارة لشئ من ذلك فى الفصل
السابع (ومنه) اى من الشواهد على ماذكر مارواه البيهقى والطبرانى فى معجمه
الوسط عن ابى سعيد الخدرى والاول دليل عقلى وهذا نقلى (شرب مالك بن
سنان دمه يوم احد ومصه اياه) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الابجر
بموحدة وجيم وهو ابو ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما وقد تقدم
الكلام على ترجمتهما ونسبتهما وهو من كبار الصحابة قتل شهيدا يوم احد
رضى الله تعالى عنه واحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الوقعة العظيمة بعد قدومه
صلى الله تعالى عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش فى شوال سنة ثلاث
وقدموا بنسائهم وحلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب احد على شفير الوادى
بقناة مقابل المدينة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه ان فى سيفه ثلمة وان بقرا
له تذبح وانه ادخل يده فى درع له حصينة فتأولها بان رجالا من اصحابه يقتلون وان رجلا
من اهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة هى المدينة ورؤيا الانبياء وحى فاشار على
اصحابه ان لا يخرجوا من المدينة ويتحصنوا بها فان قربوا منها قوتلوا ووافقه
على رأيه عبد الله ابن ابى بن سلول وابا كثير من الانصار الا الخروج ليكرم الله من شاء
بالشهادة فلما رأى صلى الله تعالى عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس
لامته وخرج فقال قوم ممن الح فى الخروج ان شئت فارجع فقال ماينبغى لنبى
اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج فى الف من اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم
رضى الله تعالى عنه على الصلوة بمن بقى بالمدينة فلما سار صلى الله تعالى عليه وسلم
الى القوم انصرف عنه ابن ابى بثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه فنهض صلى الله
تعالى عليه وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار الاستعانة بحلفائهم من
اليهود فابى وسلك على حرة بنى حارثة وشق اموالهم حتى نزل الشعب من احد
فى عدوة الوادى وجعل ظهره الى احد ونهى الناس ان يقاتلوا حتى يأمرهم
وسرحت قريش الظهر والكراع فى زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم للقتال فى سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس
وقيل كان فى المسلمين خمسون فارسا ورماة المسلمين خمسين رجلا امر عليهم
عبد الله بن جبير رضى الله تعالى عنه وهو معلم ثياب بيض فرتبهم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم خلف الجيش وامرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين
من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين درعين ورفع اللواء
لمصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه اخى بنى عبد الدار واجاز سمرة بن جندب الفزارى

ورافع بن خديج بالخروج وكان سن كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا
وجماعة ورد من لم يبلغ وقيل الاجازة استحقاق السهمين والرد عدم ذلك وجعلت
قريش على ميمنتهم فى الجبل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن ابى جهل
واعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه الى ابى دجانة وكان شجاعا يختال
فى الحرب وكان ابو عامر المعروف بالراهب وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
الفاسق سيدا فى الاوس تنسك وترهب فى الجاهلية فلما جاء الاسلام غلب عليه
الشقاء ففر عن المدينة لبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى مكة فى جماعة
من الاوس وشهد يوم احد مع الكفار ووعدهم بانحراف قومه اليه فكان اول
من خرج فى عبدان اهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه وعرفهم بنفسه قالوا له
لا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد اصاب قومى بعدى شر ثم قال لما التقى الجمعان
قاتل المسلمون قتالا شديدا وابلى يومئذ على وحمزة وابو دجانة وابو طلحة رضى الله
تعالى عنهم بلاء حسنا وكذا جماعة واصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا
شديدا ببصائر ثابتة فانهزمت قريش واستمرت الهزيمة عليهم فلما رأى ذلك الرماة
قالوا قد هزم الله تعالى اعداء الله فما لنا ههنا قاعدون فذكرهم ابن جبير اميرهم
رضى الله تعالى عنه امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ان لا يزولوا من مواضعهم
فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وقاموا فتولى المسلمون وقد كر المشركون عليهم
ففروا وثبت من اكرمه الله بالشهادة وانما خالفوا لظنهم الامر مقيدا ببقاء العدو
فاذا انهزموا سقط الخطاب فغلطوا فى التأويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه حتى قتل
وجرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهه وكسرت رباعيته اليمنى
السفلى بحجر وهشمت البيضة برأسه وكان الذى تولى ذلك عمرو بن قمئة الليثى
وعتبة ابن ابى وقاص وقد قيل ان عبد الله بن شهاب هو الذى شجه واكب
الحجارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين سقط فى حفرة كان ابو عامر
الراهب حفرها مكيدة للمسلمين فخر عليه السلام على جنبه فاخذ على بيده واحتضنه
طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الدم علاجا ومداواة له حتى لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم يقل له
صلى الله عليه وسلم كما قال لابن الزبير حين شرب دمه كما يأتى ونشبت حلقتان
من درع المغفر فى وجهه الشريف فانتزعهما ابو عبيدة ابن الجراح وعض
عليهما بثنيتيه فسقطتا وكان اهتم يزينه هتمه وقد اختلف فى هذا هل كان قبل
الوعد من العصمة او بعدها والعصمة انما هى عصمة النفس من القتل لا الجرح
ونحوه وبقى له ثوابها والتأسى به فيها وقد تقدم ما فى ذلك واعطى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الراية حين قتل مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه عليا كرم الله
وجهه فاخذ على كرم الله تعالى وجهه وصار رسول الله تعالى عليه وسلم تحت راية

الانصار وقتل صاحب لواء المشركين فسقط لواوهم فرفعته عمره بنت علقمة
الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكر دونه نفر من الانصار سبعة او عشرة فقتلوا كلهم واصيبت عين قتادة رضى الله
تعالى عنه فسألت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى محلها
فكانت اجمل عينيه واصحهما ولذا قال بعض ولده لعمر بن عبد العزيز لما قدم
عليه وقال له من انت فقال * انا ابن الذى سالت عن الخد عينه * فردت بكف
المصطفى احسن الرد فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ماعين وياحسن
مارد * فقال عمر * تلك المكارم لاقعبان من لبن * واحسن جائزته وانتهى * انس
بن النضر الى جماعة من الصحابة وقد القوا بايديهم فقال مايجلسكم قالوا قتل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات
عليه واول من ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجرله كعب بن مالك الشاعر
فنادى باعلى صوته يامعشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار اليه
رسول الله ان انصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا معه نحو
الشعب فيهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم فلما اسند
فى الشعب ادركه ابى بن خلف فتناول صلى الله تعالى عليه وسلم حربة الحارث بن
الصمة وطعنه بها فى عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصة احد مفصلة فى السير
بالبسط من هذا وما يتعلق بابى بن خلف سيأتى الكلام عليه مطولا فى كلام المصنف
رحمه الله تعالى فى قوله فصل واما الشجاعة الى آخره واشار بقوله شربه ومصه الى انه
كان يفيض اولا فلذا جعل اخذه بفيه وابتلاعه اياه شربا ثم لما قل وجعل يجذب ماقل
منه بالتنقية لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد المهملة اخذ المايع القليل بجذب
النفس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمى لم يخالطه ذنب وهكذا
من مازج بدنه شيئا منه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد وقد كان كذلك وقد علمت
ان هذا رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط وكذا اصحاب السير وضمير اياه للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ووجه دلالته على ماقاله المصنف انه الدم غير طاهر من غيره
صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لفهاه عن ازدراده الا انه
لايدل على طهارة بقية الفضلات منه قياسا لفرق الماوردى رحمه الله تعالى بين الدم
والشعر وغيرهما بانهما من اجزاء بدنه بخلافها وقوله (وتسويغه صلى الله تعالى عليه
وسلم ذلك) اى شرب دمه ومصه (له) اى لمالك بن سنان رضى الله عنه وتسويغه
بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار من ساغ
الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين والتعبير به
هنا فى غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب (وقوله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

لمالك لن تصيبه النار كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفى رواية من سره ان ينظر الى
من خالط دمه دمى فلينظر الى مالك بن سنان (ومنه شرب عبد الله بن الزبير) بضم
الزاى والتصغير (رضى الله عنهما دم حجامته) قال البرهان الحلبى هذا الحديث رواه
البزار والحاكم والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى من طرق يقوى بعضها بعضا
والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم اجد له اصلا وهو مذكور فى هذه
الاصول وقد كان عليه الصلوة والسلام قال لما ولدته امه ونظر اليه هو هو فكفت امه
عن رضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبشر بين وذياب وذياب عليها ثياب ليمنعن
البيت او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالمغيبات فانه
بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما استخلف سنة اربع او خمس
وستين بعد وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه فحاصره بعد ذلك الحجاج عند البيت
العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو احد العبادلة
الامام الزاهد العابد الشجاع ابن الشجاع وهو اول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبى
صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه ريقه وله رضى الله تعالى عنه من
شرف النسب مالا يوصل اليه لان امه اسماء رضى الله تعالى عنها ذات النطاقين
بنت ابى بكر الصديق وابوه الزبير رضى الله عنهما احد العشرة سيف الله وجدته صفية
رضى الله عنها ابنت عبد المطلب وعمته خديجة ام المؤمنين وخالته عائشة رضى الله عنها
وجده لامه ابو بكر رضى الله تعالى عنه وكان صواما قواما لاينام ليلة وكان اطلس لالحية
له وقوله (فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك) بيان
لما نشب عن شرب ذلك الدم وويل للتحسر والتألم من الامر قال الله فويل لهم مما كتبت
ايديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن
عاونه ظلما له وويل للناس منه لما اصاب الناس من خروجه اطلبه الخلافة لامن المدينة
لمكة ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما اصاب امه واهله من المصائب وما
لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشئا
من شرب دمه كانه بضعة من النبوية نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته
وعلت همته عن ان ينقاد لغيره ممن لايستحق الامارة فضلا من الخلافة وماقيل
انه اشارة الى مايلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة شربه الدم ومايلحقهم من الاثم
بذلك القدح مما لاينبغى ذكره وسقوطه مغن عن رده وسيأتى تحقيقه ودمه
صلى الله تعالى عليه وسلم مما تغدى قطراته بالارواح ولله در القائل

* يجرى العلاء فى عرقه جرى الندا * فى عوده فهو اللباب صفاء *
* لو يقدر الاحرار حين ارقته * جعلوا له حب القلوب وعاء *
* او بويعوا قطراته معدودة * اعطوا به مهج النفوس شراء *

* واسترخصوا فى سعرها ان يبذلوا * عن كل واحدة جرت حوباء *

وقدشرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا اربعة رجال ابوطيبة واسمه دينار اونافع وسالم ابن ابى الحجام وهو الذى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لاتعدفان الدم كله حرام على مافيه وسفينة كمارواه البيهقى وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده لغيره وقدم ذلك (ولم ينكر عليه) هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم عليه دليل على جوازه وطهارته قال السخاوى سئل شيخنا العلامة بن حجر عن حديث ابن الزبير ومالك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لاتمسك النار ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب ابن الزبير رضى الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاعتداء وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق او كثير منها فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبى فتورد به غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدو وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل له ما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنهتك بها حرمته اى الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له لقتله وانتهاك حرمته وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيههم واما مالك رضى الله تعالى عنه فازدرد مامصه من الجرح الذى فى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقل من دم الحجامة وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه يستشهد فى ذلك اليوم فلم يبق له من احوال الدنيا ما يخبر به فاعلمه بالاهم له بما يتلقاه من انواع مسرات الجنان انتهى ولا عطر بعد عروس (وقد روى نحو من هذا) المذكور فى شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) صلى الله عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) سيأتى بيان هذه المرأة فقال لها لن تشتكى (وجع بطنك) اى لايصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة مادخل فى جوفها فعبر بنفى الشكاية عن نفى لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح (ابدا) وفى رواية بعدها (ولم يأمر واحدا منهم) اى ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله (بغسل فم) ولو كان نجسا لامر به ونهاه عن عوده لمثله لان تناوله لم يكن باذنه فلذا قال (ولا نهاه عن عوده) ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعودة بتاء التأنيث كدواة فكانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم يقر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مثله وكونه للتداوى والعلاج خلاف الظاهر على مافيه (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح الزم الدارقطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح) يعنى انه مستجمع لشرطها

فهو فى اعلا درجات الصحة فكان ينبغى ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطنى منسوب الى دار القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذى لم يرمثله فى عصره وهو على بن عمر بن احمد بن مهد بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله ابو الحسن الذى انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل واسماء الرجال واحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقهاء فلذا قيل انه امير المؤمنين فى الحديث ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وما ذكره المصنف من ان الدارقطنى قال حديث المرأة التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال فى علله انه مضطرب جاء عن ابى مالك النخعى وهو ضعيف وروى عنه الحاكم (واسم هذه المرأة بركة واختلف فى نسبها) قال البلقينى رحمه الله تعالى فى الخصائص ان ام ايمن وام يوسف شربتا بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره عليهما وفى تجريد الذهبى ان بركة الحبشية قدمت مع ام حبيبة وهى التى شربت بوله وهى غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدى وغير بركة ام ايمن وهى بركة بنت ثعلبة بن عمرو والدة ايمن بن عبيد وام اسامة بن زيد فاسم هذه المرأة بركة ولكن فى الصحابيات من اسمها بركة عدة نساء فاختلف فى التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى هى والى ذلك اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله اختلف فى نسبها فقيل هى ام ايمن بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص ابن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاضنته الحبشية معتقة ابيه اسلمت هى وابنها ايمن بن عبيد الحبشى ثم تزوجها زيد ابن حارثة واخرج لها احاديث فى كتب السنة وادركت خلافة عثمان كما فى التهذيب وذكره الواقدى ورد بما فى مسلم من انها توفيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بخمسة اوستة اشهر ولم يكن بام ايمن غيرها وقيل ان التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم بركة بنت يسار مولاة ابى سفيان بن حرب المهاجرة السابقة وكانت ظئر الام حبيبة رضى الله عنها فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت ام حبيبة على الاسلام وخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتزويج النجاشى اياه صلى الله تعالى عليه وسلم لها واصداقه اياها اربعمائة دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل ابن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وهى القائلة كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قدح يحت سريره يبول فيه فشربته ليلا اى كما يأتى وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبى من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قال الذهبى من انها بركة الحبشية الا ان يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها لايبجع بطنك ابدا بفتح الياء الاولى وكسرها وهما لغتان فى يوجع سوى ياجع وعلى الكسر روى قوله * ولاشكاى قرح الفؤاد فيبجعا * وروى كما اذن لاتلج

النار بطنك (وقيل هى) اى بركة المذكورة (ام ايمن وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم) تأييد لكونها التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت
خادمة له صلى الله تعالى عليه وسلم تمكنت من الوصول لذلك فى مثل ذلك الوقت
وتمكنت من الوقوف على حاله فلذلك (قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قدح من عيدان) والقدح ليس المراد به مايشرب به الشراب كما هو عند العامة
بل هو الاناء الذى يشرب منه واصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذى لايروى
ثم العقيب وهو مايروى ثم القدح وهو مايروى الاثنين والثلاثة ثم العس وهو مايشرب
منه الجماعة ثم الرفد ثم التبن ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمسانى كسر العين على انه
جمع عود والذى عليه الشراح انه بفتح العين المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة
والف ونون ووزنه فيعال اوفعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

* ان الرياح اذاما اعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبان بالرتم *

ويقال للنخل اذا طال وتناولته اليد عضيد فاذا فات اليد فهى الجبارة فاذا ارتفعت
فهى الرقلة والعيدانة وكان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم عدة اقداح قدح يسمى
الريان وآخر يسمى المغيث وآخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا
القدح كان (يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل) والسرير معروف ومن ظرفية
بمعنى فى لازائدة وقد عده من معانيها الكوفيون وابن مالك وانشدوا * عسى سائل
ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤ الا ان يه بعد فى غد * وقال الله تعالى * اذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة اى فيه (فبال فيه ليلة ثم افتقده) الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم
وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما فى الصحاح بل الطلب والتفتيش يقال
تفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته تعرف
فقدان الشئ والتعهد يعرف العهد المتقدم (فلم يجد فيه شيئا) من بوله (وسأل)
صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه بركة فقالت قمت وانا عطشانة) المذكور فى كتب
اللغة يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش الا فى الفاظ قليلة جاءت على فعلان
فعلانة ولغة بنى اسد فى كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان شرط منع صرفه
وجود فعلى اوفقد فعلانة كما ورد فى هذا الحديث اما سماعى على خلاف القياس
اوهو على لغة بنى اسد فتوقف البرهان فيه لاوجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير
لغتها لكثرة وفود القبائل عليهم وحكى صاحب القاموس امرأة عطشانة من غير
تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى لا يقول عطشانة وفيه نظر وقد علم
ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله عليه وسلم اذا لم ينهها عنه ولم يأمرها بغسل
فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولا ينافيه قولها (فشربته وانا لا اعلم)
لانه لبيان طيبه وانها لم تجد له ريحا وطعما كغيره اى لا اعلم انه بوله لما ذكر فلا ينافى

قولها انه كان له قدح يضعه تحت سريره الى آخره فتأمل (وروى حديثها) اى بركة
ام ايمن المذكورة (ابن جريج وغيره) هو عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج بجيمين
اولاهما مضمومة وهو امام ثقة ولد سنة ثمانين وتوفى سنة خمسين ومائة ويكنى
ابا الوليد وهو مولى لآل صفية بنت حيى قيل وهو اول من صنف فى الاسلام وكان
يقول ما دون العلم احد تدوينى وقيل اول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع
ابن فصيح وقد اختلف فى قوله السابق امرأة شربت بوله وقصة ام ايمن فى قدح
العيدان هل هما قصتان اوقصة واحدة فروى الحاكم والدارقطنى عن ام ايمن انها
قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال
فيها فقمت وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومى
فاهريقى ما فى تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا يجعن
من بطنك ابدا ونحوه واخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح
ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة رضى الله تعالى
عنها جاءت معها من الحبشة اين البول الذى كان فى القدح فقالت شربته فقال لها
صحة يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت بها حدث غير مرض موتها واخرج
ابوداود وابن حبان عن اميمة بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قدح من عيدان الى آخره قال ابن دحية رحمه الله تعالى هما قصتان
لامرأتين وبركة ام يوسف غير بركة ام ايمن (اقول وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لابدعة عامية وحكمته لك الاكل
والشرب يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعى به كما قال * شعر *

* فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب *

وفى بعض النسخ وهو ساقط من الام واكثرها (وروى) فى بعض الروايات (عن امه
امنة قالت ولدته) صلى الله عليه وسلم (نظيفا ما به قذر) اى شئ مما يكون على المولود اى
نقيا من الوسخ والدرن وفى بعض النسخ تأخيره عن قوله (وكان النبى صلى الله عليه
وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة) وفى بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه
تورية لانه من السرور اومن قطع السرة ومثلها فى الحسن انه ولد معذورا مسرور
ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته واعذرته اذا قطعت عذرته وهى القلفة وكونه
صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد فى حديث روى عن عبد الله
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى لايرى احد عورته وقد وقع هذا الكثير من الناس والعرب تسميه ختان
القمر واصله ان الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهى

اذ ذاك لم تنضج جلدته اثر فيهما حتى تقلصت وانمحقت فان القمر يؤثر ضوءه في اللحم و بغيره الا انه لايكون قاطعالها بالكلية ولذا لم يمد جوابه قال الشاعر

*انى حلفت يمينا غير كاذبة *لانت اقلف الا ماجنى القمر*

وقيل انه يشير الى ان النمو فى خلقة الانسان يحصل فى زيادة القمر و يحصل النقصان عند نقصانه كما فى الخز والحرير فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما رأه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابنى هذا شان ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذى صححه المحدثون كما فى التمهيد لان عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا وكانت العرب تختن لانه سنة توارثوها من اسمعيل وابراهيم عليهما الصلوة والسلام ولبس ذلك لمجاورة اليهود وقد ورد هذا فى قصة هرقل وواقعته التى قيل به فيها ان ملك الختان قد ظهر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم فى كتابه الهدى وهو ارجح الاقوال وطعن فى القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه مروى فى حديث لم يصح وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم فى المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مسرورا مختونا وتعقبه الذهبى وقال لانعلم صحة ماذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه اراد بتواتره شهرته بين الناس لاما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع فى هذه المسئلة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم فى تأييد انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن بعد ولادته تأليفا اوضح فيه الدلائل والنقول الا انهم لم يرضوا قول ابن الجوزى انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاخبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين اى على صورتهم وهم آدم *وشيث *وادريس * ونوح* وسام* ولوط* ويوسف* وموسى* وشعيب* وسليمان *ويحيى* وعيسى* ومحمد* وزيد عليهم حنظلة بن صفوان قيل ولاتعارض بين كلاميه ولا يخفى مافيه وزيد عليهم الى ستة عشر وقد نظمهم بعضهم فى قوله *وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون اكارم *وهم زكريا شيث ادريس يوسف* وحنظلة عيسى وموسى وآدم* ونوح شعيب سام لوط وصالح *سليمان يحيى هود ياسين خاتم (تمه) قد علم ان امه صلى الله تعالى عليه وسلم امنة بنت وهب بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبدالله فولدت له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وقت وفاتها سبعة اقوال فقيل هو بعد ست سنين اوسبع او ثمان اوخمس اواربع اوتسع او اثنى عشر وتسعة شهور من ولادته اوغير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بنى النجار اخواله وفى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبرها واحيا هاله كلام سيأتى ثم انه ورد فى الحديث

ان رجلا سئله صلى الله تعالى عليه وسلم ماحقيقة امرك منذ نشأت فقال انا دعوة ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام و بشرى اخى عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وانى كنت بكرامى وانها حملتنى كاثقل ماتحمل النساء وجعلت تشتكى لصواحبها ثقل ماتجد الحديث وهذا الحديث يعارضه مارواه الواقدى من ان امه امنة قالت لما حملت به ماشعرت انى حملت به ولاوجدت له ثقلا كما تجد النساء وانما انكرت رفع حيضى وجمع بينهما الحافظ ابو نعيم بان الثقل كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند استمراره فيكون فى الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لايتأتى مع قولها كما روى انى لما انكرت رفع حيضى اتانى آت وانا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها انبئت بالحمل يقتضى ان الثقل لم يكن فى ابتدائه والذى ينبغى فى التوفيق ان الثقل يكون معنويا وهو الوجع والالم الذى يحصل للحوامل وهو المنفى وحسيا هو رزانته و زيادة مقداره من غير الم وتعب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وزن بجميع امته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية احوال حمله ومولده مفصلة فى كتاب المولد لابن حجر وغيره (وعن عايشة رضى الله عنها) انها قالت (مارأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) وروى انها قالت مارأيت منه ولارأى منى يعنى العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسيأتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له فى الكلام على الحياء والاغضاء وقد اختلف فى نظر احد الزوجين عورة الآخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهى عنه بذلك ونقل عن علماء الشافعية الاختلاف فى هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب (وعن على رضى الله تعالى عنه اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لايغسله غيرى فانه لايرى احد عورتى الا طمست عيناه) قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقى اى لايمر يده على جسده للغسل غيره لانه من اقرب اقربائه واقدمهم صحبة واما قول الحافظ مغلطاى انه غسله صلى الله تعالى عليه وسلم على والعباس وابنه يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء عليه واعينهم معصوبة من وراء الستر فلاينافيه انهما اعاناه بتقليب جثته الشريفة والثلاثة عانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعنى قميصه من غير تجريد منه كسائر الموتى الامر عن عايشة رضى الله عنها انهم اختلفوا اهل يجرد دونه ام لافسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولايرونه يقول غسلوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله واعينهم معصوبة اى مربوطة بعصابة حتى لاينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه الشريف مالم يؤذن فى النظر اليه وضمير اعينهم للعباس وابنه وقثم واسامة وشقران لاللكل فعلى رضى الله تعالى عنه لم يعصب عينه لانه المباشر

فهو مأذون له فى ذلك وخص بالاذن لانه كان اقدرهم على العض وغيره ربما خانت عنه لفتة فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودى وهو يغسله اذا رفع طرفك نحو السماء خوفا من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال ربنا اطمس على اموالهم ويتعدى كقوله من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثلاثة اثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان النسبة مفصلة فى الفائق وفى هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يرى احد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمى ولم يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان احدا رآها فى صغره كامه ومرضعته واما ما روى من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنا من الناس لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا بصره للسماء فقيل له من شانك فقال نهيت ان امشى عريانا وكان ذلك اول شئ رآه من امر النبوة فليس فيه ان احدا نظر لعورته صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربرى مولى ابن عباس احد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الائمة المقتدى بهم فى التفسير والحديث توفى سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح (انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط) الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه ويقال خطيط بالخاء المعجمة ايضا وهى بدل من الغين كما يقال اغن واخن قال التلمسانى وثبتت به الرواية ايضا (فقام فصلى ولم يتوضأ) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى الشافعية قولا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كغيره فى الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم فى المذاهب الاربعة مفصل فى كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة لخروج شئ من ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفى احد قولى الشافعى انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضى الله عنهما لان رؤيا هم وحى فيفارقون سائر البشر فى نوم القلب ويساوونهم فى نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن رؤياهم مفارقة رؤيا غيرهم وهذا فضل من الله خصهم به واما ما روى من وضوئه

صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه فلم يقل انه يحدث وانما كان احيانا تجديدا للوضوء فانه كان يستحبه وهو بالنسبة لامته للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام فى الوادى حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم ما اخرج الصلوة عن وقتها قلت اجيب عن هذا باجوبة احدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر ثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال النووى فى شرح مسلم والمعتمد الاول فلعل قلبه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحى والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحى عليه فى اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

* فوالله ما ادرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت العشاء ام ثمانيا *

وهذا هو الذى اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لسائر احواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمته التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها انه يستغرق قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث (تنبيه) على القول بان المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى انه لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم واما هو فلا ثم اعلم انه اذا كان رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم وحيا فهل اوحى اليه فى نومه بشئ من القرآن قال الرافعى فى اماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءته سورة الكوثر فى النوم محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضأ بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه ويجوز ابدالها الفا لينة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقاء الالف المعارضة ويجوز جزمه بحذف الفه لمعاملته معاملة يخشى فلك ان تقول لم يتوضأ ولم يتوضا ولم يتوض كما ذكره النحاة (قال عكرمة) فى بيان وجه ما ذكر (لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم عن وقوع ذلك منه ولو وقع بنهبه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن ان ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافته بالنسبة للامة او الامم لان سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام كذلك وقيل ان سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح عنده فحكم بان الصلوة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبعه مغلطاى واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردى رحمه الله تعالى فى البهجة الوردية * وبعض ما اكرمه الله به منامه

بالعين دون قلبه (اقول لاوجه لما قالوه فان الحكم بعقله مثل سفيان اوقوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح مع انه لم يصرح به فالتقول عليه بمثله غير لايق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح اولى فنقول انما اراد هؤلاء انه لو سلم ان الانبياء السالفة صح انهم كانوا يتوضؤن لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احد ان وضوئهم بنواقض شرعنا فتكون الصلوة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا امر اوضح من الصبح * ومما قلته فيما نحن فيه

* وعينيك ماقلب النبي غفاولا * عيون له فى بردة الليل راقدة *

* ولكنما الاجفان منه تهجدت * وباتت بمحراب الحواجب ساجده *

﴿فصل﴾ فى قوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة ادراك حواسه وذكائه وفيه مايدل على كمال قوة بنيته (واماوفورعقله) الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالعقود بمعنى التمام لاالكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله فى الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف فى القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية وفى حقيقته ومحله خلاف وكلام لاحاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لايليق ولذا نظرف القائل * قد عقلنا والعقل اى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق * وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزى وعقل مكتسب وقدعلمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف رحمه الله تعالى وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال فى الصحاح الموفور الشئ التام ووفرت الشئ وفرا ووفر الشئ بنفسه وفورا بمعنى انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع (وذكاء لبه) الذكاء بفتح الذال المعجمة والموحدة الفؤاد بسرعة ادراكه وفطنته لانه فى الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكى يتوقد الذهن وقال الشاعر * لولم يحل ماالنداء * فيه لاحرقه ذكاؤه * واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شئ قلبه وخالصه فلوفسر اللب هنا بالقلب جاز ايضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولاتكرار فى كلامه كماتوهم (وقوة حواسه) الخمس الظاهرة وهى اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه ممالا كلام فى ثبوتها للانسان وللحيوان الاان الحصر فيها لانالم نعثر على غيرها الافينا ولافى غيرنا وان امكن كماصرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها اهل الشرع على انهم فى اثباتها وتعيين محالها فى حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى احس والثانى هو الاعرف

الافصح وبه جاء القرأن قال الله تعالى * فلما احسوا بأسنا فلما احس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس وقوة الحواس ممايمدح به (وفصاحة لسانه) هذا وماقبله مرفوع بالعطف على وفور وسيأتى الكلام على الفصاحة قريبا (واعتدال حركاته) اى حركاته الظاهرة فى بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة والاداب فانها عنوان لما فى قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذى هو دائما فى حضرته ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمارأى رجلا يعبث بلحيته فى صلوته لوخشع قلب هذا خشعت جوارحه (وحسن شمائله) جمع شمال بالكسر وهوالطبع والاخلاق والصفات المحمودة (فلامرية) بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية اى لاشك ولاشبهة اولاجدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد فى الامر وهى اخص من الشك قال الله تعالى فلاتكن فى مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال الله تعالى فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا واصله من مريت الناقة اذامسحت ضرعها للحلب (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم) اى اقواهم واشدهم عقلا واكثرهم فطنة وذكاؤ وضح ذلك وبينه بماهو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال (ومن تأمل) فى الصحاح تأملت نظرت فيه مستبينا فكأنه مأخوذ من الامل وهوالرجاء لان من دقق النظر فى شئ واعمل الفكر فيه رجاء حصوله وانكشاف كنهه (تدبيرامور بواطن الخلق وظواهرهم) اى الوقوف على ظواهر احوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر فى عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تأمل وامور مفعول تدبير لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انمايكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك (وسياسة العامة والخاصة) منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذ ادبر امورهم وتصرف فيها قالت حرقة بنت النعمان * فبينا نسوس الناس والامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة تتنصف * وقول علامة الروم انه معرب سه يشق غلط لا اصل له وقد اخذه من كلام من لايعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من ارباب الصنايع والرعية مأخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودى والجاحظ كلام فى وصف العامة * منه اتباع لكل جاهل * لايفرقون بين حق وباطل * * فتراهم مهرعين لقائد دب * اوضارب دف متشوقين الى اللهو واللعب * مختلفين لمتعبد متخرق واقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب * واقفين عند مصلوب * ينعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة وسياسة العامة

بالزجر والقهر والضرب والنهر وسئل العتبي عن قوله تعالى * انا انزلنا التورات فيها هدى ونور * وقوله تعالى * وانزلنا الحديد فيه بأس شديد * اى مناسبة بين ذلك وبين الحديد وماهو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك الملك ارسل رسله لاجراء اوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلا وذو بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وماحوته من الادلة القطعية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والاذهاب بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلناهم بضابطى العامة والخاصة واى مناسبة اتم من هذه وان ترأى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الحمقاء (مع عجيب شمائله وبديع سيره) جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله فى غزواته ونحوها والعجيب الامر الذى من شانه ان يتعجب منه لكونه لانظيرله وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفنن فى العبارة ولم يعطفهما واتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا لماقبله سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود فى هذه الحالة اغرب يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع سياسة العامة للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطئ الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى الا مع التجبر والتعظم والتعجب كما تراه من الملوك فهذا دليل على قوة عقله وفطنته صلى الله عليه وسلم ثم قال (فضلا عما افاضه من العلم) اى وزاد على ماذكر بكثرة العلم الذى علمه الناس وجعله شايعا بينهم من افاض الحديث اذا شاعه وقوله من العلم اى من علوم الاولين والآخرين (وقرره من الشرع) اى ماقرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرايع من قبله وبيانه لامور شرعية والكلام على فضلا وتعديه بعن مفصل فى شروح المفتاح والكشاف ويأتى بعض منه والافاضة اصلها من فيض الماء ثم شاعت فيما مر (دون تعلم سبق) متعلق بافاض وما بعده اى فعل ذلك من غير تعلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يفارق غير اهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه (ولاممارسة تقدمت) منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله اى لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد فى استخراجه بعقله (ولامطالعة للكتب منه) اى لم ينظر فى شئ من الكتب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال (لم يمتر) اى لم يشك ويرتب (فى رجحان عقله) اى فى زيادة عقله (وثقوب فهمه) اى نفوذه وظهوره هو بالمثلثة من ثقب النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار ثقوبا اذا تقدت (لاول بديهته) اى لم يمتر ولم يشك فى اول نظرة نظرها فان قلت هو صلى الله تعالى عليه وسلم تعلم ماذكر من الوحى المنزل عليه وهو سفير محض قلت تلقى الوحى من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه فى مجاريه من غير تكلف منه يدل على ماذكروكم

من عالم قرأ ودرس العلوم اذا اراد تقرير ماعلمه لم يجد له قدرة ولارونقاء وبعض الفقهاء اذاولى القضاء لايحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بماذكر امر آخر غير ماقلته من الامور العرفية التى اكثرهـا برأيه وحسن تدبيره فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مأذونا له فى الاجتهاد (وهذا ممالايحتاج الى تقريره) وبيانه بماذكرناه (لتحققه) بالشاهدة فى عصره والتواتر بعد ذلك بحيث لايشك فيه مسلم وعاقل وبماقررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تأمل الى آخره غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهة فهذا تطويل غير مفتقر اليه من عدم التدبر (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانبارى اليمانى اخو همام ابن منبه وكنيته وهب ابو عبد الله ويقال له الذمارى نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهى قرية بقرب صنعاء تابعى مشهور بالمعرفة والكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابى سعيد الخدرى وابى هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضى الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفى سنة اربع عشرة وقيل ستة عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة طويلة فى الميزان (قرأت فى احد وسبعين كتابا) من الكتب القديمة النازلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا) يعنى ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد اشد من عقولهم جميعا اواريهم وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة وتقرؤها قال التجانى فى كتاب المعارف لابن قتيبة عن وهب انه قال قرأت من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجدان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا فى احد وسبعين كتابا منها فقط ولم يجد ذلك فى الكتاب الثانى والسبعين ويمكن ان يكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص والذى قاله وهب من انه صلى الله تعالى عليه وسلم منوه بذكره فى الكتب المقدمة يعضده قوله تعالى النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (وفى رواية اخرى) عن وهب ايضا (فوجدت فى جميعها) اى جميع الكتب التى قرأها (ان الله تعالى لم يعط لجميع الناس) حتى الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام (من بدا الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم) اصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التى تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك كالعين والشمال وقوله فى جنب الله اى فى امره وحده الذى حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد

بقوله تعالى فى جنب الله فى حده ومقداره الذى اعطاه الله تعالى له (الاكحبة رمل من رمال الدنيا) يعنى ان عقله صلى الله تعالى عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منهـا وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقـله صلى الله تعـالى عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى عليهمـا الصلوة والسلام مثلا بماء فى منقار عصفور من ماء فى البحر بالنسبة لسائره فشبه به علم الله تعالى وعلم ما عداه وقد ورد على كونه افضل الناس رأيا انه ورد ما يخالفه فى كثير من الوقايع الثابتة فى الحديث ورجوعه عن رأيه الى رأى غيره كما فى قصة بدر ورجوعه لرأى الحباب بن المنذر حيث نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بادنى ماء من مياه بدر فقال له الحباب اهذا منزل انزلكه الله فلا نقدم ولا نتأخر عنه او هو رأى ومكيدة حرب فقال بل هو الرأى والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل بل الرأى ان تسير حتى تأتى ادنى ماء من مياه بدر فتنزل ثم تغور ما وراءه وتبنى عليه حوضا وتملؤه ثم تقابل وتشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى ورجع صلى الله تعالى عليه وسلم لما قاله وكذا فى قصة اسارى بدر والفداء وكذا فى قصة تأبير النخل ونحوه مما سيأتى مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا واجاب التجانى بان رجحان رأيه على ما سواه مخصوص بما امضاه من سنن الشرع واجتهاداته فى امور الدين فلا ينافى رجوعه فى اراء الدنيا لغيره كما صرح به فى قصة التأبير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر اخطى واصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار اهل الاصول انه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان متعبدا فيما لا وحى فيه بانتظار الوحى ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد مطلقا فى الامور الشرعية والدنيوية وهذا مذهب مالك واحمد والشافعى وهو المنقول عن ابى يوسف وغيره واختلف فى جواز خطابه فى اجتهاده فذهب الرازى وغيره الى انه لا يجوز وفى التوضيح يجوز لكن لا يقرر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضى لعصمته وجواز الخطاء عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمال حدسه وسداد رأيه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه فى صلاته ومناجاته ففى غيرها بالاولى فقول التجانى ان جميع اموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول وحينئذ فمعنى كونه افضل الناس رأيا واجتهادا مع جواز الخطاء احيانا ان رأيه لو خلى ونفسه من غير معارض فيما يقتضيه الطباع البشرية كان افضل من رأى غيره واجتهاده اذا خلى ونفسه ايضا مع رجحان رأيه بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى واراؤه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير عليها وقبله لا الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل

ان كون رأيه افضل الآراء لا ينافى رجوعه لغيره ومشاورته له فان العبرة بما وقع عليه القرار لا ببادى الرأى فافهم (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) قال البرهان فى الاصل الذى وقفت عليه من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفى غيره بمن الجارة فيهمـا وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه لكن بلفظ قال صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم وانى لاراكم من وراء ظهرى ورواه مالك واحمد وغيرهما وفى لفظه اختلاف كما يأتى والمعنى متفق واختلفوا فى هذه الرواية هل هى مختصة بحال الصلوة ام لا وهل هى رؤيا حقيقة ام علمية قلبية فقال ابن الصباغ فى الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كيفية فعلهم او يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهرى وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقى خاص به على طريق خرق العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا اخرجه البخارى فى علامات النبوة ثم انه على ما ذكر يجوز ان يكون برؤية عينيه خرقا للعادة فكان يرى بهما من خلفه كما يرى ما يقابله علم انه لا يشترط فى الرؤية المقابلة ولا العضو المخصوص عند اهل السنة كما قرروه فى رؤية الله تعالى وهذه امور عادية بجواز الرؤية مع عدمها عقلا واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى ارى من خلفى اراكم وانتم من خلفى وقال الزاهدى الحنفى صاحب القنية فى رسالته الناصرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالرأى وقيل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تنطبع فى المرآت فيشاهد افعالهم ولا ينافى هذا ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل شابا حدثا من وفد عبد القيس خلفه لئلا يراه ولا قوله انى لا اعلم ما وراء جدارى هذا ان صح ولا قوله فى الحديث الآخر ايكم الذى ركع دون الصف فقال ابو بكر رضى الله عنه انا يا رسول الله فلو كان يرى كما ذكر ما احتاج للسؤال لان الاول تشريع والثانى المراد به نفى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم رؤية ما وراء الجدار لا تنافى الرؤية من غير حائل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة كما فى الامتاع واجاب ابن عبد البر حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه بان هذه القضية كانت قبل ان فضله الله تعالى بهذه الفضيلة فان شؤنه صلى الله تعالى عليه وسلم تتزايد دائما وقيل معنى قوله انى اراكم ان قصدت ذلك ولم يكن صلى الله تعالى عليه

وسلم قصد ذلك كما ان الانسان قد لايستعمل نظره احيانا اوانه رآه ولم يعلم عينه اواراد
تقريره ليذكرله ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلف صفوف
كثيرة فلايرد عدم رؤيته لانه لم يكن خلفه فى الصف الاول فلاحاجة لما تكلفوه من
الاجوبة وهو كلام حسن (وبه فسر) بالبناء للفاعل اى فسر العلماء او بعض
المفسرين (قوله تعالى* وتقلبك فى الساجدين) اى يرى تقلب بصرك فى المصلين
خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو امتنان بهذه النعم وهذا مونس لاختصاصه
بالصلاة كما ورد التصريح به فى بعض الاحاديث ايضا (وفى الموطأ) بصيغة المفعول
المشدد الطاء المهملة المهموز سمى به لما فيه من احاديث الاحكام الممهدة للشريعة
وسياق هذا الحديث الاستدلال به على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فينا سبه
التفسير بانه يراهم بعيد حقيقة كما مر (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انى لارأكم من وراء ظهرى ونحوه عن انس رضى الله
تعالى عنه فى الصحيحين وعن عايشة رضى الله تعالى عنها مثله قالت) ورؤيته صلى
الله تعالى عليه وسلم ما اكرمه الله تعالى به دون غيره (زيادة زادها الله تعالى اياها فى
حجته) وفى نسخة فى معجزته والاولى اصح (وفى بعض الروايات) لعبد الرزاق والحاكم (انى
لانظر من ورائى كما نظر من بين يدى وفى اخرى) اى فى رواية اخرى لمسلم (انى
لابصر من قفاى كما ابصر من بين يدى) والمراد بحجته الدلائل الدالة على
نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه وقيل فى حجته على الكفار لان هذه معجزة
من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اى هذه زيادة ويجوز نصبه وقول عايشة
رضى الله تعالى عنها هذا لاثبات رؤيته من خلفه واكثر المفسرين فى هذه الآية
الاقوال فمنها ما ذكره المصنف رحمه الله عن عايشة رضى الله تعالى عنها هنا ومنها
ما مر من ان المراد انتقالك من صلب نبى لنبى وسيأتى تتمته وقيل ترددك فى تصفح
احوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة
وقيل معناه نرى تقلبك فى جماعة المصلين اذ امتهم وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى
عن الموطأ بعض حديث رواه ابن مالك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا
ركوعكم وانى لاراكم من وراء ظهرى واول الحديث قال انس صلى بنا النبى صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فلما اقبل علينا بوجهه قال ايها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع
ولا بالقيام ولا بالانصراف فانى اراكم امامى ومن خلفى الى آخر الحديث والكلام
عليه مستوفى فى شروحه (وحكى بقى بن مخلد) بقى بفتح الموحدة وتشديد القاف
المكسورة تليها ياء مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وخاء بينهما معجمة ساكنة
ودال مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن القرطبى الجيانى الحافظ الزاهد العابد الثقة
صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذى قال ابن حزم انه لم يصنف فى التفسير

مثله مولده فى رمضان سنة احدى ومائتين وسمع من ناس كثيرين منهم يحيى بن
يحيى الليثى القرطبى وابا مصعب الزهرى ويحيى بن بكير وابراهيم ابن المنذر الحربى وابن
ابى شيبة وطاف الشرق والغرب وشيوخه مائتان ونيف وثمانون وروى عنه كثير
كابنه احمد وكان مجتهدا لايقلد احدا وعد من اضراب اهل السنن وكان مجاب
الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة فى ثلاثة عشرة ركعة ويسرد الصوم
وحضر سبعين غزاة وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (عن عايشة
رضى الله تعالى عنها) انها قالت (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة
كما يرى فى الضوء) وفيه رواية كما يرى فى النور ولاشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان كامل الخلقة قوى الحواس فوقوع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات
كابن مخلد هذا فلاوجه لانكاره وقد اخرجه البيهقى عن عايشة رضى الله عنها ايضا
ونقل ابن دحية فى كتابه الايات البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه لان فى سنده
ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة
كما يرى بالنهار فى الضوء ثم قال وليس بالقوى وذكر ابن الجوزى فى العلل حديث
عايشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلى فى مسنده من لايعتمد عليه كما فصله وذكر
هذا الحديث الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى مع جملة
احاديث قال انها موضوعة وقال السهيلى رحمه الله تعالى فى الروض ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضى الله تعالى عنها دخل عليها بيتها
فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة ايضا فقال
انظروا زينبكم ان لا اطاء عليها وفى هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى بالليل
كما يرى بالنهار انتهى ولايخفى انه لامعارضة بين الحديثين تقتضى ما ذكره لان زينب
رضى الله تعالى عنها كانت بنتا صغيرة نائمة مغطاة بازار ونحوه فى جانب من البيت
ومثلها قد لايرى بالنهار ايضا وهذا على ما فيه اقرب مما قيل ان عدم رؤيته صلى الله
تعالى عليه وسلم لها كان لتغير حصل فى بصره الشريف لان الاعراض البشرية
كانت تعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك
فان مثله لايقال من غير سند ورواية مجازف (والاحاديث كثيرة صحيحة فى رؤيته
صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والشياطين) هذا مما لاشبهة فيه وانما ذكره
المصنف رحمه الله تعالى دليلا على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم وانه يرى
ما لايراه غيره اما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة فورد فى احاديث كثيرة منها
ما فى البخارى من انه قال لعايشة رضى الله تعالى عنها هذا جبريل يقرأ عليك
السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى ما لا ترى والاحاديث
فى رؤيته الملائكة غير جبريل حيث لايراها غيره كثيرة كما فى حديث العقبة ورؤية

ملك الجبال المشهور وفى هذا دليل على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يرى مالايراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملائكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا وعند الحكماء لقوله تعالى * فتمثل لها بشرا سويا * وليس ذلك لها بنقص فيها اوزيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتنضام اخرى كما تراه فى لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار الا ان الملائكة من نورها الصافى والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض الحكماء الى انهما جنس واحد وان الاستثناء متصل وفى بعض الشروح فان قلت فما معنى تشكل الملائكة والجن فى صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغير خلقته قلت قال القاضى ابو يعلى لاقدرة للجن على تغيير خلقتهم ولانقل على صورتهم الى صورة اخرى لان ذلك انما يكون بنقص البنية وتفريق الاجزاء وان انقطعت البنية بطلت الحيوة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف ينقل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله احدهم اوتكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل وحمل عليه تصور جبريل عليه الصلوة والسلام فى صورة دحية رضى الله تعالى عنه وبصورة لمريم بشرا سويا ويجوز ان يكون الله تعالى قد جعل لهم قوة تشكل عند ارادتهم ذلك لانهم ارواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله واما رؤية الجن فقد ثبتت فى احاديث كثيرة منها مارواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال كنا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسنا فى الاودية والشعاب فقلنا انه اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فسألناه فقال اتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرأن وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم ووردت احاديث اخر فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم وايمانهم به مفصلة فى كتاب لقط المرجان فى احكام الجان قال بعض فضلاء عصرنا ظاهر كلام المصنف رحمه الله ان رؤية الملائكة والشياطين من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبياء وفى حاشية الحلبى فى سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام فى قول الراهب رأيت ملكين يظللانه من الشمس فيه مايدل على جواز رؤية الملائكة كالجن وقد صرحوا به وقوله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم * محمول على الغالب اى وفيه بحث يأتى آخر الكتاب ولو كانت رؤيتهم محالة ما قال صلى الله تعالى عليه وسلم هممت ان اربطه حتى تنظروا اليه كلكم وقال المصنف رحمه الله تعالى قبل رؤية الجن على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم فى غير صورهم الاصلية ورده النووى بانه دعوى مجردة لامستند لها (ورفع

النجاشى له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه) يعنى ان الله تعالى رفع ميتة النجاشى وجنازته وهو ببلاد الحبش فرأه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والمجرور رفع مبنى للمجهول وتقريره رفعه الله وصلى فاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ويجوز ان يكون رفع مصدرا مضافا لمفعوله مبتدأ خبره مقدر اى ثابت اومعجز ويجوز ان يكون عطفا على قوله فى رؤيته الملائكة والاخبار كثيرة فى ذلك اى رفع النجاشى بمعنى انه نقل بطرق كثيرة ولامانع من ذلك والاول اولى واظهر والنجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين والميم والهاء ابن ابجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاى ابن بحرى وقيل اسمه صحمة بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بالخاء المعجمة كما نقله البرهان الحلبى عن بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول ابن مصبة بمهملتين اولاهما مكسورة والادغام والنجاشى بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وصوب المحب الطبرى التخفيف كما قيل فى جنى ابن جنى لانه معرب كنى والنجاشى غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو فى الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمى وفغفور لملك الهند وغانة للزنج وبطليوس لليونان وفطيون بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة ومثناة تحتية مضمومة يليها واو ونون اومالخ بفتح اللام والخاء المعجمة اوشالخ لليهود وللصابئة نمرود وتبع ملك اليمن وجالوت من ملك البربر واخشيد من ملك فرغانة ونعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك افريقية وشهربان من ملك اخلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورتبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا فى المقتنى وغيره وفى سيرة مغلطاى ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان ترشح للملك سمى قيلا بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهو كالوزير واصله قيلا بالتشديد كما حققه اهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام فان اضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز اوالمقوقس ومعنى اصحمة عطية اوعطية الله واصحمة هذا هو النجاشى كما علم وهو ملك جليل المقدار آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان بينه وبينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد فى الصحابة لان شرطها الملاقاة الا على قول ضعيف ذكره فى التقريب انه يكفى فيها المعاصرة مع المعاهدة والايمان لاسيما من كان له عذر فى التخلف كهذا وله اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ماهذا ايها الملك فقال

انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه اذا انعم على عبده نعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهى ما بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى غنما لسيدى فهزم الله اعدائه ونصر دينه وروت عايشة رضى الله تعالى عنها انه بعد موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت ارعى الى آخره يدل على انه دخل بلاد العرب واما ماذكره التجانى من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا عمه وكان له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله او اخراجه من ارضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة له على ماذكر كما توهمه لان بقية القصة مذكورة فى الروض الانف وفيها مايدل على خلاف المصنف رحمه الله تعالى من رفع النجاشى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى رأى جنازته قال السيوطى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفاء انه لم يجده فى كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزنى حتى صلى عليه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك كما اخرجه ابو يعلى والبيهقى عن انس رضى الله تعالى عنه انتهى ويأتى بطوله (اقول) الذى انكره المخرج انما هو رفع جنازته اليه فانه روى فى خصائصه الكبرى من طرق مثبتة انه صلى الله تعالى عليه وسلم نعى لاصحابه النجاشى لما مات وخرج وصلى عليه مع اصحابه وكبر اربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة فى الصحيحين وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قصة الرفع مدرجة فى الحديث بناء على الاختلاف فى مشروعية الصلاة على الغائب وصحتها مطلقا كما يأتى وكانت وفاته فى السنة التاسع من الهجرة فى رجب وعن ابى اسحق ان يترا وابانيزر بنون ومثناة تحتية وزاى معجمة وراء مهملة النجاشى كان مولى لعلى ابن ابى طالب بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا اريد الملك بعد ان من الله على بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية لنور على قبر النجاشى غير مستغرب فانه يرى على قبور الشهداء ويصدقه قوله تعالى * والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم * واذ قد علم ان قصة النجاشى فى الصحيحين وهى من اعلام النبوة لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بموته فى اليوم الذى مات فيه مع بعد المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى * وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم * الآية واستدل به من قال بالصلوة على الغائب وبه قال احمد والشافعى وبعض السلف لان الصلوة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب او فى قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن كان فى جهة القبلة بخلاف مستدبرها واجاب من قال بعدم الصلاة على الغائب عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض

لا يصلى بها فشرعت لذلك ولذا قال الخطابى لا يصلى على الغائب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك وكذا قال ابو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه فى الصلاة فلو علم انه صلى عليه من كان غائبا فان لم يصل عليه لعذر او عايق سن الصلاة عليه ولا يترك لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى انه سويت له الارض حتى ابصر النجاشى وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لابد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شئ يوثق به ولو كان كذلك توفرت الدواعى بنقله ويؤيد كلام المأهل المار قول ابن حجر ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اهل لذلك الرفع والاحضار فانه قادر على ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند انفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاف بلا ائتلاف وقال الكرمانى رحمه الله تعالى رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمناه فهو غائب فى حق الصحابة الذين صلوا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع فى حديث مجمع بن جارية ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا كما فى سنن ابن ماجة والطبرانى واجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذى يصلى عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جائز اتفاقا فاذا اورد عليه انه ليس النزاع فى الرؤية وعدمها فانه لا يشترط فى صحة الصلوة رؤية الميت ولا سريره وانما النزاع فى كون الميت فى بلد والمصلى فى اخرى وعلى تقدير انه رآه لم يقع النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن غائبا والحاصل ان هنا ثلاثة امور احدها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل للشافعية الثانى ان يكون رفع له سريره او روحه وهو من مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على الغائب مع انا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث ان تحمل جثته لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل احد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم بحديث معاوية المزنى الذى رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان جبريل عليه الصلوة والسلام نزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن معاوية المزنى افتحب ان تصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا اكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة فى كل صف سبعون الف ملك فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى عز وجل قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما

وقاعدا وهذا حديث صحيح كما فى شرح البخارى لابن حجر (اقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة فيه على الغائب الاحاديث يفسر بعضه بعضا علم ان قصة النجاشى ورفع السر برواز الة الحجاب امر خارق للعادة لايتيسر لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف رحمه الله تعالى ايضا وقد اختلف فى النجاشى كما فى بعض الشروح اهو علم شخص ام علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون هل اسم لكل متفرعن او هو علم شخص وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية ولا وجه لانكار النقل فيه كما قيل (تنبيه) فى حديث النجاشى امران احدهما انه وقع فيه نعى موت النجاشى وقد ورد فى الحديث انه نهى عن النعى ولذا اختلف الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا خلاف بينهما فان معنى النعى الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صراخ واطراء بما لا ينبغى فهو سنة ولو بالنداء فى الاسواق لما فيه من الدعاء للخير بتكثير الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثانى ان الشافعية بعد ما ذكروا دليل الخصم فى التأويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفى اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغائب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتأويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لابد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما نقلناه اذ المنع المجرد لا يسمع فى مقابلة النص وقوله (و) رفع (بيت المقدس) حين وصفه لقريش بالرفع معطوف على النجاشى ويجر زجره كما مر ومقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمى من القدس وهو الطهر اى المكان الذى يطهر الله فيه العباد من الذنوب او يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال التبريزى يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول بقول كثير

*كالمضرحى غدا فاصبح واقعا*فى قدس بين مجاثم الاوعال*

انتهى فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ما وقع فى حديث الاسراء الذى رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضى الله تعالى عنه بسند صحيح متصل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى به واصبح بمكة اتاه عدو الله ابو جهل فقال له هل كان من شئ قال نعم انى اسرى فى الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك اتحدثهم بهذا قال نعم فقال يا معشر قريش يا معشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس حتى جاؤا فقال حدث قومك بما حدثتنى فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم اكرب مثله قط

فجلى الله لى بيت المقدس وكشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته فنعته لهم وانا نظر اليه وجاؤا ابابكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل تصدقه فقال نعم انى اصدقه باخبار السماء فسمى لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس فى طرفة عين وهذا مؤيد لما ذكره المصنف من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شئ منه فما قيل من ان الاليق درج هذا فيما له عليه الصلوة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه امر زائد على تكميل الذات لا وجه له (والكعبة حين بنى مسجده) اى رفعت له صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها على الوجهين السابقين فى الاعراب قال السيوطى رحمه الله تعالى فى مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار فى اخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير ابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اتى المدينة نزل بقباء اياما ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس على التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته ثم اتى دور بنى النجار فبركت ناقته فى موضع مسجده فبناه على ما فصل فى السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا او نحوها فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنائه كما وقع فى حديث الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا كله فى غاية الاشكال مع وروده فى الحديث ولذا فى الحديث المرسل الذى نقله السيوطى فى تخريجه ولذا قال التجانى رحمه الله تعالى فى شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلوة والسلام اعلمه بحقيقة القبلة واراه سمتها لا انه رفع له الكعبة حتى رآها وبهذا جاءت الاثار من غير تقييد وفى العتبية من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلوة والسلام هو الذى اقام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد فى البيان والتحصيل يعنى اراه السمت اليها وبين له جهتها والصواب ان ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناء مسجده وكون جبريل عليه الصلوة والسلام اراه سمتها لا يقتضى رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان ما فى حديث الشفاء من ان جبريل عليه الصلوة والسلام حين بنى مسجده كان يؤمه الى الكعبة فى غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا ان يقال ان يوجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه لها وللصخرة وقد وقع فى كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه واما ما قاله ابن الحنبلى فى شرحه من ان معنى قول الشفاء يؤمه اى يصير له اماما اى متبعا فى التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة وبيان جهتها كما يكون الرجل امامك اذا استهل الهلال

ليريكه وانت متبع له فى التوجه ليريك سمته فمع تكلفه لايجدى شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بماذكره تاج القراء فى سبب نزول قوله تعالى * سيقول السفهاء من الناس الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة فلما قوى رجاؤه ويمكن ان يكون سئل جبريل عليه الصلوة والسلام ان تبين له جهتها عسى ان يكون قبلة ففعل اوسئل الله ذلك والامام المتبع فى الاقوال والافعال مطلقا كما فى عدة الحفاظ وبه فسر قوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وبمجرد هذا لاحتمال لايندفع الاشكال وفى الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طائل رأينا تركه اكثر فائدة من ذكره ثم انى رأيت فى تذكرة الحافظ العلامة العلائى بخطه ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم السلام اما انها كانت قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فمما لاشك فيه وفى الاحاديث انه عليه الصلوة والسلام كان يحب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفى الآثار مايقتضى ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم اوعناد وفى كتاب الناسخ والمنسوخ لابى داود مسندا الى الحسن فى قوله تعالى * ان اول بيت وضع للناس * الآية قال اعلم قبلته فلم يبعث نبيا الاوقبلته البيت ووقع فى قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالدا قال قرأت التوراة فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بنى اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال ابو داود خاصم يهودى ابا العالية فى القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلى عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له بينى وبينك مسجد انبى صالح عليه السلام فقال انى صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الآثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار اقول وكذا قبلة عيسى عليه الصلوة والسلام وانما غيرها للمشرق يونس عليه الصلوة والسلام كما صححوه اذ عرفت هذا علمت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه وبين البيت المقدس لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوافق اهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم ان القبلة الحقيقية الاصلية انما هى الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد امره الله بالاقتداء به ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله تعالى عليه وسلم علم بانه سيصرفه الله اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من ان يسأل صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى مايدل على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقد حكى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما) قال السيوطى رحمه الله تعالى فى مناهل

الصفا هذا لم يوجد فى شئ من كتب الحديث والثريا مصغر ثروة وهى الكثرة وهى منزل من منازل القمرية بنجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال فى مباهج الفكر وهى ستة انجم صغار طمس ويظنها من لامعرفة له سبعة وهى مجتمعة بينها نجوم صغار كالترشاش وحكى ان الثريا اثنى عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة اوسبعة ولم ير جميعها غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة جعلها الله تعالى فى بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكواكب للزهرة وذكر السهيلى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما وقال القرطبى فى كتاب اسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انها لاتزيد على تسعة فيما يذكرون ونظمه فى ارجوزته فقال

* وهو الذى يرى النجوم الخافية * مبينات فى السماء العالية *

* احد عشر نجما فى الثريا * لناظر سواه ما تهيا *

وفى كتاب التفهيم لابى ريحان البرونى بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب ويظن العوام والشعراء انها سبعة وهو ظن غير صيب قيل وهو غير صيب لنقصه عما رأه صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لم يثبت مانسب اليه صلى الله عليه وسلم هنا وقال الامام الخيضرى فى خصائصه ماذكره القرطبى والسهيلى لم اقف له على سند واصل يرجع اليه وقال التلمسانى انه جاء فى حديث ثابت من طريق العباس رضى الله تعالى عنهما ذكره ابن ابى خيثمة (وهذه الامور المذكورة كلها) من رؤية النجاشى والكعبة والثريا وغيره مما ذكر (محمولة على رؤية العين) اى مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك فى كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاحمال بجعل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وقريب منه الاحتمال (وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم) اى الى تأويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله (والظواهر تخالفه) اى ظاهر العبارة تخالفه ولامقتضى لصرفها عن الظاهر (ولا احالة فى ذلك) اى لبس فى حملها على الرؤية البصرية من محال يقتضى العدول لاجله (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلوة والسلام وخصالهم) اى قوة البصر والحواس من صفات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا وجه لاستبعادها وتأويل مايدل عليها ثم ايد ذلك بالنقل فقال (كما اخبرنا) قيل الظاهر من الكاف فى قوله كما انها التعليلية مثلها فى قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبياء عليهم الصلوة والسلام لاجل ما اخبرنا (ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه) قال التلمسانى هو التميمى مات بستة سنة احدى وخمسمائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه الى انه قرأه وهو يسمعه من كتابه لامن حفظه وقد اختلف فيمن لايحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه تجوز روايته ويحتج لها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لايحتج الابما يرويه من يحفظه

واختلف ايضا فيما اذالم يتذكر مافى كتابه وتفصيله فى ابن الصلاح وحواشيه قال (حدثنا ابوالحسن المقرى الفرغانى) بالفاء والغين المعجمة بينهما راء مهملة نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو على ابن عبدالله المقرى نزيل مكة قال (حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر عن ابيها) هى بنت ابى بكر محمد بن يعقوب البخارى الزاهد الصوفى المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوائد الاخبار قال (حدثنا الشريف ابوالحسن على بن محمد الحسنى) هو الشريف ابوالحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضاء بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم توفى فى خلافة المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين ومائة وهو ابن اربعين سنة وقيل غيرذلك قال (حدثنا محمد بن محمد بن سعيد) قال (حدثنا محمد بن احمد بن سليمان) قال (حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) قال (حدثنا همام) هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى وتوفى ايام الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع فى كثير من النسخ والصواب هانى كما اصلح وهو هانى بن يحيى السلمى وشيخه الذى اشار اليه بقوله (حدثنا الحسن) هو الحسن بن ابى جعفر الجفرى بضم الجيم والفاء نسبة للجفر وهو مكان بالبصرة احد الضعفاء وقد رواه ابو القاسم الطبرانى عن احمد بن الحسين ابن بهرام الايدجى حدثنا محمد بن مرزوق البصرى حدثنا هانى فذكره وقال فى آخره لم يروه عن قتادة الا الحسين ابن ابى جعفر تفرد به هانى ابن يحيى وقوله (عن قتادة) هو ابن دعامة التابعى الجليل وتقدمت ترجمته (عن يحيى ابن وثاب) بفتح الواو وتشديد المثلثة والف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدى مولاهم وروى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الاعمش وعبس وهو ثقة محدث مقرى توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له اصحاب السنن الا ان روايته عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ابست من الكتب الستة (عن ابى هريرة) تقدم الكلام فى اسمه وترجمته (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلوة والسلام كان يبصر النملة على الصفا) الصفوان والصفا الحجر الصلد الاملس (فى الليلة الظلماء مسيرة عشر فراسخ) جمع فرسخ وهو ثلاثة اميال والميل اربعة آلاف ذراع طولها اربعة وعشرون اصبعا وعرض كل اصبع ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن وقيل ثلاثة اميال والميل اربعة آلاف خطوة كل خطوة ثلاثة اقدام بوضع قدم امام قدم ويلصق به وشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربى معناه السكون لانه بقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرحة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار والتجلى كما قاله الراغب فى مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار

اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلى بغير الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلى الله لموسى عليه الصلوة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل امر آخر فلا يرد على المصنف انه مخالف للقرآن فان التجلى فيه للجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام مع انه غير مسلم فان القرطبى رحمه الله تعالى نقل فى تفسيره قولا بان موسى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه ولذا خر صعقا واما تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى امره وفعله به ما اراد اونقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلى الله فتفتت وانهد من هيبته ولعل المصنف ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلى لانه يتعدى بها وقال التجانى فى الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف اى فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان هذا لابد منه فى الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلى امره اونوره والمقدر لهذا من المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن اهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك اوروح تدرك وليس مثله بمستبعد من القدرة (اقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير متات هنا لوجهين الاول ان ماذكره خلاف الظاهر لايجوز الحمل عليه من غير قرينة الثانى انه لايناسب سياق الحديث ولاكلام المصنف لان تجلى الله للجبل حتى صار دكا وخر موسى عليه الصلوة والسلام حتى يخر صعقا لايقتضى التأثير فى حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضى خلافه ولايصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق ماقلنا وتحقيقه ان الله تعالى لماقربه حتى سمع كلامه النفسى بناء على ماقاله الاشعرى من انه يجوز سماعه اوكلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف حصل له قوة روحانية واتصل به نورا لهى اثر فى الروح الحيوانية وزاد فى نورها الذى بانتشاره فى البدن يحصل الادراك على ماحققه الحكماء فى الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقاء اليمامة التى ضرب بها المثل فقيل ابصر من زرقاء اليمامة ترى من اميال وهى امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء وفى تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لاتخفى وقيل معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلوة والسلام بمناجاته ظهرت له انوار ربانية ساطعة اضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى الكبير من قريب والمهم المقدم فان فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبرانى فى مسنده الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلى فحصولها للنبى صلى الله عليه وسلم بعد الاسراء مع مارآه اظهر فلذا قال (ولايبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه) من رؤيته للملائكة والجن ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار (من هذا الباب) اى من نوع هذه الرؤية فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى (بعد الاسراء) قيده به

لانه وقع بالمدينة والاسراء كان بمكة ولانه يكون بعد تجلى الله لرؤيته على ماعليه الاكثر فيزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا (والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى) الخطوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة وهى بضم الحاء وكسرها واما آيات ربه الكبرى فسيأتى الكلام عليها فى الاسراء (وقدجاءت الاخبار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة اشداهل وقته) اشداعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره فى قوته البدنية بعد ما اثبت قوة ادراكه صلى الله تعالى عليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة يليها الف ونون وهاء قال الحافظ برهان الدين الحلبى فى المقتفى هو ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم القرشى المطلبى الحجازى المكى ثم المدنى اسلم يوم الفتح وهو الذى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبدالغنى المقدسى وهذا امثل ماروى فى مصارعته صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره و رواه ابوداود والترمذى مرسلا قال الترمذى وليس اسناده بالقائم واخرجه ابوداود عن قتيبة عن محمد بن ربيعة عن ابى الحسن العسقلانى عن ابى جعفر محمد بن ركانة عن ابيه انه صارعه فذكره واخرجه الترمذى بهذا السند وزاد المزى مالفظه هكذا رواه ابوالحسن بن العبد وغير واحد عن ابى داود مثل رواية الترمذى ورواه البيهقى فى المراسيل عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال البيهقى وهو مرسل جيد وروى باسناد آخر متصل الا انه ضعيف واشار الى ماتقدم وقد رأيت مانقله فى مراسيل ابى داود فى اطراف المزى كما قاله لكن فيه انه عليه الصلوة والسلام كان بالبطحاء فاتاه يزيد بن ركانة او ركانة ابن يزيد فذكره بالشك والله تعالى اعلم وتوفى ركانة بالمدينة سنة اثنين وأربعين وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وقال النووى فى تهذيبه وقع فى المهذب فى باب المسابقة انه عليه الصلوة والسلام صارع يزيد بن ركانة وهو خطاء والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلى فى روضه ان اباسد بن الجمحى واسمه كلدة بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيمازعموا انه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولايتزحزح عنه وقد دعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه عليه الصلوة والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى والحاصل ان الذى صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم ركانة فى اصح الروايات (وكان دعاه الى الاسلام) فلم يسلم اولا ثم اسلم بعد ذلك كما تقدم قبل كان ينبغى ذكر هذا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قوى الباطن ليترقى منه اليه اذ هذا من قوى الظاهر وهو ادنى من قوى الباطن ولامرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان

من اشجع الناس واقواهم (وصارع صلى الله تعالى عليه وسلم ابا ركانة فى الجاهلية) اى قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذى صح انه ركانة واما ابو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذامانقل من ان اباجهل صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح ايضا وذكر بعضهم عن السهيلى ان ابا اسد الجمحى صارعه وكان من اشد الناس وقد مر وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية والفترة والجاهلية تطلق على ماقبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ما قبل الفتح قيل والمراد هنا الثانى (وكان) اى ابو ركانة (شديدا وعاوده ثلاث مرات) اى صارعه مرة بعد مرة (كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كل منصوب بنزع الخافض اى يصرعه فى كل ذلك قاله البرهان وغيره واما حديث ركانة الذى تقدم فهو مارواه البيهقى انه قال كنت انا والنبى صلى الله عليه وسلم فى غنيمة لابى طالب نرعاها فقال لى ذات يوم هل لك ان تصارعنى فقلت له انت قال انا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعنى واخذ منى شاة ثم قال هل لك فى المعاودة الثانية قلت نعم وصارعته فصرعنى واخذ منى شاة فجعلت التفت هل رآنى انسان من الرعاة فيجترى على وانا فى قومى اشدهم فقال هل لك فى الثالثة ولك شاة قلت فصارعته فصرعنى واخذ منى شاة فقعدت كئيبا حزينا فقال مالك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد اعطيت ثلاثا من غنمه وكنت اظن انى اشد الناس فقال هل لك فى الرابعة فقلت لابعد ثلاث فقال اما الغنم فانى اردها عليك فردها فلما ظهر امره اتيته واسلمت وفى رواية انه راهنه على عشرة وانه قال له ما هذا الاسحر فان قلت ما حكم المصارعة شرعا قلت ذهب البغوى رحمه الله تعالى الى تحريمها لانه لامنفعة لها فى الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليها المحاربة وبهذا افتى شيخنا الرملى واما اخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العوض من ركانة فانما كان بنية رده وليرغب فى المصارعة وليكون ذلك سببا فى اسلامه مع ان المروى ان ركانة هو الذى طلبها ثم ذكر مايدل على قوته صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فقال (وقال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيته) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تاء تأنيث مضافا لضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى هيئة المشى وروى مشية بفتح الميم دون تاء تأنيث قاله التلمسانى وقال التجانى كثيرا مايقع فى الشفاء وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى اسرع من مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيته ولامعنى له ورد بان المشى والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون

مصدرا اوهو كما يقول جمال زيد اكمل وانت تريد زيدا كمل فى جماله فالمعنى اسرع
من مشيه فى هيئة المخصوصة ولم يرد تفصيل الهيئة كما فى قولك فلان احسن
الناس جلسة اى هيئة احسن من هيئة غيره فى الجلوس (اقول هذا تكلف
نشأ من توهمه ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل مطلق
حركته ومشيته وفى بمعنى مع اى لايرى اسرع من حركته مع هيئة المخصوصة
فى مشيته فليس المقصود تفضيل الهيئة يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع
تودية واعتدال حركاته تراه يسرع كانه الماء الجارى من غير اضطراب ولولا هذا
ناقض ماذكر من اعتدال حركاته فى اول الفصل فلذا قال (كانما الارض تطوى له)
فانه يدل على ان مشيه ليس بالجرى والهدولة وورد ان الارض كانت تطوى له صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا منافاة بينهما اما لحمل هذا على غالب احواله وذاك على اسفاره
ونحوها وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة او تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح
كما تقول هو الاسد وكانما هو الاسد (انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث) يجهد
مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب او بضمها وهو الطاقة والمقدرة
اى انا نتعب انفسنا فى مساواة مشيه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مستريح لايرى له
مشقة او انا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتاء المثناة فوق
وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا تستعمل
اكترث الا فى النفى وورد فى الاثبات نادرا فى حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد
فى صفة مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى فى الحديث عن على كرم الله تعالى
وجهه وغيره اذا مشى مشا تكفيا كانما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها
ذريع المشى اى خطاه متباعدة وكان اصحابه رضى الله تعالى عنهم يمشون بين يديه
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهرى للملائكة وما ذكره
المصنف رحمه الله تعالى بعض من حديث اوله مارأيت شيئا احسن من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ومارأيت احدا اسرع الى
آخره رواه صاحب الشمائل والمصنف رحمه الله تعالى اختصره وغير بعض
الفاظه وفى نسخة المصححة مشيته موافق لاحدى النسختين هنا وقد علمت ماورد
عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية اعم من المشى لدلالة الاول على الحديث والثانى
على الحدث مع الهيئة وكما دل على الحديث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس
والحدث المطلق اذا اضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان
الهيئة التى تدل عليها فعلة المكسورة الفاء حالية التى عليها الفاعل عند تلبسه
بالفعل وهى لازم لكل مصدر فكل شئ مشية من غير عكس لانه تكلف (وفى
صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متبسما)

الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا اسمى مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه
والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفى الحديث كان ضحكه تبسما كذا فى
عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك او نوع منه و عليه قول النحاة
فى قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول الزمخشرى اى شارعا
فى الضحك وآخذا فيه يعنى انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك لايقتضى التفرقة ولان
المراد بالضحك امر المخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشرى كما توهم وقد
ورد فى بعض الاحاديث ان ضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن الا تبسما
وورد فى بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفى بعضها وصفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب امره صلى الله تعالى
عليه وسلم وان غيره وقع منه احيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله
ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة لاحقيقته ولا حاجة اليه فان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يضحكون اذا رأوا عجبا او امرا يسرهم
ولنا فيهم اسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد فى الحديث كثرة الضحك
تميت القلب لكن غلبه ذلك من اهل اللهو والبطالة وروى فى قوله تعالى * فتبسم
ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله تعالى عليه ولم يكن بطرا واشرا لاسيما مافيه من
تأنيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة واما ماروى عن الحسن رضى الله تعالى عنه
من انه مارئى ضاحكا ولا متبسما لا فى اهله ولا وحده ولا مع جماعة فذلك غير منكر
لشدة خوفه من الله تعالى ومراقبته له وهو مقام آخر لايخالف فعل النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم واصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه (اذا التفت التفت معا
فلا يسارق النظر ولايلوى عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل
جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا بجميعه (واذا مشى مشى تقلعا) رواه الترمذى فى الشمائل
اذا مشى تقلع وفى رواية اذا زال زال قلعا يمشى تكفيا ويمشى هونا وفى النهاية
الاثيرية ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم يرفع رجليه من الارض رفعا قويا من
غير مقاربة للخطاء فانه مشى النساء والمختالين وقلعا روى بفتح القاف وضمها
مصدر بمعنى الفاعل اى قالعا رجليه وفى غريب الانبارى والتهذيب بفتح القاف
وكسر اللام وهو قريب من قوله (كانما ينحط) اى ينحدر (من صبب)
اى بتثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة ورى فى صبب بفتح الصاد المهملة وفتح اولى
الموحدتين وهو الموضع المرتفع او ما انحدر منه كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل
انها بمعنى الى وينحط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفى رواية كانما يهوى من صبوب
بفتح الصاد وضمها مصدرا وجمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من
علو ﴿فصل﴾ واما فصاحة اللسان وبلاغة القول) معنى الفصاحة فى اللغة كما
فى كتاب الصناعتين لابى هلال الاظهار تقول العرب افصح الصبح اذا اضاء واللبن

اذا انحلب عنه الرغوة وظهر وتمامها بتمام آلة البيان وهى اللسان قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف بها الله سبحانه وتعالى عزوجل فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها و بلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية اولابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل المعانى معلوم فى كتبه وتقدم انه يوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفى وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقا اوتعريفه للاستغراق اى جميع اقواله بليغة واضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننا اوللدلالة على كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه بليغا مع نقص آلته كزياد الاعجم فانه كان لايقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل ان يريد باللسان اللغة (فقدكان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) المذكور وهو الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع) الذى لايجهل المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان الاول مكان الحلول والثانى مكان الوضع ففى عبارته تفنن فرارا من التكرار اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم افصح البشر وابلغهم فكنى عن ذلك بجعله فى افضل محل البلاغة وفى موضع لها لايجهله احد كما فى قوله ان الفصاحة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج * فهو كالاثبات بدليل ومرتبته فى ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو اقرب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية اوالجار والمجرور حال من المحل والموضع اى كان بالمحلين كائنين بعض اى بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التى له من ذلك و يؤثر عنه من الكلمات البليغة مالاتصل اليه القوى البشرية (سلامة طبع) وفى نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة اى كانت سليقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغة تنقاد له بسهولة من غير تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض اوهو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضى بعد ماعربه مفعولا قال انه فى جواب سؤال تقديره وهل كانت فصاحته سليقة او بتتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم (وبراعة منزع) البراعة بفتح الباء والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد الرحيل اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان اومصدر ميمى وفسروه هنا بالمأخذ ومايرجع اليه الرجل من رأيه وامن والظاهر ان المراد اصله ومقره يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم

افصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمسانى فهو اسم آلة كالمفصل وفسر باللسان واصله السهم يقال نزعت فى القوس نزعا وانزعت بمنزع اى سهم وفى المثل عاد السهم الى النزعة اى رجع الحق لاهله (والايجاز مقطع) الايجاز التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه اهل المعانى وهو بفتح الميم اسم مكان اومصدر اى موجز فى محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لاالمقام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لالانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف (ونصاعة لفظ) النصاعة الخلوص والوضوح اى ان لفظه صلى الله عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنة واضح لكل احد لمخاطبته كل احد على قدر عقله وبلغته (وجزالة قول) بفتح الجيم والزاى المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة (وصحة معان) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لافساد فيها لاحتوائها على الاحكام والحكم الفصل (وقلة تكلف) لانه يتكلم عن رؤية وسلامة طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لايتكلف فالقلة هنا بمعنى النفى كما اثبته النحاة واهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان احسن واليق (اوتى بجوامع الكلم) اى اتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعانى التى هى بمنزلة الامثال فان من تأمل كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فيه من المعانى مع المجاوزة التى تستخرج الطبع الغواص منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القرأن والحديث وفيه نظر (وخص ببدايع الحكم) اى خص صلى الله تعالى عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ماتمنع من الجهل ولذا سمى الحاكم حاكما لمنعه التعدى (وعلم السنة العرب) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق على اللغة وعلم مخفف ماض مبنى للفاعل اومشدد مبنى للمجهول اى علمه الله اومصدر مجرور معطوف على بدايع الحكم (يخاطب كل امة منها) اى كل قبيلة وجماعة منهم (بلسانها) اى لغتها لاختلاف لغاتهم (ويحاورها بلغتها) اى يصاحبها و يراجعها بلغتها (ويباريها فى منزع بلاغتها) المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل فعله (حتى كان كثيرا من الصحابة) رضى الله تعالى عنهم مع انهم فصحاء علما وهذا غاية لجميع ماقبله اى لقوة فصاحته قد لايفهمون كلامه لما فيه من المعانى البديعة التى لم يسمعوا بها اولما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لايعرف لغة غيره (يسألونه فى غير موطن) اى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه وتدبير قوله) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسله الله لجميع الناس

علمه جميع اللغات قال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه * وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع (من تأمل حديثه وسيره) جمع سيرة وروى بسين مفتوحة مهملة وباء موحدة كما ذكره البرهان اى تتبعه وفتش عليه واصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره (علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد) قريش قوم من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اى تجمعهم بعدما كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم مضر اولانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة اى يجمعونها اوسموا بالقرش وهو دابة بحرية تخافها دواب الارض والانصار جمع ناصر ونصير سموا بذلك فى الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة والطائف ومابينها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة اواحتجزت بحرار خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهى من اعمال اليمامة كما بين فى معجم البلدان وغيره (ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى) بسكون الميم ودال مهملة يليها الف ونون وياء نسبة لهمدان وهى قبيلة عظيمة باليمن واما همدان بها وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة بخراسان بناها همدان بن الفلوح بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله فكان هذا تقريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمسانى انه بشين معجمة ومهملة وعين معجمة ومهملة واقتصر فى القاموس على الثانى وراء مهملة وفى الروض الانف انه ابو ثور مالك بن نمط وهو من بنى خارف او من نام وكلاهما من همدان وهو صحابى وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء ويام بمثناة تحتية ويقال ايام بهمزة وهو الذى ذكره المصنف وهو همدانى خارفى ارحبى ووهم ابن اسحاق فى قوله فى سيرته مالك ابن نمط وابو ثور ولك ان تقول انه من عطف الكنية على الاسم ولا بعد فيه والذى صححه الصاغانى فى كتاب الزيل والصلة ان المشعار بعين المهملة وانه انما قيل له ذى المشعار لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسيأتى ماقاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم (وطهفة النهدى) بكسر الطاء المهملة وسكون الهاء والفاء تليها هاء تأنيث وهو ابن زهير ويقال ابن ابى زهير وسماه الذهبى فى تجريده طهية بالمثناة التحتية بدل الفاء وقال ابن الجوزى انه طخفة بالخاء المعجمة وقيل طغفة بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفاء وقيل قيس بن طخفة وقيل اسمه يعيش واسم ابيه ابوذر وقال التلمسانى انه فى بعض الشروح بظاء مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والهندى بالنون والهاء والدال المهملة منسوب لهند وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال اتيناك يارسول الله من غوى تهامة باكوار الميس ترمى بنا العيس تستحلب الصبير

ونستحلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الهجام من ارض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعنن ومايحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطما البحر وقام تعار ولنا نعم اغفال ماتبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمراء مؤزلة ليس لها علل ولانهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد وهذا ما اشار اليه المصنف كما يأتى ونقلت من خط العلاى بسنده الى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال قدم وفد بنى نهد بن زيد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام طهية بن ابى زهير النهدى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال اتيناك يارسول الله من غورى تهامة على اكوار الميس ترمى بنا العيس ونستحلب الصبير ونستحلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من ارض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج من العكارة ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعنن ومايحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ماطما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال لاتبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمراء مؤزلة ليس لها علل ولانهل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها واحبس راعيها على الدثر وبيانع الثمر وبارك لهم فى الولد من اقام الصلوة كان مؤمنا ومن ادى الزكاة لم يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم يابنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك مالم يكن عهد ولاموعد ولا تثاقل عن الصلوة ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة من اقر بالاسلام فله مافى الكتاب ومن اقر بالجزية فعليه الزكاة وله من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاء بالعهد فى الذمة وكتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع طهية بن ابى زهير كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش والعنان الركوب والضبيس لا يؤكل كلكم ولا يقطع سرحكم ولا يحبس دركم ولا يعضد طلحكم مالم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق انتهى وتفسيره الميس الرحال والعيس الابل والصبير السحاب المتفرق والرهام القداح والجهام السحاب بلا مطر امطر ببلد آخر غائلة المنطا بعيدة المسافة يبس المدهن غدير الماء والجعثن عروق الشجر العكارة البكر ادركه الهزال بعد السمن العسلوج عروق الشجر تتشعب ورقه والودى الفسيل والعنن الخلاف وماتبض ببلال اى ليس لها لبن ووقير قليل الرسل يعنى الصرمة من الغنم ليس لها اولاد

كثير الرسل يقول سديد العرف فى طلب المرعى وقوله فى مخضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع الثمر نضيجه والثمد قليل الماء يخرج من الارض والضبس الصعب والزماق النفاق والرياق الرعاء وذو العنان الفرس يركب ويزيل بالعنان لانه لايركب فيلجم والرباق خيل تربط قلت غورى تهامة ما نخفض منها وغور كل شئ عمقه وقيل تهامة مابين ذى عرق على مرحلتين من رواء مكة وقيل انها الى اليمن اقرب والمبس شجر صلب يتخذ منه الرحال وترمى بقصد والعبس ابل بيض الى صفرة والصبيرة سحاب ابيض متكاثف كان بعضه صبر على بعض اى حبس يستخلبه يستقطره والخبير النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلا به احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والبربر تمر الاراك اذا اسود ويستعضده يحتشه من عضده اذا قطعه والرهام جمع رهم بالكسر وهو مطر وفسر بالقداح وهو غلط والاستخالة الاستمطار من الجولان والهدام سحاب صب ماؤه وتستحيلة روى بحاء مهملة اى ينظر اليه الجامعه فى منظره وغائلة المنطأ كذا سمعناه والذى رواه ابن الاثير النطاء بكسر النون من غيرهم وغائلة مهلكة والمنطاء البعيدة والمدهن نقرة فى الجبل فيها ماء المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوح قيل ورد شجر يشبه الطرفاء وقيل نبت وقيل نوى المقل وقال الزمخشرى انه استعارة لما ذهب من سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طرى قريب عهد بالطلوع والهدى مايقدم للبحر اراد به مطلق الابل والعنن الاعتراض من عن له كذا وطمى البحر ارتفع موجه وتعارر بكسر التاء اسم جبل وهمل لاراعى له والاعقال مالاسمة له وقيل هما مالا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض بمهملة الخالص وبمعجمة المخضوض ليخرج زبده والمزق لبن يزج بالماء والعرق بكسر فسكون اناء يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول اقرب هنا وودايع الشرك العهود والمواثيق بينهم فى الجاهلية وقيل ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحلها لهم كذا بخط العلاى (وقطن بن حارثة العليمى) قطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمى بعين مهملة مصغر وحارثة بحاء وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبنى عليم بن حباب بن كاب فهو كلبى وقيل عليم بن جناب هبل من بنى عذرة من قبائل كاب وهو صحابى قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعد ما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ماكتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمائر كاب واحلافها ومن طارة الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها ووفاء عقدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية بن خليفة الكلبى عليهم فى الهمولة الراعية البساط الظفار فى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والهمولة البائرة لهم لاغية

وفى الشوى الورى مسنده حامل اوحائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها ومما اخرجت ارضها وفى الغدى شطره بقيمة الامين لايزاد عليهم ولايفرق شهد الله على ذلك ورسله وكتبه ثابت بن قيس بن شماس (والاشعث بن قيس) ابن معدى كرب بن معاوية بن جبلة بن عدى اسمه معدى كرب ابو محمد وهو من ولد اكل المرار الكندى الشريف الصحابى توفى بالكوفة بعد موت على كرم الله وجهه بار بعين ليلة وصلى عليه الحسن رضى الله عنه وكان شريفا مطاعا فى قومه وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر فى ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال فى الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعد ما اتى به ابو بكر رضى الله تعالى عنه اسيرا فجعل يعدد عليه افعاله فلم ينكرها وهو فى الحديث حتى اتم مقالته فقال له الاشعث استبقنى وزوجنى اختك فرأى ابو بكر رضى الله عنه انه الرأى ففعل وزوجه اخته ام فروة وروى انه لما خرج من عنده استل سيفه فلم يلق ذات اربع من الانعام الاعقرها فقيل لابى بكر انه ارتد ثانية فقال انظروا فى شانه فرأوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول ياقوم هذه وليمتى ولو كنت بارضى اولمت كما يولم مثلى فاعدوا على وخذوا ثمان ما عقرت لكم وفى ذلك يقول ابن قيس الخزرجى * لقد اولم الكندى يوم ملاكه * وليمة حال لثقل الجرايم * فقل للفتى الكندى اما لقيته * ذهبت باسنى مجدا ولاذادم * ولقب بالاشعث لانه كان رأسه اشعث دائما وقد اخرج للاشعث اصحاب الكتب الستة واحمد فى مسنده وصرحوا بانه صحابى بناء على ان الردة لاتبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها اذا رجع الاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعى فى الام ونقل عن ابى حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المصنف رحمه الله كلام النبى صلى الله عليه وسلم معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما فى تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبى ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبى ان الاشعث وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلاة والسلام هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجى اليك ولوددت ان يتبع القوم مكانه وروى لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقولن ذا فان فيهم اجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بليغ الكلام ومن الحديث اخذ ابن الهبارية قوله * فى الصادح والباغم * لاخير فى الاولاد * والاهل والسفاد * وليس فيهم فائدة * الا ظنون فاسدة * محنة ومبخلة * مجذلة ومقتلة * لولاهم ماذلا ذوادب وقلا (ووائل من حجر الكندى) نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء وحجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووائل بواو والف يليها همزة لاياء مثناة من اسفل كما فى حواشى

التلمسانى وغيره ويقال له ابوهنيدة وقال ابوهنيد بغيرهاء ابن ربيعة بن نعم الحضرمى كما قاله ابن عبد البر وفى شرح التجانى انه ابن حجر بن ربيعة بن وائل بن نعم الحضرمى وما فى الشفاء من انه وائل بن حجر الكندى غط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندى غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندى كان وصفا للاشعث ابن قيس مقدما على قوله وابل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوائل وفيه خلاف ذكره ابن الجزرى فى كتاب الجمال فقال وائل بن حجر بن مسروق ابوهنيدة الحضرمى او ابوهند الكندى الصحابى ووافقه ابن عساكر فقال وابل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن صمعج فيمكن ان يكون كنديا عند المصنف رحمه الله تعالى فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو قيل من اقيال حضرموت وابوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال فى العباب كندة ابوحى من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عنبس بن عدى واقب به لانه كند نعمة ابيه ولحق باخواله فقال له ابوه كندت نعمتى ولما وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسلما بشر به اصحابه قبل قدومه بثلاثة ايام وقال لهم يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله ورسوله طائعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل عليه رحب به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك فى وائل ابن حجر وولده وولد ولده وفى التهذيب للازهرى عن وائل ابن حجر انه قال كتب لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلب ولا جنب ولاشغار ولاوراط ومن احبى فقد اربا وفسر من احبى بمن غبن وهو حسن وعن ابى عبيدة الاحباء الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة مع معاوية رضى الله تعالى عنه لما ارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وتوفى فى زمن معاوية سنة تسع وار بعين فى ذى الحجة وسبب اسلامه كما قاله ابن ظفر فى كتاب البشر انه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له فبينما هو نائم عنده وفى الظهيرية سمع صوتا منكرا هاله فاتاه وسجد له فسمع هاتفا يقول

* واعجبا من وائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى *

* ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذى عرف ولا ذى نكر *

* ولا بذى نفع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر اطاع امرى *

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرنى فقال

* ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مشتعل *

* قبل يقضى العمر المتولى * فدن بدين الصائم المصلى *

محمد المبعوث خير الرسل ثم خر الصنم فقال اليه وجعله رفاتا ثم سار حتى اتى المدينة ودخل المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادناه وبسط له رداءه واجلسه معه ثم صعد المنبر وقال ايها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من ارض بعيدة

راغبا فى الاسلام فقال يا رسول الله بلغنى ظهورك وانا فى ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه طلب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقراره على ارضه وملكه فاعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة فى كتابه الذى الفه فى كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومكاتيبه (وغيرهم) اى غير من ذكر من العرب (من اقيال حضرموت وملوك اليمن) الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية وباللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفى النهاية الاثيرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل حجر الى الاقوال العباهلة وفى رواية الاقيال فقيل انه من القيالة وهى الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وامره فاصله على هذا قيل بتشديد الياء اعل اعلال ميت واولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه واقوال على الاصل واقيال قيل كاريح وارياح والقياس ارواح لكنه لم يرجع لاصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قر ملكهم وبقى متروكا على ماكان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحدة عبهل فالتاء لتأكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة اوجمع عبهول واصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما فى فرازنة وفرازين وفى تثقيف اللسان العباهلة بالباء الموحدة هم الذين لايد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية الشبان وكلاهما مدح كما قاله التلمسانى وحضرموت بفتح الحاء المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جائزا فيه وهو علم مركب تركيب مزج غير مختوم بويه وفى مثله ثلاثة اوجه فتح رائه واعرابه اعراب مالا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثانى وبناؤهما كخمسة عشر وقال النووى فى تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمنى ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهم شاذ وسمى به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمنى على يمنيين ويمانيون بالتشديد (وانظر فى كتابه) اى اعرفه وقف عليه باى طريق كان من استعمال المقيد فى المطلق اى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه (الى همدان) بسكون الميم والدال المهملة كما مر كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمدانى فهذا رجوع الى بيان كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع غير اهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف ويام بالتحتية ويقال ايام ولذا ينسب اليه اهل الحديث ايامى وقال ابن دريد ان همدان اسم لاقى القبيلة وقيل اسمه اوسلة وانه اخبر بما عمه فقال هم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت انتهى كلامه فى الجمهرة ولم يذكره فيه مادة لام زباء لا عجام لانه غير عربى عنده وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصيه من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلوص

نواح متصلة بحبائل الاسلام لاتأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاك اهل السود والتود اجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الانصاب عهدهم لاينقض ما اقام لعلع وما جرى العصفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف واهل حباب الهضب وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراغها ووهاطها ما اقاموا الصلوة وآتوا الزكات يأكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله ومشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف ويام عهدهم لاينقض عن سنة ماحل واهل حباب الهضم وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراغها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلوة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلث والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال فى ذلك مالك

* ذكرت رسول الله فى فحمة الدجا * ونحن باعلى رحرحان وصلدد *
* وهن بناء خوض طلايح تعتلى * بركبانها فى لاحب متمدد *
* على كل فتلا لذراعين جسده * تمر بنا من الهعف الحفيدد *
* حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد *
* بان رسول الله فينا مصدق * رسول الى من عند ذى العرش مهتد *
* فما حملت من ناقة فوق رحلها * اشد على اعدائه من محمد *
* واعطى اذا ماطالب العرف جاءه * وامضى بحد المشرفى المهند *

والى بعض من هذا اشار بقوله (ان لكم فراعها) بالفاء المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما الف وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع او اعالى الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اقطعهم ذلك (ووهاطها) بكسر الواو وبالهاء والطاء المهملة جمع وهطة كفرعة وهى الوهدة وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان احدهما مبدل من الآخر (وعزازها) بفتح العين المهملة وزائين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيعطا ويحرث فيصير رضوا ومنه العز لصلابة جانبه (تأكلون علافها) بكسر العين المهملة واللام والفاء قال فى النهاية جمع علف وهو ما تأكله الماشية مثل جمل وجمال وفى قوله مثل جمل لطف الا انه اذا كان علف الماشية فقوله تأكلون بالخطاب لهؤلاء القوم غير مناسب هنا الا ان يجوز بان تقدير تأكل دوابكم او يحمل تأكلون بمعنى تملكون ولعل للعلاف معنى غير هذا

فى لغة اهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا (ويرعون عفاها) بفتح العين والفاء والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشئ اذا اندرس او من عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث اقطعهم ما كان عفا وقوله خذ العفو وأمر بالعرف وقال التجانى روى عفا بكسر العين جمع عفو كجبل وجبال وهو بمعنى الاول وفى قوله يرعون ايضا ما مر وجوابه ان الرعى مخصوص باكل البهائم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادباء انت عندى كالاب بتشديد الباء قال له فلذا تأكلنى قال الدماميني فى كتابه نزول الغيث لو قال فلذا ترعانى كان الطف لما فيه من التورية لاحتمال ان يكون من الرعى او الرعاية كما فى الاب من احتمال معنى الوالد على لغة فيه ومعنى التبن لانه عين انه لجهله كالانعام (لنا من دفئهم وصرامهم) الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها تتخذ من اصوافها واوبارها اثاث يتدفأ به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفأ بها وقال الله تعالى لكم فيها دفء ومنافع اى ما يتدفأ به من الصوف والوبر وهو فى الحديث بمعنى الانعام التى تؤخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهى القطعة من النخل ويجوز ان يكون الثمر نفسه لانه يصرم من النخل اى يجذ ويقطع فسمى بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من اثلثين والقطعة من السحاب وهو لا يصح ساقط لوجهين (ما سلموا بالميثاق والامانة) ما موصولة خبرها مقدم المراد العهد الذى اخذ عليهم او الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة اى كونهم مأمونون على اموالهم لان رب المال فى الزكاة يصدق بقوله وقال التلمسانى اراد بها الطاعة والغناء او العبادة وهو بعيد اى لا يؤخذ منهم شئ قهرا بل عن طيب نفس وعبى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين من يعلمون فيجوز انهم يسلمون بانفسهم او للسعادة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهم الرغبة فى رضى الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعاة وانما يجب بعث السعاة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم (ولهم من الصدقة الثلب) المراد بالصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذى سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروى والناب مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث فلا يقال للجمل ناب وانه اسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها (والفصيل) ولد الناقة الصغير الذى فصل عن رضاع امه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر والمعروف فى اللغة الاول (والفارض والداجن) الفارض البقرة الهرمة المسنة قال الله تعالى * لا فارض ولا بكر * وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمى لكونه فارضا للارض اى قاطعا

وفارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل بل لان فريضة
البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز فى حال دون حال والمسنة يجوز بدلها فى كل حال فسميت
المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى والداجن الشاة التى تكون
فى البيت لا ترسل للمرعى وكذا الراجن بالراء كما فى الصحاح وعلى هذا فالداجن غير
الفارض فينبغى عطفها كغيرها وهو فى غالب النسخ بغير عطف اللهم الا ان يقال
ماذكر معناه الحقيقى وهى هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض
قلت ضمير لهم السابق لاصحاب المال ومن تؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ماذكر
يترك لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته لقوله لنا والذى يؤخذ فى الصدقة من اوسط مالهم
لا اعلاه ولا ادناه كالصغير جدا والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذى يؤخذ
فى الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذى يربص حول المنازل
من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة
لتكلف ودعوى تجريد وقيل الفارض المسن من الابل وفى بعض النسخ والداجن
بالعطف ومعناها شاة صغيرة توفى فى البيت كما وقع فى حديث الافك (والكبش الحورى)
الكبش الذكر الكبير من الغنم الذى يقودها غالبا ولذا اطلق على الرئيس فى المدح
بخلاف التيس والحورى اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء مهملة
يليها ياء نسبة وفى النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضأن
وقيل هو مادبغ من الجلود بغير القرظ وهو احد ماجاء على اصله ولم يعل اعلال
ناب انتهى وقال ابن رسلان الحورى بفتح الحاء وسكون الواو نسبة للحور وهى الجلود
المذكورة والذى فى الصحاح ان الحورة وجمعها الحور بفتح الواو فيهما واقتصر
ارباب الحواشى كالشمنى والحلبى والقسطلانى على مافى النهاية ونقل عن الكاشغرى
فى كتابه مجمع الغرائب ان الحورى المكوى نسبة الى الحوار وهى كية مدورة يقال
حوره اذا اكواه وانه على هذا بسكون الواو لان الحورا بالقصر والمد للكية ساكنة
الواو وقال التجانى الحورى بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وروى الحوارى
بزيادة الالف ومعناه الابيض لا الاحمر واذا قيل الحواريين لانصار عيسى عليه الصلوة
والسلام لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشى
الحورى بغير الف بالابيض الجيد لما ذكر اولان موضع الكية يبيض (اقول الحاصل
ان فى لفظ الحديث وكلام المصنف ثلاثة اوجه اشهرها الحورى بفتح الواو والثانى
الحورى بسكونها الثالث الحوارى بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير
من الغنم وهو لا يؤخذ فى الصدقة لكونه انفسها ولانه لما يحتاج اليه للضراب
فلا يؤخذ منه الا اذا اعطاه كما لا يؤخذ ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل فى كتاب
الزكاة وعلى الاول لم يعل مع تحرك الواو وانفتاح ماقبلها اما على خلاف القياس
كما هو ظاهر كلام النهاية السابق اوتبعا لفعله وهو حود كفرح اولئلا يلتبس الواوى

بالباء فى الذى من مادة الحيرة وقول التجانى انه من الكباش ان لم ينقله احد من اهل
اللغة ففيه نظر لانه كان ينبغى له ان يقول الكباش التى تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم
هنا كلام طويل بلا طائل (وعليهم فيها الصالغ والقارح) الصالغ بصاد مهملة
ولام وغين معجمة ويقال سالغ فان كل صاد تبدل سينا مع الغين كما فصل فى محله
وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه فى السنة السادسة وقيل هو من ذوات
الاظلاف كلما اكمل ست سنين ودخل فى السابعة لان ولد البقرة فى اول سنة عجل
ثم تبيع ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ سنة وسنين وماوقع هنا فى بعض
النسخ ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح
بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذى دخل فى الخامسة وفى القاموس
القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال التجانى القارح من ذوات
الحافر ما اكمل خمس سنين وهو فى السنة الاولى حولى بسكون الواو ثم جذع ثم ثنى
ثم رباع ثم قارح وفى هذا المكتوب زيادة على ماقاله المصنف رحمه الله تعالى وروايات
اخر منها ماقدمناه ومعنى قوله وعليهم الى آخره انه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ
منه ما ليس هرما ولا معيبا كما مر وهذا مبنى على ان الخيل تجب فيها الزكاة اذا كانت
سائمة وذكورا واناثا لا اصرف ذكورا وان شاء اعطى عن كل فرس دينارا
او قومها واعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعى يحمله على ما كان
معدا للتجارة وادلتها مبسوطة فى كتب الفقه (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم النهد)
نهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة لما قاله عليه الصلوة والسلام
لطهفة النهدى السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله
لكلهم اوتنزيل كتابه منزلة خطابه اوهى للتعليل وقيل انه هنا متعين لان هذا ليس
مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الآتى هو الله تعالى عز وجل لا سألوه صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يستسقى لهم فدعا لهم وقال (اللهم) اى يا الله (بارك لهم) اى اجعل
البركة وزيادة الرزق وثباته مقسوما وواصلا لهم قال الامام الراغب رحمه الله تعالى
اصل البرك صدر البعير وان استعمل فى غيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى
اللزوم ومنه بروكا الحرب لمكان يلزمه الابطال والبركة لمحبس الماء والبركة ثبوت
الخير الالهى فى الشئ قال الله تعالى *لفتحنا عليهم بركات من السماء* ثبوت خيرها
ثبوت الماء فى البركة والمبارك مافيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث
لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل مايشاهد منه زيادة غير محسوسة
مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روى لا ينقص مال من صدقة لا الى النقصان
المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بينى وبينك الميزان وقوله
تعالى* تبارك الذى جعل فى السماء بروجا *تنبيه) على مايفيض علينا بواسطة هذه

البروج والنيرات المذكورة فى هذه الآية وكل موضع ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لامزيد عليه ومنه اخذ صاحب الكشف ماقاله فى اول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهم فى قحط شديدا صابهم فشكى له مامسهم فى كلام ذكرناه اولا فدعالهم وقال اللهم بارك لهم (فى محضها ومخضها) متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والضاد المعجمة والمخض مثله الا ان خائه معجمة ومعنى الاول الخالص كامر ومادته كلها تدل على الخلوص والصفاء ومنه محض الايمان فى الحديث ومحضت له الود وعرقى محض ونحوه والمخض اصله تحريك السقاء الذى فيه اللبن حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه وتسمى اللبن الذى اخذ زبده مخيضا وهو صفة لا مصدر سمى به كما توهم (ومذقها) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف واصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل فى اللبن المخلوط بالماء قال جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط والضمير راجع لارضهم اولانعامهم المذكورة فى كلام طهفة السابق الذى شكا فيه محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم فى البانهم باقسامها ماكان خالصا لم يتميز زبده ومامير منه زبده ومامزج بالماء ومجموعه كناية عن خصب ارضهم وسعتها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر فكانه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله (وابعث راعيها فى الدثر) ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس اى ارسله والراعى الذى يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثائه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطى وجه الارض (وافجرله الثمد) افجر بضم الجيم من فجر يفجر كقعد يقعد من تفجير الماء وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح المثلثة وفتح الميم وقد جوز تسكينها وآخره دال مهملة وهو الماء القليل وافجرله مجاز عن معانى التكثير للزومه له غالبا فالمراد كثر ماقل من مائه وضميرله للراعى واذا كثر له كثر لغيره (وبارك لهم فى المال والولد) معطوف على ما قبله اوعلى بارك الاول والمال كلما يتمول او يملك وهو فى كلام العرب فى الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا (من اقام الصلوة كان مسلما) اى مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه اوالمراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر اوالمراد الحث على اقامة الصلوة والمراد باقامة الصلوة المداومة والمحافظة عليها كما حقق فى الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كفر ولان تاركها كافر فى احد قولى احمد اوهو فى حكم الكافر لانه يقتل كماسيأتى بيانه (ومن اتى الزكاة) بمد آتى اى اعطاها واداها (كان محسنا)

اى منعما متفضلا على الفقراء اوآتيا بامر حسن مطلوب فى الدين (ومن شهد ان لااله الاالله كان مخلصا) اى من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها فهو مخلص فى ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما فى قلبه وهذا من باب حمل احوال المؤمن على الصلاح والمراد بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهى لااله الاالله محمد رسول الله فهو كما يقال قرأت حم والكتاب المبين اى السورة بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة فى الاحاديث (لكم يابنى نهد ودايع الشرك) لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبى بناء على ماسيأتى من تفسيره وجملة النداء معترضة لبيان المخاطب وودايع الشرك المراد بها كما فى النهاية العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من حاورهم من الكفار فى المهادنة يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم الآخر عهدا ان لايغزوه ويسمى ذلك العهد وديعا بغيرها فيقال اعطيته وديعا اى عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التى وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المؤاخذة بماقتلوا اذا تحابوا وقيل بعضهم بعضا ومااراقوا من الدماء هدر كما فى الحديث الآخر كل دم فى الجاهلية تحت قدمى هذه اى متروك هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلووجب عليهم الوفاء بما التزموه لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه فى الشرك من ذلك ولايخفى بعده وتكلفه ثم قال فى النهاية ويجوز ان يراد ان مااستودعوه من اموال الكفار حلال لهم لانها مال اخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو فئ وهكذا حكم ودايع الكفار فهو جمع وديعة بالهاء على هذا ولاينافيه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لماهاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ماكان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من الودايع والامانات لانه كان قبل حل الغنائم له اولانه صلى الله تعالى عليه وسلم فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وامانته فيطعنوا فى الاسلام ويبعدوا من الايمان (ووضايع الملك) الوضايع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم اى ماكان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين يلزمكم مايلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولانقص اوالملك بضم الميم والمعنى ان ماكان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعاية ويستأثرون به من غنائم الحروب لايأخذ منكم فهو لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودايع والوضايع وبمعنى على كما فى قوله تعالى وان اسأتم فلها * على التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفاء به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام لايجب الوفاء بها بعد الاسلام والقائل ظن وجوب الوفاء بها فحمل اللام على ماحمله وليس كذلك كامر لان عهد الكافر لايعتد به واما الوضايع بمعنى تكاليف الزكاة فهى

وان ثقلت على بعضهم فهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا مبنى على تفسيره ولبس بمتعين كما مر مع مافيه (لاتلطط فى الزكاة) تلطط بضم التاء المثناة وسكون اللام وكسر الطاء المهملة الاولى وجزم الطاء المهملة الثانية بلاء الناهية وفى الزكاة متعلقة به اى لاتمنعها قال ابن الاعرابى لط الغريم اذا منع حقه واصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليه وقد ارادها الفحل وفى شعر الاعشى الحرمازى فى امرأته وقد نشزت * اخلفت الوعد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب * ولط الغريم اذا اختنق (ولاتلحد فى الحياة) هو مضبوط بضم التاء المثناة اوله ولام ساكنة تليها حاء مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحادا اذا جار وعدل عن الحق واصله مطلق العدول ويقال الحد ولحد قليلا والذى فى الشفاء هو الذى رواه القتبى بالفعل والخطاب الواحد والذى رواه غيره مالم يكن عهد ولا موعد ولاتثاقل فى الصلوة ولاتلطط فى الزكاة لاتلحد فى الحياة بالاسم المصدر وتشديد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ماقبله كذا فى النهاية الاثيرية يعنى ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة فى قوله يابنى نهد وهذا جار على غير اسلوبه لتوجه الخطاب لواحد من بينهم وان كان ماقبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جاء التلطط بمعنى الالطاط المتقدم يقال تلطط والطط والطى بابدال الاخيرة بالتخفيف وقال ابن رسلان لاتلطط اوتلحد بالنون من باب نهى الانسان نفسه لينتهى غيره قيل ولاضير فى رواية القتبى اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بين جمع ماخوطبوا ابتداء ونظيره فى افصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهى للتعريض بالباقين والصون لهم عن توجه صيغة لنهى اليهم رجاء الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل ان الخطاب لهم برمتهم اولائم توجه لواحد فى المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم اونهاهم نهى غنية لتنزيلهم منزلة الغائبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لايلطوا ويلحدوا بلفظ جماعة الذكور الغائبين بل لاتلط وتلحد اى هى والضمير لبنى نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم ومثله لايعود له ضمير المؤنث ولاتلحقه التاء فلا يقال الزيدون قامت ولاقامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التأنيث الا انه لما غير مفرده عند جمعه اشبه جمع التكسير فاعطى حكمه فجاء الحاق التاء بفعله نحو قامت البنون ومنه قوله تعالى * الا الذى آمنت به بنو اسرائيل * فصار ذلك داعيا الى جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التأنيث

وذهب بعض النحاة الى انه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التاء قال فى ضوء لزماله هذا مذهب غريب ورأى غير مصيب (قلت المخطى مخطئ وهذه المسئلة مذكورة فى شروح كتاب سيبويه والذى قال انه قول غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه وقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لاوجه للفرق بينهما ومافى الحديث يوجه بانه خاطب القوم اولا بقوله يابنى نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا لهوى نفسه فخصه من بينهم بالخطاب بمايليق به اوجعله تعريضا الباقيهم لئلا تثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن الباذش ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تأويلان اما تخصيص واحد من بينهم اوتأويله بمفرد لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا واتى بما لايسمن ولا يغنى من جوع على عادته فى التطويل الممل من غير فائدة وانا (اقول هذا كله مبنى على قاعدة ذكرها النحاة كما فى شرح الكافية للرضى وهى انه لايكون فى كلام واحد خطابا بالمخاطبين متغايرين من غير عطف ولاجمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت فى باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرأيتها مقيدة باربعة قيود الاول ان يكون ذلك فى جملة واحدة فلوقلت انت يازيد تضرب انت ياعمرو تشتم لم يمتنع الثانى ان لايتغايرا فلوكان احدهما غير الآخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون فى مثله وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لاتحصل له الثالث ان لايكون احدهما بعض الآخر نحو رأيتكما كما ذكره النحاة فى افعال القلوب وصرح به المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * اجدوا قومها لكم ياجرول * فقال جرول اسم رجل جعل اول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالنداء واحدا منهم جعله المأمور بما اراد كقول الهذلى * احيى اباكن ياليلى الامادبح * فقال اباكن ثم قال ياليلى * انتهى الرابع ان يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضى فى باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسئلة فى كتاب طراز المجالس وللمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشواء فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا فى جملة اخرى فاحفظه فانه من نفائس الدخائر ثم انه ذكر فى اعراب قوله فى الرواية السابقة ولاموعد كلام يقتضى منه العجب واجاب عنه تلميذه باعجب واعجب الا ان المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا اضربنا عنه فان اردت فانظره وقوله فى الحيوة اى لايلحد مادمت حيا (ولاتثاقل عن الصلوة) بجزم اللام والكلام فيه كالذى قبله اى لاتتوانى وتكسل عن الصلوة وتتركها والتثاقل بجعل كاية كان عليه ثقلا يمنعه عن الحركة اليها (وكتب لهم فى الوظيفة) اى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكتب لهم كتاب يبين فيه مايلزمهم بعد الاسلام والوفاء باركانه وضميرلهم لبنى نهد وهو متعلق بكتب والوظيفة بالظاء المشالة والفاء بزنة سفينة وهى العين فى كل يوم اوفى زمان معين من الطعام وغيره من الرزق

ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين كسفن كما قاله اهل اللغة والمراد الاخير اى كتب فى العهد وما شرط عليهم فى الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم (الفريضة) اى مافرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها اى قطعها له اولانقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهى غير مرادة هنا لانه روى عليكم فى الوظيفة اى فى كل نصاب مافرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به ولان قوله (ولكم الفارض) يأباه لما بينهما من التدافع غاية مافيه اطلاق الوظيفة على النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة التى وصفها عمر رضى الله عنه كما ذكر فى باب الوظائف فلا تجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان الحلبى وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما فى الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعنى لا يؤخذ منكم ولا يكون على الانصباء لانه لا تصح به الزكاة وضبطه التجانى بالعين المهملة بدل الفاء وقال العارض المريضة التى اصابها كسر وهى لا تقبل فى الصدقة فهى باقية لاصحابها وفى مزيل الخفاء انه وقع فى بعض النسخ بالعين المهملة وهى الناقة التى يصيبها كسرا ومرض فتنحر وفى القرسين فى بعض نسخة الفارض بالفاء وقيل بالعين التى اصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا اصابها آفة اوكسر وبنوفلان اكالون للعوارض اذا لم ينحروا الاما اصابه مرض اوكسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله قلت كانه سقط من عبارة التجانى الفا وعد الكسر مرضا وفى الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس (والفريش) بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وحكى انه مالا يطيق حمل الاثقال من الابل لصغره كما حكى انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما فى الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعنى ان هذه كلها لا تؤخذ فى الزكاة اما على الاول فلانها لنون نفيسة واما على الثانى فلحقتها (وذو العنان الركوب) العنان بكسر العين ونونين بينهما الف والركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول قال الله تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذى العنان فى محله يعنى لا يؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يؤخذ فى الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من اوسطها والركوب بالرفع صفة ذو وروى بالجر صفة العنان (والفلو) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو المهر الصغير من الخيل لا يؤخذ فى الزكاة وسمى فلوا لانه يفلى من امه اى يقطع بالفطام عنها قال الجوهرى يقال فلوته اذا فطمته وعن ابى زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفى القاموس انه يقال كجرو وعدو وسمو وقال

انه الجحش والمهر وقيل صغار اولاد ذوات الحافر مطلقا وروى الفلو بدون واو عطف والاول اصح (الضبيس) بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة اى المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه كنى به عن صغره واو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطف (لا يمنع) بالبناء للمفعول (سرحكم) باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء المهملة وهى الماشية التى تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للرعى وفعله يتعدى فاذا رجعت قيل اراحت قال تعالى * حين تريحون وحين تسرحون * وهذا كما قال فى كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى الا انه عبر فيه بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله (ولا يعضد طلحكم) يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه والطلح بفتح الطاء المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وام غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح فى قوله تعالى وطلح قيل هو الطلع وقيل شجرة الموز والمراد لا يقطع لكم شجر طلحا كان اوغيره وخصه لانه لا ثمر له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى (ولا يحبس دركم) بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين واصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى فى مكان يجتمع فيه لبعدها من يأخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحشر دركم اى لا يجتمع فى مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى وحبسها عند المصدق لبعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يؤخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل هذا مناف للغرض وقد ورد فى صلح اهل نجران لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم الرفق بمن يؤخذ منهم الزكاة فيؤتى لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها (مالم تضمروا الرماق) تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا الرماق بكسر الراء المهملة وميم والف وقاف هو النفاق يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اى ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قاله ابن الاثير (وتأكلوا الرباق) بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمنى جمع ربقة وهى حبل فيه عرى يشد به البهايم وفى الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا اكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد لما قبله

اولجميع ماتقدم والمعنى ان هذا امر مقرر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا
عن الاسلام فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لاغبار عليه
والترتيب فى محزه لان المعنى مالم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب
منه تفسيره بالعذر والنكث والعداوة فانها اذا اضمرت كانت نفاقا واما تفسير اضمار
الرماق باخفاء قطيع من الغنم يعنى عن المصدق فانه خيانة تقتضى تضييق المصدق
عليهم بحشر انعام درهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله لايحبس دركم وهذا معنى
صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب كما قاله الجوهرى الا
ان المشهور المأثور فى تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره
فى غير الصحاح واخشى ان لايكون احد قاله قبله بما لا يليق ذكره وكذا القول بان
النفاق اضمار الغدر مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشئ وكذا تفسير
الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفى الكلام
استعارة تمثيلية اوتصريحية و المراد بالعهد التزام او امر الله ورسوله ونواهيه
وفى الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا ادرى من هذا
المعلق وعلى هذا التقدير معناه مالم تأكلوا الغنم ولا معنى لهذه الظرفية حينئذ اذا
يؤل الى ادوا زكاتكم ما لم تأكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه الصلوة والسلام وفى
الحواشى التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة يليها قاف
بزنة الاكرام ومعناه الغدر والبغض يقال اماق يميق رباعيا وقد يخفف همزته هكذا
ثبت عند العزفى وفى بعض نسخ الشفاء الرماق بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط
القاضى رحمه الله تعالى انتهى والشراح وارباب الحواشى متفقون على الرواية
الثانية (من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة) ال فى العهد للعهد فالمراد ما عرف من
عهود الاسلام اوما عاهدهم الله ورسوله فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبى
بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان
تركها يوجب الذم ثم سمى محل الالتزام بها فى قول الفقهاء ثبت فى ذمته كذا ومن الفقهاء
من قال انها معنى يصير به الادمى على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله
تاج الشريعة فى شرح الهداية وقال القرافى رحمه الله فى قواعده لم يعرف اكثر الفقهاء
معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها اهلية المعاملة اوصحة التصرف وليس
كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الآخر وهى عبارة عن معنى مقدر فى المكلف قابلة
للالتزام واللزوم مسبب عن اشياء خاصة فى الشرع وهى البلوغ والرشد وعدم
الحجر وهى من خطاب الوضع انتهى وسمى اهل الذمة بذلك لدخولهم فى عهد المسلمين
وامانهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
فله الوفاء بالعهد والذمة (ومن ابى) اى امتنع من قبول العهد اونقضه بعد قبوله

ودخوله فيه من منع الزكاة (فعليه الربوة) والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون الباء
الموحدة والواو والهاء كما فى القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهى الزيادة
ومنه الربا لاخذه زيادة على ما اعطاه و فسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على
فريضة الزكاة عقوبة له وروى من اقر بالجزية فعليه الربوة اى من امتنع عن
الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن
الاثير وقال التجانى عنى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من ابى من اداء الزكاة اخذ منه
الفرض وزيد عليه مثله كما فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه الصحيح ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد
ابن الوليد وفلان وفلان فقال اما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه واعدها
فى سبيل الله واما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه
ومثلها معها وروى فانها عليه صدقة ومثلها معها وفى رواية البخارى اى عليه
صدقة واجبة تؤخذ منه وليس معناه انه يعطاها و يعطى مثلها معها لان المذكور
من اهل البيت لاتحل له الصدقة وذهب ابو عبيد فى معنى هذا الحديث الى ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انما الزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة
العام الماضى ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه
فى معرض العقوبة والجزاء فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفى رواية
البخارى احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على اهل البيت كما فى بعض شروح
مسلم واعلم انه اى التجانى لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا فى الصحيحين عن ابى
هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمر
رضى الله تعالى عنه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى واما خالد
فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه فى سبيل الله واما العباس فهو على ومثلها اما
شعرت ان عم الرجل صنو ابيه وفى رواية البخارى فهى عليه صدقة ومثلها
معها وفى رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه صلى الله عليه
وسلم التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل انه
صلى الله تعالى عليه وسلم تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزى بين
رواية على وعليه بانهما بمعنى وزيد فى الثانية هاء السكت فى على وقيل معنى على انها
عندى لانى اخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به فى رواية اخرى بناء على
جواز تعجيل الزكاة وفى الحديث وجوه اخر فى شروح الصحيحين لاحاجة لنا بها هنا
ومن هذا علمت ما فى قوله لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه ورد فى معرض العقوبة
الى آخره فانه لازجر فيه الالابن جميل لا للمقول فى حقه فهى عليه ومثلها كما سمعته آنفا
(ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل بن حجر) تقدم الكلام عليه (الى الاقيال

العباهلة) اى الى الملوك القارهلكهم وقد تقدم تفسيره و بيان لغته وضبطه (والاروع) بهمزة وراء مهملة وواو بعدها الف وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رايع وهم الذين يروعون الناس اى يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيأتهم قاله ابن الاثير قيل والاول اولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا (اقول ما قاله ابن الاثير هو الذى ارتضاه المبرد فى الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الزائد اذا رآه من له ادراك ادهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئـة التى كانت لهم هيئة تجبر وظلم ازالها الاسلام والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد مدحهم بالحلم والرأفة ولبس بشئ (المشابيب) بفتح الميم والشين المعجمة ثم موحدتين بينهما الف ومثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون قال ذو الرمة انا الاروع المشبوب اضحى كانه على الرحل مما منه السير احمق والمراد السيد الظاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد فى وجهه سراج منير وهو يجمع مع الاروع فى كلامهم كما فى البيت فان النار مما تروع ناظره وروى الاشباء بزنة الاخلاء جمع شبيب كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما يقال للحسناء ذات الذوائب السود شعرها يشب لونها اى يظهره و يحسنه وقيل المراد الاذكياء (وفيه) اى فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل (فى التيعة شاة) التيعة بكسر التاء الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم و قيل الخمس من الابل وقيـل هى ادنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هى ما يأخذه الساعى من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القئ وقد وقع التشبيه به فى حديث الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه و يقال اتاع قيئه وشاع و يقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القئ اولذهاب الساعى اليها والاحسن ان يقال انها فضلة ووسخ يستريح بدفعها لان الصدقة اوساخ الناس كما ورد فى الحديث ولذا منع اهل البيت منهم لشرفهم (لا مقورة الالباط) مقورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة من الاقورار كمحمدة من الاحمرار وهى المسترخية الجلد من الهزال فلا تؤخذ فى الصدقة لرداءتها وقيل هى المتشنجة من الهزال ايضا وقيـل هى السمينة فهى من الاضداد كما ذكره الصاغانى فى كتاب الاضداد وهذه لا تؤخذ لانهـا اغلى والمأمور باخذه الوسط وفى بعض النسخ مقورطة مفرعلة قال التلمسانى قال ابن سيدى الحسن لا اعلم الآن ولعله مصحف من مقربطة يقال اقربط الجلد انضم بعضه لبعض مقربطة وهو بمعناه والالباط بلام وباء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة (ولاضناك) بفتح

الضاد المعجمة وكسرها قال التجانى ويجوز ضمها وخطئ فيـه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفى ضبطه نظر لما فى العباب للصاغانى الضناك بالفتح قاله الفارابى وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها (وانطوا الثبجـة) انطأ بمعنى اعطا لغة لاهل اليمن اولبنى سعد وروى فى الدعاء لا مانع لما انطيت وقرئ شاذا انا انطيناك والثبجة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى الوسط والهاء للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجانى ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفى الحديث خيار امتى اولها وآخرها و بين ذلك ثبج والمقصود انه لا يؤخذ فى الزكاة الاعلى لاضراره برب المال الا ان يكون برضى منـه ولا الادنى ولا المعيب الا ان يكون الكل كذلك لان الجود بالوجود وتفصيله فى كتب الفقـه قال البرهان و فى بعض النسخ بكسر البـاء وتشديد الجيم وفيه نظر قال التلمسانى رحمه الله تعالى وروى الشجة بالشين والجيم من شج سار بشدة واراد اعطاء القوى للضعيف فتأمله (وفى السيوب الخمس) السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو و باء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهمـلة وكاف وزاى معجمة بزنة كتاب بمعـنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلى من ركز الرمح اذا غرزه فى الارض واقره اومن الركز وهو الاخفاء قال الله تعالى او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا وسمى سيبا لانه عطية من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدنى من تسيب بمعـنى تكون من غير صاحب له فكانه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنـه اسم الجيش لكونه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله فى الحديث المعدن جبار وفى الركاز الخمس يدل على ان الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس فى الركاز الا الحسن البصرى رحمه الله فقال ان وجد فى دار الحرب ففيه الخمس وفى غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعى ان كان وجده فى ملكه فهوله ان ادعاه والا فهو لقطة (ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة) قوله مم بكر وما يأتى من قوله مم ثيب اصله كما فى النهـاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل البـاء نقلت ميما سواء كان من كلمة نحو عنبر اومن كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميمـا فى لغة حمير نحو ليس من ام برام صيام فى ام سفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثانى فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم فى بنى الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه ان يكون نكرة منونة وابدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان يكون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية فتقديره من زنى ببكر من الابكار و يجوز ان يكون لبيان الجنس فبكر على اصلها وهو على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الابكار لما فى من من العموم ثم انه اذا قلب النون ميما على نهج الانقلاب التجويدى لا يتأتى فى قوله مم ثيب فلذا قال فى مزيل الخفـاء انه من باب الازدواج

والمشاكلة كما فى قولهم ماقدم وحدث بضمهما مع ان حدث بالفتح فان قلنا انه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانهما تعاقبها كثيرا كما فى قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجانى لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه بهمزة وصل ثم صاد مهملة ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة اى فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين ايضا من الصقع وهو الضرب على الرأس واصله الضرب على الرأس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوه بالفاء بدل القاف كما نقله التلمسانى يقال صفعت فلانا صفعه صفعا اذا ضربت قفاه بجمع كفى ورجل مصفعانى يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرقت عمامته انه صفع وهى استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباته رحمه الله

*اسقت لشاشى الذى قد مضى * وفاز به سارق حاشه *

* ووالله ما بى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه *

وتطفل عليه الصفدى رحمه الله تعالى على عادته فقال

* قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فاينـد فع *

*الحمد لله الذى لم يكن * شاشى على رأسى لما صفع *

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين فى الحدود (واستوفضوه عاما) بهمز وصل وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية وواو وفاء وضاد معجمة ثم واو ساكنة وهاء الضمير بمعنى انفوه وعرفوه من فوضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلى فرق بينهما فى الروض الانف باعتبار اصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها لانها من سنى بمعنى دار ومنه السانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها (ومن زنا مم ثبت) اى محصنة وتقدم ما فيه (فضرجوه بالاضاميم) ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة مشددة وجيم مضمومة من التضريج وهو التدمية اى ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال انبى ضرجونى بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين اولاهما مكسورة بينهما ياء مثناة ساكنة الحجارة واحدها اضمامه بكسر الهمزة اواضموم بضمها كاقنوم سميت بها لانه يضم بعضها لبعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد بالرجم الذى هو حد المحصنين كما فصل فى كتب الفقه واختلافهم فى كون التعزيب من الحد ام لا مشهور فى الفروع شهرته تغنى عن ذكره (ولا توصيم فى الدين) توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار اى لا كبر ولا عيب ولا عار ولا كسل فى اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا فى معنى قوله تعالى * ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله * ولذا حرم الفقهاء الشفاعة فى الحدود دون التعزير (ولا غمة فى فرائض الله) الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اى لا تخفى وتستر فرائضه تعالى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهارا

اشعار الدين وهذا يقتضى ان اظهار الفرائض اكمل فينبغى اظهار اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى * ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم * محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاؤها وقيل انه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الريا ونحوه وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل ان المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد ويؤيده انه روى هذا لا عمه بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء اى لا حيرة ولا تردد فيها وروى لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها لا ستر ولا خفا كتغمدنا الله برحمته اى سترنا بها (وكل مسكر حرام) هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو انه قال كل مسكر خمر وكل مسكر اى كل ما من شانه الاسكار فهو حرام اى واو قطرة منه والخلاف فى المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشى رحمه الله تعالى فيه تأليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سألوه وقالوا يارسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والتبع واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث مفصل فى شرح مسلم (ووائل ابن حجر) تقدم بيانه (يترفل على الاقيال) يترفل بالراء المهملة والفاء واللام والترفل اصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون فخرا وعظمة فاستعير اوجعل كناية وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفى اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم اعظم فجعل هذا عبارة عن ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعله واليا على امورهم وقبض صدقاتهم قال التجانى اى يتأمر ويترأس وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب آخر له وقد وجهه الى المهاجر بن ابى امية من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المهاجر بن ابو امية ان وائلا يستسعر ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اى هو مستعمل على الصدقات وامير على الاقيال (قال الشاعر * اذا نحن رفلنا امرا ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر * وقد تقدم معنى الاقيال واصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور فى العروض وقوله ابن ابو امية كذا صحت روايته بحكاية اول احواله واشرفها كما يقال على ابن ابو طالب قال التجانى وقريش لا تغير الاب فى الكنية فتجعله بالواو فى احواله الثلاثة وحكاه ابو زيد عن الاصمعى فى نوادره فلبس بلحن كانهم كما يقولون يا زيد فهذه لغة خاصة لكنها مخصوصة بالكنية لم يذكروها (اين هذا من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لانس رضى الله تعالى عنه فى الصدقة المشهور) اين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بون وفرق فان ذاك جاء بلغة اهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المألوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل احد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذى دفعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه لانس رضى الله عنه

حين ارسله فى خلافته الى البحرين وامره ان يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بعضهم وقفه على ابى بكر رضى الله تعالى عنهما و بعضهم رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه كان عند ابى بكر رضى الله تعالى عنه يعمل به وهو الذى سلمه لانس رضى الله تعالى عنه ولما دفعه اليه ختم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخارى فى صحيحه والنسائى وابوداود والترمذى وغيرهم على اختلاف بينهم فى كثير من الفاظه والبخارى ذكره مفرقا فى كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف فى سبب تركه مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف فى كونه من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اومن كلام ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل لاختلاف المحدثين فى الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولافرق بينه وبين غيره من الاحاديث وله طرق مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التى فرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سألها من المسلمين على وجهها فليطعها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم فى كل خمس ذو شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه احكام الزكاة وهو مذكور فى المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفى مزيل الخفاء قيل لم يكتب النبى صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابو بكر رضى الله تعالى عنه هو الذى كتب اليه واجيب بان الدار قطنى ذكر باسناد صحيح رواية هذا الحديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ابوداود عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه فى حياته فعمل به ابو بكر رضى الله تعالى عنه بعده ثم عمر رضى الله تعالى عنه وعلى هذا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مقدر دل عليه خصوص الواقعة اى فى كتابه الذى كتبت نسخته لانس رضى الله تعالى عنه لما فى صحيح البخارى ان انسا حدث ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف رحمه الله بين وجه التباين فقال (لما كان كلام هؤلاء) الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش واهل نجد واهل الحجاز والهمدانيين والنهديين اوالى الاخيرين لقربهم (على هذا الحد) اى على هذه الصفة قال الراغب حد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه (وبلاغتهم على هذا النمط) اى على هذه الطريقة (واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم) يعنى ان استعمال هذه الالفاظ مع من هى لغتهم لاتخل بالفصاحة بل هو من اعلى طبقاتها وان كان فيها ماهو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص فى التبيان على ان كلام اهل البادية الوحشى بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعانى قد يوهم خلافه وانه يخل بالفصاحة

مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله فى هذا فصل بديع منه من اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما و يهجنهما ولا تعود من اجله ان تكون اسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن فى ثلاث منازل اولهما ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان تكون للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة ولا يتضع بان يكون من معانى العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال ومايجب لكل مقام من المقال الى آخر مافصله (ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون) اشارة الى انه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع اهلها لانه ابلغ فى الابلاغ وانفع (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث عطية السعدى) منسوب لقبيلة بنى سعد بن بكر وفى العرب سعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدى ويقال عطية بن عامر ويكنى ابا محمد روى عنه اهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال حدثنى ابى ان اباه حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من بنى سعد قال وانا اصغرهم فخلفونى فى رحالهم ثم اتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقى منكم احد قالوا يارسول الله غلام منا خلفناه فى رحالنا فامرهم ان يبعثوا اليه فاتوا الى وقالوا اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فلما رأى قال ما اغناك الله تعالى فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطأة) تمامه ومال الله مسؤل ومنطا وروى يودك وينطى وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه والواقدى فى قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن ابيه قال قدمت على رسول الله وافدا فى نفر من قومى وقد اوطأ رسول الله البلاد الى ان قال ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا له يارسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا واقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما اردنا الانصراف امر بلالا رضى الله تعالى عنه فاجازنا باواقى فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله تعالى الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم واذكاهم فلذا نصحه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (قال) اى عطية السعدى (فكلمنا رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بلغتنا) ورواه السيوطى رحمه الله فى تخريجه فكلمنى ولا تخالفه رواية المصنف رحمه الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم القى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لمخائل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله تعالى عليه بخطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وبعثه اليه وتأميره عليهم والمقام يأباه وقوله بلغتنا اى بلغة بنى سعد لانهم كانوا يقولون انطى ينطى انطاء بمعنى اعطى ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز كونها لغة لهما وقال التلمسانى قيل لغة حمير انط بمعنى اسكت وكتب رجل بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فدخل آخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انط اى اسكت سر السرة واليد العليا اليد المعطية والسفلى يد السائل الاخذة وهى المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك فى حديث آخر وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان او المنفقة بنون وفاء وقاف ويروى المتعففة بعين وفائين اى التى لا تسأل احدا وقيل المنفقة بتشديد الفاء وقيل يد الله تعالى فوق يد المعطى ويد المعطى فوق يد المعطى بالفتح فهى اسفل الايدى والايدى ثلاثة وقيل اليد السفلى الآخذة بسؤال ودونه وما قيل ان هذا لا ينبغى لان الصدقة تقع اولا فى يد الله تعالى ليس بشئ لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسائلة المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاغة واختاره بعض مشايخ الصوفية فيده افضل عند الله قال ابن قتيبة وما ارى هذا الا كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره فى الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبنى على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب او المعنوى من علو الشرف كما قال الشاعر

*اذا كان باب الذل فى جانب الغنا *سموت الى العليا فى جانب الفقر*

والتعبير عن المعطى بالمنفق وذى اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد يكون فوق اذا اخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الاخذ قد يكون سائلا بان يعطى ابتداء والسائل قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغى التطويل بمثله وتحصل فى الحديث ثلاثة اوجه احدها ان معناه يد المعطى ويد السائل بطريق الكناية الثانى ان معناه المنفق والاخذ الثالث عكس الاول والاول اصح رواية ودراية وبقى وجه آخر وهو ان يراد بالعلو ومقابله العلو المعنوى لعلو رتبة المنعم وانحطاط رتبة الاخذ (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم

(فى حديث العامرى حين سئله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) العامرى نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بنى عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا اوفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل واربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا فى الطريق لما رجعا من عنده صلى الله عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه اما اربد فاصابته صاعقة اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات فيه فى بيت امرأة سلولية وسلول قبيلة مذمومة مستر ذلة عند العرب فكان يقول اغدة كغدة البعير وموت فى بيت امرأة سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين واربد اخو لبيد الشاعر وقد هداه الله تعالى للاسلام بعد موت اخيه اربد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله

*الحمد لله اذ لم يأتنى اجلى *حتى اكتسبت من الاسلام سربالا*

وهذا العامرى اسمه عطية توفى فى حدود الثمانين وفى العقد لابن عبد ربه ان اسمه لقيط ابن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه آخر (سل عنك) بفتح العين وسكون النون عن الجارة وكاف خطاب وهذا الحديث رواه ابو نعيم فى الدلائل عن شداد بن اوس ولم ار من صحح لغة بنى عامر هذه وبين وجهها ورأيت فى شرح ديوان الاعشى فى قوله * فاذهبى ما اليك ادركنى الحلم *عدانى هجاؤكم اشغالى* ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف رحمه الله تعالى ثقة واسع الاطلاع لو لم يقف على ان هذه لغة لبنى عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ فان كل احد ادرى بنفسه فاذا امره بسؤاله عنها فكأنه قال له انا اعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع احواله وهذا يدل على المراد بطريق برهانى بليغ (اى سل عم شئت وهى لغة بنى عامر) عم وقع فى بعض النسخ عما بالالف وفى بعضها عم بدون الف والاولى اولى لانها موصولة كما لا يخفى وان اردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال فى ادب الكاتب اذا جرت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت الفها فرقا بينها وبين الموصولة الا بم شئت فان العرب تقول ادع بم شئت فى الموصولة والاستفهامية فان جرت باسم مضاف لم تحذف فى شرح اللبلى اما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب مجئ م ومثل م شاذ وانما حذفت مع الحرف تخفيفا فرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجاء مع بعد وعلى لعدم تمكنهما فالحقا بحروف الجر وقول العرب مجئ م جئت ومثل م انت شاذ انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادف محزه وانه لا يرد عليه شئ مما قالوه وفى شرح التسهيل لابى

حيان ان الاخفش قال فى الاوسط ان انا وقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كانهم حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لاحاجة الى ماقيل ان المصنف رحمه الله تعالى وقف على انهـا لغة لبنى عامر فقد تجانس المفسر والمفسر وماقيل من انه لا وجه لهذه النسخة من قصور النظر وقصر بالاطلاع (واما كلامه المعتاد) اى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى اعتاده فى مجالسه مع قومه واهل ارضه وغيرهم (وفصاحته المعلومة) لكل احد من كلامه (وجوامع كلمه) كما ورد فى الحديث الصحيح اوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اى كلمة جامعة لوجوه الفصاحة والكلم اسم جنس جمعى لكلمة لاجمع ولااسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى من عليه صلى الله تعالى عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القرأن والاصح الانسب بالمقام الاول وقول الهروى معنى جوامع كلمة القرأن جمع الله تعالى له فيه معـان كثيرة فى الفاظ يسيرة وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كذلك عرفت مافيه وقال ابن شهاب بلغنى ان جوامع الكلم ماجمعه الله تعالى له من الكتب التى كانت قبله فى الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله صلى الله عليه وسلم وكمالاته انه كان يتكلم فى محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعانى التى لاحصر لها ومنه ماورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعاء وهو ما يجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة اومايجمع انواع السؤال وآداب المسئلة كما قلت فى قصيدة فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوامع الكلم التى فتحت له سجدت لها البلغاء والاقدام (وحكمه المأثورة) هو من الاثر وهو مايدل على الشئ من آثاره وعلاماته ومنه اثرت العلم اذا رويته اثره اثرا واثارة واثرة اذا تتبعت امره كما قاله الراغب فالمأثورة المنقولة المروية والحكم جمع حكمة وهى الكلمات النافعة فتشمل المواعظ فهى اعم من جوامع الكلم (فقد الف النـاس فيها الدواوين) الفاء جواب اما والضمير للحكم او للمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها فى لغة وقال ابو عمرو انه خطاء ولو صح كان جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقى وفى الاحكام السلطانية الديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية بذلك ان كسرى اطلع عليهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال دوانه اى مجانين ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان بالفـارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع فى الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى ثم سمى به مكانهم واول من وضع الديوان عمر رضى الله تعالى عنه وهو معرب كما قاله الجواليقى واطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يخص بالشعر

لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر (وجمعت فى الفاظهـا ومعانيها الكتب) المراد كتب الحديث المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيـل ان الالفـاظ قوالب المعانى فمتى تجردت عنها كانت مهملة (ومنها مالا يوازى فصاحة) يوازى مبنى للمجهول اى يماثل ويقابل ويساوى من الموازاة وواوه مبدلة من الهمزة يقال ازى الشئ يأزيه اذا حاذاه وفى شرح الكرمانى للبخارى ازيته ولاوازيته يعنى لايقال ذلك فى ماضيه واما المضارع فيجوز ابدالها فيه واوا لانضمام ماقبلها فتدبر (ولايبارى بلاغة) اى لايعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة وراء مهملة بين الفين وانما لم يمكن معـارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففى تعبيره بالموازاة فى الفصاحة وبالمباراة فى البلاغة حسن ولايخفى وجهه فلايرد عليه ان الذى لايعارض هو الكلام المعجز والاعجاز يختص بالقرأن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم) التكافؤ التماثل من الكفوء بالهمزة وهو المثـل اى هم متساوون فى القصاص والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم واميرهم وسوقيهم سواء وهذا كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بالواحد كما فى قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله فلايقتل الجمع بالواحد الاان تواطؤا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد وبهذا الحديث استدل على ان المسلم لايقتل بالكافر لابناء على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح به فى الاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايقتل مسلم بكافر ولاذو عهد فى عهده والقائل بانه يقتل المسلم بالكافر الذمى قال المراد بالكافر هنا الحربى وفى وجه التخصيص كلام للفقهاء والاصوليين وقد افرد هذا الحديث بجزء مستقل وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى عن على كرم الله وجهه وصححوه والى عدم قصـاص المسلم بالكافر ذهب ابو حنيفة خلافا للشافعى وتساوى دمائهم كناية عن التساوى فى القصـاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا امن احد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لايجوز نقضه لاحد منهم وادناهم اقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبى والمرأة واختلف فى امان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان مقاتلا جاز والا فلا والصبى قيل ان امانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون لايصح امانه بلاخلاف ومنهم من استثنى الاجراء والاسراء فى دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله وهم يد على من سواهم

فى النهاية معناه انهم مجتمعون على اعدائهم يعاون بعضهم بعضا فلا يخذله
فجعل ايديهم كانها يد واحدة فى الاتفاق ولذا لم يقل ايدى واليد يستعمل فى القهر
والقوة والقدرة اى هم مستولون قاهرون لغيرهم من اهل الملل فهم فى الاتفاق
باليد الواحدة فهو تشبيه بليغ او استعارة وفى هذا الحديث ويرد عليهم اقصاهم
وتفسيره مذكور فى كتب الحديث (وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط)
مناسبة لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه مثلثة ايضا ويقال
ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا مثل فى تساوى الاخلاق
فهو قريب من قوله تتكافى دماؤهم وهو مثل كذا فى الشروح وهذا الحديث اخرجه
ابن لال عن سهل بن سعد فى مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله
نظيرا لما قبله بان تفاوت الناس فى الاخلاق مقرر فالظاهر ان المراد تساويهم فى
الاحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لا يساويهم فى ذلك او الجمع باعتبار
اغلب الاحكام او المراد تساويهم فى الانساب فانهم كلهم اولاد آدم كما قال الله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى * الى آخره فالمراد نفى ما كان عليه الجاهلية
من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد فى الحديث يا ايها الناس
ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربى وعجمى ولا لعجمى على عربى
الا بالتقوى وفى معناه ما نسب لعلى كرم الله وجهه * الناس فى عالم التمثيل اكفاء *
ابوهم آدم والام حواء * وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم
اعداء * والشعر تمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا (والمرء مع من
احب) رواه الشيخان عن انس رضى الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح يروى
من طرق منها ما سند الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول فى رجل احب قوما ولم يلحق
بهم فقال المرء مع من احب فمن احب الابرار فهو مع الابرار ومن احب الفجار فهو
مع الفجار وفى الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله
فلينظر مع من يخالل وروى من يخال بالتشديد ومصادقة قوله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا وامثاله كثيرة لا تحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد
به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمرأة بطريق التغليب ويحتمل التخصيص
لان المرأة تحشر مع زوجها ولو احبت غيره لله تعالى والمراد المعية فى الحشر ومنازل
الآخرة فيرتقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالى رحمه الله تعالى
هذا لمناسبة روحانية باطنية خفية واسباب لا يطلع عليها كما ورد فى الحديث لو ان
مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو
وقرب دينى لا فى مجرد الاكرام وضده فضلا من الله تعالى لا يعلمه الا الله ولذا قال

فى آخر الآية السابقة ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وان لم يعمل عمل من
احبه ولو كانت المعية فى مطلق الاكرام ناله كل مؤمن صالح وان لم يحب فان قلت
من اخلص محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله
تعالى بدرجة رفيعة لا يصل اليها احد وهذا هو الداعى فمن جعل المعية فى مجرد
الاكرام بقطع النظر عن خصوص المرتبة قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت
ما فيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل
اليتيم كهاتين ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد اطال فى الشرح الجديد هنا
بما لا محصل له على عادته ويجوز ان يراد بكونه معه كونه فى الجنة ولابن حجر رحمه الله
* وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب * فقلت حسبى خدمة المصطفى *
* وحبه فالمرء مع من احب * وقلت انا * وحق المصطفى لى فيه حب *
* اذا مرض الرجا يكون طبا * ولا ارضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى
مع من احبا * (ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له) هو حديث رواه ابن عدى
فى الكامل بسند ضعيف كما قاله السيوطى فى تخريجه واوله كما قال التلمسانى المرء على دين
خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له وروى من لا يرى لك مثل
ما يرى لنفسه قال وروى يرى بالياء والتاء للبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم
الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة اى يكون عنده من الرغبة
والمودة والنفع مثل ما عندك له كما قال ابن الاحنف * اذا كان لا يدنيك لا شفاعة *
فلا خير فى ود يكون بشافع (والناس معادن) رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية
خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ولا رواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطاء منبت الذهب
والفضة ونحوه من عدن بمعنى اقام لاقامة اهله فيه او لاثباته فيه ويطلق على مكان
كل شئ فيه اصله وعلى كل اصل وعلى بيوت العرب يعنى صلى الله عليه وسلم بذلك
ان بنى آدم يختلفون باختلاف اصلهم فمن كان اصله شريفا عقب مثله وسرى طيب
عرقه لفرعه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا الا ترى
ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة خبيثة وضدها كذلك فعروق الحنظل
لا تنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب لا يكون فيه الحديد والنحاس
لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا فى الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك
طاب اصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كابى جهل لعنه الله واحزابه وههنا نكتة
وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن
غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى ان خلقة الانسان وجبلته

خلقت على الكرم والشرف كما قال الله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز فى الاول الكسر ايضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى هو معرفة النفس مالها وما عليها وسمى كتابه فى العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصلة فى كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعنى انها خلقت قبل الاجساد اقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التى هى من قسمة الفتها كما قال ابو نواس

* ان النفوس لارواح مجندة * لله فى الارض بالاهواء تأتلف *

* فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف *

(و) من جوامع الكلم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ماهلك امرؤ عرف قدره) قال السيوطى قال السمعانى رحمه الله تعالى انه حديث روى مسندا عن على كرم الله وجهه وفى سنده من لا يعرف حاله وقال التجانى لا اعرف له سندا صحيحا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام اكثم بن صيفى فى وصيته فان ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلعله تمثل به واكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم فى الصحابة والاكثر على خلافه وفى كتاب جوامع الكلم وبدايع الحكم هو من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره مسندا يعنى ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق جده هلك وهو ظاهر (والمستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم) المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب اى طلب رأى من يشاوره وسيأتى ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الافصح فتحها وضم الشين وكلاهما جائز بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه باراه الصواب كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها لعرض امره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه اودعه سره وما خفى من امره وجعله امانة عنده فعليه ان يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت واجبة عليه فى الحروب تشريعا لامته وتطييبا لقلوب اصحابه كما قيل

* شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل *

* فالله قد اوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل *

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث اخرجه

احمد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه اى فليجهد فى رأيه وتفكر فى الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث ابى هريرة رضى الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (و) من جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم) هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه والديلمى عن انس رضى الله تعالى عنه لكنه رواه رحم الله امرأ بدل عبدا والعسكرى ايضا رواه عبدا مرفوعا عن انس ايضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقى فى الشعب والخرائطى فى الاخلاق اما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم فى الدنيا وقوله اى سكت اى عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى (واسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين) من حديث رواه الشيخان فى كتابه الذى كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل ملك الروم وروى اسلم تسلم واسلم يؤتك الله الى آخره وهو ظاهر وعلى الاول فالثانى بدل مما قبله او جواب بعد جواب او مجزوم بجازم مقدر وفيه من البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله اجرين اجرا باتباعك عيسى عليه الصلوة والسلام وايمانك به واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه افضل الصلوة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد فى حديث آخر ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين فذكر منهم رجل امن اهل الكتاب امن بنبيه وادرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فامن به الى آخره بخلاف المشركين وكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل كان فى سنة ست حين هادن قريشا وقيل فى سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين الى آخره وهو مذكور فى الصحيحين مشروح فى شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تليينا لقلوبهما فى اول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير

* وارض هرقل قد قهرت وداهرا * ويسعى لكم من آل كسرى النواصب *

وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمى وهو علم

ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كامر ولم يقل ويؤتك بالعطف لتكرار اسلم لفظا اوتقديرا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام ومناسبة لكون اجره مرتين وليكون له اجرين ايضا اوالامر الاول للدخول فى الاسلام والثانى للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضى الله عنه وهو بحمص فى المحرم سنة سبع فلما قرأه كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انى مسلم ولكنى مغلوب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه آمن قال ابن عبد البركيف هذا وقد قاتل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بتبوك وواعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فى العام المقبل فنزل النبى صلى الله عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم اخذت البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالملك مع انه اعترف بانه مغلوب والمغلب المغلوب معزول عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى ففى هذا اخبار بالغيب فان قلت قوله تعالى * اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت فى اهل الكتابين التوراة والانجيل وهو فى النصارى صحيح واما فى اليهود فلا اذ لايوجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم قلت قد ثبت انها نزلت فى عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه ممن اسلم من اليهود واستمر قبل ذلك على دين اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلوة والسلام فقيل انهم لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه يوجرون عليه وان كان دينهم منسوخا واما القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه الصلوة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث لبنى اسرائيل خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ واما القول بانها نزلت فى كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان يؤول بانها نزلت فى امثاله ممن امن من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرمانى رحمه الله تعالى ان هذا مخصوص بمن امن به صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصره لان من بعده ينسخ دينه و بلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من اسلم من اهل الكتاب لمامر و به افتى الامام البلقينى فلا اشكال (وان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون و يؤلفون) هذا ايضا من جوامع كلمه صلى الله تعالى عليه وسلم و بدايع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود وجابر رضى الله تعالى عنهما ورواه الطبرانى وزاد فيه وان ابغضكم الى وابعدكم منى مجالسا يوم القيمة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المساؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص واحب افعل تفضيل من المبنى المجهول وفعله ثلاثى لانه يقال حبه بمعنى احبه فهو محبوب وان كان

قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع فى الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة و نسبة القرب لها كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فى الموقف واحاسن جمع احسن افعل تفضيل وجمع لمطابقة ماهوله وهو المضاف اليه واستدل النحويون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لايطابقه لافراده احب واقرب وجمع احاسن بخلاف ما اذا اضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير ولاحاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا فى كلامهم كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب بحسن الخلق فى الجملة والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطؤن بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة و بعدها همزة مضمومة جمع موطأ اسم مفعول وقال البرهان الحلبى انه فى الاصل الذى وقف عليه بفتح الطاء من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وسهولة من التوطئة وهى التمهيد والتذليل يقال دابة وطئة اى لاتحرك راكبها وفراش وطئ لايؤذى جنب النائب عليه وهو فى الاصل على طريق التمثيل والاستعارة كانه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريد به مامر والاكناف جمع كنف بزنة جبل وهو الناحية والجانب اى من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجأ اليه و يعتمد عليه والاول انسب بما بعده من قوله الذين يألفون و يؤلفون اى الذين يألفهم الناس و يألفونهم من الالفة بالضم وهى الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لايعنى مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الماء وكذا المتفيهق وهو متفيعل من الفيهقة من فهق الغدير يفهق بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلفون فى كلامهم بفتح اشداقهم كما قيل * تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا ابالك اشدق * وورد فى هذا الحديث ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه تدعوه حاله الى التكبر وفى التقريب الفهق الاتساع وكل شئ توسع فقد تفهق وانشد المبرد * تفهق بالعراق ابو المثنى * وعلم قومه اكل الخبيص * وفهق الغدير يفهق فهقا وفهم الرجل بالكلام امتلأ انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع الكلم فقال (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله كان يتكلم بما لايعنيه و يبخل بما لايغنيه) هذا حديث صحيح روى من طرق بعضها موافق لكلام المصنف رحمه الله تعالى و فى بعضها مالاينقص وفى بعضها مالايضره وضميره راجع للرجل المذكور فى اول الحديث الذى رواه البيهقى عن انس رضى الله تعالى عنه فى الشعب ان رجلا من الصحابة استشهد باحد فقالت له امه يابنى ليهنك الشهادة

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها ومايدريك لعله الخ واخرج الترمذى من حديث حفص بن غياث عن الاعمش عن انس رضى الله تعالى عنه قال توفى رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اولاتدرون فلعله قد تكلم بمالايعنيه او بخل بمالاينقصه واخرجه البيهقى من هذا الوجه ايضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى رحمه الله تعالى ومعناه انه لاينبغى ويبشر بالجنة الامن لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه وفيه نهى عن التكلم بما لايلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم لذكر الله تعالى عز وجل وتلاوة القرأن واذا نهى عن هذا فمابالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل بما لايغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وبين يعنيه ويغنيه تجنيس والبخل ترك البذل منه ومنع العطاء اللازم كالزكوة والنفقة على من تلزمه نفقته او المستحسن مروة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غيرظاهر وكان الظاهر ان يقال بمالايحتاج اليه كمافى الرواية الاخرى لايضره ولاينقصه فعدل عنه لانه ابلغ فهو كناية عماذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى او المراد مالاغناء له عنه والبخل صفة ذميمة لاتعقب الا الخسارة كماورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث او وارث وقال الشاعر كامر يغنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث وللوارث مايدع * كدودة القز ماتبنيه يهلكها * وغيرها بالذى يبنيه ينتفع * (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها) هذا حديث رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين وذو اللسانين فى النار فيقال له ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال * وكم من فتى يعجب الناظرين * له السن وله اوجه * واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه جناس اشتقاق كقوله تعالى * فاقم وجهك للدين القيم * وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين او على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له وجهان يأتى هذا بوجه وهذا باخر كما قالوا اخرج بوجه واتى بوجه غيره والوجيه الذى له قدر ومنزلة والمراد بكونه لامنزلة له عند الله تعالى انه لايرضاه ولايحبه لقباحة فعله امالو فعل ذلك لاصلاح ذات البين وازالة ضغائن القلوب ونحو ذلك فهو امر حسن ليس داخلا فيمامر وقال النجانى ذو الوجهين هو الذى يأتى كل قوم بمايرضيهم خيرا كان او شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضاء كل فريق منهم ويظهر انه معه وان كان ليس كذلك باطنا وروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه

وسلم انه قال ان من شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم وعن انس رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين فى الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة (ونهيه عن قيل وقال) هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة ابن سهم وفيه ثلاثة اوجه فقيل القيل والقال مصدران بمعنى القول وقيل فعلان احدهما مبنى للمجهول والثانى غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسماء وينون ومنه تعلم ان نقل الجمل يجرى فى غير الاعلام كما صرح به المرزوقى وذكر له نظائر هذا مايتعلق بلفظه واما معناه فالنهى عن كثرة الكلام لمايؤل اليه من الخطاء وكونهما بمعنى لاوجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثانى عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثانى عن الجواب فالمعنى انه نهى عن كثرة البحث والجدال فى الدين وغيره مما لايلزم وقيل انه نهى وزجر عن كثرة الكلام مبتديا ومجيبا (وكثرة السؤال) اى سؤال الناس مابايديهم استعطاء وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذى ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه او السؤال عن اخبار الناس واحوالهم قيل وهذا يغنى عنه قوله عن قيل وقال او السؤال عن المشبهات والبحث عنها والتكلف فى تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهى عن ذلك او المراد نهيهم عن سؤال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن امور لايؤذن فى السؤال عنها كما قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو اريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة واجيب بان كثرته بضمه لما اذن فى السؤال عنه وهذا يتضمن النهى عن احدهما لان النهى عن مجموع امرين احدهما هو المنهى عنه فى نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة يتضمن النهى عن خصوص ذلك المنهى عنه ولايخفى مافيه من التكلف لادعاء امر لايدل عليه اللفظ (واضاعة المال) باى طريق كان سواء كان ماله او مال غيره كالانفاق فى الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع مال السفيه له والاسراف فيما لافائدة فيه كل ذلك منهى عنه وعد من اضاعته حبسه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

* وما ضاع مال اورث المجد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع *

* ومن هان عليه المال توجهت اليه الامال * ومن بسط راحته انس ساحته *

وكما قلت * وتكرم نفس المرء ان هان ماله * وكل كريم النفس فهو كريم *

وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكى رحمه الله تعالى فى فتاواه الضابط فى اضاعة المال ان لايكون لغرض دينى او دنيوى فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل حرمة مامر اذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى * ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة * (ومنع وهات)

منع منون مجرور ويجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب
او يستحسن او مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية اى طلب ما عند غيره
وسؤاله وهو فعل امر اصله آت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل رحمه الله
تعالى وعليه اكثر النحاة (وعقوق الامهات) العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم
ضد البر من العق وهو القطع والامهات جمع امهة وهى الام واصل الام امهة
لجمعه على امهات وتصغيره على اميهة وقد جاء اصله من المضاعف لقولهم امات
واميمة وقال بعضهم اكثر ما يقال امات فى البهائم ونحوها مما لا يعقل وامهات
فى الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكبائر لانهن اكثر حقا
وشفقة على الولد ولذا لما سئل سائل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احق
الناس بحسن صحابتى قال امك قال ثم قال من قال امك ثم قال من قال امك ثلاثا ثم قال
من قال ابوك وهو حديث صحيح وايضا لما لم يكن للنساء تلك الحرمة خصهن
ليحثهم على برهن وينبه على ما يجب لهن قيل ومنه يؤخذ انه اذا اعطى والديه
شيئا يزيد عطية الام على الاب واكثر العقوق يكون لهن وقال حكمة الثلاث
فى الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب الجمهور الى انها تفضل على الاب
فى البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية بينهما والاول اصح (ووأد البنات)
الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة واصله الصوت الشديد وهو دفن
البنات فى حياتهن اما انفة وغيرة من النكاح او خوفا من الفقر والمدفونة حية
حالة الدفن تصيح غالبا وما فى الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح
عليها من التراب فيؤدها اى يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف
مادتيهما فان مادة الاول وأد والثانى اود والاختلاف معنييهما كما بينه اهل اللغة
وادعاء القلب لاحاجة اليه وكان هذا فى الجاهلية واول من فعله قيس بن عاصم
التميمى فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل اولاده مطلقا وكان مصعب
ابن ناجية جد الفرزدق منع الواد فى الجاهلية كما قال وجد الذى منع الوادات
* واحيى الوئيد فلم يوئد * وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم
من يحفر حفيرة تلد المرأة عندها فان وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القتها
فى الحفيرة وردم عليها التراب فان لم تفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها ابوها
لبير ورماها فيها بعد ما طلبتها امها وزينتها وفى الجاهلية من نهى عن ذلك
كزيد بن عمرو ابن نفيل فلما جاء الشرع ابطل ذلك كله وقد جعلوا العزل وأدا خفيا
وهى الموؤدة الصغرى ووجهه ظاهر او هو حرام او مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء
ثم نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن تلك الثلاثة الاول فى هذه الامور الستة نهى
كراهة وعن البقية نهى تحريم لكن ليس بصيغة النهى بل بمقتضى الحديث

الآخر الصحيح وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق
الامهات الى آخره وبقى كلام زائد على مقتضى المقام (وقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم اتق الله حيث كنت) وفى نسخة الدلجى حيث ما كنت وهذا الحديث رواه
احمد والترمذى والحاكم عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه ولا فرق بين الروايتين معنى
لان ما زائدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصى ولها مراتب فصلها
القاضى فى اول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم
اى فى اى مكان واى حال وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى
فى جميع الازمنة اعم منها فى جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه
روى بحذفها ايضا والامر لراويه او لكل من يقف عليه ليعم كل مأمور وباعتباره افرد
الضمير كما فى قوله تعالى * ولو ترى اذ وقفوا على النار * ولنا فيه كلام ليس هذا محله
(واتبع السيئة الحسنة تمحها) هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذى
وقال انه حديث حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة
لها اى واقعة بعدها بحيث يقرب منها وفى معنى الحديث قوله تعالى * ان الحسنات
يذهبن السيئات * ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكانها
لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله فى الحديث الصلوة الى الصلوة كفارة لما عدا
الكبائر وقالت المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض المعتزلة المراد
ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا اصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته
والمعنى انها تمحى من كتاب اعماله وتمحها مجزوم فى جواب الامر ولا يخفى ان هذا
مقيد بغير حقوق العباد اما هى كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من
قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقالوا ينبغى ان يكثر من الاستغفار
والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه
فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل فى كتاب المكفرات
للسيد السمهودى رحمه الله تعالى وقوله (وخالق الناس بخلق حسن) قد علمت انه
من تتمة ما قبله وخالق امر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم
بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل او هو على اصله
بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة
التى طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد
والمراد حسن خلقك مع الناس اى عاملهم بطلاقة وخير الخواطر وكف الاذى فان
ذلك مؤدى لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت

* اذا رمت ان تحظى بعز وهنا * فاجتنب الناس وكن عنهم غنى *
* وان تخالطهم فكن ذا عفة * وخالق الناس بخلق حسن *

(وخير الامور اوسطها) لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذمومان والمحمود منها ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين فى علم الاخلاق وبه ورد التصريح فى الحديث الذى رواه العسكرى عن الاوزاعى بسنده وهو ما من امرئ امر الله تعالى به الاعارض الشيطان فيه بخصلتين ايهما فعل اصاب الغلو والتقصير وروى ابو يعلى بسند عن وهب ابن منبه ان لكل شئ طرفين ووسطا فاذا امسك باحد الطرفين مال الآخر واذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشياء ويشهد له قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا * اى بين غلو النصارى وتفريط اليهود قال الشاعر

* عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا *

وقال الحريرى * حب التناهى غلط * خير الامور الوسط *

وقال * خير الامور عندنا الاوساط * ويكره التفريط والافراط *

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل فى امور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها الا ترى الى قولهم اخو الدون الوسط وقولهم ابقل من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما فى الروض الانف وهذا الحديث اخرجه السمعانى فى ذيل تاريخ بغداد عن على كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم وابن جرير فى تفسيره عن مطرف ابن عبد الله و يزيد بن مرة الجعفى وكذا اخرجه البيهقى بلا سند وذكره الديلمى بلا سند عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه دوموا على اداء الفرائض فخير الاعمال اوسطها و يناسبه قوله (احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما) وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون فى المشى وهو الرفق واللين فارشد صلى الله تعالى عليه وسلم المتحابين الى الاقتصاد فى المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين الذين بينهما عداوة لا ينبغى لهما المبالغة فى العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وتغير اقوالك وافعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراط وقد فسره به اهل اللغة قال فى النهاية اى لا تسرف فى الحب والبغض فعسى ان يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فتندم وتستحيى فدخل هذا الحديث تحت ما قبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تملأن قلبك بمحبة شئ ولا تستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يقلب وقال بعض العرب

* واحبب اذا احببت حبا مقاربا * فانك لا تدرى متى انت نازع *

* وابغض متى ابغضت غير مباين * فانك لا تدرى متى انت راجع *

و بين علته ابن الرومى بقوله

* احذر صديقك مرة * واحذر عدوك الف مرة *

* فلربما انقلب الصديق * فكان اعرف بالمضرة *

(فان قلت كيف يدل هذا على الوسط وقد قالوا ان ما يدل على التقليل سواء قلنا انها زائدة او اسما على ما فصله المفسر فى قوله تعالى * مثلا ما بعوضة * وهى هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها (قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى وقيل انها تفيد تقليل الوسط والحب اذا كان على وجه التوسط فى القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى ومن الجائز ان يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين و بعدا منهما وعدم قرب و بعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ويعنى به التوسط التام كما يعنى بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق انه لا تقليل فيها وانما المراد اى هون كان وما فى ذلك للتأكيد كما فى الآية والتقليل لو سلم يفيده تنكير هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما قال السيوطى اخرجه البخارى فى الادب والترمذى عن ابى هريرة وقال النجانى الاكثر على انه من كلام على كرم الله وجهه ورواه الحسن بن ابى جعفر مسندا عن على رضى الله تعالى عنه يرفعه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذى الاصح انه موقوف على على وذكر الترمذى ايضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال واراه رفعه وهو غريب لا يعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعى فى الشهاب ورواه الماوردى مرفوعا فى ادب الدين والدنيا وكذا الغزالى فى الاحياء ورواه فى مسند الفردوس (والظلم ظلمات يوم القيمة) الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال ولم تظلم منه شيئا ان لم تنقص منه شيئا وارض مظلومة اى لم تمطر فكانها نقصت عن غيرها والمراد به تعدى الحدود سواء كان فى حق او فى غيره وتعريفه يراد به العموم وافرد الظلم وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع بالجمع او اشارة الى ان الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظاعته وقال ابن الجوزى ان من ظلم نفسه او غيره نشأ ذلك عن قسوة قلب ثم يعقب ذلك تعديه ومبادرة ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلم اما حقيقة حسية كما ان المؤمن المطيع له نور فى يوم القيامة قال الله تعالى * يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم * الآية ومنهم من حمل الظلمة على الاهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر * اى شدائدهما ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث صحيح اخرجه البخارى وترجم له

اواسنده الى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ورواه كما رواه المصنف الظلم ظلمات يوم القيامة ورواه مسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم و بذلك علم ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من حذف ان رواية فيه فلايقال انه اخل بلفظه اووقع على رواية فيه غيرمشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها مبالغة (وقوله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى دعائه) اى فى بعض دعواته المأثورة وقد جمع العلماء ادعيته فى كتب مستقلة من وقف عليها رأى فيها من هذا النمط امورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته (اللهم انى اسألك رحمة من عندك) وفى رواية عن المصنف رحمة بدون قوله من عندك والاولى هى المذكورة فى الترمذى وعند اذا اضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله تعالى * وكان عنده به مرضيا * و يكون بمعنى الحكم نحو * وكان عندالله عظيما و بمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو قالت هو من عندالله و بهذا فسره البرهان هنا اى اطلب منك احسانا بمجرد فضلك لافى مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة اى اسألك رحمة تقربنى اليك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذلايجب عليه شئ فقوله من عندك لبس معناه لافى مقابلة طاعة لاشعاره بان ماكان فى مقابلتها لبس بمحض الفضل فذلك نسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم انتهى ولبس بوارد لان مافى مقابلة العمل لبس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل مخصوص منه ايضا وقيل معنى العندية عموم نفعها وجدوها بدون وسايط كونه وهو تكلف لايساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام اوارادته كما حقق فى محله (تهدى بها قلبى) اى تدله اوتوصله الى مايقربنى من حضرة قدسك لاشاهد نفحات انسك (وتجمع بها امرى) اى تنتظم بها امورى وشانى حتى لايكون لها تشتت (وتلم بها شعثى) اى تلم برحمة من عندك وتجمع ماتشعث وتفرق من امرى وهو كالتفسير لماقبله قال الجوهرى الشعث انتشار الامر يقال لم الله تعالى شعثك اى جمع امرك انتهى واصله انتشار الغبار فى الهواء (وتصلح بها غائبى) بالغين المعجمة والباء الموحدة فسره بباطنى اى ماخفى من امورى عنى وعن غيرى وقيل المراد قلبى وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد (وترفع بها شاهدى) اى ظاهرى من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل لقوله غائبى وبينهما صنعة الطباق وقيل اريد بهما الدنيا والآخرة ورفعها اى جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الآفات

وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الآفات وعصمته من البليات وقد دل صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله (وتزكى بها عملى) اى برحمة وتفضل منك تجعل عملى كله مباركا مقبولا سالما مما ينقصه كالرياء اوهو من تزكية الشهود اى تجعله ممدوحا هما متقاربان (وتلهمنى بها رشدى) الالهام ايقاع الخير فى القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد فى اسماء الله تعالى هو الذى يرشد عباده لمصالحهم و يدبره (وترد بها الفتى) بضم الهمزة وكسرها و سكون اللام وفتح الفاء يليها تاء التأنيث وياء متكلم مصدر بمعنى المفعول اى ماكنت الفه كالاليف ما تحبه وتريد اجتماعه وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته واقرباؤه واهل جلدته فدعا الله ان يألفهم و يهديهم الى الاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته اى جمع بينه و بينها وقيل المراد حالة التى كان عليها فى عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد (وتعصمنى بها من كل سوء) اصل معنى العصمة المنع والحماية اى يصوننى و يحفظنى مما يسوءنى والباء فى المواضع كلها سببية وزاد التجانى هنا اللهم اعطنى ايمانا و يقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة (اللهم انى اسألك الفوز فى القضاء) و روى فى العطاء والفوز النجاة والظفر القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى فى اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضاء انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم حيز الوجود وهو الصحيح لانه قد جاء فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط فاسرع المشى حتى جاوزه فقيل له انفر من قضاء الله فقال افر من قضائه الى قدره ففرق بين القضاء والقدر و بين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى ما يضره قاله البطليوسى فالمعنى انه سأل الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره اوعليه معلقا على امر وقوله (ونزل الشهداء) النزل بضم النون والزاى وتسكن وهو مصدر جعل اسما لمايعد للضيف اذا نزل من القرى والكرامة زاد ما لارواحهم فى البرزخ ولهم فى الجنان من الاكرام والرزق والثواب وقد فاز صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع مالاعين رأت ولا اذن سمعت (وعيش السعداء) اما ان يريد بالعيش الحيوة بان يكون سعيدا فى الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه فائزا بكل شئ يتمناه اوفى الآخرة بان يحييه حيوة مخلدة منعما فيها بما يليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى * واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها * الآية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش اصل معناه الحياة والسعداء جمع سعيد ضد الشقى و بعده فى الدعاء ومرافقة

الانبياء (والنصر على الاعداء) اى الانتصار عليهم وغلبتهم والاعداء جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم انزلت بك حاجتى ياقاضى الامور وياشافى الصدور كما تجير من البحور ان تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وماقصر عنه رأيى وماضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى اوامنيتى من خير وعدته احدا من عبادك اوخيرانت معطيه احدا من خلقك فانى ارغب اليك فيه واسئلك يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غيرضالين ولامضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولاحول ولاقوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ماتريد سبحان من تفرد بالعز وقال به سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لاينبغى التسبيح الاله سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى القدرة والكرم سبحان ذى الجلال والاكرام سبحان الذى احصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم اعط لى نورا واجعل لى نورا انتهى وقوله اعط لى باللام لمشاكلة اجعل لى فلاوجه لماقيل اعطنى لانه لايتعدى باللام ان صحت الرواية فى رواية اللهم اعظم لى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا وماوقع فى هذا الدعاء من السجع لاينافى ماقيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكرهه لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ماجاء من غير تكلف فلا بأس به وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهم براء امنه فمجيئه منه كتكلمه بالنظم المنزه عنه اماصدوره منه احيانا وان التزم كماهنا فغيرمكروه كماورد فى القرأن ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم اشار الى ان ماذكره قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غيره فاضف ماذكر (الى مارونه الكافة عن الكافة) ذرواه كثيرمن الناس لايحصون فكافة وان كان بمعنى جميع لانه اسم فاعل اومصدر كالعافية والفاتحة فى قول من كف اذاجمع اطرافه اومن كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه اريد به الكثرة كماوردت كل كذلك كثيرا اذ لم يروه جميع الناس ولاجميع المحدثين لكنه لماشاع وذاع فكانه كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لاتثنى ولاتجمع ولاتطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك فى كلام الله تعالى ولا كلام

العرب ووهموا من استعملها على خلاف ذلك كابن نباته فى خطبه وصاحب الكشاف فى كشافه وفى قوله فى خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها فيما لايعقل واما قول الجوهرى الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح هنا فانه لبس مما نحن فيه (اقول هذا وان اتفقوا عليه لاوجه له رواية ودراية اما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا فى معنى وضعته له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولوقلنا بذلك لادى الى التضييق على الناس فى استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحوه لحن كماقاله الحريرى لاوجه له واما الثانى فلانه روى عن عمر رضى الله تعالى عنه استعماله فى كتابه لبنى كاكلة المروى عند رواية ثابتة وعن على كرم الله تعالى وجهه فى ذلك ايضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان اردت تفصيله فانظره فى شرحنا لدرة الغواص وقوله (من مقاماته ومحاضراته) بيان لما فى مارونه والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحهما وهى اسم لمكان القيام وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق المكان كقوله * وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب قبورهم * أطيب ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموهم مجالسا فى قوله * واستب بعدك ياكليب المجلس * وزادوا فى التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامه كمقامات البديع والحريرى ومثله من التجوز كثير ومنه تعلم ان المجاز على المجاز لاتقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه فى مجالسه وخطاب امته صلى الله عليه وسلم فى حال حكمه وحروبه ولايختص بالخطب لكونه يخطب قائما لذكره لغيره وان كان المقام مقام خطبة يغتفر فيه الاسهاب ولما اريد به هنا الكلام وقع بيانا لمارونه الكافة عن الكافة والمحاضرات جمع محاضرة لامحضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة اصل معناها كما قاله الجوهرى من حاضرته اذا جاثيته اى جالسته عند السلطان وهو كالمبالغة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعنى انها مفاعلة من الحضور عنده اومن الحضر بالضم لمعناها مجاراة الجليس جليسه فى الكلام بان يتكلم بماعندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو فى ذلك معك فالمراد مصاحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصحابه احيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سلفت ونحوها مباسطة ولاملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب (وخطبه) جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذاتكلم بكلام فى امر مهم سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع ام لا وهى معروفة (وادعيته) جمع دعاء كوعاء واوعية وهى سؤال الله وتوجهه

اليه فيما يهمه (ومخاطباته) اى توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق (وعهوده) اى كلامه
اذا اخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما فى كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد
وصاياه (مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لايقاس بها غيره) انه بتقدير فى انه
لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اولما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما اوللعلم بهما من سياق
كلامه ونزل منزلة ومرتبة اى حل محلا عاليا ووصل الى حد لايصل اليه غيره والمنزلة
تستعمل فى الشرف والتاء للنقل وفى بعض النسخ مرقبة بالقاف اى محلا عاليا من
شانه ان يرقبه فيه ويطلع على احوال غيره وقوله لايقاس الى آخره اى لايساويه
غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوللكلام والقياس
يتعدى بالباء وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما فى القاموس والاساس وفى حواشى
العضد للابهرى القياس تقدير شئ باخر وعدى بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما
فى القاموس مع ان تعدى البناء بعلى فيه كلام فى حواشى تهذيب المنطق واما تعديته
الى فى قول المتنبى *بمن اضرب الامثال ام من اقيسه* اليك واهل الدهر دونك والدهر
فلتضمنه معنى معنى الضم والجمع كما قاله الواحدى (وحاز فيها سبقا) حاز بالحاء المهملة
والزاء المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون
الباء الموحدة مصدر سبق واما السبق بفتحها فيجعل من المال للمراهنة فى المسابقة
اى ماتوعد باعطائه لمن سبق غيره وهو اولى هنا فكانه قال تحقق سبقه اخذ وفاز
بما بعد للسابقين واما السبق فى قول صدر الشريعة حفظته سبقا وسبقا فالورد
المعين لحفظ الاطفال وهو مولد مأخوذ من هذا (لايقدر) بضم المثناة التحتية
وفتح الدال المهملة المخففة مبنى للمجهول (قدره) بسكون الدال اى مقداره اى
سبق كثير لايلحقه فيه احد ولايعرف حقيقته كما فى قوله تعالى وما قدروا الله حق
قدره (وقد جمعت من كلماته صلى الله تعالى عليه وسلم التى لم يسبق اليها) ضبطه
الدلجى وتبعه الشارح الجديد بالبناء للمفعول وسكون تاء التأنيث والجار والمجرور
نائب الفاعل ومن للتبعيض اى جمع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها ولم يتكلم بها
غيره صلى الله تعالى عليه وسلم اومن زائدة وكلماته نائب الفاعل الا ان فيه زيادة
من فى الاثبات ومدخولها معرفة اونائب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق
وهذا كله تكلف حملهم عليه انه روى كذا والفعل المجهول لايؤنث اذا كان
نائب فاعله جار ومجرور مؤنث فلا يقال اخذت من هند وعدوا مثله خطأ لكن
ابن جنى رحمه الله تعالى قال فى اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ فى الشواذ
فى قوله تعالى ان تعف عن طائفة فخطأ صاحب التلخيص فى قوله صوحبت
معها لم يصب وسيأتى وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نائب الفاعل ما الموصولة

فى قوله مايدرك الناظر ولوقرئ بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز (ولا قدر احد
ان يفرغ فى قالبه عليها) قدر بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية
وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو صب المايعات فى ظرف وقالب
بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب
وقيل انه غير صحيح والقالب مايصب فيه مايذاب من الجواهر كالفضة ليصاغ ففيه
استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئته صياغته
واثبت له القالب تخييل وعليها بتقدير على هيأتها اوان تحاكى وفيه من البلاغة والمبالغة
مالايخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعانى قال الجاحظ استعمل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم التوسط وهجر القريب ورغب عن الهجر فلم يأت الا بكلام
حق وسدد بالتأييد مع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه
(كقوله حمى الوطيس) هذا حديث مروى عن العباس رضى الله عنه ورواه مسلم
والبيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما وانه قاله صلى الله تعالى عليه
وسلم يوم حنين وقيل انه اول ما قاله باوطاس فى التعبير به مناسبة لفظية متضمنة
لبلاغته وابداع اى اشتد الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة يليها مثناة
تحتية وسين مهملة وهو التنور اوشئ يشبهه وقد فسره بضراب الحرب اراد المعنى
المجازى وقيل هو الوطئ الشديد الذى يطس الارض اى يدقها وقيل حجارة مدورة
اذا حميت لم يقدر احد ان يطأها وقيل ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبى صلى
الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمى اى
اتقد وقد حماه اذا سخنه وهى عامية وهو طرف من حديث طويل فى مسلم ورماهم
بحصى فانهزموا فان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة (ومات حتف انفه)
اى من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كانه سقط على انفه
فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من انفه
وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبى صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا
بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فى الذى يخرج مجاهدا فى سبيل الله ان لسعته دابة اواصابه شئ فهو شهيد
ومن مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال
عبد الله ابن عتيك فوالله ما سمعت قوله حتف انفه من احد من العرب قبل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا بين المصنف رحمه الله تعالى كلامه وعدها
من كلامه الذى ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض اهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت
بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه فى المصباح واستدلوا بقول السموأل

*وما مات منا سيد حتف انفه * ولا طل منا حيث كان قتيل*

واجيب بان هذه القصيدة اختلف فى قائلها فقيل هو السموأل وهو شاعر جاهلى

وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هي ومامات مناسيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله تعالى عليه وسلم لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي اخذها من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كقول عبيد ابن عمر التابعي مامات من السمك حتف انفه فلا تأكله اي ماطفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته اوانه لم يسبقه احد من اهل زمانه ولم يسمعه من غيره فتأمله (ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) هذا حديث صحيح رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها من تقديم المؤمن وهو من الامثال النبوية وفي كتاب بن مسكويه المسمى بجاودان خرد الذي جمع فيه حكم اليونان ان من امثالهم لا يرمى العاقل بحجر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا ادخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة اخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني ان المؤمن الفطن لا يخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في امر دنياه وآخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحاء ساكنة مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي عزة الشاعر وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسر مرة فقال ني محتاج ذو بنات فمن عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واطلقه بغير فداء واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا فقال يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

* من بلغ عني الرسول محمدا * فانك حق والمليك حميد *

وانك امرء تدعو الى الله والهدى * عليك من الله العظيم شهيد

* وانت امرء بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود *

* فانك من حاربته لمحارب * شقي ومن سالمته لسعيد *

ثم نقض عهده واتى مع الكفار لحربه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ ايضا باحد فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غلبت فاقلني فلم يفعل وقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وامر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين اريد به التكرار كقوله تعالى * فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين * لكنه اقتصر على الاقل لانه انسب بالحزم فكان مخارا باشقيا كما قال في شعره والفال موكل بالمنطق ولما فيه من الميل للحلم جرد من نفسه مؤمنا يقظا منتقما لا ينخدع لغادر متمرد وانتقم صلى الله تعالى عليه وسلم منه ولم يعف عليه فان غضبه لله يأبى الحكم كما قيل

*ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا*

وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم يغضي عن امور كثيرة ويتغافل عنها في مقام آخر كما قال ابو فراس

*ليس الغبي بسيد في قومه *لكن سيد قومه المتغابي*

قال التجاني وما وقع في شعر ابي عزة من مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتصريح برسالته ليس له مخرج الا ان يكون قصد به خداعه (والسعيد من وعظ بغيره) المراد بالسعيد المبارك المرضي عند الله تعالى والناس والوعظ ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب اي من نصحته الحوادث النازلة بغيره فذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن يوعظ به غيره فهو شقي وابلغ من هذا وان كان معنى آخر ما ورد في الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردي باعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر *لا تنته الانفس عن غيها *ما لم يكن منها لها زاجر (وفي معناه قلت) *الزهد في الدنيا وترك الهوى * عن كل امر ضائر حافظ *

* ومن يرد خيرا به ربه * كان له من نفسه واعظ *

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فيه الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من اتعظ بغيره والسعيد سعيد في بطن امه واخرجه العسكري مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليس من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كما توهم وانما تمل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشيخه العراقي وقوله (في اخواتها) جمع اخت اي في الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا اخو هذا لمشابهته مؤاخاة لغلبة التشابه بين الاخوات فهو استعارة او مجاز مرسل وفي بمعنى مع كقوله ادخلوا في امم اوهي على اصلها كان اخواتها لكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالظروف ففيه استعارة وهي في الحقيقة اكثر من ان تحصى كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في المنبت السوء وغيره مما لا يحصى وقد افرد بالتأليف وذكر الشارح الجديد منها جانبا فيه وفي شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا اضربنا عنه صفحا (ما يدرك الناظر العجب في مضمنها) قيل ما نائب فاعل جمعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وانث رعاية لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله او الناظر فاعل والعجب مفعول ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول اي ما تضمنته من المعاني البديعة والتراكيب العجيبة اي يتعجب في ذلك كل من رآها وفي نسخة مضمونها (وتذهب به الفكر في ادنى حكمها) اي يذهب بالناظر فكره في اقلها واقل ما تضمنته من الحكم فالضمير

فى به الناظر وادانى جمع ادنى بمعنى اقل عددا اوكلما ذبابك بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم اى فى كل مذهب بمعنى الذهاب به ان يتحير فيها فهو على حد قوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية او كناية (وقد قال له اصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهم (مارأينا الذى هو افصح منك) هذا الحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مسندا وذكره القالى فى اماليه وشرحه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا مع اصحابه فنشات سحابة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كيف ترون قواعدها الى آخره وسنذكره قريبا ومثله مارواه ابو نعيم فى الدلائل قال لما خطب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعض خطباء الوفود اجابه بكلام عذب فصيح فقال له على كرم الله وجهه يارسول الله نحن وانت بنواب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان مايفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبنى فاحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر والحاصل ان الصحابة رضى الله عنهم اكثروا من مخالطة فصحاء العرب وخلصها وكانوا لايفقهون احيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله عليه وسلم لهم وقد ورد ايضا كما يأتى ان لغة اسمعيل عليه السلام كانت اندرست فعلمها له جبريل كما علم آدم الاسماء (قال ومايمنعنى وانما نزل القرآن بلسان عربى مبين) اى مايمنعنى من اكون افصح الناس ومن ان لاتروا افصح منى والكتاب الذى انزل على بافصح اللغات وفى اعلى طبقات البلاغة هذا من تمة الحديث السابق فى وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه التجانى مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب ابن المهلب عن موسى بن محمد بن ابرهيم التيمى عن ابيه عن جده قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالس مع اصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها او ميضا ام خفقا ام يشق شقا قالوا بل نشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد سواده فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحياء فقالوا يارسول الله مارأينا الذى هو افصح منك فقال ومايمنعنى من ذلك وانما انزل القرآن بلسان عربى مبين وقواعد السحابة اساسها واحدتها قاعدة واما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهى التى قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهرى مستدارها وبواسقها ماعلا منها وارتفع وكل شئ علا فقد بسق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفى يقال اومض ايماضا واومض بعينه غمز والخفق بزنة الضرب وبالاعجام البرق الضعيف كما قاله القالى قال التجانى التقدير اترونه وميضا اى ذا خفو لقول الجوهرى خفا البرق يخفو خفوا ويخفى

خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا فى نواحى الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العقيقة وجونها اسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرة اخرى بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد) قال السيوطى هذا الحديث اورده اصحاب الغريب ولايعرف له اسناد والطبرانى من حديث ابى سعيد ولفظه انا اعرب العرب ولدت فى قريش ونشات فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وقال قطلوبغا فى تخريجه اخرجه ابو عبيد بلاغا واخرج الطبرانى فى الكبير عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا النبى لاكذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب العرب ولدتنى قريش ونشأت فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وفى سنده مقال واما ما اشتهر من انا افصح من نطق بالضاد بيد انى من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر فى كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد فى الحديث قال فى النهاية ولم اقف عليه ولعله بايد اى بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائية وبمن اجل التعليلية وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهى فى الحديث بمعنى غير والاستثناء ههنا منقطع على حد قوله

* ولاعيب فيه غير ان نزيله * يعاب بنسيان الاحبة والوطن *

واستدل ابو عبيدة على مجيئها بمعنى من اجل فقوله * عمدا فعلت ذاك بيد انى * اخاف ان هلكت ان ترنى * وقولهم مارأينا الذى هو افصح منك عنوا ولايساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ ان فسر بغير فظاهر لافادته انه صلى الله تعالى عليه وسلم افصح من جميع العرب واما تفسيرها بمن اجل فقد استشكل بان مفهومه انه من قريش وهم افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب بل من افصحهم وهذا الاشكال اورده بعض الشراح على انه من بنات افكاره ومر انه قد سبقه اليه الكورانى فى شرح جمع الجوامع وتقدم مافى ذلك مبسوطا اول الكتاب ووجهه ان العلة موجودة فى غيره وهو نقض الحكم بوجود علته فى غيره واورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوى والهندى ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع اوفقد شرط لايقدح فى علية العلة مطلقا سواء اكانت منصوصة ام لا والتقدير هنا مع كونى نبيا فالتعليل هنا صحيح مطرد على مافصل فى العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه خريزة لان الحديث بيد انى من قريش واسترضعت فى بنى سعد وفى رواية وانزل القرآن بلسان عربى مبين والمجموع هو العلة ولايوجد فى غيره اى انى من قبيلتين هما افصح العرب وقد نشأت بالحاضرة والبادية فجمع لى من الرقة والجزالة مالم يجتمع لغيرى او المعنى انى انزل

على القرأن على اسلوب لايوجد فى غيره جامع لزبدة جميع اللغات فائر فى سلامة
طبعى وانتقش فى صحف ذهنى مالايتصور لغيرى واما النبوة فلا دخل لها هنا
اونقول كونه افصح من قريش معلوم لان السائلين له صلى الله تعالى عليه وسلم
منهم وهو بين اظهرهم لايخفى عليهم حاله واما كونه نشأ فى بنى سعيد واسترضعوه
فلان حليمة السعدية رضى الله تعالى عنها ارضعته بعد ثويبة جارية ابى لهب
فحليمة بنت ذؤيب وزوجها الحارث ابوه من الرضاعة و بنوسعد من اكرم العرب
وافصحهم وحليمة من اوسطهم ولذا اختارها الله تعالى لرضاعه صلى الله تعالى
عليه وسلم لان الرضاع يؤثر فى الطباع و وقع عندها شق صدره الشريف
وسيأتى بيانه وانه وقع مرارا ثم ان التجانى قال اختلف المتكلمون فى كلام النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم هل منه ما هو معجز كالقرأن بناء على هذه الاحاديث
ام لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان اعجازه دون اعجاز القرأن وذهب الباقون
الى انه فى معناه فى الفصاحة ولكن لايبلغ الى رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج
الاولون بماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين
من القرأن وعد بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين القنوت من
القرأن وهم فصحاء عالمون بمراتب الاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن
مسعود رضى الله تعالى عنه وغيره اومتأول بانه لم ينكر كونهما من القرأن ولم يشك
فيه وانما انكر كتابتهما فى المصحف لانه لم تبلغه انه صلى الله تعالى عليه وسلم امر
بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة الصحابة رضى الله تعالى عنهم بهما فى الصلاة
وسيأتى لذلك مزيد بيان فى آخر الكتاب (فان قلت مامر من تكلم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بالوحشى الغريب مخالف لفصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت
لامامر من ان الوحشى من اهله و ممن يتكلم معهم فصيح فلاحاجة الى القول بانه
غير غريب لثبوته فى كتب اللغة من غير احتياج لتنقير وتفحص والى ماذكرنا اشار
المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك قوة
عارضة البادية) جمع مبنى للمجهول واصله جمع الله له فحذف للعلم به وذلك اشارة
لكونه من قريش ونشاء فى بنى سعد و انما نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم
على عادة قريش فى دفعهم اولادهم لمرضعات البادية ليتفرغ النساء لشانهن ولان
هواها اصح وليكون مع اولاد الاعراب فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك
بنى امية والمعارضة للتجلد والقدرة على الكلام ويقال بعير عرضة للسفر اى قوى عليه
واضافة القوى لها بيانية و البادية والبداوة والبداءة خلاف الحاضرة وتبدى اتى
البادية وتبادى يشبه باهلها وهى خلاف الحاضرة اى الامصار والمراد بالبادية
اهلها او هو بتقدير مضاف (وجزالتها) بفتح الجيم والزاء المعجمة خلاف الركاكة اى
جزالة كلامها يقال كلام جزل اى قوى شديد ومنه الحطب الجزل للغليظ ولبس

من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب
(ونصاعة الفاظ الحاضرة) النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد
خلوصها من التعقيد و الغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشئ
اذا ميز جيده من رديه والحاضرة خلاف البادية سكان القرى والامصار (ورونق
كلامها) الرونق البهاء والحسن فان كلام اهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم
وكلام اهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بين هاتين
الصفتين مضموما ذلك (الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى) ومدده بمعنى يمده
لابمعنى زيادته والتأييد التقوية من الايد وهو القوة وامده بايحائه و انزاله عليه كلام
المعجز واذا صح ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولغة
اهل الجنة فلا صحة لماروا بعضهم ان لسان اهل الجنة الفارسية الدرية وهذا
فى معنى ماروى من ان عمر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم مالك افصحنا ولم
يخرج من بين اظهرنا فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها
جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها (الذى لايحيط بعلمه بشرى) اى انسان منسوب
للبشر وهم الناس والضمير للتأييد الالهى (وقالت ام معبد) هى كامر عاتكة بنت
خالد بن زمعة احدى نساء بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب
وقيل لايعرف اسمه توفى فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال انه صحابى له
رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
و ابو بكر رضى الله تعالى عنه لما هاجرا فقرتهما فلما جاء زوجها اخبرته بذلك
ووصفته له فى حديث ذكره اهل السير افرده الحافظ العلائى بالشرح (فى وصفها له)
مصدر مضاف لفاعله وضميرله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر
مقدم والاول اولى (حلو المنطق) الحلو فى المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع
و يستلذ بسماعه ذوقه اوكلجين الماء

﴿فصل﴾

مصدر بزنة ضرب
بفاء وصاد مهملة ولام اى فاصل بين الحق والباطل او بين ظاهر قطع للشك لالبس
فيه او يفسره قوله (لا نزر ولا هذر) كما قاله العلائى رحمه الله تعالى اوذو فصل بين
اجزائه لقول عايشة رضى الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه فيحفظ من يجلس اليه كما فى
المصابيح و نزر بفتح النون وسكون الزاى قليل لايفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة
المفتوحتين يليه راء مهملة كذا ضبطه العلائى وهو راء وثقة وتبعه بعض ارباب
الحواشى وضبطه ابن الحنبلى بسكون الذال مصدر هذر يهذر فى كلامه والاسم
الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد فى الحديث اوتيت
جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا لان المنفى الايجاز المخل لا المقبول منه

(كان منطقه) اى ما ينطق به (خرزات نظمن) اى متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما فى الصحاح من الخرز وهو المثقب (وكان جهير الصوت حسن النغمة) العرب تمدح بعلو الصوت وتذم بضده واذا تمدحوا بسعة الفم وذموا بصغره كما قاله الحافظ فى كتاب البيان وقد ورد فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ابن ابى هالة انه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قال العجير السلولى

*جهير وممتد العنان مناقل * يصير بعورات الكلام خبير*

*لوان الصخور الصم يسمعن صوته *لرحن وفى اعراضهن فطور*

والجهير والجوهرى العالى الصوت فليس فيه خفاء ولا يكسر ككلام النساء (اقول هذا لا ينافى ما مر من ذم التعقر والتشدق فى الكلام فان ذلك اذا افرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة عليه اى على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لاسيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتأخرين لضيق الفم فانه مقصد فاسد كما قاله ابن سنا الملك

*له فم ضيق فلم يستطع *ان يخرج اللفظ بتقويم*

*واللفظ سكران من ريقه *فهو لهذا غير مفهوم*

وقال ايضا *بمهجتى افديه من * فصيح لفظ من مجمه*

*لا يستطيع اللفظ ان * يخرج من ضيق فمه*

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ بالليل اوخطب يسمع صوته واما حسن نغمته فلما ورد فى الحديث عن على كرم الله وجهه لم يبعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ الزبور لم يبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا لم يتغن بالقرأن الكلام فيه مشهور غريبة ذكرها التلمسانى هنا قال قال ابن سيدى الحسن كان شيخنا ابو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن على التجانى عن ابيه وغيره من شيوخه يقول انما كانت المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من ابدين اسران واسير بلغتهم النبى او الرسول اى ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشكد اور ومعنى اشكد تعالى واقبل وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة مشددة ودال واور معناه هنا او الينا وجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهم بقدومه ولغته قال

ابو زكريا كان شيخه منصور يحدث لهذا الحديث فى هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الآن انتهى

فصل

واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه) الشرف رفعة القدر والكرم يجمع انواع الخير وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشأ محل نشأ فيه وتربى (فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفى منه) المراد انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر (فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة بنى هاشم) النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها وبالموحدة كهمزة المختار من بينهم المنتقى (وسلالة قريش وصميمها) السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص (واشرف العرب واعزهم نفرا) اى قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرمانى انه يقع على الواحد كما ذكرناه فى شرح الدرة (من قبل ابيه وامه) كما هو مبين فى السير (ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله) لتشريفها وجعلها قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومقصدا للحجيج (وعلى عباده) اذ لم تزل الناس تعظمها فى الجاهلية والاسلام وقال التجانى وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لاحب ارض الله الى ولاحب ارض الله الى الله الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا اجمعوا على ان مكة والمدينة افضل البقاع وانما اختلفوا ايهما افضل فنسب للمالكية تفضيل المدينة والشافعى وابو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التى لبست لحرم المدينة والصلاة بها ثوابها زيادة على غيرها وهذا فى غير البقعة التى وضع فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى ان المصنف رحمه الله تعالى فضل على مكة المدينة فجعلها اشرف واكرم فكلامه هنا مناف لمذهبهم فى كلامه الاتى ولهذا اعترضوا عليه وفيه خلاف عند المالكية ايضا كما سيأتى فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجانى يكفى دليلا على فضل مكة فى مذهب مالك رحمه الله تعالى وقال الطبرى بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة واجيب بانه غير مناقض لما سيأتى لانه لم يقل مكة اكرم واشرف البلاد بل من اكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون الشئ بعض الاشرف لا يقتضى انه اشرف فان البلاد الثلاثة التى تشد الرحال لها شريفة وهذا منها (اقول ولو قال اشرفها لم يشكل ايضا لان الكلام فى منشائه ومولده وهى فى زمن ولادته وقبل هجرته كانت اشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع خلقه بشرف منشئه فيناسب كونه اشرف

من جميع ماعداه فتدبروووقع فى نسخ بعض الشراح اكرم بدون من فلعل كلامهم مبنى على هذه النسخة (حدثنا قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى) نسبة الى الصدف وهواسم قريةمن قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف فى جواز اطلاق قاضى القضاة فقال بعضهم لايجوز كملك الملوك وشاهنشاه اى سلطان السلاطين فانه هو الله والحق جوازه كما افتى به كثير من ارباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة فى ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا فى تحت الملك و يؤذن له فى تولية قضاة الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضى العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود التصريح بمنعه فى الحديث والصدفى هوابن سكرة وهوامام ثقة ترجمته مشهورة قال (حدثنا القاضى ابوالوليد سليمان بن خلف) هوالامام العلامة الحافظ ابوالبدالباجى وقد تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابوذرعبدا بن احمد) هوالامام الحافظ ابوذر الهروى وقدتقدمت ترجمته وعبداسمه من غيراضافة قال (حدثنا ابو محمد السرخسى) نسبة الى سرخس بفتح السين والراء بلدعظيم بخراسان وهذا هو المعروف واماقول التلمسانى نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر فلانعرفه (وابواسحاق) المستملى واسمه ابراهيم بن احمدبن داود المستملى الامام الثقة (وابوالهيثم محمد بن يوسف) هو محمد بن المكى بن زراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله ابن الاثير قال التلمسانى ويقال الكشماهنى و يأتى الكلام عليه ايضا بابسط من هذا قالوا (حدثنا محمدبن يوسف) هوالعزيرى وقدتقدمت ترجمته (قال حدثنا محمدبن اسماعيل) هوحافظ الاسلام البخارى وقدتقدمت ترجمته (قال حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) بن محمد ابن عبد الله القارى منسوب للقارة قبيلة المدنى نزيل الاسكندرية وهو يروى عن زيد ابن اسلم وسهل بن ابى صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى ابن بكير توفى سنة احدى وثمانين ومائة واخرج له اصحاب السنن ووثقه ابن معين (عن عمرو) بن عمرو ويقال ابن ابى عمرو مولى المطلب روى عن انس و عكرمة وطائفة وروى عنه مالك والدراوردى ووثقه وقال النسائى انه ليس بالقوى وقال احمد ليس به بأس وقال ابوزرعة انه ثقة واخرج له الائمة الستة وتوفى فى اول خلافة المنصور وله ترجمة فى الميزان (عن ابى سعيد المقبرى) بتثليث الباء سمى به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع فى بعض النسخ قال البرهان الحلبى وضرب المصنف رحمه الله تعالى على لفظ ابى وهو الصواب فانه سعيد بن ابى سعيد المقبرى واسم ابى سعيد كيسان وكنية سعيد ابوسعيد وفيه نظر وهو يروى عن ابيه وابى هريرة وعايشة وغيرهما

وروى عنه الليث ومالك وخلف وثقه النسائى وابوزرعة وغيرهما وقال احمد ليس به بأس توفى سنة ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه تقدمت ترجمته والكلام فى اسمه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم)هذا حديث صحيح انفرد البخارى باخراجه روى المصنف رحمه الله تعالى وفى القرن عشرة اقوال فانه مقدار من الزمان و يطلق على اهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون واربعون وستون وسبعون وثمانون ومائة ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبى قال وابتداء قرنه عليه الصلوة والسلام من بعثته اومن حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبى اوكبار من العلماء فلبس زمان الفترة بقرن نقله التلمسانى وقال التجانى القرن فى اللغة كل طبقة من الناس مقترنين فى وقت واحد وربما سمى الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروى والمختار ماقيل ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن فى الحديث طائفة وجيل من الناس فى عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا فى امر من الامور المقصودة وقوله من خير الى آخره من فيه لابتداء الغاية او بيانية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذى بعث فيه خير القرون لا انه بعث فى بعض القرن بدليل ماروى فى الحديث الصحيح خير القرون قرنى والمراد به عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وعصر صحابته رضى الله تعالى عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وكسور اختلاف فيها قيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل هذه الامة وسائر الامم غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لا لمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شئ ولايساويهم فى الفضل وان تفاوتوا فيه بعدم الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث جوزان يكون بعد الصحابة من هو افضل من بعضهم الامن قاتل معه صلى الله تعالى عليه وسلم وانفق ماله فى سبيله فانه لايعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث امتى مثل المطر لايدرى اوله خير ام آخره وهو حديث صحيح واجاب النووى رحمه الله تعالى بان المراد باوله من ادرك عيسى عليه الصلوة والسلام ورأى مافى زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متق وآخره من لم يدركه فى صدر الاسلام غير الصحابة وسيأتى الكلام عليه مفصلا (قرنا فقرنا) هذا كقولهم قرأت النحو بابا بابا وهو حال بتأويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء

للترتيب فى الوجود او الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومى *وكم من اب قد علا بابن ذرى شرف* كما على برسول الله عدنان* (حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) قيل حتى غاية لبعثه واراد به تقلبه فى اصلاب آبائه من ابراهيم عليه السلام ثم من ثابت بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله ابن عبد المطلب ثم ايد هذا بحديث رواه البيهقى مسندا فى دلائله والترمذى وحسنه وهو ما اشار اليه بقوله (وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) اى المخلوقات كلها من انس وملك وجن (فجعلنى من خيرهم) اى اوجدنى وصيرنى من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن اصحابه فلذا ابدل منه قوله (من خير قرنهم) بدل بعض من كل (ثم تخير القبائل) اى اختار من قرنه خيارهم اى اشرفهم (فجعلنى من خير قبيلة) من العرب وهم قريش والقبيلة واحدة القبائل الجماعة من اب واحد والقبيل بغيرها بنو آباء مختلفة او هو اعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوى على جماعات من اباء منتسبة للاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحدة ويجمعهم بيت واحد واصل البيت المسكن الذى يبيتون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال (ثم تخير البيوت) بضم الباء ويجوز كسرها (فجعلنى من خير بيوتهم) يعنى به بنى هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اى تخير الله جهات الشرف واسبابه المقتضية له واختار لى اعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم البيت يخص بمن له شرف (فانا خيرهم) اى جميع من ذكر (نفسا) اى روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) اى حسبا وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما تقدم تقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع ما بعدها وما قيل من انه لا يلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة اهل البيت له فى شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لا الى كل واحد من اهل بيته ليس بشىء لانه لو كان كذلك لم يصح تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلماء وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل المعانى لسوق فضله وخيرته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته فى ذلك كقوله وكانت من القانتين كما مر (وعن واثلة بن الاسقع) رضى الله تعالى عنه وفى التذكرة من رجال الكتب العشرة لابى المحاسن العلوى واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع بن كعب بن عامر ابو الاسقع ويقال ابو قرفاصة الليثى اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل الصفة وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابى مرثد الغنوى وابى هريرة وام سلمة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه بناته

ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكر فقال بن عبد العزى ابن عبد ياليل بن ناشب بن عبرة بن سعد بن بكر ابن عبد مناف ابن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى) اى اختار وارتضى (من ولد ابراهيم اسمعيل عليهما الصلاة والسلام) فهو افضل اولاده وكان له غير اسمعيل واسحق ستة اولاد من قنطورا (واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة) قال السهيلى ولاسمعيل بنون ذكر اسماهم ابن اسحق وهم اثنى عشر منهم نابت بالنون اى كما تقدم وهو جد كنانة وبينه ثلاثة عشر ابا وسمى بكنانة السهام التى تسمى جعبة ولقب به وحكى ابو حاتم عن الاصمعى ان رجلا وقف مع اخيه اسد يسلخان جزورا لهما فقال لرجل ما جلاء الكاشطين فقال له خائبة المصادع هصارا لاقران فقال يا كنانة ويا اسد اطعمانى من جزوركما فاطعماه فكنى له الرجل عن كنانة بخائبة المصارع يعنى السهام لانها تصرع ما اصابته وروى المضارع بالدال بدل الراء جمع مصدع والهصر من صفات الاسد وجلاء بكسر الجيم والمداى ما اسمهما الذى يكشف اللبس عنهما والكشط بمعنى السلخ والواد صفة مشبهة جرى مجرى الاسماء يشمل الواحد وغيره (واصطفى من بنى كنانة قريشا) ولد كنانة اصلبه النضر وله اربعة اولاد ومن ذريته قريش واول قريش فى الاصح فهر بن مالك ابن النضر وقيل النضر اول قريش واختلف هل قريش اسمه اولقبه واسمه فهر وبه جزم العراقى فى الفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقريشى قال الشعبى رحمه الله تعالى النضر بن كنانة هو قريش وانما سمى قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضى حوائجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كما علم وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمى به القبيلة لانه يأكل السمك ويقهرها فسمى به القبيلة او ابوهم لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر *وقريش هى التى تسكن البحر* وبها سميت قريش قريشا (واصطفى من قريش بنى هاشم) واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم وواحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمى به لانه هشم الثريد لقومه فى سنة مجدبة قال *عمرو العلا هشم الثريد لقومه *ورجال مكة مسنتون عجاف* او كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود ابن كعب الخزاعى والقافية مرفوعة وتوارد ومع عبد الله بن الزبعرى فى قوله *يا ايها الرجل المحول رحله* لا نزلت بال عبد

مناف * الخالطين غنيهم بفقيرهم * والقائلين هم للاضياف * عمرو العلا هشم
الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف وخلط الرواة فى الشعرين فزعموا انه اقوى
وليس كذلك (واصطفانى من بنى هاشم) هذا الحديث رواه مسلم والترمذى وماقاله
المصنف رحمه الله تعالى هو بلفظه فى الترمذى ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش من بنى هاشم
واصطفانى من بنى هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيمابينهم الا انهم اختلفوا
فى التفاضل بين قريش على ما فصله الفقهاء فى باب النكاح فى احكام الكفاءة
وقد تبرع به بعضهم هنا والاداعى له (قال الترمذى هذا حديث صحيح) ونقل المزى
عنه انه قال انه حديث صحيح غريب (وفى حديث عن ابن عمر) رضى الله عنهما
رواه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن و (رواه الطبرى) هو الامام الفرد الحافظ
ابن جرير ابو جعفر احد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من اهل طبرستان
كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد بن الشوارب والسكوتى واسحق بن
اسرائيل وغيرهم واخذ القراآت عن جماعة و روى عنه كثير توفى ودفن بداره
وولد سنة اربع وعشرين ومأتين وترجمته مشهورة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان الله عز وجل اختار خلقه) اى اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم
تخيرهم (فاختار منهم بنى آدم) وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف
وايصال وقوله فاختار الى آخره بيان له وكذا قوله (ثم اختار بنى آدم فاختار منهم
العرب) وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ميز بنى آدم من بينهم عن غيرهم ثم
اصطفى من بنى آدم على غيرهم اومضاه فاصطفى من بينهم بنى آدم ثم دام على اصطفائه
اياهم وكثيرا مايضمن الافعال معنى الدوام نحو ياايها الذين آمنوا والا فلا معنى
لاصطفائهم واختيارهم مرة اخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله
بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته فلاحاجة لذكره (ثم اختار العرب) اى بطنا
من خيارهم ليزيده لطفا (فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم
ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم فلم ازل خيارا من خيار) اى لم ازل من اصل مبدئ
واصولى الى ان انسانى الله خيارا مخلوقا من خيار وشريفا من شريف (الا) حرف
استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده (من احب العرب فبحبى احبهم
ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم) الظاهر ان الباء للسببية اى من احبهم
بسبب محبة النبى صلى الله عليه وسلم لهم ولمحبته فان من احب احدا يحب لاجله
قومه واصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولايكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله
احب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله قيل وهذا
ينبغى ان يقيد بالحيثية فانه ملاحظ فى كثير من القضايا اى من حيث كون النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم منهم اومن حيث انهم عرب لامن ابغضهم اوذمهم لامر آخر كقوله
تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث احب العرب لثلاث لانى عربى
والقرأن عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى والمراد الحث على محبتهم وقد
صنف العراقى رحمه الله تعالى كتابا فى هذا سماه نيل القرب فى محبة العرب وفى هذا
رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم ادلة على مقالتهم
يدنوها وماعليها واورد والاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم
بالرضاء تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفى الشرح الجديد الاحاديث
الواردة فى فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم فى الكرم والشجاعة والحلم
والعلم اكثر من ان يحصى وقيل ان اباعبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا فى مثالب العرب
وقد قيل انه كذب عليه فان قلت ان تقديم المتعلق اعنى بحبى وببغضى يقتضى الحصر
ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم ومافيه من الامور المحمودة لايتوقف على محبته
صلى الله تعالى عليه وسلم قلت ان كانت الباء للالية الادعائية كما فى نحو نظرت بعينى
وسمعت باذنى فلااشكال لان المعنى فى احبهم وابغضهم فينبغى ان يحبهم بمثل حبى
ويبغضهم بمثل بغضى وهو الحب فى الله والبغض فى الله وان كانت للسببية فالمراد
انه بسبب حبى يحبهم لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت وهذا الحديث رواه
البيهقى عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انا
لقعود بفناء النبى صلى الله عليه وسلم اذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو سفيان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى بنى هاشم
مثل الريحانة فى وسط النتن فانطلقت المرأة واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فجاء
يعرف فى وجهه الغضب قال ما بال اقوام يبلغنى عنهم مايبلغنى ان الله عز وجل خلق
الخلق واختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر
واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فانا خيار
من خيار الى خيار فمن احب العرب الى آخره وقوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما
قال السيوطى هذا الحديث رواه ابن ابى عمر العدنى فى مسنده (ان قريشا) بفتح همزة
ان المشددة والمصدر مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (كانت نورا بين يدى الله تعالى)
هو مستعار مما بين الجهتين المسامتين لثدى الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب
اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب
من محل رضاه كما يقال فلان بين يدى الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز
متفرع على الكناية كما فى قوله لاينظر الله الى فلان كما فى شرح المفتاح (قبل ان يخلق
ادم عليه الصلوة والسلام بالفى عام) هو على حقيقته اوالمراد طول المدة اى قبل
ان يظهره فى عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله (يسبح ذلك النور ويسبح

الملائكة) اقتداء (بتسبيحه) اى بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نور
ارواحها وان الله تعالى مثلها بهذا المثال وابرز صورها فى الملأ الاعلى تسبحه ليعلم
انها بشرية ملكية ولذا قال الله تعالى لهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون * يعنى انهم سبحوا
قبل ما سبحتم فى الازل فهم لم يعلموا بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة
وكان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مدرجا اذ ذاك فى اصوله من قريش وغيرهم
بجملة اصلابه المسبحة وان لم يشعروا به وان من شئ الا يسبح بحمده (فلما خلق الله)
ذات وجسم (آدم عليه الصلوة والسلام القى ذلك النور فى صلبه) والصلب والصالب
عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها اى اودعه فيه كما سيأتى تحقيقه ثم فصله
بقوله (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطنى الله فى صلب آدم) اى
انزل نورى الذى فى صلبه الى الارض (وجعلنى فى صلب نوح) اى نقل نورى من صلب
آدم عليه الصلوة والسلام الى صلب نوح صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (وقذف بى
فى صلب ابراهيم) عليه الصلوة والسلام ولم يقل جعلنى لما بين نوح وابراهيم عليهما
الصلوة والسلام من البعد لان القذف الرمى من بعيد واصله الرمى بالحجارة يقال هم
ما بين حاذف وقاذف والحذف رمى الحصاء (ثم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الكريمة)
يعنى اصلاب اجداده عليه الصلوة والسلام (والارحام الطاهرة) من خبث الزنا
وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة فى غاية الحسن لانها مقرا
لطمث والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة
(حتى اطرحنى من بين ابوى) اى بين ابى وامى على التغليب المشهور واخراجه من بينهما
بولاده منهما وخلقه من نطفتهما (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والسفاح الزنا
من سفح الماء ونحوه من المايعات اذا اراقه اى لم يجتمعا على زنا ولم تلق نطفة احد
من ابويه وآبائه فى غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقد مرانها
لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رأيته قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطاء وبفتح
القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون (ويشهد
لصحة هذا الخبر شعر العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فانه اشتمل على معناه (فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو الشعر المشهور الذى
اوله من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق * الابيات
وسيأتى تمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضى الله تعالى عنه والصحيح
الاول وان ذهب ابن عساكر فى تاريخه الى الثانى فى حديث اخرجه عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان اراد
بكونه شاهدا لصحته متنا وسندا فهو غير لازم وان اراد به صحة معناه فهو

غير مفتقر له لان كثيرا من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليهم الصلاة والسلام
من صلب آدم عقلى ايضا وفيه نظر ﴿ فصل ﴾ واما ما تدعو
ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) فيما تقدم اول الباب وتدعو بمعنى تقتضيه ويلزم
حتى كانه تطلبه منه فهو استعارة فى الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما
يضطر الحى اليه (فعلى ثلاثة ضروب) جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشئ وفى
بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب وفى بعضها اضرب بجمع القلة وهو انسب بالثلاثة
والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الآخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء وفيه تفصيل
ليس هذا محله (ضرب الفضل فى قلته وضرب الفضل فى كثرته وضرب تختلف
الاحوال فيه) وافرد لكل منها فصلا كما سيأتى (فاما التمدح) اى حسنه بحيث
يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم (والكمال بقلته اتفاقا) شرعا وعادة
كما بينه بقوله (وعلى كل حال عادة وشريعة) والمراد بالعادة ما عتاده الناس مما يؤدى
اليه العقل اذ خلى ونفسه وطبعه والشريعة ما امر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه
الوضع الالهى السابق لذوى العقول باختيارهم الى الامر المحمود (كالغذاء والنوم)
الغذاء بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل مأكول ومشروب به قوام البدن
مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يؤكل فى اول النهار كما مر والنوم معروف
(ولم تزل الحكماء والعرب) اراد بالحكماء حكماء اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا
قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بما لا مزيد عليه قال فى هيا كل النور
النفوس الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها
وضعف سلطان والقوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فتخلص احيانا الى
عالم القدس وتتلقى منه المغيبات (تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما) تتمادح كتذم اخر لفظا
والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس مدحا لهذين بخلاف غيرهم
كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليهما وذكر
الحكماء منهم ومن غيرهم ومر ذلك لاعتنائهم بالرياضة وقلة التنعم فى كل مأكل
ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات امورهم وعباداتهم
وهو ظاهر وورد فى الحديث ابغضكم الى الله تعالى كل نوم وقال عيسى عليه الصلوة
والسلام للحواريين اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب
الفطنة والاحاديث فى هذا اكثر من ان تحصى وقال الله تعالى * الذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم) بفتح
النون والهاء وهو الافراط فى شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب
علم وطالب مال والشرب مثلث الشين (والحرص والشره) اى الحرص على الاكل
والشرب والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة الحرص ففيه ترق

(وغلبة الشهوة) المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وغفلته فيما فيه صلاحه فليس فى كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد فى الحديث الحرص والشره داء عضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنه والحرص توأم الحسد وهو هادم الحسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان فى محمود وقال الله تعالى * حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * وانما يمدح قلة الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى تؤدى لضرر بلا ضرورة كما قال

* واخش الدسايس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم *

ثم ان ترك من ابتلى بذلك اذا عسر عليه ينبغى قطعه بالتدريج كما فى منظومة ابن سينا

* وكل عادة تضر اهلها * فاقطع بتدريج الزمان اصلها *

وقوله (مسبب لمضار الدنيا والآخرة) خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لاضرر فيه دنيوى ولا اخروى بل ربما يترتب عليه نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه ترتب عليه نفع تارة وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشأ عنه سبب ضررهما فهو مسبب لا سبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب لضرر الاخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب للسدة والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضى الى المسبب بالفتح والفضل للمتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يؤدى الى جلب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعوة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر * وانك ان اعطيت بطنك همه * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا * ويقع فى بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدأ وخبر وليس بشئ لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكى ثم اشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال (جالب لادواء) جمع داء (الجسد) اى امراضه واسقامه كما هو مشاهد وقال

* فان الداء اكثر ماتراه * يكون من الطعام او الشراب *

فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع اربعة اطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه فقال الهندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى حب الرشاد الابيض وقال العراقى الماء الحار فقال السوادى وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرققها وهذا داء والماء الحار يرخيها وهذا داء قالوا فما هو قال ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه

وترفع يدك وانت تشتهيه وفى الطب النبوى فى معناه احاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا (وخثارة النفس) بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند برهان الحلبى والاول هو الظاهر لموافقته القياس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر انه راجع لكثرة النوم فانه يورث لاسيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع فى بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على لادواء وكذا قوله (وامتلاء الدماغ) بابخرة رطبة تتصاعد عند النوم ترخى اعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وماقبله للجميع لكن يأباه مابعده من قوله (وقلته دليل على القناعة) بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وملك النفس) معطوف على القناعة اى ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصمته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله تعالى ماشبعت الا هممت بمعصية والجوع يقمع الشهوات (وقمع الشهوة) معطوف على القناعة والقمع القهر اى قهر شهوته وغلبها واضعفها حتى لاتخالفه ومابعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر انه مبتدأ خبره (مسبب) بكسر الباء كما تقدم (وصفاء الخاطر وحدة الذهن) الخاطر يطلق على مايخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى واصفى وبه يصل للمعارف الربانية ويلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل ومابعده لمابعده والحدة بكسر الحاء القوة كبعثة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة واللام وهى الرذالة وعدم الهمة فى امور الدنيا والآخرة * فيا نائم الليل هنيته * فقبل الممات سكنت القبورا * لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح اعجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم مجئ مصدره على فعولة (والضعف) اى ضعف القوى والادراك (وعدم الذكاء والفطنة مسبب) هما متقاربان او الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفى الاخص على نفى الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم فى الترقى فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما فى الاصول والاظهر جره عطفا على ماقبله فمسبب خبر بعد خبر كامر (للكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع) اما كون كثرة النوم سبب للتوانى من فعل المهم فلتغفل الحواس فيه وارتخائها بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع عمره بلافائدة كما قال * اليس من الخسران ان لياليا * تمر بلانفع وتحسب

من عمرى * فمثله لايعد عمرا لانه ماعمر الانسان احد دازيه * اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب * (وقساوة القلب وغفلته وموته) لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية فالنوم اخو الموت (والشاهد على هذا) اى الدليل عليه وانهما يورثان ماذكر (مايعلم ضرورة) اى يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا (ويوجد مشاهدة) منه ومن امثاله (او ينقل متواترا) اى نقلا متواترا بحسب المعنى (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) المتقدمين على ملة الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث ابن كلدة حكيم العرب افضل الدواء الازام اى قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس لاعمالهم (واشعار العرب واخبارها) كقوله

* قارب فديتك ان اكلت * فان شربت وان عشيتا *
* وانا الكفيل لك الحيوة * وان تعافا ماحييتا *

وقال قيصر لقس بن ساعدة ماافضل الاكل قال ترك الاكثار (وصحيح الحديث) النبوى مثل ابغضكم الى الله كل نؤم اكول شروب وغيره (وآثار من سلف وخلف) الاثر ما اثرته اى نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به مايقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن خلف ماعداهم كالصحابة رضى الله تعالى عنهم والتابعين (مما لايحتاج الى الاستشهاد عليه) اى طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله (اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به) الغنى عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفى باحديهما والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء بشهرة العلم بماذكر (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين) اى النوعين وهما الاكل والنوم (بالاقل) عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك او الاتصاف اى لازم صلى الله تعالى عليه وسلم اقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية واتى باسم الاشارة القريب تحقيرا لهما نحو ماهذه الحيوة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وماقيل من انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فان معه لايحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشئ فان مراده ان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتفق العقلاء وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرأ كتبهم وكفاك

قصص القرآن نظير الصنيعة (هذا) اى ماذكر من قلة الاكل ونومه (مالايدفع) اى لاينكر ولاينازع فيه (من سيرته) اى من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اى لشهرته وتواتره لاينازع فيه احد (وهو الذى امر به) امته دون ضده وضمير به لهذا او للاقل (وحض عليه) بحاء مهملة وضاد معجمة اى حث الناس ورغبهم فى التخلق به لما علم من شرفه وكماله (لاسيما بارتباط احدهما بالاخر) لاسيما بمعنى لامثلما والكلام عليه مفصل فى العربية ويذكر بعده ماهو اولى بالحكم نحو اكرم الناس لاسيما العلماء الان فى كونها هنا كذلك خفاء لم يعترضوا له غير ان بعضهم قال المعنى لاسيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالآخر لانه اذا شبع شبعا كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لايجدى نفعا والبيان الشافى ان كل واحد منهما مذموم مع انفراده ينبغى الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم احدهما للآخر فان النوم يلزم الاكل والباء بمعنى مع فما قيل ان لاسيما هنا ليست على وفق استعمالها ليس بشئ وهو توطئة للحديث الآتى المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المصنف رحمه الله تعالى استعمل لاسيما على خلاف ماجاء فى قوله ولاسيما يوم بدارة جلجل وقد قال ثعلب من استعملها على خلافه فهو مخطئ وحذف الواو والمستثنى بها وتقديره ولاسيما حض بارتباط احدهما بالآخر الخ (حدثنا ابو على الصدفى) هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه (بقراءتى عليه) بين طريق روايته عنه بانه قرأ وشيخه يسمع الا ان قراءة الشيخ والسماع منه اعلى رتبة فى الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انها ارفع وقيل انهما سواء قال (حدثنا ابو الفضل الاصفهانى) بفتح الهمزة وكسرها فبالباء والفاء وهى بلدة عظيمة قال صاحب المطالع قيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر ابو عبيد البكرى قال واهل المشرق يقولون اصفهان بالفاء واهل المغرب بالباء وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى اصبهان مقر الفرسان لان اصب بمعنى فرس قيل وهى لاتخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما رأوه آمنوا به فدعا لهم بذلك اى بان تجاب دعوتهم كما اجابوا دعوته (قال حدثنا ابو نعيم) بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهانى الصوفى سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى المحرم سنة ثلاثين واربعمائة وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة فى الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا سليمان بن احمد) بن ايوب ابن مطر الشيبانى مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا فى صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه فرحل به فى حداثته وسمع فى سنة ثلاث

وسبعين و بعدها بعدأن الشام والحرمين ومصر و بغداد والكوفة والبصرة و اصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر سند ابى هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحى والمعجم الصغير ومصنفات آخر جليلة وتوفى لليلتين من ذى القعدة من سنة ستين وثلثمائة وله مائة سنة وعشرة اشهر بقينا وترجمته فى الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا ابو بكر بن سهل) ابو محمد مولى بنى هاشم بن عبدالله بن يوسف الدمياطى روى عنه الطحاوى والطبرانى وغيرهما توفى سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو متقارب الحال وقيل ضعيف كما فى الميزان (قال حدثنا عبدالله بن صالح) هو ابو صالح الجهنى مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن ابى صالح الاتى وموسى ابن على وغيرهما و روى له البخارى واصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفى فى سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة فى الميزان (قال حدثنا معاوية ابن ابى صالح) الحضرمى قاضى الاندلس وهو امام صدوق توفى سنة ثمان وخمس مائة وله ترجمة فى الميزان (ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدى كرب) هو يحيى بن خالد الطائى قاضى حمص مات سنة مائة وستة وعشرين واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدى كرب بن عمرو الكندى صحابى نزل حمص وترجمته مشهورة توفى سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلى معنى معدى كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدى ولو فى النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين ابنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) وهذا الحديث رواه الترمذى والنسائى وابن حبان واخرجه المصنف رحمه الله تعالى عن الطبرانى ولم يروه عن الترمذى لان سنده لمعجم الطبرانى اعلى من غيره لان بينه و بين المقدام ثمانية فى رواية الطبرانى و بينه و بينه فى رواية الترمذى من احدى طريقته احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفى الروايات اختلاف يسير ففى الترمذى بدل ابن آدم آدمى و بلفظ بطن بلا اضافة و بحسب الاتى بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لاوعاء اشر منه ولا يساويه فى الشر فجعل بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شرا لاوعية زيادة فى تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصى و يحصل له من الامراض ما يضره كما مر ويؤدى الى هلاكه ولاشر اعظم من هذا فحسبه منه مايقيم صلبه و يعينه على عبادة ربه ونظام امور دنياه فلذا قال (حسب ابن آدم) وفى رواية المسلم بدون ابن آدم (اكلات يقمن صلبه) حسب بسكون السين اسم بمعنى كاف كما يقال اعطيت الرجل ما حسبه اى اعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدأ خبره اكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية

به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يؤكل ويقمن بمعنى يقوين من اقام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عمود وفيه النخاع الذى يمد العصب بالمسك فاذا افرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفى القاموس ما يخالف ماقاله الشراح لانه جوز فى اكله الفتح والضم واقتصر فى جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان اكلات بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهى اللقمة (فان كان لامحالة) بفتح الميم والحاء المهملة واللام بمعنى لابد ولاحيلة كما فى قوله *وكل نعيم لامحالة زائل* اى ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات (فثلث) من بطنه (لطعامه وثلث) منه (لشرابه وثلث) منه (لنفسه) بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجى طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من ارشده فيما ارشده اليه وانه لاينبغى تجاوزه وفى الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى لامن الحديث الاان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على ما عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط احدهما بالآخر لان السبب والعلة فى معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعى الآخر فان الاكل يقتضى الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعى للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفى ذلك مالايخفى من الضرر (قال سفيان الثورى) بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبدالله والثورى نسبة لثور بن مناه وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفى عالم عصره الزاهد المحدث توفى سنة احدى وستين ومائة وعمره اربع وستون وهو ثقة ولاعبرة بمن تكلم فيه وهو من الاقران مالك رحمه الله تعالى (يملك سهر الليل بقلة الاكل) يملك بضم الياء وفتح اللام مبنى للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل اى يقوى و يقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة (وقال بعض السلف لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا) زاد الغزالى فى الاحياء فتخسروا خيرا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه اكل زاده فضيعه فى غير وقته (وقد روى عنه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اى كثرة الايدى) لما فيه من السخاء بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال السيوطى رحمه الله تعالى انه رواه ابو يعلى عن انس وجابر رضى الله تعالى عنهما بسند جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم فى تخريجه انه لم يجمع له غداء وعشاء وخبز ولحم الاعلى ضفف وسنده جيد واخرج

ابو عبيد فى الغريب انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف
واخرج الترمذى فى الشمائل عن مالك بن دينار قال ماشبع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سألت رجلا من اهل
البادية ما الضفف قال تناول مع الناس واخرج الطبرانى رحمه الله تعالى عن جابر
ابن عبدالله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال احب الطعام الى الله تعالى
ما كثرت عليه الايدى انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة و الفائين اولاهما
مفتوحة فسرها المصنف رحمه الله تعالى بما ذكره اهل اللغة وهو تفسير مأثور كما
سمعته آنفا وهو من قولهم بئر ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى ابن احمد
الضفف ان يكون الاكلة اكثر من الطعام والجنف بالجيم ان يكون بمقداره وقيل
الضفف الضيق والشدة اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم محبا للترفه فى مأكله
ولا متنطعا فيه و فى رواية لم يشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طعام
الا على ضفف وروى على شظف اى ضيق وشدة كما علم فالضفف والشظف رويا
بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الاكل مع الجماعة
وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث فى معناه كثيرة كطعام الواحد يكفى
الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية وهو حديث صحيح
وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الاكلين و يقال ضف بالادغام
وقال ابن السكيت الضف الاكل باليد ففيه لغتان وله معان (وعن عايشة رضى الله
تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) وروى عنها ايضا
ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله
وهذا يقتضى بمفهومه انه شبع فى بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما
صحيح و يجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كابى
حنيفة رحمه الله تعالى فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى او يقال الامتلاء شبعا صفة
زائدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا واما الامتلاء
من الشبع فلم يقع اصلا والشبع مباح عليه محرم على غيره الا للتقوى على صوم الغد
ولموافقة الضيف حتى لا يستحى من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية هو محرم من مال
الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض الحديثين غير
مسلم لان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا ذكره فى الاحياء ايضا عن عايشة
رضى الله تعالى عنها وتمامه وربما بكيت رحمة له صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارى به
من الجوع وامسح بطنه بيدى واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر
ما يقوتك منها و يمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخوانى من اولى العزم من الرسل
قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل

فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واجدنى اخشى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم
فاصبر اياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ احب الى من
ان الحق اخوانى قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف
رحمه الله صدره فقط وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجد هذا الحديث
فلا يعارضه وشبعا تمييز او مفعول له او مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح
الباء وتسكن وصوب ابن مكى كسر الشين وسكون الباء كما قاله التلمسانى ثم انه ورد فى
الاحاديث الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع و يجوع وفى البخارى
ماشبع آل محمد قط وهذا محمول على غالب احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فان الغالب
ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن عن احتياج حقيقى لما رواه الترمذى عن ابى امامة
رضى الله تعالى عنه انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على ربى ان يجعل لى
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا
شبعت شكرتك كما قال الابوصيرى

وروادته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم*

فجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا
لقلوب الفقراء وتنزيها من الرياء وتبريا من رياضة اهل الكتاب والحكماء كما قال صلى الله
عليه وسلم لا رهبانية فى الدين وهذا مما ينبغى التنبه له ويجب اعتقاده والتأسى به فيه فافهم
(وانه) معطوف على ما قبله من قوله انه كان احب الى آخره وقوله (كان فى اهله)
اى اهل بيته وعايلته وهو حال من فاعل يسأل او خبر وجملة (لا يسألهم طعاما) حال
منه وعدم سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو اهم
منه (ولا يتشهاه) مضارع تشهى تفعل من الشهوة وهى الميل الى ما يستلذ وقيل
هى ادراك الملايم من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها و بين الارادة
ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه و يشتهى ما لا يريده كالمريض المحتمى عما يشتهيه
والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات
المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة كما قيل لمريض
ما تشتهى فقال اشتهى ان اشتهى وفرق بينها و بين المحبة ايضا فانك تقول احب
الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم والشهوة فى الاصل تكون وجدانية غير
اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله احب الى واشتهى الى فجعلوا الى
فى الاول للتبيين وفى الثانى بمعنى عند وفيه كلام لنا نكت المغنى من باب الهمزة فان اردته
فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله (ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب) يعنى انه
صلى الله عليه وسلم كان يأكل ما قدمه له اهله ونحوهم من الطعام و يقبله من غير ان يعيبه

وكذا كل ماقدم له من الماء يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم فلاينافى ماوقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما فى مسلم عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم ياعايشة هل عندكم شئ فقلت يا رسول الله ماعندنا شئ قال فانى صائم الحديث وسقوه بمعنى اعطوه ماشرب وزاد الدلجى قط بعد قولهم السابق لايسألهم (ولا يعترض) ببناء المجهول (على هذا بحديث بريرة رضى الله عنها) اى على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر و بريرة بفتح الموحدة ورائين مهملتين اولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة او بارة وهى بنت صفوان وهى قبطية وحبشية عند الذهبى مولاة عايشة رضى الله عنها اشترتها من عتبة بن ابى لهب وقيل من بنى كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها اخرجه مالك فى الموطأ عن القاسم ابن محمد عن عايشة رضى الله عنها ورواه الشيخان وهو قالت عايشة كانت فى بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنتين انها اعتقت فخيرت فى زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الولاء لمن اعتق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل بيته والبرمة تفور باللحم فقربوا له خبزا وادا ما من ادام البيت فقال الم ار البرمة فيها لحم فقالوا بلى يارسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وانت لاتأكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذى حرم عليه ماتصدق به على نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ماتصدق به مرة يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشئ ان يبيعه من غنى فقد سئلهم صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام (واجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله الآتى فاراد بيان سنته وبان سؤاله لمقتض والمنفى السؤال بغير مقتض (وقوله الم ار البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهى عند العرب قدر تنحت من الحجارة وقيل اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما (فيها لحم) الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تأنيث الثانية سماعى واللحم بسكون الحاء المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة فى كل ماثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والنخل والكحل وانكره البصريون (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم) اى اعتقاد عايشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تغليبا (انه) اى اللحم بسبب انه صدقة فى الاصل (لايحل له) صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات (فاراد بيان سنته) اى طريقه المشروع عنده وهى جواز اكل الهدية وان كانت صدقة على مهديها (اذ رأهم لم يقدموه) اى اللحم (اليه مع علمه انهم لايستأثرون عليه به) اى لايخصون انفسهم و يقدمونها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شئ من الطعام وغيره (فصدق) بتخفيف

داله و يجوز تشديدها (عليهم ظنه) بالنصب اى صدق فى ظنه جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه اوعلى الحذف والايصال كما فى صدق وعده او بالرفع على انه فاعل اى يحقق ظنه اووجد صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ماجهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا رأى طعاما اهدى له فسأل عنه وطلب ان يؤتى به لايذم وانما لايسأله عما عهده من طعامه و يبحث عنه واتى بلعل التى للترجى لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسواء فيه صدقة التطوع والفرض كالزكاة وفى حل التطوع قول للشافعى وكذا اهل بيته وقيل مايحرم عليه الصدقة العامة كماء النيل والآبار المسألة وهل ذلك حرام على سائر الانبياء عليهم الصلوات والسلام ام خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الاحاديث مايدل عليه ونقل عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوى وهو وجه عن الشافعى ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وازواجه رضى الله تعالى عنهن (وفى حكمة لقمان) ابن عنقاء بن سيرون واسم ابيه تاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن اخت داود عليه الصلوة والسلام و عنه اخذ الحكمة وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه فى كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور فى القرآن وكانت الحكم تجرى على لسانه لما آتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولى عند الاكثرين ونبى عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال اوخياطا اوراعيا وقيل نوبى وقيل انه تلميذ لالف نبى وهو غريب وهو من اهل ايلة وقيل انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وقيل انه ابن اخت ايوب اوابن خالته وقيل انه كان فى زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول و قيل بعد عيسى عليه الصلوة والسلام والقول بانه عاش الف سنة غلط من لقمان ابن عاد (يابنى) بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر (اذا امتلأت المعدة قامت الفكرة) المعدة بفتح الميم وكسر العين و بكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهى للانسان كالكرشى للبهايم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة مدركة فى الدماغ عند من اثبت الحواس الباطنة فى بطون الدماغ كما فصل فى كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هى قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها اوشبهت الفكرة بشخص واثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثانى اوالمراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك

والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ماورد في الحديث لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدبر عمايهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

*لايعجبن الجهول بزته * فذاك ميت وثوبه كفن *

(وخرست الحكمة) هو كالذى قبله فى الاستعارة ونحوها اى خرس اللسان التى تجرى عليه والحكمة النطق بمافيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة اى تركت ذكرها واكتسابها (وقعدت الاعضاء عن العبادة) اى كسل صاحبها فلم يستعملها فى عبادة الله بان يعطل بدنه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود واستعمله فى لازمه ونحوه مما مر فقسه على ماقبله (وقال سحنون) الفقيه المالكى وهذا لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخى قاضى افريقية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضى فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقهاء وعليه ابن الحاجب فى الشافية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو اولى لكثرته فى الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة فى الاصل وقيل هو البلبل وادرك مالكا ولم يقرأ عليه وقرأ على ابن القاسم واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهيت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له مالم ينله غيره وولد فى رمضان سنة ستين ومائتين ومات لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهى الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة اوهو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمسانى وقع فى نسخة لعز فى هنا ذوالنون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل الفيض بن ابراهيم المصرى فيمكن ان يكون احدهما روى عن الآخر لانهما فى عصر واحد (لايصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع) المضارع بقيد الاستمرار التجددى اى من يكون دأبه كثرة الشبع يكثر نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولايليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح مأكله وكسب مال يحصله فيفوته العلم وكل خير (وفى صحيح الحديث) الذى رواه البخارى وغيره ويجوز ان يريد المصنف بصحيح الحديث كتاب البخارى لان الصحيح غلب عليه (اما انا فلا اكل متكئا) هذا الحديث فى الصحيحين مروى بروايات مختلفة منها ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ومنها انى لا اكل متكئا ومنها لا اكل وانا متكئ قال الكرمانى هذا ابلغ فى الاثبات والاول ابلغ فى النفى فقيل عليه المراد انه اكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه ان متكئ اسم

فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى انا فهو ابلغ فى اثبات الاتكاء لتكرر اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعله جملة بخلاف لا اكل متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو فى النفى ابلغ وعندى ان الثانى ابلغ لنفى القيد والمقيد انتهى (اقول هذا كلام لامحصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرمانى بالنفى والاثبات نفى الاكل فى حال الاتكاء واثبات الاكل فى حال عدم الاتكاء الذى يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفى فى الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضى نفيهما والثانية لاتقتضى ذلك نحو * وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضى انهم يعذبون بعده كمامر ويقتضى هذا انه يأكل اذا زال الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجة بسند حسن وهو ان اعرابيا اهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه يأكل فقال له الاعرابى ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلنى عبدا كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا (والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له) اى لاجل الاكل والتقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعلل والمصنف رحمه الله تعالى ثقة ما يقوله بمنزلة ما يرويه وللجلوس انواع بينها الثعالبى فى فقه اللغة (كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته) من ارض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول فى الربيع وجعل الشئ رباعيا ونوع من الجلوس مأخوذ من الاخير لبسط اربعة من اعضائه الساقين والوركين مع انضمامها على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان اى تثبته فى المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما فى الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه فى تفسير الاتكاء فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد جانبيه مع اعتماده على شئ كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابى وتبعه المصنف رحمه الله تعالى الى انه الاعتماد على ما تحته من غير ميل كما بينه هنا وسيأتى تحقيقه ثم اشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى فى حال الاكل لم كان غير محمود فقال (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) اى يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضى تناوله (ويستكثر منه) اى يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كانه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانيته (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدارا ضروريا بسرعة (انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا) المستوفز الذى لايكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ونحن على اوفاز اى على سفر كما قلت فى الفصول القصار * من كان فى الدنيا على اوفاز * استراح لتهنيه بعيشة اوفاز * والاقعاء بقاف وعين مهملة والف

ممدودة لها تفاسير والمعروف منها اثنان احدهما ان يلصق اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس يشبه جلوس البدوى المصطلى والثانى ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعى فى الصلوة اذا رفع رأسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية واما الاول فمكروه بلا خلاف فى الصلوة واما اقعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقال التجانى ان قول المصنف رحمه الله تعالى ان جلوس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادته له فى كل احواله والذى ورد فى الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال انس رضى الله عنه رأيته صلى الله عليه وسلم اكل مرة مقعيا لاوجه له لان ماقاله المصنف رحمه الله تعالى هو المصرح به فى عامة الكتب ورواية انس رضى الله تعالى عنه مرة لاتصلح سندا للنفى فى غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله تعالى عليه وسلم من الاتكاء فى اكله لانه من الكبر والترفه الذى يتره طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ومستدعى لكثرة الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكئا مكروه فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الامة اوحرام عليه وان ذلك من خصائصه ذهب الى الثانى بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله تعالى عليه وسلم غيره دائما لايدل على حرمته (ويقول انما انا عبد) لله لاملك لاختياره العبودية التى هى اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام انما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله والاطراء المبالغة فى المدح والى هذا اشار الابوصيرى رحمه الله تعالى بقوله دع ماادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم وهذا من تأكيد المدح بتنبيه (اكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد) فى حال الاكل وغيره تواضعا لله فلايمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا لغيره ولايعبؤ بترفع ذوى الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضى الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وسيأتى الكلام ايضا على هذا الحديث عند ذكر المصنف له فى قوله فصل واما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامراء وهيأ له محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما اتاه رب المنزل رآه قائما فقال له لم لاتجلس فقال له كيف اجلس اوانام فى محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا واستمر الملك فى عقبه الى الان فلما طغوا وتكبروا حتى

طلب بعضهم سجود الناس له فقصمه الله تعالى وصار ملكهم على شرف الزوال ومالك الملك يؤتيه من يشاء (وليس معنى الحديث فى الاتكاء) المذكور سابقا (الميل على شق عند المحققين) من اهل اللغة والحديث بل هو مامر وهو احد قولين اهمهما واعلم ان الصاغانى قال فى المجمع رجل تكاه مثل تؤدة كثير الاتكاء واصله وكاة والتكاءة ايضا لمايتكأ عليه وهو المتكاء قال الله تعالى واعتدت لهن متكأ قال الاخفش هو فى معنى مجلس وطعنه حتى اتكأه اى القاه على هيئة المتكى واوكأت فلانا نصبت له متكاء وفى نوادر ابى عبيد اوكأت عليه اى توكأت انتهى وكذا قاله غيره فهو واوى من الوكاء واصل معناه الشد والمعتمد على شئ يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على الارض اوغيرها متكئ والمائل على احد شقيه المستند الى الارض اوالوسادة متكئ ايضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به فى الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين او المشهور فى الاستعمال فحيث طابق الوضع كان اظهر فرد المصنف رحمه الله تعالى لم يصادف محزه واكثرهم على خلافه الا الخطابى والحق احق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هى الاعتماد الحسى فالمتربع معتمد والمائل يعتمد على احد شقيه فلاخطأ فى كلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى من التحقيق وانما جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لايستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى انى لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظرى انما هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا التفت اليها وانما اتناول منها بسرعة مقدرا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكت آخر تدرك بالذوق اى انه مهتم بذلك لابالاكل والشرب كالبهائم (وكذلك) اى لقلة اكله وشربه وعدم ترفهه فيهما (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) بيان لوجه الشبه (شهدت بذلك) اى بقلة نومه صلى الله تعالى عليه وسلم ودلت عليه (الاثار الصحيحة) اى الاحاديث الصحيحة المسندة فى كتب الحديث التى اغنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان اكثر حالاته صلى الله تعالى عليه وسلم وربما خالف هذا احيانا اذ قد ورد مايؤذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها كحديث النسائى عن انس رضى الله تعالى عنه قال ماكنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل مصليا الارأيناه ولانشاء ان نراه نائما الارأيناه (ومع ذلك) اى مع قلة نومه غالبا (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عينى تنامان ولاينام قلبى) فنومه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كنومنا بل هو يقظة فكأنه لانوم له اصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله عليه وسلم مستيقظ دائما مدرك مالايدركه غيره فى يقظته ولذا كانت رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم قسما من الوحى لاتصاله بعالم الملكوت فى نومه وكذلك سائر الانبياء عليهم

الصلوة والسلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب حاله فانه صلى الله عليه وسلم نام هو واصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وادركهم حر الشمس وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لايدرك ماتدركه العين النائمة وانما يدرك مايتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب بعض الفقهاء الى نومه صلى الله عليه وسلم لاينقض وضوءه و بانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينيه فلم تدرك خروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله (وكان نومه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم) اى استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله تعالى عليه وسلم من عادته انه اذا نام ينام عينه على شقه الايمن وحكمته ماياتى ان القلب مائل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب فى جانب اليسار ليعادل الكبد الذى فى جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم من التيامن فى اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وماقيل من انه حال امتهان لاتكائه على الجانب الذى ينام عليه لاوجه له فان فى النوم راحة تعين على العبادة فالاتكاء عليه كالاتكاء على اعضاء السجود وكذا ماقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوى اذا تقوى كان شديد القوة والنوم امر طبيعى فى جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هى الحالة الغالبة فالتقوى احتراز مما يعرض نادرا (لانه) اى النوم (على الجانب الايسر اهنأ) افعل تفضيل مهموز الآخر من الهنىء اى اسهل والذ والهنىء ماتاتى من غير مشقة فالنوم على الايسر يسر وفعله هنوء بالضم ويكسر هنا قيل انما جعل الطائف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم فجعل جانب القلب واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتقلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنية كداء مرنا حية باب بنى شيبة فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك و يسارك يمينه والذى يلا قيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب ان يؤتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدى بثنية كذا والاصل فى القربة التيمن فلو ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره وكان قد ابتدأ بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدأ بالحجر وجعل البيت

على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحائط الذى من مركز الحجر الى الطرف الآخر وغيره مايقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله (لهدو القلب) تعليل لكونه اهنأ اى لراحته واستراحته لسكونه والهدو بزنة العلو بدأ السكون وهو مهموز الآخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل ايضا وهو قريب من الهنوء ولا مهما همزة فى الاصل (ومايتعلق به) اى والهدو معلاقه الذى تعلق به و بنياطه وكلاهما (من الاعضاء الباطنة) اى الموجودة فى داخل الانسان (حينئذ) اى حين نومه على جانبه الايسر (فيستدعى ذلك) اى يقتضى ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع (الاستثقال فيه) اى ثقل بدنه فى نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا او مسبب عما قبله (والطول) اى طول نومه وطول زمان بطالته (واذا نام النائم على) جانبه (الايمن تعلق القلب وقلق) اى لم يستقر ويطمئن (فاسرع الافاقة) اى التيقظ من نومه (ولم يغمره) بفتح الياء وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الراء المهملة (الاستغراق) فى النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا وغمره له بتغطيته وشدة استيلائه عليه من غمره الماء اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مائل طرفه الاسفل الى اليسار لتوفر الحرارة فيه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها فى الايمن لكون الكبد فيه

﴿فصل﴾

والضرب الثانى) مماتدعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يمدح بقلته و بضدها تتميز الاشياء وهو (مايتفق التمدح بكثرته) يتفق اما من قولهم اتفق كذا ووقع اتفاقا اى وقع من غير قصد لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل مايتفق الناس على التمدح بكثرته اى كثرة المدح وقوته والمراد بالاول لان صاحبه لم يقصده ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان قد يقصد ذلك (والفخر بوفوره) اى الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده فانه موجود فى كثير مما لايعتد به وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر (كالنكاح) اى الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول (والجاه) وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة واصله وجه فقلب واعل كما مر (اما النكاح فمتفق عليه) اى فى مدحه وشانه تتفق العلماء واصحاب البصيرة والتمييز (شرعا) كما سيأتى بيانه (وعادة) فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لايخفى ونصب شرعا ومابعده على التمييز او المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال (فانه) اى النكاح (دليل الكمال) فى الخلقة والجسم بقوته واعتداله (وصحة الذكورة) الظاهر انه مصدر كالعصوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته ايضا الا ان الاول اولى وصحة الذكورية

يعنى قوتها وسلامتها من الضعف والآفة (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة) للناس (معروفة) بينهم لاتنكر (والتمادح به سيرة) اى طريقة (ماضية) اى قديمة اونافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر (واما الشرع فسنته مأثورة) اى هو فى الشرع امر مسنون منقول فى آثار السلف والاحاديث الصحيحة اى المراد انه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبى طريقته التى كان يتحراها (وقد قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه البخارى (افضل هذه الامة) اى افضل امة الاجابة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة (اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى ان المراد بالافضل فى كلامه هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابيح له جمع مافوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم دون امته فدلت الاكثرية على تعينه بهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان افضل من امته اجل واعلى من ان يقال انه افضل منهم مع انه لافائدة فيه ببادى الرأى الا انه رضى الله تعالى عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه لماسئله الك زوجة فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان اكثرها نساء وفى صحيح البخارى كامر ولابد من جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا فى الامة على مايأتى لان افضل التفضيل فى الاصل انما يضاف لماهو بعضه وان جاز يوسف احسن اخوته على ماارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغنى عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما ابيح له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء ان يجمع فى وقت واحد عنده عدة لابجوز لابمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتى تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بهن باجماع اهل السير احدى عشر امرأة ستة من قريش واربع من سائر العرب وواحدة من بنى اسرائيل من نسل هارون عليه الصلوة والسلام وهى صفية بنت حيى وسيأتى لذلك مزيد بيان واما التى اختلف فيهن ممن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها اوخطبها ولم يقع عليها العقد فاختلف فيهن وفى سبب فراقهن والذى ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السرارى ويمكن ان يكون المراد بالامة مايشمله صلى الله تعالى عليه وسلم وامته ولابعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لمافيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك مالايشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال امر الله كقوله تعالى * خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها * وفى ذلك تسبب للالفة والمودة وايصال القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التى لايطلع عليها الا النساء ولمافيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع

مع قلة اكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك ممالايحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا ان يحوجه لكسب مالايقدر عليه وارتكاب محظور كما فى آخر الزمان ولذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذى لازوجة له ولاولد وانما قيد بهذه الامة فيخرج سليمان وداود عليهما الصلوة والسلام فانهما كانا اكثر منه صلى الله تعالى عليه وسلم نساء وفيه تأمل (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى اباهى بكم الامم يوم القيمة) ووقع فى بعض النسخ تناكحوا فانى مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح احدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذرارى او المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا انسب بالمقام وبمابعده وتناسلوا اصله تتناسلوا بتائين فى اول المضارع وحذفت على القياس فى كل تائين فى اوله اوهو امر بدل مما قبله او بتقدير العاطف والاول اولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تأويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيم والآيسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا او يكون الظاهر ذلك منها لشبابها ففيه نهى عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى انه ينبغى ان يكون المقصود من النكاح مع دفع الشهوة وجود ذرية تعبد الله وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهى على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة اوتجعل مسرته بهم ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتى يوم القيمة بمثل السيل فيحطم الناس فيقول الملائكة عليهم الصلوة والسلام لماجاء مع محمد اكثر مماجاء مع الامم والانبياء وهو صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم وهذا الحديث اخرجه ابن مردويه فى تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضى الله تعالى عنه تزوجوا فانى مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضى الله عنه تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة (ونهى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التبتل) كما رواه الشيخان عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن لنا لاختصينا فهذا هو المنهى لانه كان استأذنه فى التبتل فرده ونهاه عنه وروى ان جماعة من الصحابة فيهم على كرم الله وجهه لمارأوا عبادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه

وماتأخر قالوا نلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم
صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك والاختصاص الشق على الانثيين وانتزاعهما
وهو التبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل
بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول واما فاطمة الزهراء
رضى الله تعالى عنها فسميت بتولا لانقطاعهما عن الدنيا وزهدها اولانقطاعها
لعبادة الله تعالى اولانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا واما قوله تعالى
وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى اخر اى انقطع فى الليل لعبادة
الله تعالى والتهجد واخلص له واقرأ القرأن وورد النهى عنه اى عن موا فقتهم
للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لو اذن لنا لاختصبنا فلا يدل الاختصاص
ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمى الصوم وجاء وهو جائز فى
البهايم فى صغرها لغرض كتسمين المأكول وهو فى الآدميين حرام لانه مثلة ويكره
استخدام الخصى ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهى عن ترك النكاح للقادر
عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهى على ظاهره قال التجانى
المتأخرون من المالكية يجعلونه فى حق بعض الناس واجبا وفى بعضهم مندوبا اليه
وفى حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل
وهو الذى ليس له اصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد انكره كثير من
العلماء والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به انتهى (مع ما فيه) اى فى النكاح
اوفى التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ماسيأتى (من قمع الشهوة) اى قهرها والغلبة
واصله ضرب الرأس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنساء
(وغض البصر) اى خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر
كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوق لامر يغض عنه عينه
فكانه لايبصره ويجوز جعله حقيقة اوكناية (اللذين نبه عليهما) صفة لقمع الشهوة
وغض البصر (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه ابن ماجة عن
عايشة رضى الله تعالى عنها الا ان فى سنده مقالا وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى
الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه الطبرانى بلفظ المصنف
رحمه الله تعالى بدون فانه الى آخره (من كان ذا طول) بفتح الطاء المهملة وسكون
الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته واهله بحيث
لاينظر الى مال امرأته وغيرها فانه ورد فى الحديث ايضا لاتنكح المرأة لمالها فلعل
مالها ان يطغيها ولالجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن فى
النساء مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا نهى ارشاد لاتحريم وورد فى الحديث

استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعلاه اعوج فان اردت تقيمه كسرته
وقد نظمه القائل حيث قال

هى الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها*
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى اليس عجيبا ضعفها واقتدارها*

ومنه اخذ المنصور قوله

* اذا نعمت عرس وانت تحبها * فدع بحرا رهوا ولا تثر الموجا*
ولا تطمعن الدهر فى ان تقيمها فقد خلقت فى الاصل من ضلع عوجا*

(فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج) اى فان التزوج اكثر حملا على غض
البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اى حفظا للفرج عن الزناء
والفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين
ثم لما كان فى التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه افضل من التزوج دفعه بقوله (حتى
لم يره) اى التزوج والنكاح (العلماء) بالدين والشرع (مما يقدح فى الزهد) القدح
والطعن فى الشئ ذكر عيوبه اى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح
اليه مبالغة و قوله فى الزهد اى ترك الدنيا ولذاتها لان ماذكر من جملة التلذذ لان
القصد به التعفف والنسل وهذا مروى عن عمر رضى الله عنه فانه قال ليس فى النساء
سرف ولا فى تركهن عبادة وزهد كما فى تحفة العروس للتجانى (قال سهل بن عبد الله)
التسترى وقد تقدمت ترجمته (قد حبّبن) بالبناء للمجهول والتشديد (الى سيد المرسلين)
اى خلق الله تعالى فيه محبتهن وسيأتى بيانه والضمير للنساء (فكيف يزهد فيهن) اى
اذا كان الله تعالى جعل حبهن مركوزا فى جبلة من هو ازهد الخلق صلى الله تعالى
عليه وسلم فكيف يدعى احد ان تركهن زهد وفى سراج المريدين فى قوله
تعالى * والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما * ان هذه الآية تدل التزوج على الغزوبية لبقاء الذرية ودعائها
الذى هو عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه افضل فى حق من يقتدى به
من الناس (ونحوه) اى مثل المروى عن التسترى مروى (عن ابن عيينة) علم
منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى احد الائمة الاعلام
الامام الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار واحمد والزعفرانى وروى عنه
خلق كثير وخرج له اصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفى فى رجب
سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان اعور وترجمته مشهورة
وهو من تبع التابعين ادرك منهم ستة وثمانين نفسا (وقد كان زهاد الصحابة رضى الله
تعالى عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح) كثيرى بيا ئين اصله كثيرين
بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون من النساء حرائر واماء اوانهم

كانوا يطلقون كثيرا فتكثرون زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجانى وكان عند على كرم الله وجهه اربع نسوة وتسع عشر وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت وولدله منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفى صغيرا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى سماه محسنا كما ذكره الدارقطنى والحسن رضى الله تعالى عنه كان من اشد الناس حبا للنساء وكان مطلاقا كما قيل انه ارخى ستره على مائتى حرة والسرارى بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطئ حتى ان من جعل بيد زوجته عتق كل سرية لم يكن لها عتق التى لم يطأها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى هو الجماع والاخفاء لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل فى النسبة للدهر دهرى بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدل احدى رائيها ياء كما قالوا تظنيت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم الصدر السرية والتسرى سنة وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسرارى فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم (وحكى) بالبناء للمجهول (فى ذلك) المذكور من التزوج والتسرى وكثرته (عن على) كرم الله وجهه (والحسن) ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله (وابن عمر وغيرهم) من الصحابة (غير شئ) هذا هو نائب فاعل اى حكى عنهم اشياء كثيرة فى ذلك لا شيئا واحدا وابهمه لكثرته كما فى قوله (وقد كره غير واحد) من السلف الصالحين (ان يلقى الله) اى يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء فى الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال الله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقات واصل معناه مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما (عزبا) بفتح العين المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة هو الذى لا امرأة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامرأة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فقد حكى عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فى الطاعون وكان هو مطعون ايضا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا اى بعيدا عن النساء وقال فى الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمرأة عزبة ولا يقال للرجل اعزب بالهمزة او هى لغة قليلة وفى التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال الازهرى واجازه غيره وورد فى الحديث فى مسلم ما فى الجنة اعزب قال النووى هو فى جميع النسخ بلادنا بالالف وهى لغة مشهورة وما وقع فى بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاى بالقلم

كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول فى كتب اللغة (فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا) جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى اشار اليهما ويحيى وزكريا بلغاته اعجميان وقيل انه عربى مشتق من الحياة لا كالمفازة بل لان الله احيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه اول من آمن به واوتى النبوة والفضائل المكتسبة منه فقال * انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال قتادة والكلبى لم يسم احد قبل يحيى بذلك فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحى اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابنى خالة وكانت امه تقول لمريم انى اجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك كما سيأتى ويحيى اكبر من عيسى وفى مقدار عمره اختلاف فقيل كان عمره مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين واما زكريا فمن ذرية سليمان عليه الصلوة والسلام وكان آخر من بعث من بنى اسرائيل قبل عيسى عليه الصلوة والسلام ولما اراد بنو اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما رأوه نشروا الشجرة حتى قطعوه فى جوفها واما يحيى عليه الصلوة والسلام فقتل بسبب امرأة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت امرأتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلوة والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين الفا وهذا قصاص الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثون الفا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل بل صح فى الحديث ان الموت بعد استقرار اهل النار فى النار واهل الجنة فى الجنة يؤتى به بصورة كبش املح فيذبحه يحيى وقيل الذى يذبحه جبريل عليه السلام والثانى مروى فى بعض التفاسير واما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية (وقد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) فى قوله تعالى * وسيدا وحصورا * والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سيأتى واما الحصور فمن الحصر وهو المنع واذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النساء بحيث لا يأتيهن واخرج ابن جرير عن ابن عمرو وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله تعالى عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب واشار بانملته وبه فسر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما واورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف رحمه الله تعالى السؤال كذا فى الشرح الجديد (اقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووى رحمه الله تعالى فى فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى او هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه

حديث ضعيف لايحتج به رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده عن زهير عن عفان عن حماد
ابن سلمة عن على بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف
ابن مهران عن ابن عباس قال ما احد من ولد آدم الا قد اخطأ او هم بخطيئة ليس
يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف و يوسف بن مهران مختلف
فى جرحه (فكيف يثنى الله عليه) فى القرآن (بالعجز عما بعده فضيلة) وهو النكاح
وكثرته (وهذا عيسى بن مريم) عليه الصلوة والسلام (تبتل عن النساء) اى انقطع
عنهن بالكلية ولم يتزوج (ولوكان كما قررته) ان النكاح بل كثرته فضيلة ممدوحة
(لنكح) اى لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى)
عليه الصلاة والسلام (بانه كان حصورا ليس) معناه (كما قال بعضهم) كما مر
(انه كان هيوبا) اصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهى المخافة والتقية ويأتى
بمعنى من يخافه الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح (اولاذكر له)
الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره و انما اراد انه صغير جدا ولا حركة له اصلا لما
ورد فى بعض الاحاديث الضعيفة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ نواة
اوقذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفى اخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان
عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين كما فى حديث القبطى الذى
امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح
ثوبه فاذا هو حصور (بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء) حذاق جمع
حاذق بمعنى ماهر فى علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذى يميز جيد النقدين من رديهما
واصل معناه الوزن وخلاف النسئة ولم يذكر الاول فى القاموس وهو المراد هنا (وقالوا
هذه نقيصة وعيب ولاتليق بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى لايصلح لهم ولاتناسبهم
من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها (وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب) كسائر
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا
وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسيأتى الكلام على تفصيل عصمة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام (اى لايأتيها كانه حصر عنها) اى منع عنها فحصور بمعنى محصور
قال التجانى هذا الجواب ضعيف لما ورد فى حديث بسر بن عطية قال لعن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من تحصر فى الاسلام وقال لاحصور الا يحيى بن زكريا
كما اخرجه الماوردى وغيره وفيه نظر سيأتى (وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة فى النساء) يعنى ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله
بغيرها من العبادة اوله قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولايريده فانهم عرفوا الشهوة
بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها و بين الارادة بان الارادة اعم
فان الارادة قد تتعلق بما لاتشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعى غير

مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصى عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان
الله تعالى عصمه بان لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولولم يفسر بما ذكر لما صح تعقيبه
بقوله (فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها
موجودة ثم قمعها) وهذا معنى ماقاله السهيلى فى تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا
كان عن اختيار منه لان خلافه نقص فى الخلقة وعيب ينزه عنه الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وما ذكره ابن حزم فى الملل والنحل من ذمه انما يمشى فيما اذا كان
لمجرد الشهوة البهيمة اما اذا كان لتكثير النسل فى الاسلام فلاذم فيه وقال ابن العربى
قول من قال الحصور هو الذى يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين
احدهما انه اثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلى الثانى ان حصورا
فعولا من صيغ المبالغة وهو انما يكون فى الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة
وهو فى شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا لنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن
التبتل انتهى فاندفع ماقيل ان قوله لاشهوة له فى النساء لاوجه لذكره هنا لانه فى
مقام الجواب عما اوردوه وهذا مقرر للايراد لاجواب عنه وماذكر فى هذا المقام هو وجه
تفضيل البشر على الملك فان قلت فماتقول فيما ورد فى الحديث على فرض صحته من
انه عنين او ماله كقذاة اونواة او هدب ثوب قلت (اجيب عنه بانه لغلبة خوف
الله تعالى عليه وشدة الرياضة التى كانت مشروعة له ذبلت اعضاؤه
واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا انه لنقص فى خلقته فهو على طريق
التشبيه والتمثيل (اما بمجاهدة) متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبياء عليهم
السلام على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا ان منهم من قهر
شهوته وغلبها حتى اضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر
وخلوة عنهن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريده
من الشهوات وهو الجهاد الاكبر (كعيسى عليه الصلوة والسلام) او يقهرها بعدم
مطاوعتها على ما تريده لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات
من غير مجاهدة وهو المراد بقوله (او بكفاية من الله كيحيى عليه الصلوة والسلام)
فان الله تعالى صرفه عن شهوة الجماع قبل والاليق ان يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة
كعيسى عليه الصلوة والسلام ولذا فسر البيضاوى حصورا بمبالغ فى حبس نفسه
عن الشهوات والملاهى والتبتل فى حق المعصوم امر مطلوب وفى غيره منهى عنه
وكان مشروعا فى دينهم كما مر فترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه
عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلوة والسلام شديد الخوف من الله تعالى حتى
قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه و بدت اضراسه
للناظرين (فضيلة زائدة) مرفوع خبر للمبتدأ وهو قمعها فى قوله ثم قمعها اى ترك

الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على اصلها (لكونها شاغلة في كثير من الاوقات) اى لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروى مشغلة اسم فاعل من اشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال لغة ردية ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال قال من قال اشغالى لايصلح لاشغالى كما مر وهو لم يقع في النسخ المتداولة (حاطة الى الدنيا) اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى اسفل وهو منصوب خبر بعد خبر للكون اى ينزل الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله عن التحلى بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها (ثم هى) اى الشهوة في الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم (في حق من اقدر عليها) بالبناء للمجهول اى من اقداره الله على شهوته فلم تغلب (وملكها) اى تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم مبنى للفاعل او بضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول قال التلمساني وهو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى في حق الكريم حسن (وقام بالواجب فيها) معطوف على ملكها اى من ملك شهوته ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك ينبغى تركه وفيها متعلق بقام اى قام بما يجب عليه وهو ملتبس بها (ولم يشغله عن ربه) شغل يشغل كسئل يسئل وقوله (درجة علياء) مرفوع خبر هى اى مرتبة رفيعة عند الله تعالى وعلياء بفتح العين والمد وهى في الاصل كل مكان مشرف اى مرتفع واريد به علو المنزلة (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى هذه الدرجة العليا عند الله التى وصل اليها في الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بنقل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق (الذى لم يشغله) صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مبينة لما قلناه (كثرتهن) اى النساء (عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة) على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل (لتحصينهن) اى جعلهن محصنات متعففات بنكاحه صلى الله تعالى عليه وسلم لهن (وقيامه بحقوقهن) من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه اجرا ايضا (واكتسابه لهن) فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لو سأل الله تبارك وتعالى ذلك اوصله له من غير كسب لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملتزم لقيام العبودية (وهدايته اياهن) بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة اعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب

كما يوهم ذلك فقال (بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو) جمع حظ كاحاظ واحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ بالنون وهى لغة يمانية (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها لغيره اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم برئ منها ومن محبتها فان قلبا امتلأ بمحبة الله تعالى عز وجل لا يدخله محبة غيره كما قيل

* تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا *

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث (فقال حبب الى) بالبناء للمجهول (من دنياكم) ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى في الصلاة قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم والنسائى عن انس رضى الله تعالى عنه بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عايشة رضى الله تعالى عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشياء النساء والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق اخرى يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقى وابن حجر وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث والف في ذلك جزأ مستقلا صحح فيه روايتها ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشرى في سورة آل عمران والراغب وابن عربى في الفصوص وغيرهم من وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها فجعلوه وهما لفظا ومعنى ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا لذة كان او عبادة فالصلاة من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله * واعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا * فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطى وهو ان يذكر جمعا يريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث تطوى ذكره في الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته وقوف السامع عليه لنكتة فان هناك الطعام كما ورد التصريح به في رواية احمد كما مر فطيه لخسته عنده واستشهدوا له بقوله

* ان الاحامرة الثلاثة اهلكت * مالى وكنت بهن قدوما مولعا *

* الخمر والماء القراح واطلى * بالزعفران فلا ازال مولعا * وقوله

* كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها *

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر اما الاول فالثالث وهو قوله واطلى الخ على نهج ما تقدم في الحديث واما الثانى

فلانه ذكرقبيلة بنى حنيفة وجعلها اثلاثا عبيد وموالى وحلفا فبقى نفس القبيلة وصميمها وهى مذكورة اولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل اجبت من دنياى اشارة الى ان محبته صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك ليست باختيـاره لشهوات نفسه بل بفعل الله لحبه انما هو لله وذاته لما اراده و رضيه له لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتى لايتجلى باحوال البشر الااذا امره الله تعالى بها لتتأسى به امته وتتشرف بمارضيه له فعده صلى الله تعالى عليه وسلم من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل فى الصلوة اشتغل ظاهره و باطنه عن الخلق لوقوفه بين يدى خالقه فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه واذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة رضى الله تعالى عنهم فقال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فقال ابو بكر رضى الله عنـه وانا يارسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالى عليك وقال عمر رضى الله تعالى عنه وانا يارسول الله حبب الى من الدنيا ثلاثا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضى الله تعالى عنه وانا يارسول الله حبب الى من الدنيا افشاء السلام واطعـام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال على رضى الله عنه وانا يارسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام وقال وانا يارسول الله حبب الى من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة المسلمين واداء الامانة واداء النداء من قبل الله تعـالى وهو يقول ان الله يحب من دنيـاكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم و يجوزان يكون لجميع الناس اوالامة (فدل) ذلك على (ان حبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لما ذكرمن النساء والطيب اللذين من دنيا غيره) اى دل ماذكرمن بناء حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم (واستعماله لذلك) بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب (ليس لدنياه) والتلذذ بهـا (بل لآخرته) اى استعمالها بنية العبادة التى هى من امور الآخرة (للفوائد التى ذكرناها فى التزوج) من تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن (وللقاء الملائكة فى الطيب) اى استعماله لاجل محبة الملائكة له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى اصحاب العزائم والهيا كل يلازمون البخور بمحبة الروحانية له (ولانه) اى الطيب (ايضامما يحض على الجماع و يعين عليـه)

اى مما يحرك داعية الجماع و يقويها لانتعاش الروح به (و يحرك اسبابه) اى يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة اوالمراد آلته فكنى به عنها تأدبا واحتشاما وهو تعبير حسن (وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين) الجماع والطيب (لاجل غيره) اى الزوجات والملائكة عليهم الصلوة والسـلام (وقمع شهوته) لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد الطيب اذا اهدى اليه وفى الحديث من عرض عليه طيب فلايرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا اعطى احدكم ريحانا فلايرده والمراد الريحان المعروف اوكل ذى رائحة طيبة قال ابن عربى ماورد قط عن نبى من الانبياء انه حبب اليه النساء الاسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانوا رزقوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلامنا فى كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عزوجل لاينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه مشغول بالتلقى عن الله تعالى ورعاية الادب فلايتفرغ الى شئ دونه فحبب اليه النساء عنـاية منه عزو جل لهن فكان يحبهن لكون الله حببهن اليه والله جميل يحب الجمال (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) لا لامر آخر عرضى يرجع بالآخرة الى الدين والثواب (فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته) الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه والمناجاة المسـارة بتلقى وحيه ودعائه وقرأة القرأن وقال الدوانى فى شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول اى الملائكة ويسمى ايضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمى بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية اولانه جبرنقصها لامكانى بحصول مايمكن لها بالفعل انتهى (ولذلك ميز) فرق وفصل (بين الحبين) اى حب ماهو من امور الدنيا ظاهرا و بين حب ماهو حقيقة لله (وفصل بين الحالين) اى حال المحبتين بتغيير العبارة والاسلوب كمامر (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلوة) فاوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كمامر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجبولة لذاتها فليست معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كماذهب اليه من جعل الثالث مطويا كماعرفته وقرة العين مايسر من ينظره من قريقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة او من القرار والسكون لسكونها اذانظرت من تحب او بنوعها لان الحزين يسهر وقد قيل عينى تقر بكم عند تقربكم ولولم يغير الاسلوب قال والصلوة التى بها قرة عينى اووقرة عينى فى الصلوة فلايحصل التمييز بين ماحبه عرضى و بين ماحبه ذاتى وحقيقى و بهذا العدول علم انها ليست من دنياهم وهذا انمايتوهم اذاكان الحديث لفظه هكذا والمصنف رحمه الله تعالى ممن لايقول بصحته كماسيأتى فى فصل وقاره والمراد بالصلوة الصلوة المعروفة ذات الركوع والسجود لمايشاهد فيها كمامر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلوة والسلام عليه قال ابن قرقول والاول اظهر (فقد ساوى) صلى الله تعالى عليه وسلم

(يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام فى كفاية فتنتهن) يعنى ان يحيى وعيسى صلى الله تعالى عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهى تمكن حبهن فى القلب والاشتغال بهن عن العبادة فى مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه عنها فى حال من الاحوال فساواهما فى عدم الاشتغال حتى كان الوحى ينزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى فراش زوجاته واعانته خديجة رضى الله تعالى عنها فى اول امره فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال مضا جعتهن مشغول عن عبادته الا ان يعد جماعه عبادة (وزاد فضيلة عليهما) اى يحيى وعيسى (بالقيام بهن) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم فضيلة زائدة على ماذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله تعالى (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر) بالبناء للمجهول اى اقدره الله تعالى (على القوة فى هذا) اى امر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس فى هذا دلالة على ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم اقدر منه كما توهم (واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الحرائر) جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيله فجمع جمع فعيلة كما قال النابغة * حذرا على ان لاتنال مقادتى * ولا نسوتى حتى يمتن حرائرا * (مالم يبح لغيره) من جمع مافوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ماشاء فى اول امره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على مافى عصمته من ازواجه فقال لاتحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ماملكت يمينك قاله التجانى وقال مغلطاى له صلى الله تعالى عليه وسلم خصائص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم الزيادة قال بعض الشراح من قال لايزيد على التسعة واستدل بقوله تعالى * فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع * وهو خطأ بالاجماع لانه ليس معنى الآية وليست الآية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هى فى حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة بالاجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستدلا عليه بهذه الآية الابعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم فى كتاب المحلى (وقد روينا عن انس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث عن المصنف رحمه الله تعالى للنسائى وهو عند البخارى وروينا بفتح الراء والواو المخففة وماقاله الشمنى نقلا عن المزى من انه بضم الراء وكسر الواو المشددة لاوجه له (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) اى يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعله كناية ثم ذكر (فى الساعة من الليل والنهار) اى مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك

مع ماكان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم قيل والتبتل فى حق يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام تشبيها بالملائكة كان افضل فى زمانهما ودوره صلى الله تعالى عليه وسلم عليهن كان برضاءهن فلا ينافى وجوبه فى القسم (وهن احدى عشرة) اى نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم اللاتى دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا فى صحيح البخارى من حديث انس رضى الله تعالى عنه وقال ابن خزيمة لم يقل احد من اصحابه قتادة بانهن احدى عشرة الامعاذ بن هشام عن ابيه وعن انس رواية اخرى فى البخارى انهن تسع وجمع بينهما بان ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم كن تسعا فى ذلك الوقت كما فى رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت امة وبعضهم قال انها زوجة وروى ابو عبيد انه كان مع فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا اول ماقدم صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا لان جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا يستقيم هذا الا فى آخر امره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج احدى عشرة امرأة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ماذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الا احدى عشر مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشر وايضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة فى غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لايقال انه حقيقة فى ذلك الا اذا لم يضف للازواج الا كما فى الحديث وقوله تعالى * والذين يظهرون من نسائهم * فان اضيف لهم لم يتناول الاما حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الآية على عدم صحة اظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه التجانى اذ جمع بين روايتى انس بانهن تسع حرائر واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السرائر فى النساء كالاية والنساء والنسوة والنسوان جمع المرأة من غير لفظها كالقوم فى جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى ساعة واحدة لاينافى القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم نقل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعى من ائمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه فى الحضر او يقول هذا برضائهن مع ان هذا لايفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار فى القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روى انه صلى الله

تعالى عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها كما فى مسلم وعليه قوله تعالى * ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء * وقال المنذرى كان عن يؤوى عايشة وام سلمة وزينب وحفصة رضى الله تعالى عنهن انتهى ومن زوجاته سودة وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة انتهى واستدل القائل بالوجوب عليه بحديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه اولعدوله عن الافضل فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضى الله تعالى عنهن مفصل فى السير وللعلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى

* توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب *
* فعايشة ميمونة وصفية * وحفصة يتلوهن هند وزينب *
* جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب *

والواو فى قوله من الليل والنهار بمعنى او (قال انس رضى الله تعالى عنه وكنا نتحدث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى قوة ثلاثين رجلا) فى الجماع وهذا تتمة الحديث الذى قبله (خرجه) اى رواه مسندا (النسائى) وقد تقدم ان البخارى رواه ايضا (وروى) بالبناء للفاعل والمفعول (نحوه عن ابى رافع) اى هذا الحديث مروى عن ابى رافع ايضا فى سنن ابى داود والبيهقى والنسائى ولفظه طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه فى يوم اوليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وابورافع هذا هو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهوقبطى واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال البرهان الحلبى فى الصحيح من رواية الاسمعيلى عن معاذ عطى قوة اربعين رجلا وفى حلية ابى نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفى الترمذى ان قوة كل رجل من رجال الجنة قوة سبعين رجلا يعنى من اهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل فى الجنة قوة مائة رجل والنسائى هو الامام الحافظ الحجة ابوعبد الرحمن احمد بن شعيب بن على صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفى سنة ثلاث وثلثمائة ويشبه انه سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق من اصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوته صلى الله تعالى عليه وسلم قوة الوف ووقع فى بعض النسخ هنا برواية اللخمى عن المصنف (وعن طاوس اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا) وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليمانى

وهو من ابناء الفرس وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاوس لانه كان طاوس القرا وروى عن عايشة وابى هريرة وابن عباس وغيرهم رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الزهرى والتيمى وابنه وغيرهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم (وعن صفوان بن سليم) بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبيه على الارض اربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود توفى سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعى روى عنه اصحاب السنن (وقالت سلمى مولاته) بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووى رحمه الله تعالى والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانها خادمه وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى زوج ابى رافع داية فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وروى عنها ابن ابنها عبيدالله وهذا الحديث صحيح رواه ابوداود كما قاله السيوطى (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة) اى من جماع كل واحدة منهن (قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا) اى الغسل من كل جماع (اطهر واطيب) وروى ازكى واطيب واطهر اما كونه اطهر فظاهر واما انه اطيب فلانه يقوى البدن بانعاشه وقيل اطيب للباطن واطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها ابى رافع وفيه دليل على ان الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه لازم وما ورد فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتى احدكم اهله فليتوضأ على الوضوء اللغوى اى بغسل فرجه وهذا بناء على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد فى الحديث (وقد قال سليمان عليه الصلوة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك) اى الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن يأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال له صاحبه اوالملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت لشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفى رواية على ستين امرأة وفى رواية على تسعين امرأة وفى اخرى على سبعين وتسعة وتسعين وستأتى الزيادة وما فيها قالوا ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفى الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء او بعضها احرارا وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر فى الاربع

لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشئ واطاف به اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللغتين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفى الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان عليه الصلوة والسلام لم يقله وانه نسيه فذكره المصنف رحمه الله تعالى فى اول القسم الثالث وقوله فى الحديث لم يحنث بمعنى لم يأثم ويخطئ لانه فعله ولبس المقسم عليه الولد لانه لبس فى قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفى البخارى بدله كان ارجاء لحاجته وسليمان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم امره ونسبه مفصل فى القصص والتواريخ (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى ظهر سليمان عليه الصلوة والسلام ماء مائة رجل) المراد بالماء المنى ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه فى قوله تعالى * يخرج من بين الصلب والترائب * والمراد انه له قوة مائة رجل فى الجماع (وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (وغيره) انه كان له (سبع مائة مرأة وثلاثمائة سرية) وروى ان له الف امرأة وتسع مائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدم وقد تقدم ما اجابوا به عنه الان بعضهم ضعفه وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسرارى ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف احواله صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار لكان اظهر وفى تفسير النسفى عكس ما حكى المصنف رحمه الله تعالى عن النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاث مائة حرة وسبع مائة سرية وكذا فى الكشاف والله اعلم بالصواب (وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده) لان الله تعالى الآن له الحديد فكان يصنع منها الدروع ويبيعها ويأكل هو واهله من ثمنها مع ما اتاه الله تعالى من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا فى الافضل منها وفصلوه فى كتب الفقه والحديث بما لا مزيد عليه ولا حاجة هنا لنا به (تسع وتسعون امرآة) كما ذكره القشيرى فى تفسيره (وتمت بزوج اوريا مائة) بالرفع والنصب فالرفع ظاهر على الفاعلية والنصب على ان يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها اى وتمت العدة فى حال كونها مائة يقال لكل قرين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة رديئة واوريا علم لرجل من بنى اسرائيل عبرانى واختلفوا فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل ممدودة وقيل مقصورة وهمزته مضمومة وواوه ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها الف وقيل همزته مفتوحة وهو اوريا بن حنان وقال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب النساء هو اوريا السعدى وزوجته هى ام سليمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقصته هى ا

المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى * ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وقصته سيأتى وما فيها فى القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما فى بعض الشروح وذلك ان داود عليه الصلوة والسلام كان فى ملأ من بنى اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين الحافظين له انى لا اقع فى مكروه غيبا او حضرتما وانفرد فى محرابه يوما فوقع بين يديه طائر حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده ليأخذه فزال من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فرأى امرأة جميلة تغتسل فاعجبته فلما اشعرت به ارسلت شعر ذوائبها لتسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسأل عنها فقالوا انها امرأة رجل من جنده يسمى اوريا وكان مع جيش له بعثوا للقتال فارسل لاميره ان يجعله مع التابوت فى المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما اخبر برجل منهم توجع فلما اخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امرأته وتزوجها فولدت له سليمان عليه الصلوة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو اشد عليه فتسورا حائطه ودخلا عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل مملكته بغاة لان التسور فى العادة كذلك لانه كان ليلا بلا استيذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقصا امرهما وقالا له احكم ولا تجر كما قصه الله تعالى وقدرا كلا منهما على لسان اوريا وقوله تعالى اكفلنيها اى اجعلها فى كفالتى او كفل بمعنى زوجنى والنعجة كناية عن المرأة وقوله عزنى اى غلبنى لغلبته على وقهره فقال داود لخصمه ما تقول فاقر فزجره وامره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسماء فشعر بما اراد او قيل بيناله ما فعل وعرفاه ان ما قالاه تمثيل له فخر ساجدا فغفر الله تعالى فقال يارب ما اصنع اذا طالبنى بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه القصاص واهل الكتاب حتى روى عن على كرم الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلوة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلوة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه الصلوة والسلام رأى امرأته فاعجبته فسأله تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله فى شرعهم وجائز وقد كان مثله فى صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسيأتى بقية الكلام على هذا (وقد نبه الله) عز وجل (على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة الاية) حكاية عن الخصمين اللذين نزلا نفسهما منزلة اوريا ونزل احدهما الآخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال صحبة يوم نسب قريب وذمة يعرفها اللبيب بشديد الظلمة والعرب تكنى عن المرأة بالنعجة وهى فى الاصل انثى الضأن تاؤها لتأكيد التأنيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا فاستعيرت للمرأة كما استعيرت لها الشاة فى قوله

* ماشاء ما قبض لمن حاتله * حرمت على وليتها لم تحرم * وفى مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تأكيد التأنيث اولبيان ان المراد لحديث فلاولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امرأة مؤنثة يستأنس بها زوجها وضدها امرأة مذكرة وهى التى لا تلين لزوجها ولا يأنس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه فانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده (وفى حديث انس عنه عليه الصلوة والسلام) كما رواه الدارقطنى فى الاوسط بسند جيد كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى انه قال (فضلت) بالتشديد والبناء للمجهول (على الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش) البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ماء الحياة يصبب فى الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم تضعف قوته وانه من آياته وسيأتى معنى السخاء والشجاعة (واما الجاه) وهو كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال اربابها فى مقاصده وهى لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقاء (فمحمود عند العقلاء عادة) منصوب على الظرفية او الحالية اى جرت عادة العقلاء بحمده ويجوز جعله تميزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمود عقلا يقتضى انه محمود شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب مايعرض له عند بعض الناس وهو اعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه مايخشى على المال (ولقد ر جاهه) اى الانسان ذى الجاه يعظم فى القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الاخرة بلواء الحمد يكون (عظمه) بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفى آخره هاء الضمير كما قاله البرهان الحلبى (فى القلوب) لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه فى قلوب الناس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعدائه ثم ايد كونه محمودا بقوله (وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى عليه الصلوة والسلام وجيها فى الدنيا والآخرة) اى عظيما ذا جاه عند الله فى الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان اصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كلمة فى قوله ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الاخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع مايتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال (لكن آفاته كثيرة) جمع آفة وهى العاهة والمفسدة اى يعرض له مايفسده ويجعله مذموما كثيرا (فهو مضر لبعض الناس) باعتبار مايعرض له (لعقبى الآخرة) باعتبار مايعقبه ويترتب عليه فى الآخرة فاللام لتقييد التأقيت والتخصيص بالوقت

كما قيل ويجوز ان تكون تعليلية (فلذلك) اى لضرره فى العاقبة (ذمه من ذمه ومدح ضده) وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس اى انما ذمه من ذمه لهذا لا لانه فى نفسه امر مذموم كما ورد فى الحديث الصحيح ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله فى الاحياء فقال طلب رفعة المنزلة فى القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه فى الآخرة جائز ممدوح كقول يوسف عليه الصلوة والسلام * اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم * وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه اودنياه رواه البيهقى (وورد فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض) معطوف على قوله ذمه وهذا كما فى الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا * وان كان العلو فى الآية مقيدا بصفة زائدة عليه من ظلم اوغيره والخمول بضم الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا يضر مقام الانبياء الذين لم يرضوه والخلفاء الراشدين والائمة العلماء فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل افضل من الخمول فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله * لا يريدون علوا * دون يعلون ومن لم يقدر ويصبر على ذلك فالخمول فى حقه احسن كما اشار اليه فى الاحياء واليه الاشارة فى حديث المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر

*من اراد العز والراحة فى الدهر الطويل * فليكن فردا من الناس ويرضى بالخمول*

ويرى ان قليلا كافيا غير قليل (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) اراد بالحشمة المهابة والعظمة فى اعين الناس ولذا عطفه عليه (والمكانة) وهى المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيرى وتبع فى هذا الاستعمال المشهور لانها وردت فى كلام الناس بمعنى الاستحياء فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما فى شرح ادب الكاتب لابن السيد ان الحشمة تصنعها الناس موضع الاستحياء وعليه قول المتنبى * ضيف الم برأسى غير محتشم * ولبس كذلك انما هى الغضب * يقال هذا مما يحشمه اى يغضبه وهذا قول الاصمعى وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الاستحياء وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال طاعم حشمة (وقال الطرماح ورأيت الشريف فى اعين الناس * وضيعا وقل منه احتشامى انتهى (وفى القلوب والعظمة) معطوف على الحشمة (قبل النبوة عند الجاهلية) اى عند اهل الجاهلية والمراد بالجاهلية مابين المولد والمبعث وتطلق على ماكان

قبل البعثة ومنه ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووى فى شرح مسلم
فان اضيف للشخص اريدبه ماقبل اسلامه وقديرادبها ماقبل فتح مكة (وبعدها)
اى بعد النبوة (وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية)
بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عندهم
وعظمته فى قلوبهم لايواجهونه بمايؤذونه وهو منصوب مفعول مطلق لمذكور
اومقدار اوحال (حتى اذاواجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره فى ذلك
معروفة سيأتى بعضها) وهذا بالنسبة لما فى نفس الامر واكثر الاحوال كما روى
عن ابى جهل لعنه الله انه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خير ابله بثلث
ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى
ثمنه ارامل بنى عبد المطلب وابو جهل مخزى بنظرة ولايتكلم ثم قال صلى الله
تعالى عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما
يكره فقال لااعود يامحمد فقال له امية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى
رأيتم منى لما رأيت معه لقد رأيت رجالا عن يمينه ويساره يشرعون رماحهم
الى لوخالفته لكانت اياها اى لاهلكونى فى وقايع اخرى مثلها وهذا لاينافى انهم
فى بعض الاحيان قد اذوه صلى الله تعالى عليه وسلم جهرة كوضعهم الجزور على
ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له فى قصة الاسراء وقول ابى جهل لابى
طالب عند موته لانطعه اترغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم احيانا لذلك لحكمة تظهر بها غيرة الله وامره بعقابه تلهم
(وقدكان يبهت) ثلاثى مبنى للفاعل اوالمفعول بمعنى يتحير ويدهش كما فى قوله
فبهت الذى كفر (لرؤيته) بالبناء للفاعل من باب علم اى يخاف و(من لم يره) فاعله
(كماروى عن قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفى الصحابيات من
يقال له قيلة ثلاث قيلة بنى انمار ويقال اخت بنى انمار وقيل الخزاعية ام سباع وقيلة
بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية نسبة لعنزة بنون وزاى معجمة مفتوحتين وقيلة
الغنوية بفتح الغين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها
مذكور فى شمائل الترمذى وفى سنن ابى داود واخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطى
وهو انها رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهوقاعد القرفصا قالت فلمارأته
متخشعا فى الجلسة ارعدت من الفرق وهذاهو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال
التجانى هى ابنة مخرمة الغنوية اوالعنزية ويقال بل التميمية ولاتنافى بين الاخير وغيره
لان العنبرية نسبة لبنى العنبر والعنبر ابوحى من تميم كما ان العنزة حى من ربيعة بن نزار
وفى مثل هذه القصة وقعت لعمر رضى الله عنه وكان مهيبا وقوله (انها لما رأته) صلى الله
عليه وسلم (ارعدت) بضم الهمزة وسكون الراء وكسر العين وفتح الدال المهملات مبنى

للمجهول اى لحقتها رعدة من الخوف وقوله (من الفرق) بفتحتين وهو شدة الخوف وفى
نسخة ارتعدت (فقال) صلى الله عليه وسلم لها (يامسكينة عليك السكينة) وصفها
بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة اى الزمى الاطمينان وعدم الخوف
والسكينة ثبت فى النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدأ وخبر والجملة خبرية مرادا
بها الامر اى اسكنى وبالنصب اى الزمى السكينة للاغراء اوعليك اسم فعل بمعنى الزمى
ولم يثبت هنا ماقيل انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وبين سكينة ومسكينة
تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق مسكينة انها لاتلحقها الهاء
لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لاتلحقه التاء لكنه حمل على فقيرة وسكينة بالفتح
والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وهو قليل جدا (وفى حديث ابى مسعود) رضى
الله تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه
البدرى كما فى البخارى وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا
وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها فهو بدرى دارا لاحضورا
وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه ايضا احمد واصحاب السنن
ومات سنة اربعين او احدى اواثنين واربعين وهذا الحديث رواه البيهقى من
طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ واخرج الحاكم مثله
وصححه (ان رجلا قام بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد) بضم الهمزة
وكسر العين المهملة اى اخذته رعدة من خوفه وفى رواية اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه بالفاء والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة وهى
لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف (فقال هون عليك فانى لست بملك الحديث)
وتمامه وانما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة امر من
الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لاتخف قال فهون عليك
فان الامور بكف الاله مقاديرها ولاوجه لتفسيره باقتصد فى المحبة ولاتبالغ فى التعظيم
وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعنى لست من الملوك
الجبابرة حتى تخاف منى لان جبريل عليه السلام جاء من الله وخيره بين ان يكون ملكا
نبيا وعبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه بالملك وكذا الخلفاء الاربعة
واول من ملك فى الاسلام معاوية رضى الله تعالى عنه فلاوجه لقول بعضهم هنا
ان هذا لاينافى انه ظهر ملكه وان كان ملكه بنوة فانه لم يرد الانفى انه ملك كسائر الملوك
عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه احد من شراح الحديث (فاما عظيم قدره
بالنبوة) اى وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم
مالايخفى (وشريعة منزلته بالرسالة) جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين
الله تعالى وخلقه وفى تأهيله لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة

لعزوله اليهم بذ بلبغه من اتصاله بالملاء الاعلى (وانافة رتبته بالاصطفاء) الانافة بالنون والفاء بمعنى الاعلام والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفاء ولايته وهى اقرب مقاماته من الله تعالى عز و جل لتمحيصها للطرف الاعلى ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة اعلى الجبل كما فى الصحاح فتفطن لتعبيره اولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالمرتبة بمصادفة ذلك لمحذه وفى نسخة بدل انافة انابة بالنون والموحدة (والكرامة فى الدنيا) خصها لانها محل ظهورامره صلى الله عليه وسلم والافذلك فى الاخرة ممالاشبهة فيه كما سيذكره (فامر هو مبلغ النهاية) اى ليس فوقه مرتبة اخرى يكون نهاية اى هو نهاية النهاية (ثم هوفى الاخرة سيد ولدآدم) عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث البخارى وهوانا سيد ولد آدم ولافخر وتقدم ان قوله ولافخر سقط من بعض النسخ الشفاء وثبت فى بعضها قيل وهوالاكثر الاولى لانه هنامن كلام المصنف رحمه الله لا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ومن اثبته فهو حكاية كما قاله التلمسانى وفيه نظر والمراد انااشرف هذاالنوع آدم وولده لماورد آدم ومن دونه تحت لوائى ومر فى معنى قوله ولافخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى اوالمراد انى لاافتخر بهذا فان لى ماهواعظم منه من المنزلة عند ربى ولاحاجة للاستدلال عليه بكنتم خيرامة لانه يلزم من تفضيل امته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم لان اجراعمالهم له (وعلى معنى هذاالفصل) المشتمل على اوصاف يتمدح بكثرتها و يتميز باستبثاره بها (نظمنا هذا القسم) الاول من الكتاب اى جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى على الاولى والفرائد كناية واثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاماعظيم قدره الى آخره (باسره) اى جميعه واصل الاسر شدالاسير بما يربط به و يطلق على مايربط به فاذاقيل خذالاسير برباطه فالمراد خذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معنى الجميع (فصل واما الضرب الثالث فهو ماتختلف الحالات) جمع حالة والحالة تذكر وتوئنث والغالب عليها التأنيث (فى التمدح به) وهوتفعل للكثرة او بمعنى المجرد لا التكلف (والتفاخر بسببه) بين الناس (والتفضيل) من الناس لصاحبه (لاجله) غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار فى مقام اسهاب الخطابة (ككثرة المال) ثم بين اختلاف الناس فيه فقال (فصاحبه على الجملة) هذا كما يقال فى الجملة والمال انه احيانا لافى كل حال (معظم عند العامة) اى اعوام الناس اواكثرالناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه (لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه) مجرور معطوف على حاجاته (بسببه) اى المال (والا) اى وان لم يكن ذلك اوان لم يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه احد واقيم بسببه مقامه وهو قوله (فليس له فضيلة فى نفسه)

ثم فسرما اجمله فقال (فمتى كان المال بهذه الصورة) اى مصروفا فى هذه المصارف (وصاحبه منفقاله فى مهماته ومهمات من اعتراه) بمهملتين بينهما مثناة فوقية اى من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل * يالهف نفسى على مال اجود به * على المقلين ارباب المروات * (وامله) اى رجاه ورجاء احسانه واكرامه ولوقرئ امله بمعنى قصده صح ولكن لايساعده الرسم كما قيل من ام له يقال ماامله (وتصريفه فى مواضعه) تصريفه مرفوع معطوف على المال اى كان تصريفه فى مواضعه اى تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهماسواء معنى و يجوزجره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم فى بعض النسخ اى ان صاحبه منفقاله فى مهماته ومنفقاله فى تصريفه فى موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل اى ضمير صاحبه وللمفعول اى ضمير ماله والاول اولى لقوله (مشتريا به المعالى والثناء) الذكر الجميل (الحسن) فانه حال منه اى حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالى الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالى جمع معلاة وهى الجاه والرتب العالية والثناء الذكر الجميل كما علم وذلك انمايكون بصرفه واعطائه اطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشتراء امر نفيس كما فى قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة شايع فى الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة (والمنزلة من القلوب) اى كونه له مهابة وعظمة فى قلوب الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهومنصوب معطوف على المعالى مفعول الحال (كان فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا) جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون لالانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله ايضا (واذا صرفه فى وجوه البر) اى اذا صرف المال فى انواع الاحسان كالصدقة والهبة والهدية فالوجوه بمعنى الجهات اوهو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية اومكنية (وانفقه فى سبيل الخير) اى فى طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم (وقصد بذلك) المذكور من الصرف والانفاق اوالمصروف والمنفق (الله والدار الآخرة) اى قصد ان يكون ذلك لله وثواب الاخرة (كان فضيلة) اى امرا فاضلا محمودا (عند الكل) اى كل الناس من اهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومر ان ادخال ال على كل و بعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الاان القياس لاياباه (بكل حال) اى سواء اكتسب به المعالى والثناء ام لا (ومتى كان صاحبه ممسكاله) اى لايصرفه فى مصارفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له (غيرموجهه وجوهه) اى غيرصارف له فى مصارفه فى مهماته ووجوه الخير (حريصا على جمعه عاد) اى رجع اوصار (كثرة كالعدم) الكثر كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر

كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس لنعمه يستحيل الفقر الذى هرب منه و يفوته الغنى الذى طلبه فيعيش عيش الفقراء و يحاسب عليه حساب الاغنياء كما قيل وقد مر

* يفنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث مايدع *
* كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع *

(وكان منقصة فى صاحبه) لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا (ولم يقف على جدد السلامة) اى لم يحصل مايسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين اولاهما مفتوحة وهى الارض الصلبة وفى المثل من ملك الجدد امن العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط فى النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى فمن قال انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جديد فلا وجه له وفى بعض الحواشى انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد اى طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اى طريق وهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان جده فى الامر اى رأى فيه رأيا ظاهرا ولم يقف فى امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع اوصرف ماجمعه فى مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما اشار اليه بقوله (بل اوقعه) ماله الذى جمعه وبخل به (فى هوة) بضم الهاء وتشديد الواو وهى الاهوية الحفرة العميقة وهو مضاف لقوله (رذيلة البخل) اى اوقعه فى وهدة دناءته وخسته التى حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذى قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من اثارها (ومذمة النذالة) هى بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة اوعلى هوة وهذه من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه فى نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بمايكتسب به كما بينه بقوله (فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله) اى عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها (ليست لنفسه) من حيث هى (وانما هو) اى التمدح به (بالتوصل به الى غيره) من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله (وتصريفه فى متصرفاته) وفى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الاما تصدقت فامضيت اواكلت فافنيت اولبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لامال له قال ابو العتاهية

* اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه *

* الا انما مالى الذى هو منفق * وليس فى المال الذى انا تاركه *

(ولاجامعه اذا لم يضعه مواضعه) بصرفه فى مهمات ومهمات من امله (ولاوجهه وجوهه) من انواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم فى كل منهما (غير ملى) اى غير غنى يقال ملأ ملاءة بالمد اذا استغنى (بالحقيقة) اى فى نفس الامر لان الغناء هو المغنى لصاحبه عما سواه وهو محتاج لماله ولغيره فى اكتسابه وقد قال الحكماء الغنى هو الذى لايحتاج فى ذاته وكماله الى شئ (ولاغنى بالمعنى) المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكانه فقير (ولاممتدح به) بفتح الدال (عند احد من العقلاء) بالجر معطوف على ملى اى من كمل عقله لايمدح بمثله (بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه) ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر * وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد كما اشار اليه بقوله (اذ مابيده) اى فى ملكه وتصرفه (من المال الموصل لها) بكسر الصاد مخففة ومشددة اى اغراضه (لم يسلط عليه) بالتشديد والبناء للمجهول اى لم يرزقه الله تعالى و يقدر له الانفاق منه فى اغراضه (فاشبه خازن مال غيره) فى حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه (ولامال له) جملة حالية من خازن (فكانه) اى صاحب المال (ليس فى يده شئ منه) كما قيل

* اذا كنت جماعا للمال ممسكا * فانت عليه خازن وامين *
* تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وانت دفين *

﴿ولمحمود الوراق﴾

* تمتع بمالك قبل الممات * والا فلا مال ان انت متا *
* شقيت به ثم خلفته * لغيرك بعدا وسحقا ومقتا *
فجادوا عليك بزور البكاء * وجدت عليهم بما قد جمعتا
* وارهنتهم كلما فى يديك * وخلوك رهنا بما قد كسبتا *

(والمنفق ملى غنى بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ) فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غنى بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل

* وانى لارجو الله حتى كاننى * ارى بجميل الظن ما الله صانع *

وهذا كله توطئة لبيان امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة للمال عدما ووجودا كما قال (فانظر سيرة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم اى طريقته وهديه (وخلقه) بضمتين اوضم فسكون (فى المال) اى فى شان المال وماله بالنسبة اليه (تجده قد اوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد) اى اتاه الله تعالى ذلك كما ورد فى الحديث الصحيح بينا انا نائم اوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وفى كتاب الوفاء عن جابر رضى الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار

الصرصرى رحمه الله تعالى بقوله

* بعثت مقاليد الكنوز جميعها * تهدى اليه على سراة حصان *

* جعلت عليه قطيفة من سندس * فله استقام الزهد عن امكان *

ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله تعالى اعطاه ذلك حقيقة وخزائن الارض دفائنها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملائكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها فى يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزائن فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاؤها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وجباية اموالها لهم والمفاتح روى فى الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروى بياء فى كلام المصنف جمع مفتاح والاول افصح كما قيل (واحلت له الغنايم ولم تحل لنبى قبله) الغنيمة ما يؤخذ من الكفار وكذا الفئ وفرق الفقهاء بينهما بان الفئ ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما لما يعم الآخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك كل ما يحصل من اهل الحرب كالمقرب من الذبايح تنزل نار من السماء فتحرقه ان قبل فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلوة والسلام سرارى ولا شك انها تحصل من اهل الحرب غنيمة حتى تملك قلت قالوا ان الذى كانت تأكل النار سهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرايبهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كداود عليه الصلاة والسلام من امته شيئا منها كان له ذكره ابن الجوزى رحمه الله فى الوفاء (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهى مكة والمدينة والطائف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازى ونصفها تهامى (واليمن) وهو معروف وسمى به لانه عن يمين الكعبة او ليمنه او لانه عن يمين الشمس (وجميع جزيرة العرب) الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعى ومن حفر ابى موسى الى اقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند ابى عبيدة وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها (وما دانى ذلك) اى قرب منه او من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه (من الشام والعراق) اما الشام فبهمزة وتبدل الفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم ابى هذا ويذكر ويؤنث كغيره من اسماء البلدان وينسب

الى شامى بهمزة والف وشآمى بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امرأة شامية وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة او لانه يشأم بها قوم او باسم صاحبها وهو سام ابن نوح عليه الصلوة والسلام فعربت بابدالها شينا معجمة وانكر بعضهم هذا وقال انه لم ينزلها سام قط وانما سميت بها لان فى ارضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات او الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجا دسلمى الى بحر الروم وما يسامته وقد دخله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله من تكريت الى عبادان وهى قرية ولذا قيل فى المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة حده جانبها الايمن للعراق واليسار لفارس واما عراق العجم وهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربى وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها على رضى الله تعالى عنه فى سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم اهلها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما فصل فى السير والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت فى زمن ابى بكر رضى الله تعالى عنه لكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوتى مفاتيحها ووعد بفتحها (وحلت اليه) بالبناء للمفعول نائب فاعله ما لا يحصى الآتى وانثه باعتبار المعنى وهو الاموال (من اخماسها) اى غنائمها لان الغنائم تجعل خمسة اجزاء خمس للامام واربعة اخماس للجند او المراد نفس الخمس لانه الذى يختص به (وجزيتها) بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤس سمى بها اما لانها تجزى او من المجازاة او من الاجزاء بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت واحكامها تفصيلا فى كتب الفقه (وصدقاتها) المراد ما كان يؤخذ من الزكوة كبيت المال لانه يسمى صدقة (ما لا يجبى) اى يجمع يقال جباه اذا جمعه (للملوك الا بعضه وهادته) اى اهدت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد المفاعلة (ملوك الاقاليم) المتقدمون قسموا الارض سبعة اقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل فى كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف اراد بالاقاليم النواحى والبلدان وان كانت من اقليم واحد او اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر قسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكى الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهى اخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بناء على الظاهر فرقا

بينها و بين الصد قة وممن هاداه صلى الله تعالى عليه وسلم المقوقس ملك القبط اهدى له جاريتين وكسوة و بغلة بيضاء وهى الدلدل وهاداه فروة ابن عمرو الجذامى عامل قيصر بعد ما تبرع بالاسلام واهدى له بغلة بيضاء يسمى فضة وفرسا واثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم ارسل يقول له ارجع لدينك اطلقك واعيد لك ملكك فابى وقال لا افارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضنت بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم اكيدر دومة الجندل كما فى البخارى والنجاشى واما هدايا غير الملوك التى كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير واهدى له الرهبان ايضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجرانى ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين اى عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استيلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد هدية غيره او ذاك خاص بالمشركين ومن قبل منه من اهل الكتاب فيقبل كما توكل اطعمتهم وذبايحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم لانتفاء التهمة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ما اهدى له خاصة دون ما اهدى للصحابة (فما استأثر بشئ منه) اى ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون اصحابه لرؤيته انه احق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثرة وهى المكرمة والخصوصية كما قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم (ولا امسك منه درهما) اى لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده او فى يده (بل صرفه) فى (مصارفه) باعطائه لمن يستحقه وفى وجوه الخيرات (واغنى به غيره) من الجند والمؤلفة قلوبهم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (وقوى به المسلمين) بصرفه فى مهماتهم وفيما ينصرهم على اعدائهم (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه منه (ما يسرنى) اى يجعلنى فى سرور وفرح (ان لى احد ذهبا) اى مثل احد اونفس احد يكون ملكا لى وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز اى من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاؤه اسم جبل معروف قريب من المدينة سمى به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فيه احد جبل يحبنا ونحبه (يبيت عندى منه دينارا الا دينارا ارصده لدينى) وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففى الصحيح تأتى على ثالثة وعندى منه دينار اوامسى وعندى منه دينار وروى تحول ذهبا و يصير ذهبا والا دينارا روى بالرفع والنصب وارصده بفتح الهمزة وضم الصاد و يجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته وارصدته بمعنى اى اعددته للخير او الشر وقيل رصدته

بمعنى راقبته وارصدته بمعنى اعددته وهو المشهور وقوله لدينى بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين اما لان صاحبه غائب اولانه لم يحل اجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغى ان يكون المرء مستغرقا فى الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية الحديث فى الصحيحين وشروحهما فان اردته فانظره وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (واتته صلى الله تعالى عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستمائة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت) انتهى وقوله دفعها روى رفعها بالراء قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه ابنة سعد عن عايشة رضى الله عنها بهذا اللفظ وفى الشرح الجديد لم اقف عليه الا ان له نظائرا وردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما لم يأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم النوم لخوفه ان يفجأه الاجل قبل تفريقها فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر بعد ما عصمه الله تعالى مع اشقياء هذا الزمان وصرفهم بيت المال فى هوى انفسهم قاتلهم الله انى يؤفكون (ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة فى نفقة عياله جمع عيل وهو من تلزمه مؤنته والدرع مؤنثة وهى الذروية وكان له صلى الله عليه وسلم عدة ادراع ذات الفضول سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدر وذات الحواشى ودرعان اصابهما من بنى قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود عليه الصلوة والسلام التى لبسها لقتال جالوت والتبر والخريق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى فى مادة س ب غ درع البتر ذات السبوغ لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكرا وغيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزى ان التى رهنها صلى الله تعالى عليه وسلم هى ذات الفضول ورهنها عند يهودى يسمى ابا الشحم كما وقع فى كتب فقه الشافعية ووقع فى كلام بعض تسميته بابى شحمة والمعروف الاول والسغدية لم يتعرضوا لحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثانى وهى بغين معجمة منسوبة للسغد وهى جبل معروف وقال مغلطاى انها بعين مهملة وفى معرب الجواليقى انه بالسين والصاد لانه قياس فى كل سين معها حرف الاستعلاء قال شقيق الاسدى * وخافت من جبال السغد نفسى * وذكر مغلطاى ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور فى صحيح مسلم مسندا عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشترى من يهودى طعاما نسئة فاعطاه درعا رهنا وفى رواية فرهنه صلى الله تعالى عليه وسلم درعا له من حديد ورواه البخارى ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع ان كسبهم لا يخلو من خبيث وجواز الرهن على الثمن المؤجل وادخال القوت خلافا

لزفر وقال المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا على انه يجوز معاملة اهل الذمة وغيرهم الافى الات الحرب ومايستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل المواد عة وبعدها واما رهنه فانه خشى التقوى به علينا فهوكالبيع فما فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اما لان اليهودى لم يكن من اهل الحرب اولانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفى رواية ان تلك الدرع رهنت فى عشرين صاعا وفى اخرى اربعين وفى رواية وسق شعير والاجل سنة فحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه كما اقتضاه كلام المصنف ولقول ابن عباس توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى والخبر محمول على غير الانبياء وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تفسر لاتفاقه جميع ماعنده ولا يعلم احد بذلك اذلوعلم الصحابة ذلك واسوه صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع اموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم ولكنه تكتمه وتصبرا لذذا بالرضى بما قسم وفى قوله فى نفقة عياله للتعليل (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو ضرورته اليه وزهد) بصيغة الماضى معطوف على اقتصر (فيما سواه) اى ماسوى مقدار الضرورة ووقع فى بعض النسخ وزهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته او مجرور بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة الاولى اوضح (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ماوجده) حاضرا عنده من غير تكلف (فيلبس فى الغالب الشملة) هى كساء يشتمل به وقيل يختص بماله هدب وقال ابن دريد هو كساء يوتزر به وهى البردة وان تسمية العوام مايلف على الرأس شملة فلا اصل له (والكساء الخشن) اى الكسوة الملبوسة والكساء قريب من البرد وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق (والبرد الغليظ) البرد بضم اوله ثوب فيه خطوط ومطلق الثوب ثم اشار الى ان هذا لبس من عجزه صلى الله تعالى عليه وسلم عن فاخر الالبسة بل لعدم ميله لها فقال (ويقسم) مما عنده من الغنايم والهدايا (على من حضر عنده اقبية الديباج المخوصة بالذهب) الاقبية جمع قبا وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة فيهما تكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو يليها صاد مهملة وهاء اى منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل يأتى للتشبيه كثيرا فلاوجه لانكارهم سرح بمعنى كالسراج فى كتب المعانى وقيل هو المكفوف بالذهب او المطوق او المزرر به اما نفقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مأكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضى عليه الشهر لايوقد فى بيته نار وهو

يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اوكفافا وملبسه فى الاكثر اكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن ايضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم حلة حمراء وبرد احمر يلبسه فى العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين مساوية لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه فى التمامة فى صفة العمامة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكر مروية فى البخارى وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب اوكان يقسمه ليباع او يعطى ذلك للنساء والصغار (ويرفع لمن لم يحضر) اى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لى ابى يامسور بلغنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال ادعه لى فاعظمت ذلك فقال يابنى انه ليس بجبار فدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يامخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يريه محاسنه ثم اعطاه له فنظر اليه وقد رضى وكان فيه شدة واستيثار (اذ المباهاة) اى اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين واصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها (فى الملابس) جمع ملبس وهو اللباس بمعنى (والتزين بها) اى اظهار الزينة بالملابس (ليست من خصال الشرف والجلالة) اى المغالات فى ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقهاء رضى الله تعالى عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح فى الجمع والاعياد ومجامع الناس ومايستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب ومافيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لاينوى به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت فى ذلك نصيحة لطيفة * قالت بها الاكياس * كل ماشتهيت والبس ماتشتهيه الناس (و) انما (هى من صفات النساء) اى المباهات والتزين انما يقصده النساء ومن فى حكمهم كالاطفال واكثر مارأينا ذلك فى محدث النعمة ومن لاقدرة له (والمحمود منها) اى مايحمد منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس (نقاوة الثوب) بفتح النون وضمها اى كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر يهمز فيقال نقاءة بمعنى نقاوة وفى لبستان يستحب للرجل الذى له مروءة وعلم ان يكون ثيابه نقية من غير كبر ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اماوجد هذا شيئا ينقى ثيابه وقال ايضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبى مهنته وفى المثل المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهى النظافة كالنقاء بزنة السخاء (والتوسط فى جنسه)

اى المحمود فى اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا (وكونه لبس مثله) بضم اللام بمعنى اللام اى كونه مما يلبسه امثاله من جنسه فينبغى ان يوافق اقرانه فى لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس فى الفتنة ونهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلى اكثر الناس فى مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغنى ماهو دون حاله ولا الفقير ماهو فوق حاله ولا يتزيى العالم بزى الجاهل ولا الجاهل بزى العالم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشبه الزى بالزى حتى يشبه القلب بالقلب والى ماذكرناه اشار بقوله (غير مسقط لمروة جنسه) اى مما يعد مسقطا لمروة امثاله (مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين) اى غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذالة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات امر مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما نراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج مما نحن فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فمخالف للسنة لتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكى قالا اذا كان ذلك شعارا للعلماء يندب ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا فاذا كان كذلك فى نفس الامر لا يسقط المروءة وقال السبكى انه استنبطه من الآية فى نساء النبى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة ولبس من الشهرة المنهى عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها ليروج حاله عند الظلمة ويجعله مكتسبا له منهى عنه وفى الحديث من لبس ثوب شهرة فى الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيامة (وقد ذم الشرع ذلك) كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة فى الملابس والتزين بها (وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) يعنى ان كثرة المال والملابس عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها واما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى رأينا بعض الحمقاء يلبس فى المجلس الواحد الوانا من الثياب والغاية النهاية واصلها غيية بيائين اعلت اولاهما لتحصن الثانية بتاء التأنيث وكثرة الموجود المراد به قوة حاله وقدرته على ما يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره او بمعنى القوة (وكذلك التباهى) اى مثل التفاخر بما ذكر التفاخر (بجودة المسكن) اى حسنه بتحسين بنائه وزخرفته وعلوه والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان وهو كذلك فى القاموس (وسعة المنزل) لانه مما يتمدح اهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه النظر

وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك بما يتبعه فقال (وتكثير آلاته) آلات جمع آلة والآلة ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط والمراد به هنا لوازمه كالفراش واوانيه (وخدمه) جمع خادم وفعل بفتحتين جمع سمع منه الفاظ معدودة (ومركوباته) كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لادنى ملابسة اولانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا ذوى العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا تنبيه لا يكره البناء للحاجة وان طال والاخبار الدالة على منع مازاد على سبعة اذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة اى من حيث القدر وفى معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو الحاجة اليه من حيث الوصف كان تخذينا من نحو العنبر والعود والدر فان قلت يشكل ذلك بان الظاهر انه لا كراهة فى تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم قلت يفرق بان النفيس منهما قد ينفع البدن او يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل مازاد منه على ما يدفع نحو الحر والبرد لا مصلحة فيه للبدن وهل تختص كراهة مازاد على الحاجة بالبناء حتى لا يكره شراء مازاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد عدم الفرق نظرا للمعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله ثم بين المصنف ان النبى حائز للفضيلة المالية ايضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز ان يقال فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير عليه سيأتى اخر الكتاب فقال (ومن ملك الارض) بتمليك الله اياه له فلو اراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله له فى طرفة عين وقد خيره الله تعالى بين الملك والعبودية فاختار العبودية كامر (وجبى اليه ما فيها) اى جمع له ما فيها من الغنائم وجزيتها وصدقاتها مما فتح فى زمانه (فترك ذلك) اى المال المجبى (زهدا وتنزها) اى لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد اخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة عن الاخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت حجة على وهو من اعلى المقامات وفى الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله (فهو حائز) جواب من او خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاى المعجمة اى جامع ومحصل (لفضيلة المالية) اى من كان كذلك حاز فضيلة المال التى يفتخر بها اهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك (ومالك للفخر بهذه الخصلة) المالية الا انه لا يفعله كاهل الدنيا وقيل المراد خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذى يلتئم مع قوله (ان كانت فضيلة زائدا عليها فى الفخر) فان بفتح الهمزة مفسرة بمعنى اى كما قاله التلمسانى رحمه الله تعالى وهو تحقيق واثبات للفضيلة التى حازها من

الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة اونا قصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن الظاهر ان يقول زائدة وزائدا على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبنى على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبنى على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفى الشرح الجديد ماذكر من نصب زائدا على الحالية ان صحت روايته فانه فى بعض النسخ مرفوع ومفرق الآتى مرفوع فى جميع النسخ وعندى ان نصب زائدا على انه حال من فاعل مالك لا حائز اى هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زائدا عليها فى الفخر لعدم التفاته بها واكتراثه بها فهو فى ملكها غير مساو لغيره بمن ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا لفخر من افتخر بها فقد ملكها حالة كونه زائدا على سائر ملاكها باعراضه عنها فزائدا وصف له صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك اى مالك ملكا زائدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما فى جميع الشروح وقوله فى الفخر متعلق بقوله زائدا (واقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لم ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدأ حائز خبره ومالك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة اوللمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زائدا خبر ثالث والخبر اذ تعدد يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما زاد عليها فى الفخر والفضيلة لان الاول امر دنيوى لا فخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف فى وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك اتى فيه بان الشرطية لانه لكونه ذا وجهين اذ لا فضيلة له بحسب ذاته فيترآى انه لا فضيلة له اصلا فان نظر لما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة اى هو زائد على تلك الفضيلة المالية فى فخره بالامور الدنيوية لو اراد اما لزيادة ما يأتيه لو بقى على ما عند غيره اولكونه مكسبه طيبا ومصرفه فى محله وفيه من الفوائد ما لا يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يعبأ به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سيأتى ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وزاد غناه على غنى غيره فوائد لا تتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على انه حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ومامر من انه لا يتحقق الكرم بدونه (فكيف) لا يكون فضيلة ليس بشئ فان المراد انه ليس فيه فضيلة ذاتية وما ذكره لا ينافيه كما لا يخفى (ومعرق) بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول

هو القياس من اعرق الرجل والشجرة اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصل فى الكرم والحسب قال

* امحمد يا خير ضنئ كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق *

وقد يقال فى اللوم تهكما وعرق الثرى ذم قال امرئ القيس

* الى عرق الثرى وشجت عروقى *

وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فان نصب يعنى ان الناس تمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم جمع له ما لا يجمع لاهل الدنيا وهو زائد عليهم فى ذلك واصيل فى المدح بذلك لانها لا قيمة لها عنده كما اشار اليه بقوله (واضرابه عنها) اى بسبب اعراضه عن الجهة المالية (وزهده فى فايتها) بالفاء ومثناة تحتية ثم فوقية اى يزهد فيما هو فايت منها اى ذاهب كما قال تعالى *لا تأسوا على ما فاتكم* وفى بعض النسخ فانها بنون بعد الالف (وبذلها) بموحدة وذال معجمة اى اعطائها (فى مضانها) من الضنة بالضاد المعجمة والنون اى يجود صلى الله تعالى عليه وسلم فى محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه وفسره التلمسانى وهو فى غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبى بالظاء المشالة وعليه الرواية فى اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهى الموضع الذى يظن كونها فيه فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم يبذلها فى محلها الذى يرجى فيه كمحال البر والصدقة

﴿فصل واما الخصال المكتسبة﴾

اى الصفات الحميدة التى ليست ضرورية ولا طبيعية (من الاخلاق الحميدة) من هنا تبعيضية او بيانية (والآداب الشريفة) جمع ادب وهو الافعال المستحسنة فى معاملة الناس ومخالطتهم (التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها) اى من قامت به واتصف بها (بالخلق الواحد منها) اى يحمد بكل واحد منها منفردا (فضلا عما فوقه) اى عما زاد على الواحد منها فضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة فى بيان اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا انهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفى صريح او مأول كقوله

*فلما بقى على هذا القلق * صخرة صما فضلا عن رمق*

لان قل ورد بمعنى النفى لان القلة اخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف استعملها هنا فى الاثبات لان معنى الواحد الذى لا يتعدد فلا اشكال فى كلامه (واثنى الشرع على جميعها وامر بها) فيدل الثناء عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغير الطباع وتبدلها فقوله والطبع فى الانسان لا يتغير مأول او اكثرى (ووعد السعادة الدائمة) منصوب بنزع الخافض اى وعد بالسعادة او هو مضمن معنى اعطى (للمتخلق بها) اى الذى اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل * يا ايها المتحلى غير شيمته *

ان التخلق يأبى دونه الخلق (ووصف بعضها بان اجزاء النبوة) كما ورد فى الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وورد فى حديث آخر ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة وهذا هو الذى اشار اليه المصنف اى هذه الخصال من شمائل الانبياء وفضائلهم عليهم الصلوة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزى او تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده (وهى المسماة بحسن الخلق) قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشية عنه والا فحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلف او رياء ونحوه ولا عن الثانى لان تعلق القدرة بالشئ والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية فى اول امرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبنى على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم اطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة (وهو) اى حسن الخلق (الاعتدال فى قوى النفس واوصافها) قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة فى الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان افرطت فهى تهور وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو التوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله (والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها اى اطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمى بمعنى الانحراف والاول اولى (فجميعها) اى جميع الخصال الحميدة (قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) انث ضمير جميع لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه (على الانتهاء فى كمالها) حال من ضمير كانت اى مستقرة تلك الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر فى قوله على هدى من ربهم (والاعتدال الى غايتها) معطوف على كمالها اى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد (حتى) غاية للغاية (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق

عظيم) اى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمل اذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (قالت عايشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرأن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السمهودى قدس الله روحه فى عوارف المعارف فى كلام الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبايع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد فى حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها فى غيره ممتزجة بظلمة الطبايع لتفاوت حاله عن حالهم فينزل الايات لقمعها تأديبا من الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال تعالى * كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا * فثبت فؤاده به عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية كما وقع فى احد اذ شج صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شئ فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفة الاخلاق النبوية بالقرأن وفى ابقاء امهات تلك الصفات تهذيب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال فى كلامها رضى الله تعالى عنها رمز وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان يقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرأن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه فى كلامها اسم كان والقرار خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم معلوم والذى قصد اثباته انما هو بيان حاله مما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعانى فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف فى رضى الله تعالى بالكفر وعدمه كما فصلناه فى حواشى البيضاوى وقوله (وقال عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بهذا اللفظ و رواه مالك فى الموطأ وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لاسيما فى العرب فتممها صلى الله تعالى عليه وسلم بشر بعثه السمحة وزاد فيهما مالم يسبق اليه وجمع ماتفرق منها فيه وفى امته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لايخفى (قال انس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا) وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمى وصف خلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بانه عظيم فى الآية والغالب وصفه بالحسن كما فى هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه من ادبه اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين عائذا على الكفار مهيبا فى صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا اردفه المصنف رحمه الله تعالى بحديث انس خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى مسلم عنه خدمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين والله ماقال لى اف قط (وعن على بن ابى طالب مثله) اى روى على كرم الله وجهه مثل ماقاله انس رضى الله تعالى عنه كما ذكره ابو عبيد فى الغريب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) اى مخلوقا مطبوعا (عليها) اى على مكارم الاخلاق (وفى اصل خلقته واول فطرته) التى فطره الله تعالى عليها اى من غير تكلف ولاتعلم (لم يحصل باكتساب ولارياضة الابجود الهى وخصوصية) بفتح الخاء وضمها (ربانية) منسوبة للرب على خلاف القياس (وهكذا) اى مثل هذا من جمع مكارم الاخلاق فطرة ثبت (لسائر الانبياء) عليهم السلام اى لباقيهم او لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واماغيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة و بعضها مكتسب واما الخلاف فى الاخلاق هل هى جبلة اوكسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلى و بعضها مكتسب والجبلى لايقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفى قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب الى انها كسبية فى الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لانعلم خلافا فى ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة فى كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء فى ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولاحاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف فى مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر فى كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر (ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك) اى كونها خلقية جبلية وانما قيد بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحى لايظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخبار ملائكته عليهم الصلوة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلى حينئذ اما قبله فامره ظاهر لايشتبه

(كما عرف من حال عيسى وموسى و يحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلوات والسلام) قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله و يحيى على سليمان اولذكره اخبار هؤلاء فى الطفولية وهذا الثانى هو الحق فان هؤلاء وقع منهم امور فى طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة كما اشار اليه بقوله (بل غرزت فيهم الاخلاق فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة) غرزت بالبناء للمجهول واصل معنى الغرز ادخال شئ فى شئ فكان لطبيعة ادخلت فيهم ومنه الغريزة وهى الطبيعة وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها واودعوا مجهول ايضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وماذكره من الترتيب فى النسخ عندنا مايخالفه وسيأتى من المصنف رحمه الله تعالى مايبين ماقلناه (قال الله تعالى* وآتيناه الحكم صبيا) الحكم والحكمة من الحكم وهو المنع و منه الحكمة بفتحتين سمى به لمنعه من الفساد وكل مالا ينبغى واختلف فى تفسيرها هنا (وقال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى) يعنى التورية (فى حال صباه) اشارة الى ان قوله صبيا فى الآية حال وهذا احد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فقداوتى الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه لظهور آثارها كانه اوتيها فهو مجاز بناء على ان الله تعالى لم ينبئ صبيا قط وكذا اول قول عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وقيل الحكم العمل مع العلم (وقال معمر) بن راشد (كان) اى يحيى عليه الصلوة والسلام (ابن سنتين او ثلاث) وفى بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر ابن راشد ابو عروة الازدى مولاهم عالم اليمن روى عن الزهرى وغيره وروى عنه كثير واخرج له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما يحتمل فى جنب سعة علمه توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة فى الميزان وقوله ابن سنتين اوثلاث قيل هذا غريب فى الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لاغرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ماانفرد به رواية فكيف يكون غريبا (فقال له الصبيان لم لاتلعب فقال اللعب خلقت) قال السيوطى رواه الديلمى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه ولم يسنده والحاكم فى التاريخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا وسنده واه واخرجه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم فى تفسيره عن معمر قال بلغنى فذكره والاستفهام انكارى فى معنى النفى ولذا روى لم اخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله تبارك وتعالى نبيا طفلا بل روى انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد

وهذا نادر لا يرد نقصا ومن الغريب ما قيل ان الله عز وجل خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بالغا عاقلا وان كان فى صورة طفل كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه الهم التوراة فى بطن امه وروى عن الحسن فلا حاجة لتأويل ماورد فيه بالتأويل المشهورة (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما الصلوة والسلام) هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى عليه الصلوة والسلام لانه اوجد بدون اب فشابه ماابدع من عالم الامر كما قاله البيضاوى اولكونه اوجد بكلمة كن اولاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرا رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القنوى فى نفحاته اصورة كل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبته الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الوجودى الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شان من الشون الالهية المعبرعنها بالكناية تسمى صورة ومعلومية الشئ المراد بكونديه وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب اى الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق شهودى فافهم ولاحاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل (وهو) اى يحيى عليه الصلوة والسلام (ابن ثلاث سنين يشهد له انه كلمة الله وروحه قدبينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام ابنا خالة كما مر ويحيى اكبر سنا منه واطلاق روح الله تعالى عليه امالان جبريل عليه الصلوة والسلام بالروح نفخ فى درع امه فيكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف اولانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق ارواح بنى آدم قبل اجسادهم لما اخذ عليهم الميثاق فامسك روح عيسى عليه السلام فلما اراد خلقه ارسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفى صحيح البخارى مسندا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شهدان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنارحق ادخله الله الجنة (وقيل صدقه) يحيى عليه الصلوة والسلام (وهو فى بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم انى اجد مافى بطنى يسجد لمافى بطنك تحية له) منصوب مفعول له اى سجوده له سجود تحية وتعظيم لاسجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه احمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله لايقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضى ان حمل مريم بعيسى عليه الصلوة والسلام طالت مدته وفى تلك المدة اختلاف وقيل انها

ولدت فى ساعة نفخ الروح (وقدنص الله على كلام عيسى عليه السلام لامه عند ولادتها اياه تقول لها لاتحزنى) وهذا احد من تكلم فى المهد وفى عدتهم خلاف وفى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه لم يتكلم فى المهد الاثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وغلام كان يرضع فى حجر امه ومر عليه راكب فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثله فقال اللهم لاتجعلنى مثله وظاهره الحصر انه لم يذكر معهم الصبى المذكور فى حديث الساحر الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن فى المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله تعالى عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لنبوته فى صحيح مسلم كما علم وقالوا تكلم فى المهد ابراهيم عليه الصلوة والسلام كما ذكره البغوى والقاضى فى التفسير وروى ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم فى المهد وهو عند حليمة السعدية واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكى عن الواقدى وشاهد يوسف كما حكاه القرطبى وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون كما فى مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى عليه الصلوة والسلام فى المهد ايضا ومبارك اليمامة الذى كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الدلائل فهم احد عشر كما فصله البرهان الحلبى رحمه الله ونظم غالبهم القائل فى قوله

*اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم *فهم رسول الله احمد ذو المجد*
* خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من *دعت لابنها فوز كذا شارة فرد *
* فقال الا لا تجعلنى مثله * ورد عليها قولها افصح الرد *
* كذاك الذى قد قال ان جريجنا * برئ فلا ترموه بعد بما يردى *
﴿ ومنهم نجيب كان يدعى مباركا * وقال رسول الله قد جاء بالرشد ﴾
* وماشطة كانت لفرعون تنتمى * وكان لها طفل تكلم فى المهد *
* كذا شاهد فى شان يوسف منهم *فدونك جمعا زائدا لحسن فى العد*

وقوله بقوله الى آخره يعنى انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهى حامل لمكان بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته قال لها ان لا تحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب التاء ظرف صلته وقد اورد على المصنف هنا امران الاول ان تخصيص دلالة الآية على ان المتكلم عيسى عليه السلام فى المهد بهذه القراءة لاوجه له فان القراءتين على حد سواء فى احتمال ان يكون المنادى عيسى او جبريل او بعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قائلا لا تحزنى فان قيل لو كان المنادى جبريل عليه الصلوة والسلام كان فوقها لاتحتها لاتيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على اكمة هو تحتها واذا كان المنادى عيسى عليه الصلوة والسلام قال الجعبرى معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثانى انه قيل ان كلام

المصنف رحمه الله تعالى فى حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من فى المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيمة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه منقطع و يعود فى زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب انما ذكر بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكر هنا بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما فى القراءة بمن الجاره فلما عرفه بالاسم الظاهر وعدل اليه فى محل الاضمار علم انه غيره ولبس ثمة احد فعلم ان عيسى ومعنى كونه من تحتها ان المرأة فى حال الوضع ترتفع من الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبرى واما السؤال الثانى فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما يأتى بهذه من جنسه امر جبلى وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة (وعلى قول ان المنادى) بكسر الدال (عيسى) عليه الصلوة والسلام لا الملك (ونص على كلامه فى مهده) المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد للنوم كما مر ثم خص بما يربط فيه الطفل لنومه وقراره فيه (فقال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا) فلما تكلم عليه الصلاة والسلام بذلك علموا برأة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل و يجوز ان يريد التورية لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بها او الاعم وتعبيره بالماضى باعتبار ما قدره الله تعالى له او جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبئ فى صغره حقيقة كما روى عن الحسن (وقال الله تعالى ففهمناها) اى القصة الاتية (سليمان) عليه الصلوة والسلام (وكلا) اى من سليمان وابيه داود (اتينا حكما وعلما) اشارة الى قصة سليمان عليه الصلوة والسلام اذا اوتى الحكم صبيا وعمره اذ ذاك احد عشر سنة فى الغنم التى نفشت فى الحرث اى رعته ليلا وافسدته والنفش الرعى بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على ان يبقى الحرث بيده وقيل يدفع الغنم لصاحب الحرث و يدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه الصلوة والسلام رأى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثانى رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان عليه الصلوة والسلام سألهما عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال انى رأيت ما هو اوفق بالجميع وهو ان يأخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان عليه ويأخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحب له فقال اصبت وحكم بما قاله قال العلامة ابن القيم فى كتابه معالم التقويم حكم داود عليه الصلوة والسلام له بقيمة المتلف

فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها واخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه الصلوة والسلام قضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضيع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى اصحاب بستان الماشية ليأخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء فهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء فى ضمان النفش وفى المثل وهو الحق وهو احد القولين فى مذهب احمد والشافعى ومالك والمشهور خلافه والقول الثانى موافقته فى ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعى والثالث موافقته فى التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعى بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب ابى حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلوة والسلام اقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان على اهل الحوائط حفظها بالنهار وما افسدت المواشى بالليل ضمانه على اهلها يصح بحكم ضمان النفش وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان عليه الصلوة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى قال النجانى اختلف فى حكمهما فى هذه القضية هل كان بوحى فالثانى ناسخ للاول او باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فتيا يرده ان فتيا الانبياء وعليهم الصلوة والسلام حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم قبل و يؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلوة والسلام انى رأيت ما هو اوفق للجميع وهو مبنى على جواز خطاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام فى اجتهادهم وانهم لم يقروا عليه وفى التلويح هنا كلام يلوح عليه اثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد فى الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول ابى السعود ان رأى سليمان استحسان ورأى داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح فى نفس المجتهد والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يكون الا صوابا او هو العدول عن قياس الى قياس اقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفى الكشاف ان حكم داود عليه الصلوة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمه بجنايتها الى المجنى كما قاله ابو حنيفة فى العبد اذا جنى جناية على نفس فسيده يدفعه او يفديه وعند الشافعى يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت

قدر النقصان فى الحرث وسليمان عليه الصلوة والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء
مافات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث ما يزيل ضرره كما لو غصب
عبدا فابق فى يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترد له وفى هذا المقام كلام
طويل لا حاجة لنا به فان اردته فارجع اليه (وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلوة
والسلام وهو صبى يلعب فى قضية المرجومة وفى قصة الصبى ما اقتدى به ابوه) كما
اقتدى به فى قصة الحرث وذلك كان فى صباه واول امره فهذا واشباهه مما يدل على
انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمسانى ان امرأة كانت بارعة
الجمال وهى من اهل الدين ولها فرفعت امرها لاحد قضاة بنى اسرائيل فلما رآها
افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها
عن نفس فاتت لنبى الله داود عليه الصلوة والسلام فحجبت عنه فاجمع الاربعة
ان يقولوا لداود عليه السلام ان لها كلبا تمكنه من نفسها ويزنى بها ففعلوا فامر
برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلوة والسلام يوما فى علية له مشرفا على صبيان
يلعبون مع سليمان وفيهم صبى جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبى كمرأة ذات حق
واربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمرئى
من داود عليه السلام كما فى قصة المرجومة فعرفهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه
فذكر لونا ودعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فامر الصبيان فضربوهم
فقال داود لعل القضية هكذا فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد
فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله
السيوطى رحمه الله تعالى فى تخريج احاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان
المراد بالمرجومة التى اريد رجمها لان داود هم برجمها ثم لما رأى صنيع سليمان درء
عنها الحد فسماها المصنف رحمه الله تعالى مرجومة باعتبار ما يؤل اولانه اريد
رجمها يتبع فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه
قيل ان هذا يقتضى انه كان فى شريعتهم ان المرأة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم
وان شاهد الزور يقتل وفى الشريعة المحمدية ان حكمهما التعزير وقصة الصبى هى
ما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال بينما امرأتان معهما ابنان
لهما واخذ ذئب احدهما فتحاكما الى داود عليه الصلوة والسلام فقضى به للكبرى
فدعاهما سليمان عليه الصلوة والسلام فقال هاتوا سكينا اشقه بينهما فقالت
الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليها ورضى الاخرى
بشقه لتتشاركا فى المصيبة قال التجانى وهذا مما الاشبهة فى صحته واما الحديث الاول
فالله اعلم بصحته وقد ورد فى الاسرائليات على غير رواية ابن عساكر وان داود لم يرجمها
وانما امرهم برجمها فخرجوا بها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم

كامر ورجع سليمان عن حكمه وعلى هذا يبنى ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عن من
اريد رجمها وفيه فوائد منها انه اذا تجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها
ان اباهريرة رضى الله تعالى عنه قال والله ان سمعت بالسكين الا ذلك اليوم ومنهـا
ان داود عليـه الصلوة والسلام يحتمل انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وان كان
فى شريعته يجوز الالحاق بالشبه اولكونه فى يدها والترجيح باليد شريعة له صلى الله
تعالى عليه وسلم واما سليمان عليه الصلوة والسلام فتوصل بلطف لمعرفة باطن
القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوى بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقصون
بامور لو تجرت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى اقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها
لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه الصلوة والسلام حكمه اوان فى شرعهم انه يجوز
للمجتهد نقض حكم المجتهد كما فى مزيل الخفاء ومنها انه وقع فى مسلم ان الصغرى
قالت لسليمان لا يرحمك الله ويرحمك الله جملة مستأنفة دعائية لكنها موهمة للدعاء
عليه وفى الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ما روى عن ابى بكر
رضى الله تعالى عنه انه قال له مثله لا تقـل هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم
لا ويرحمك الله اقول يعنى ان الواو تزاد لدفع الابهـام كما تحذف له فى نحو قوله

*ونظن سلمى اننى ابغى بها * بدلا اراها فى الضلال تهيم*

فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف على ابغى والبس مراده ذلك وسأل الرشيد
رجلا عن شئ فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما سمعه قال هذه الواو
احسن من واوات الاصداغ فى حدود الملاح وهذه الواو اما زائدة او اعتراضية
اولعطف الانشاء على الخبر (وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك
اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى) عليه الصلوة والسلام (مع فرعون واخذه
بلحيته وهو طفل) فرعون لقب لكل من ملك القبط كما مر وهذا هو مصعب
ابن الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة عمر اكثر من اربعمائة سنة وسن موسى عليه
الصلاة والسلام حين اذا اخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بنى
اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فرأى فى منامه او اخبره الكهنة ان زوال
ملكه على يد غلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فرأى اهل مملكته
ان فى ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما
بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال ان يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله
غير ظاهر فلعلهم رأوا عام ولادته زوجا اوفردا وعينوه وولد هارون فى عام الاستحياء
وولد موسى فى العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت امه عليه فاوحى الله تعالى
اليها ما يأتى على لسان ملك اورأت ذلك فى منامها والقول الاول اما لان من لا يكون
نبيا قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان فى الزمن السالف اوان امه
كانت نبيئة والمشهور ان النبى لا يكون الا ذكرا قال التجانى وقد ذهب علماء قرطبة

الى صحة نبوة المرأة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض اهل الظاهر
فاوحى الله تعالى الى امه ان تتخذ تابوتا تضعه فيه وتقذفه فى النيل ففعلت وكان
النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس اذ دخل التابوت به عنده فاخذه
آل فرعون ففتحته آسية امرأة فرعون رضى الله تعالى عنها فلما رأته فيه موسى رحمته
وسألت من فرعون ان يتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه فاحبه وجعله
يوما فى حجره فمديده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا عدو لى
وامر بذبحه فناشدته الله تعالى وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه فجربه
فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل
والا عذر فلما مديده للتمرة ضربه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت
لسانه منها كان فى لسانه عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف
وهى التى ازالها الله تعالى بدعائه فعذره فلم يزل فى حجره الى ان كان ما كان وموسى
وقصصه ونسبه مذكور فى محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد
فيجمع على اطفال ﴿فائدة﴾ قيل كل مولود ذكر او انثى يزيد كل سنة اربع
اصابع باصابع نفسه وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه
والقوة تزيد الى اربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون
يوسف وقيل هو وانه اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلوة والسلام قال يارب
امهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافأته على ذلك فى الدنيا
(وقال الله تعالى * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا قال مجاهد
وغيره) هذا احد التفاسير فى العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال فى الكشاف معنى
اضافة الرشد له عليه الصلاة والسلام انه رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل
بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له افاد ذلك مع التعظيم ولم يفهم مراده اذ مراده
انا آتيناه رشدا معلوما من حاله لا يقابه وامثاله من الرسل عليهم السلام لا كرشد غيره
(وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابتداء خلقه) اى اختاره رسولا خليلا لا فى علمه فانه
لا يختص به بل المراد انه حين اراد خلقه فى بطن امه امر الملائكة ان يكتب
اصطفاه وخلته تنويها به وتعظيما لقدره بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه
والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه فى عالم الذر قبل خلق جسده كما فى حديث
كنت نبيا وآدم الى آخره وفى نسخة قبل ابتداء خلقه قيل لما كان من قبل على هذا
بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه اوله باصطفاءه اللازم له لصحة اصطفاء
المعدوم (وقال بعضهم لما ولد) نبى الله (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (بعث الله اليه
ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل

افعل فذلك رشده) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى
آتيناه رشده قبل امره فيدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكر به امر جبلى مجبول عليه
او امر عرفه به فى عالم الذر والارواح فيكون بمعنى ما قاله ابن عطاء او المراد انه عبر
بالماضى لسرعة امتثاله حتى كانه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من
قبل بلوغه كما قيل (وقيل ان القاء ابراهيم فى النار ومحنته) التى وقعت له مع النمرود
فانه كما رأوه ابو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد فى زمنه وكان له
كهنة فقالوا له يولد فى هذه السنة مولود يفسد آلهة الارض ويدعوهم الى غير دينهم
وهلاك اهل بيتك على يديه فعزل النساء على الرجال ودخل آزر الى بيته فوقع على
زوجته فحملت فقال له الكهان ان الغلام قد حمل به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد
فلما اخذام ابراهيم عليه الصلوة والسلام المخاض خرجت هاربة فوضعته فى نهر
يابس ولفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء واخبرت به اباه فاتاه فحفر له سردابا وسد عليه
بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربى فقالت انا
فقال من ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها
فقالت له الغلام الذى يتحدث به انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك
وقوله (كانت وهو ابن ستة عشر سنة) كذا فى الكشاف قال التجانى المعروف
انه كان ابن ست وعشرين سنة والذى اشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد
ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان
من مرض ينذر جمع الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت
لشدتها ثم وضعوه فى منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبرائيل عليه الصلوة
والسلام يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم تحرق غير وثاقه فقال له حين القى الك
حاجة فقال اما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى وقيل نجا منها بقوله تعالى
حسبى الله ونعم الوكيل واشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو فى روضة معه
جليس من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فقرب اربعة آلاف بقرة وكف عنه
وقصته مذكورة فى القرآن مجملة مفصلة فى التفسير (واعلم ان نمرود كما قاله السهيلى
بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما ارادوا رميه فى النار لم يقدروا على
القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما ارادوا رميه لم يرم لمنع الملائكة
عليهم الصلوة والسلام له فامرهم ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج
فصعدت الملائكة للسماء (وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين) وقيل
ثلاث عشر سنة وهذا بناء على ان الذبيح اسحق عليه الصلوة والسلام كما عليه
اهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطى فى تصحيحه
رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلوة والسلام

وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضى الله عنهم وهو الظاهر
فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلوة والسلام كانت لا ولد لها وهاجر جاريته
قد ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل
عليه الصلوة والسلام وكان شابهما فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلوة
والسلام بشرتهما الملائكة باسحق فقالت ءالد وانا عجوز الآية فلو كان الذبيح
اسحق عليه السلام ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه امر
بذبحه بعد ما ولد له يعقوب للاجماع على انه فى صغره كما مر ولقوله فلما بلغ معه السعى
ولانه فى الصافات ذكر تبشيره باسحق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره
وورد فى الحديث انا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسمعيل وفى تفسير الطبرى عن
ابن عباس رضى الله عنهما تزعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا وقال بعض من
اسلم من احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة فيكم وقال
الاصمعى سألت ابا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك الم تر ان الموضع الذى
اضجع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال ابن الجوزى هو الصواب
والقول بانه اسحق باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن القيم فى الهدى وقال
المحب الطبرى الاكثر انه اسحق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث
انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه عبد الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه
عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله تعالى فلما كملوا اتى بهم البيت وضرب عليهم
القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله
وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاى مع غرابته لا يعلم له وجه لانه
لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف

(وان استدلال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا)
ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث
ولا شئ من الحادث بصانع فلا شئ من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه
الاجرام فى التغير فلا شئ منها بصانع بل هى دونها فيثبت لها ذلك بالطريق
الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل
مؤلف من قضايا يستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة او الدليل ما يدل بالقوة
وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب
خبرى كالعلم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام لما اخفته امه فى غار خوفا عليه كما مر مكث فى الغار عشرة
اعوام او اربعة اعوام كما فى عيون المعانى او خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف
فلما عقل سأل امه من ربى كما مر وفى رواية فقالت ابوك فقال من رب ابى فقالت

الملك فعرف جهلها ونظر ما يستدل به عليها فرأى النجم فقال هذا ربى الى آخر
ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا قبل بلوغه فى الغار وقيل انه بعد بلوغه فى الغار
او بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله نبيا وعمره اكثر مما ذكر وهو الذى يقتضيه
ظاهر القرأن لانه حكى فيه انه قال لابيه ءاتخذ اصناما الى آخره ثم عقبه بقوله تعالى
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات * الخ ثم ربط به قوله تعالى فلما جن عليه الليل
الخ فدلت الفاء على كونه بعد هذا كله وقوله تعالى وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته
مع قومه ليرشدهم للايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله تعالى يا قوم انى برئ
مما تشركون ولو كان فى الغار نظرا لنفسه قال انى برئ من الاشراك فاذا ثبت
هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكواكب فقوله هذا ربى اما انه اتى فى
المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده او قوله هذا ربى على تقدير
الاستفهام والاستفهام انكارى او هو على تقدير اى يقولون هذا ربى والتقدير
فى الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو فى القرأن كثير او انه
عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتداء فاتى بما يستدرجهم الى استماع
حجتهم بان اسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا اصاخوا له اورد الدليل المبطل لما
يعتقدونه بما هو اتم وانفع وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما بما فى هذا من الابهام
وعدم اظهار الانكار وسيأتى فى القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف رحمه
الله تعالى استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك فى الله ووحدانيته فكيف
صدر هذا من الخليل عليه الصلوة والسلام بانه صدر منه قبل سن التميز وهو غير
مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم اعرف الناس
وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التأويل وقد تقدم
ان الاصح انه صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بلوغه بل وبعثته وان سياق
الآية ناطق به كما قررناه اولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبى فى تفسيره وقيل انه قاله فى
طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات قصة اخرى لانه قصد النظر لنفسه والفاء لبست
لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة
الاصنام وتضايل قومه والقول بانه على تقدير مضاف اى هذا مخلوق ربى لا يخفى بعده

(وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلوة والسلام وهو صبى) هذا الوحى يحتمل
ان يكون برسول من الملائكة ارسله الله تعالى اليه وهو ظاهر ان لم يقل انه لم يبعث
نبى الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه
ويحتمل انه بالهام او رؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال طائفة وفى الكشاف

ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذذاك مدركا وعمره تسع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى من انه كان صبيا (عندما هم اخوته) بكسر الهمزة وضمها جمع اخ (بالقائه فى الجب) بضم الجيم وتشديد الباء وهو البئر غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب بيبت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان وسيأتى ذكر اخوته وقصتهم (بقوله تعالى) فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب (واوحينا اليه لتنبئنهم) اى لتخبرن يا يوسف اخوتك (بامرهم هذا) وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله اوحينا او بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وقيل بل كان ابن اثنتى عشر سنة اوثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبئ واوحى اليه فى صباه كيحيى وعيسى فالوحى فى الآية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وقوله هم هو معنى قوله تعالى واجمعوا الى آخره اى اجمعوا امره لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رأيه جمعا بعد ما تفرق وهو يقتضى ان الوحى وقع له حين هموا بالقائه وفى الآية ما يقتضى انه وقع بعد القائه قال القاضى انهم اتوا بيوسف عليه الصلاة والسلام الى البئر ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وفيها ماء فآوى الى صخرة بها وقام عليها يبكى فجاءه جبريل عليه السلام بالوحى كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضى ان الوحى بعد الالقاء تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذال وهم لا يشعرون ان الله تعالى اراحه بما بشره به من نصره فالحال من ضمير اوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم اى لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما اتوا ممتارين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة (الآية) اى اذكر الآية التى ذكر فيها مثالها (الى غير ذلك من اخبارهم) اى اخبار الانبياء عليهم الصلوة والسلام الدالة على انهم مجبولون على الكمال من ابتداء امرهم فى صغرهم (وقد حكى اهل السير) مما دل على ذلك (ان امنة بنت وهب) ام النبى صلى الله عليه وسلم كما مر (اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) اى خرج من بطنها حين اراد الله تعالى اخراجه منها فلا لغوية فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا الآتى وهو حال من الضمير المستتر فى ولد الاول والظرف مؤكد لدفع ان الحال مقدرة (باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء) رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابى الحسين ابن اسيد مرسلا قال قالت امنة ولدته صلى الله تعالى عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض واهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته

وكنت وضعت عليه اناء فوجدته قد تعلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها ابن حجر فى كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه فى هذا الحديث وبين ما فى سيرة ابن اسحق من انه ولد واضعا يديه فى الارض رافعا بصره وانه كان يسبحا (اقول اما التسبيح فلا دلالة عليه فى الحديث واما عدم منافاته لما فى سيرة ابن اسحق فمسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى الا بتأويل بعيد ويؤيده قول الابى صيرى فى قوله

* رفعا طرفه الى السماء وفى * ذلك الرفع الى كل سودد ايماء *

(وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت) اى صرت شابا وهذا الحديث رواه ابو نعيم فى الدلائل عن شداد بن اوس (بغضت لى اوثان) بالبناء للمجهول اى بغضها الله لى وهى جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنته اذا اجزلت عطيته واوثنت كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ماله جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله (وبغض الى الشعر) اى استماعه والتلفظ به (ولم اهم بما كانت الجاهلية تفعله الامرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافى قوله ان من الشعر لحكمة لان فيه ما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاء الكفار كما قال الله تعالى ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله تعالى عليه وسلم واجاز قائله وقال مرة لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض او يقال تعريف الشعر للعهد وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبى وفسر بمعنى لم اردواقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن على كرم الله وجهه ولفظه ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشئ حتى اكرمنى الله تعالى برسالته ورواه فى المستدرك بلفظ آخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة ترعى غنما ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الصبيان فجئت ادنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت غلبتنى حتى عينى فما ايقظنى الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك والله ما هممت بعدهما بما تفعله الجاهلية وروى ان الله القى عليه النوم فى المرتين صيانة له ولبس فى هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف فى العرس غير ممنوع واما النهى عن سمر الليل فليس نهى تحريم الليل مطلقا وكان مباحا اذ ذاك

مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كهذا كرة العلم وانما يحرم او يكره لعارض كذا ذكره الفقهاء وقوله فعصمني الله اى حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وما وقع فى بعض الشروح ان كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوانه يجتمع عنده فى كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا يكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان فى روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة فى زمن الفترة كما تقدم (ثم يتمكن الامر لهم ويترادف نفحات الله عليهم) الضمير للانبياء عليهم الصلوة والسلام والظاهر انه معطوف على غرزت من قوله سابقا غرزت فيهم الاخلاق الى آخره وعطفه بثم لبعد رتبته اوزمانه باعتبار الابتداء او الانتهاء ويتمكن بمعنى يقر ويثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما اودع فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد انها تتوالى فيأتى بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهى فى الاصل رائحة تأتى مع هبة من النسيم طيبة وهى هنا بمعنى الهبة والعطية قال * لما آتيتك ارجو فضل نائلكم * نفحتين نفحة طابت لها العرب * والمراد هنا امداد الله لهم بوحى وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجازا تهكم كقوله تعالى * ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك * وفى الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها (وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم) تشرق بمعنى تضئ يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية (حتى يصلوا الغاية) اى غاية الكمال فى التخلق باخلاق الله تعالى (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم) اى بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم (بالنبوة) متعلق بيبلغوا او باصطفاء (فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) التى لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن فى العبارة (دون ممارسته) اى من غير تكرار عمل ومزاولته (ولا رياضة) اى تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة اروضها اذا عودتها السير والجرى (قال الله تعالى ولما بلغ اشده) اى موسى صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى اربعين او ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين وهو مفرد او جمع لا واحد له او واحده شدة او شد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال ينتهى لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافى ما مر لما ذكره الفقهاء من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضى الله عنه (واستوى) ذكر الاستوى فى قصة موسى ولم يذكره فى قصة يوسف وقال التلمسانى لان الاستوى كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل فى ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابى عرفة انه قال ابن

جماعة من استوى خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجتمع الاشد ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستواء ومنتهى الكمال انتهى (آتيناه حكما) اى نبوة (وعلما) بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزى المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين اى مخلصين مراقبين لله فى افعالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الاية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة (وقد نجد غيرهم) اى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام (يطبع) اى يخلق مجبولا (على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها) وفى نسخة دون بعضها (ويولد عليها) موجودة فيه وجودا متأصلا وهذا كالتفسير لما قبله (فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل) منصوب بنزع الخافض اى بعناية الله ولطفه اذ جبله على اصولها (كما يشاهد من خلقه) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وقاف وهاء تأنيث او بفتحها مضافا لضمير الله والاولى اولى وعليه اقتصر ابن رسلان (بعض الصبيان على حسن السمت) السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال ما احسن سمته اى هديه وسيرته وقد ورد فى الحديث بهذا المعنى (او الشهامة) اى او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم اى حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ فى الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا فى اكتساب المعانى وعدم الالتفات للملاحات والخصومة وفى الحديث من لاحى الرجال سقطت مروته وذهبت كرامته ومازال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الاوثان (او صدق اللسان او السماحة) كان الظاهر عطفها بالواو ولكنه لما اتى بها نابعضها رأى ان او الفاصلة انسب (وكما نجد بعضهم على ضدها) اى ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما فى قوله تعالى على هدى من ربهم (فبالاكتساب يكمل ناقصها) فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن فى التعبير او بينهما فرق قلت قال العينى بينهما فرق الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابى الاصبع فى كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان او غيره الا انه تام الخلق ليس فى اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو المتداول بينهم فان الكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تعالى * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى انتهى وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يمشى على الاخير

حيث جعل مافى حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام تماما ومافى حق غيرهم كمالا ولوعكس كان احسن (وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومهما) بالجيم والبناء للمجهول اى مكتسب وتحصل لمن لم يطبع على شئ منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم آخر غيرما تقدم فان الاول وهومرتبة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يطبع على جميعها والثانى ان يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له اولا فسقط ماقيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخاتى الاانه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض (ويعتدل منحرفها) المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال المحمود لانه هوالطريق فمن فرط اوافرط فقدمال عنه وهذا بناء على القول الاصح ان الطباع يمكن تغيرها والالضاعت المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم التى برياضتها قد يتعلم ما ليس فى طباعها وقد قال الله تعالى وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا وقال الشاعر *تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى* اخاكرم الاان يكونا تكرما* كما فصل فى علم الاخلاق (وباختلاف هذين الحالين) الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) اى فى الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا (وكل ميسر لما خلق له) هذا من الامثال النبويه وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح واوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة ومن خلق شقيا يعمل عمل اهل الشقاء ولذاكان التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال الله تعالى *فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى* (ولهذا) التفاوت فيها (ماقد اختلف السلف فيها) مافى اكثر النسخ وهى موصول اسمى اوحرفى اوزائدة ولذاسقطت من بعض النسخ وهوالاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلماء (هل هذا الخلق) الحسن الذى يحمد به الناس (جبلة اومكتسبة) الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وتخفيفها (فحكى) الامام المفسر محمد بن جرير (الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن) الذى يجمع اكثر الطبايع المحمودة (جبلة وغريزة) خلقها الله (فى العبد) وتعبيره بالعبد ايماء الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده (وحكاه عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) البصرى (وبه قال هو) اى ابن جرير صرح به لانه لايلزم من حكايته اعتقاده له (والصواب مااصلناه) اى قدمناه وجعلناه اصلا وقاعدة فيمامر من ان منها ماهوجبلة غيرمكتسبة ومنها ماهو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه (وقد روى سعد) اى ابن

ابى وقاص رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل الخلال) بكسر الخاء المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وهى الخصلة والصفة (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) وهوحديث صحيح رواه احمد فى مسنده والبيهقى فى شعب الايمان وابن ابى شيبة فى المصنف عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه ورواه ابن ابى الدنيا فى الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطنى فى العلل الموقوف اشبه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم كمارواه الذهبى يطبع المؤمن على كل شئ الاالخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهى تشتمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحوذلك والكذب معروف يعنى ان هذين لايكون طبيعة مخلوقة فى المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين فى غاية القبح فلايختار اتصافه بهماوان كانت هذه الخصلة لاتقتضى كفره اوالمراد المؤمن الكامل (وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) قال السيوطى رواه عنه سعيد بن منصور فى سننه وابن جرير وابن ابى حاتم (فى حديثه والجرأة) بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهى الشجاعة اواعم منها ومقابله ماشار اليه بقوله (والجبن) بضم الجيم والباء وتخفيف النون وتسكن باؤه كثيرا وهو عدم الاقدام الخوف وضده الشجاعة واما الجبن المأكول فبتثقيل الباء والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل

يقولون لى هل اجترأت لدى الوغى وكنت شديد البأس فى الضرب والطعن*
فقلت دعونى فانعا بسلامتى فانى ممن يأكل الخبز بالجبن*

غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء) وفى هذا وماقبله دليل لماصوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غيرمطبوعة وفى حديث عمر رضى الله عنه جعل الخيانة والجرأة غريزتين مطبوعتين فدلا على ماادعاه من ان منها ماهوطبيعى ومنها ماهوغيرطبيعى (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة) لايمكن استيفاء اقسامها تفصيلا (ولكنا نذكر اصولها) التى تتضمن باقيها اجمالا (ونشير الى جميعها) اشارة لاتصريحا (وتحقيق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله) فانه المقصود من ذكرها

قدتم الجلد الاول بعناية الله وكرمه من شرح الشفاء المسمى بنسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى عليه رحمة البارى ويليه الجلد الثانى